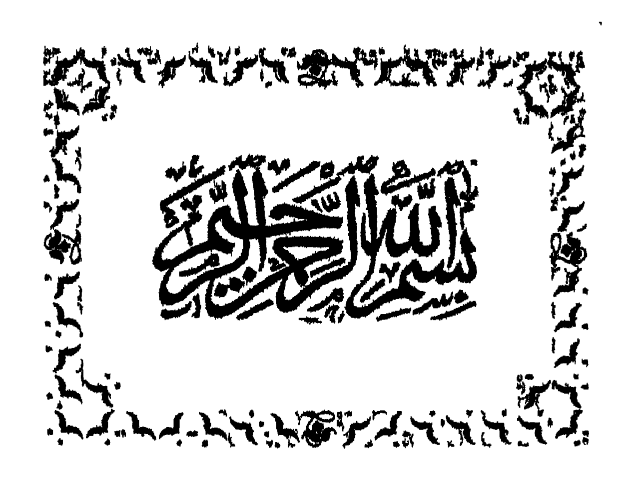
المجلد الاول من كتاب غاية الاماني

فى الرد على النبهانى للامام العلامه محيي السنه تذكرة

السلف الشيخ أبي المعالى الشافعي السلامي

أحسن الله اليه ووالى نعمه



الحمد لله على ما عرفنا من نفسه * والهمنا من شكره * وفتح لنا من أبواب العلم بربوبيته ودلنا عليه من الاخلاص فى توحيده * وجنبنا من الالحاد والشك فى أمره * وهو رب العالمين وقيوم السموات والارضين * ﴿نحمده﴾ حمدا يضيء لنا به ظلمات البرزخ * ويسهل علينا به سبيل المبعث * ويشرف به منازلنا عند مواقف الاشهاد * يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون * يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون *

﴿ونشهد﴾ ان لا اله الا الله العظيم السلطان * والملك الديان * الذي لا شريك له ولا ندّ ولا وزير ولا معين وهو الرّب المستعان * فسبحانه من اله وقفت سيارات العقول حيارى فى مواقف عظمته * وتاهت ثوابت ابكار الافكار سكارى فى فيافى قدرته * واقام أدلة وحدانيته على رؤس عرائس الكائنات * ونظم براهين تفرده بربوبيته فى سلك امتناع تسلسل سلسلة الموجودات *

﴿ونرفع﴾ اليه جل شأنه أكف التضرع والابتهال * ونبسط له تعالى سلطانه أيدي التذلل والسؤال * ان يديم ديم صلاته وسلامه هاطلة على أجل من نشر رايات التوحيد * وعقد خنصر قلبه على تقديس ربه المجيد * وتحدى بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد * سيدنا ومولانا محمد أمينك على وحيك * ونجيبك من خلقك * وصفيك من عبادك * امام الرحمة * وقائد الخير ومفتاح البركة * الذى نصب لامرك نفسه * وعرض فيك للمكروه بدنه * وكاشف ليك في الدعاء حامته * وحارب في رضاك أسرته * وقطع في احياء دينك رحمه * وأ[illegible] [illegible] تبليغ رسالتك [illegible] بالدعاء الى ملتك * وشغلها بالنصح لاهل دعوتك [illegible]

الأدلة منه لاعزاز دينك * واستنصارا على أهل الكفر بك * حتى استتب له ما حاول في أعدائك واستتم له مادبر في أوليائك . فشيد اليهم مستفتحا بعونك . ومتقويا على ضعفه بنصرك * صلى الله عليه * وعلى آله وأصحابه الذين أخلصوا في أعمالهم فخلصوا عن كل نقص حتى لم يبق فيهم كلام * وخصوا بزبدة أعمارهم بالتجرد عن شوائب الغفله * فلم يشبهم شئ من دواعي الملام * شنوا غارات عزائمهم حتى بددوا كتائب الزيغ والضلاله * ودمغوا باسنة حججهم رؤس أهل الشرك والجهاله * الذين أسرعوا الى وفادته * وسابقوا الى دعوته واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته * وعلى من تبعهم باحسان * ولم يكن لهم غير الله ملجأ ولا مستعان *

* أما بعد * فقد وصل الى في أواخر رجب الفرد سنة خمس وعشرين وثلثمائة وألف * من هجره من تقصر دون كعب علاه بردة المدح والوصف * كتاب قد اشتمل على بهتان عظيم * وعدول عن الصراط المستقيم *

* الفه بعض الجهلة لمصادمة الحق * ومعارضة الصواب بالخطأ المطلق * ومناقضة ماجاءت به رسل الله * وصدحت به الكتب المنزله * ودلت عليه الدلائل القطعية * وهو توحيد الله وافراده بخصائص الربوبية * وتخصيصه بالالتجاء اليه * والتوكل عليه * والاستعانة به في كل كلية وجزئية * فجاء هذا الغبي الجاهل المكابر * وأعرض عن الحق الصريح الظاهر * وجمع كتابا سماه شواهد الحق * في الاستغاثه بسيد الخلق * وحشاه من الكذب والافتراء * والظلم والعدوان * وشتم أهل الحق ونصره التوحيد والحكايات الكاذبة * وكان الحري به ان يسمى كتابه هذا شبه الباطل والضلال ولما تصفحته وجدته كتابا لا يروج ما فيه حتى على ضعفاء العقول * فضلا عمن تضلع من فنون المنقول والمعقول * لما اشتمل عليه من واهي الاسانيد وأكاذيب النقول * مباحثه متناقضه * ومطالبه متعارضه * جهل بها مؤلفه * وغفل عنها مصنفه * وبقيت اقدم رجلا وأوخر أخرى في الاقدام على ابطاله * وتزييف أقواله * حيث تكلم بالجزاف * وابان عن قلة معرفة وعدم انصاف * وكان الرأي عندي ان يعرض عن جهل المستأصل لسافته * ولا يتعرض لمساويه وسخافته * ولا يلتفت الى خلطه وخرافته * غير ان بعض الاخوان لما علم مقصدي ووقف على ما قرر عندي التمس مني ذلك * وطلب ابطال ما هنالك * وذكر لي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال ابو سفيان يوم أحد أفيكم محمد أفيكم أبو بكر أفيكم ابن الخطاب

قال لاصحابه لا تجيبوه تهاونا به وتحقيرا لشأنه * فلما قال أعل هبل * قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله أعلى واجل * ولما قال لنا العزى ولا عزى لكم * قال لهم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم * فحينئذ جردت اسنة العزائم والرد * واستمنت على رد اباطيله بالواحد الفرد *

﴿ وليت ﴾ مصنف ذلك الهذيان . تنكب عن ميدان الفرسان . ليسلم من أسنة السنتهم عرضه . وينطوى عن بساط المشاجرة طوله وعرضه . ولم يسمع مايضيق به صدره ولم يهتك بين أفاضل الامة ستره . واذ ابى الا المهارشة والمناقشة . والمواحشة والمفاحشة . فليصبر على حر الحلاقم . ونكز الاراقم . ونهش الضراغم . والبلاء المتراكم المتلاطم . ومتون الصوارم . فوالذى نفسي بيده مابارز أهل الحق قط قرن الا كسروا قرنه . فقرع من ندم سنه . ولا ناجزهم خصم الا بشروه بسوء منقلبه . وسدوا عليه طريق مذهبه لمهربه . ولا فاصحهم أحد ولو كان مثل خطباء أياد الا فصحوه وفضحوه . ولا كافحهم مقاتل ولو كان من بقية قوم عاد الا كبوه على وجهه وبطحوه . هذا فعلهم مع الكماة الذين وردوا المنايا تبرعا . وشربوا كؤسها تطوعا وسعوا الى الموت الزوام سعيا . وحسبوا طعم الحمام أريا . والكفاة الذين استحقروا الاقران فلم يهلهم امر مخوف . وجالوا في ميادين المناضلة واخترقوا الصفوف . وتجالدوا لدى المجادلة بقواطع السيوف *

﴿ وقد ﴾ حان ان نشرع بالمقصود . والذب عن شريعة صاحب المقام المحمود . والحوض المورود اللهم اجعلنى اصول بك عند الضرورة وأسألك عند الحاجة . وأتضرع اليك عند المسكنة . ولا تفتني بالاستعانة بغيرك اذا اضطررت . ولا بالخضوع لسؤال غيرك اذا افتقرت . ولا بالتضرع الى من هو دونك اذا رهبت . فاستحق بذلك خذلانك ومنعك واعراضك ياأرحم الراحمين .

اللهم اجعل مايلقي الشيطان فى روعي من التمنى والتظني والحسد ذكرا لعظمتك . وتفكرا فى قدرتك وتدبيرا على عدوك . وماأجري على لسانى من لفظة فحش أوانتهاك عرض أوشهادة باطل أواغتياب مؤمن غائب أوسب حاضر وما أشبه ذلك نطقا بالحمد لك واعترافا فى الثناء عليك . وذهابا فى تمجيدك . وشكرا لنعمك واعترافا باحسانك . واحصاء لمننك . انك مجيب الدعا

[illegible] في ابطال الحق [illegible] الى ذلك [illegible] ليميز من علمها

ليميز في التمييز بين الخطأ والصواب ، ويعين على الوقوف على الحق من طرق هذا الباب ، ومن الله نستمد التوفيق ، وبيده أزمة التدقيق والتحقيق .

﴿ الامور التي تجب التنبيه عليها ، والاشارة بتيسير العبارة اليها ﴾

﴿ الامر الاول ﴾ ان الكتب المصنفة في حقائق الدين وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لاتحصى كثرة في كل عصر من الاعصار ، ولا سيما في هذه الازمان الاخيرة فقد انتشرت الكتب الاسلامية ، بواسطة صناعة الطبع انتشارا لم يعهد مثله في الاعصر الخالية ، ومع ذلك لم تؤثر في القلوب القاسية شيئا ، فان أمثال الهائم المعرضين عن الحق المتبين لاهواءهم كثيرون في الاقطار والبلاد . ودلائل الحق واضحة جلية ، ولم يلتفتوا اليها ، ولا عرجوا عليها وهذا وان اغتر به العوام ، والجهلة الطغام ، فهو لا يضر الحق ولا يمس شرف أهله ، فان الاسباب المانعة من قبول الحق كثيرة جدا كما ذكر ذلك الحافظ ابن القيم في الهداية .

﴿ فمنها الجهل به ﴾ وهذا السبب هو الغالب على أكثر النفوس فان من جهل شيئا عاداه وعادى أهله ، فان انضاف الى هذا السبب بغض من أمره بالحق ومعاداته له وحسده كان المانع من قبول الحق أقوى ، فان انضاف الى ذلك الفه وعادته ومرباه على ما كان عليه آباؤه ومن يحبه ويعظمه قوى المانع ، فان انضاف الى ذلك توهمه ان الحق الذي دعي اليه يحول بينه وبين جاهه وعن شهواته واغراضه قوى المانع من القبول جدا فان انضاف الى ذلك خوفه من أصحابه وعشيرته وقومه على نفسه وماله وجاهه كما وقع لهرقل ملك النصارى بالشام على عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم وكما نرى كثيرا ممن ينتسب الى العلم من أهل المناصب والجرايات ينتسبون الى الطرائق المبتدعة ويظهرون مايروج من العقائد لدى حكومتهم ودولتهم ويتجنبون من العقائد السلفيه ، وأظهار السنن النبويه مع علمهم بحقية حقائقها ، ووقوفهم على دقائقها محافظة على الزخارف الدنيويه ، والسفاسف الدنيه ، وأعرف من هؤلاء عددا كثيرا .

أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين . (فاذا) كان الامر علي ماذكر ازداد المانع من قبول الحق قوة . فان هرقل عرف الحق وهمّ بالدخول في الاسلام فلم يطاوعه قومه وخافهم على نفسه واختار الكفر على الاسلام بعدماتبين

له الهدى [illegible]

[illegible] هذه الأسباب [illegible] الحسد لانه داء كامن في النفس ويرى الحاسد المحسود قد فضل عليه وأوتي ما لم يؤت نظيره فلا يدعه الحسد أن ينقاد له ويكون من أتباعه وهل منع إبليس من السجود لآدم إلا الحسد فإنه لما رآه قد فضل عليه . ورفع فوقه غص بريقه واختار الكفر على الإيمان بعد أن كان بين الملائكة . وهذا الداء هو الذي منع اليهود من الإيمان بعيسى ابن مريم . وقد علموا علما لا شك فيه أنه رسول الله جاء بالبينات والهدى فحملهم الحسد على أن اختاروا الكفر على الإيمان وأطبقوا عليه وهم أمة فيهم الأحبار والعلماء والزهاد والقضاة والملوك والأمراء . هذا وقد جاء المسيح بحكم التوراة ولم يأت بشريعة تخالفها ولم يقاتلهم وإنما أتى بتحليل بعض ما حرم عليهم تخفيفا ورحمة وإحسانا . وجاء مكملا لشريعة التوراة . ومع هذا فاختاروا كلهم الكفر على الإيمان *

فكيف يكون حالهم مع نبي جاء بشريعة مستقلة ناسخة لجميع الشرائع مبكتا لهم بقبائحهم ومناديا على فضائحهم . ومخرجا لهم من ديارهم . وقد قاتلوه وحاربوه . وهو في ذلك كله ينصر عليهم ويظفر بهم . ويعلو هو وأصحابه . وهم معه دائما في سفال فكيف لا يملك الحسد والبغي قلوبهم . واين تقع حالهم معه من حالهم مع المسيح . وقد اطبقوا على الكفر به من بعد ماتبين لهم الهدى . وهذا السبب وحده كاف في رد الحق . فكيف اذا انضاف اليه زوال الرياسات والمآكل كما تقدم . وقد اطنب ابن القيم الكلام . واتى بما تعشقه الاسماع والأفهام . وله كلام مفصل يتعلق بهذا الباب ذكره في كتاب مفتاح دار السعاده . ولعلنا نذكر منه شيأ فيما سيأتي ان شاء الله *

والمقصود ان لعدم قبول الحق والاذعان له اسباب كثيرة كلها موجودة في الغلات والغالب منها قسوة قلوبهم كما أخبر الله تعالى عن اليهود . بقوله (ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار . وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء . وان منها لما يهبط من خشية الله . وماالله بغافل عما تعملون)

* وفي باب فضل من عَلِم وعلّم * من كتاب صحيح الامام البخاري حدثنا محمد بن العلاء . قال حدثنا حماد ابن اسامة عن بريد بن عبد الله عن ابي بردة عن ابي موسى عن النبي صلى

الله عليه وسلم قال مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير . ﴿أصاب﴾ أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير . ﴿وكانت﴾ منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا . ﴿وأصابت﴾ منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ . فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم . ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به *

﴿قال شارحه الامام الحافظ ابن حجر العسقلانى﴾ بعد كلام له ناقلا عن الامام القرطبي وغيره ضرب النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء به من الدين مثلا بالغيث العام الذى يأتى الناس فى حال حاجتهم اليه . وكذا كان حال الناس قبل مبعثه . فكما ان الغيث يحيي البلد الميت فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت ثم شبه السامعين له بالارض المختلفة التي ينزل بها الغيث ﴿فنهم﴾ العالم العامل المعلم فهو بمنزلة الارض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وانبتت فنفعت غيرها ﴿ومنهم﴾ الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله ولم يتفقه فيما جمع لكنه اداه لغيره فهو بمنزلة الارض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به وهو المشار اليه بقوله نضر الله امرأ سمع مقالتي فاداها كما سمعها . ﴿ومنهم﴾ من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره فهو بمنزلة الارض السبخة أو الملساء التى لا تقبل الماء او تفسده على غيرها . وانما جمع فى المثل بين الطائفتين الاولتين المحمودتين لاشتراكهما فى الانتفاع بهما . وافرد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها والله أعلم *

قال ثم ظهر لى ان فى كل مثل طائفتين فالاول قد اوضحناه . والثانى الاولى منه من دخل فى الدين ولم يسمع العلم او سمعه فلم يعمل به ولم يعلمه . ومثالها من الارض السباخ واشير اليها بقوله صلى الله عليه وسلم من لم يرفع بذلك رأساً اى أعرض عنه فلم ينتفع به ولا نفع . والثانية منه من لم يدخل في الدين أصلا بل بلغه فكفر به . ومثالها من الارض الصماء الملساء المستوية التى يمر عليها الماء فلا تنتفع به . وأشير اليها بقوله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل هدى الله الذى جئت به

* وقال الطيبي بقى من أقسام الناس قسمان (أحدهما) الذى انتفع بالعلم ولم يعلمه غيره (والثانى) من لم ينتفع به فى نفسه وعلمه غيره . ﴿قلت﴾ والاول داخل فى الاول لان النفع حصل فى الجملة . وان تفاوتت مراتبه . وكذلك ماتنبت الارض فمنه ما ينتفع الناس به ومنه ما يصير

[illegible]

[illegible]

رأسا والله أعلم . انتهى كلام الامام السبكي

﴿ والمقصود ﴾ ان الحديث قد دل على ان بعض القلوب كالارض النقية التى قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير كقلوب الصحابة رضي الله تعالى عنهم ومن تبعهم باحسان *

﴿ وبعضها ﴾ كالاجادب التى أمسكت الماء فشربوا منها وسقوا وزرعوا ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم رب مبلغ أوعى من سامع (وبعضها) كالقيعان التى لاتمسك ماء ولا تنبت كلأ كقلوب كثير من الغلاة وأهل البدع والضلالات فانها لا يؤثر فيها الهدى والعلم كما ان الارض السبخة لاتمسك ماء ولا تنبت كلأ *

﴿ الامر الثانى ﴾ انه ورد في الحديث المتفق على صحته انكم لتتبعون سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه * أخبر صلى الله عليه وسلم انه سيكون فى أمته من يحذو حذو الامم السابقة وهم جاهلية الكتابيين وغيرهم كما فسر في الحديث ولا شك ان ما أخبر به صلى الله عليه وسلم كائن لا محالة فانه الصادق المصدوق وما ينطق عن الهوى * ومن اليقين انّ من استمسك بهديه واتبع ماثبت من سنته غير مقصودين بالحديث لما ثبت فى حديث الفرق انهم الفرقة الناجية وهم من كان على ماعليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما هو الوارد فلابد ان يكون الذين يحذون حذوهم هم من بدل وغير وابتدع وحرف وحاكى الذاهبين الاولين فى أفعالهم وأعمالهم من بناء المشاهد والمساجد على قبور صالحيهم وندائهم فى المهمات والملمات وغير ذلك مما كان يفعله اليهود والنصارى والمشركون مما دلت عليه الاحاديث الصحيحة * وفى الغلاة ومبتدعة أهل القبور من خصال الجاهلين من الكتابيين والمشركين مايصدق به عليهم اتباع سننهم حذو القذة بالقذة ونحن نذكر بعض ذلك ليكون كالمثال الموضح لما نحن بصدده .

﴿ فمن خصالهم ﴾ انهم كانوا يتعبدون باشراك الصالحين في عبادة الله تعالى ويرون ذلك من تعظيمهم الذي يحبه الله ويقصدون به أيضا التقرب والزلفى والفوز بشفاعتهم لظنهم ان الصالحين يحبون ذلك منهم * وقد أخبر القران عن هذه الخصلة قال تعالى (انا أرسلنا اليك

[illegible] ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون) وعبادة المشركين لهم كانت بدعائهم لهم وطلب حاجاتهم منهم والذبح والنذر لهم والحلف بهم . وقال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الخ وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى بالاخلاص وأخبرهم انه دين الله الذي لا يقبل من أحد سواه . وان من فعل ما استحسنه حرم الله عليه الجنة ومأواه النار . وهذه المسألة هي الدين كله ولاجلها تفرق الناس بين مسلم وكافر وعندها وقعت العداوة ولاجلها شرع الجهاد قال تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) . ومن المعلوم ان للغلاة الحظ الوافر من خصلة اسلافهم هذه كما هو المشاهد .

﴿ ومن خصالهم ﴾ ان دينهم كان مبنيا على أصول أعظمها التقليد فهو القاعدة الكبرى لجميع من كان قبل ظهور الاسلام من الامم الاولى قال تعالى (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) . فأمرهم الله تعالى ان يتبعوا الحق فقال (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) وقال تعالى (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا قال أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) الى غير ذلك مما يدل على ان أهل الجاهلية كانوا مقيدين بربقة التقليد لا يحكمون لهم رأيا ولا يستعملون نظرا ولا يشغلون فكرا . فلذلك تاهوا في أودية الجهالة . وقضوا أعمارهم في الضلالة وهكذا الغلاة وعبدة الاموات قلدوا أباءهم في تلك العادات . فلا يمكن نقلهم عنها ولو ظهرت الآيات البينات ولكم بحثتُ مع عقلائهم فما زادهم ذلك الا نفورا . وعتوا على الحق وغرورا . فطابق بين الفريقين . تجد الموافقة ظاهرة لكل ذي عينين .

﴿ ومن خصالهم ﴾ الاقتداء بفسقة أهل العلم وجهالهم وعبادهم قال تعالى محذر المؤمنين ان يحذوا حذوهم (يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) . وقال (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) الى آيات أخر تنادي ببطلان

الاقتداء بالفسقة والغواة الضالين المضلين (ومن نظر) الى حال النبهاني وأضرابه الصادين عن سبيل الله تجده على ما كان عليه القرون الاولى الجاهليين *

﴿ ومن خصالهم ﴾ الاحتجاج بما كان عليه القرون السالفة من غير تحكيم للعقل والاخذ بالدليل الصحيح كما دل على ذلك قوله تعالى (قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فاخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم) وقال تعالى (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ماهذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين)

(وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون) وقال تعالى (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون، فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين) وقال تعالى (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة ان هذا الا اختلاق) *

فهؤلاء الامم كلهم جعلوا مدار احتجاجهم على عدم قبول ما جاءت به الرسل انه لم يكن عليه اسلافهم ولا عرفوه منهم فانظر الى سوء مداركهم وجمود قرائحهم ولو كانت لهم قلوب يفقهون بها وآذان يسمعون بها واعين يبصرون بها لعرفوا الحق بدليله وانقادوا لليقين من غير تزييفه ولا تعليله وهكذا اخلافهم ووراءهم *هذا النبهاني لم يفد فيه ما ألف من الكتب المصنفة لاثبات الحق وابطال الباطل ولم يلتفت اليها بسبب مخالفتها لما كان عليه السبكي * وابن حجر المكي *

﴿ ومن خصائصهم ﴾ الاعتماد على الكثرة والاحتجاج بالسواد الاعظم وابطال الشيء بسبب قلة أهله فابطل الله تعالى ذلك بقوله (وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) فالكثرة على خلاف الحق لا تستوجب العدول عن اتباعه ان كان له بصيرة وقلب والحق أحق بالاتباع وان قل انصاره كما قال تعالى قال (لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه

وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم)
فأخبر الله سبحانه عن اهل الحق انهم قليلون غير ان القلة لا تضرهم وما احسن قول القائل *

﴿ تعيرنا انا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل ﴾

﴿ والمقصود ﴾ ان من له بصيرة ينظر الى الدليل ويأخذ بما يستنتجه البرهان وان قل العارفون به والمنقادون له ومن اخذ ما عليه الاكثر وما الفته العامة كما هو ديدن الغلاة وعادتهم من غير نظر لدليل فهو مخطئ سالك غير سبيل المؤمنين متبع سنن الجاهلية مقدوح عند اهل البصائر . وهذه مكيدة عظيمة للغلاة ولذلك ترى النبهاني لم يزل يردد في كتابه هذا القول في تصحيح عقائده ويقول ما نحن عليه مذهب الجمهور ومقصوده جمهور العوام الذين هم كالانعام *

﴿ ومن خصائصهم ﴾ الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريبا فرد الله تعالى ذلك بقوله (فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين)

ومعنى الآية فلولا كان تحضيض فيه معنى التفجع اي فهلا كان من القرون اي الاقوام المقترنة في زمان واحد من قبلكم اولو بقية اي ذوو خصلة باقية من الرأي والعقل اوذوو فضل على ان يكون البقية اسما للفضل والهاء للنقل *

ومن هنا يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ينهون عن الفساد في الارض الواقع فيما بينهم حسبما ذكر في قصصهم وفسر الفساد بالكفر وما اقترن به من المعاصي الا قليلا ممن انجينا منهم استثناء منقطع اي ولكن قليلا منهم انجيناهم لكونهم كانوا ينهون . والغلاة يقولون ان كثيرا من الصلحاء واهل الطرائق يستغيثون بغير الله ويدعون الصالحين وارواحهم تتصرف في هذا العالم والقول بعدم جواز ذلك غريب جدا لا يلتفت اليه وارواح الصالحين تتصرف وتدبر . والقول المخالف له ايضا نادر شاذ لا يلتفت اليه وهذا كثيرا ما يكرره النبهاني فيرى ان اقوال ابن تيمية شاذة ونحو ذلك فانظر الى تشابه قلوبهم واحمد الله تعالى على السلامة في الدنيا والدين .

﴿ ومن خصائصهم ﴾ الغلو في الصالحين من الانبياء والاولياء قال تعالى (وقالت اليهود عزير ابن

وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون. اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون* فاتخاذ أحبار الناس أربابا يحللون ويحرمون ويتصرفون في الكون ويبادرون في رفع ضر أو جلب نفع من جاهلية الكتابيين ثم سرت الى غيرهم من جاهلية العرب وعم اليوم نطاقها في مشارق الارض ومغاربها وهم الغلاة في أهل القبور. فانك ترى غالب الناس اليوم معرضين عن الله. وعن دينه الذي ارتضاه. متوغلين في البدع. تائهين في أودية الضلال الاشنع. معادين لكتاب الله والسنة ومن قام بهما فاصبح الدين منهم في أنين. والاسلام في بلاء مبين. والنبهاني له من ذلك الحظ الوافر كما أخبر عنه بذلك من عرفه وأبدته كتبه. والله المستعان*

﴿ومن خصالهم﴾ الاعتياض عن شرع الله ووحيه بالخوارق الكاذبة وكتب السحر قال تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا الآية. والكلام عليها في كتب التفسير مشهور*

وعلى هذه الخصلة اليوم كثير من الناس لاسيما بعض الغلاة المنتسبين الى بعض المشائخ والصالحين وهم بريئون منهم فانهم قد تعاطوا بعض الاعمال السحرية من امساك الحيات وضرب السلاح والدخول في النيران وغير ذلك مما وردت الشريعة بابطاله ولم يلتفتوا اليه ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ماالقته اليهم شياطينهم وادعوا ان ذلك من الكرامات وخوارق العادات ومن المعلوم ان الكرامة لاتصدر عن فاسق ومخالف للشريعة ومن يتعاطي تلك الاعمال فسقه ظاهر للعيان وقد اتخذوا دينهم لعبا ولهوا* وليت شعري لم اختصت الكرامة بمسك بعض الحياة والعقارب والضرب بسلاح مخصوص والضرب بايديهم فهلا وقفوا امام مدفع من المدافع فدلع لسانه عليهم وقرأ سورة الدخان وأطلق كراته على وجوههم لنرى كراماتهم حينئذ أين تبقى. ومن مشائخ النبهاني على ماسمعت من هو أبو هذه الخبائث وأمها وسنلم ان شاء الله تعالى على هؤلاء الزائغين مرة بعد أخرى*

﴿ومن خصالهم﴾ التحريف للكتب الإلهية قال تعالى (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) *

ومن نظر إلى متصوفة زماننا وغلاته وما حرفوه من النصوص إلى ما تقتضيه شهواتهم وبدعهم رأى أمراً منكراً . وهكذا كثير من القضاة والحكام . وما تلاعبوا به من الأحكام *

﴿ومن خصالهم﴾ معاداة الدين الذي دانوا به وموالاتهم [illegible] كما فعل اليهود مع النبي صلى الله عليه وسلم لما أتاهم بما أتى به موسى أعرضوا عنه واتبعوا كتب السحر وهو من دين آل فرعون * والغلاة هجروا السنة وعادوها ونصروا أقوال شيوخ القرامطة والباطنية وأمثالهم *

﴿ومن خصالهم﴾ التعصب لباطلهم فإنهم لما افترقوا خطأ كل فريق منهم الآخرين قال تعالى (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون) . وهكذا تجد الغلاة من أهل الطرائق المبتدعة فالرفاعي يقول ليس القادري على شيء . والقادري يقول ليس الرفاعي على شيء . وهذا يقول شيخي أخذ زنبيل الارواح من عزرائيل وأعاد كل روح الى جسدها . وهذا يقول مر شيخي على جهنم فاراد أن يطفيها ببزاقه فحالت الملائكة بينها وبينه ومن اتبع العبدروسى

﴿ يقول العبدروسى كان يحيي * من الاموات من قد مات دهرا ﴾

وهكذا تجدهم يتضاربون بالاقوال ولم يزالوا قائمين على ساق المخاصمة والجدال والحازم ينظر الى الدليل فما أداه اليه نظره من الحق أخذ به وترك ماسواه *

﴿ومن خصالهم﴾ التعبد بما لم يأذن به الله * قال تعالى (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون) *

المراد بالفاحشة في الاية عبادة الاصنام وكشف العورة في الطواف ونحو ذلك مما كان عليه مشركوا العرب في الجاهلية وفي الآية حذف أي واذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها محتجين بامرين تقليد الاباء والافتراء على الله *

وكان من سنة الحمس انهم لا يخرجون ايام الموسم الى عرفات انما يقفون بالمزدلفة وكانوا لا يسلئون ولا يقطون ولا يربطون عنزا ولا بقرة ولا يغزلون صوفا ولا وبرا ولا يدخلون بيتا من الشعر والمدر وانما يكتنون في القباب الحمر في الاشهر الحرم ثم فرضوا على العرب قاطبة ان يطرحوا ازواد الحل اذا دخلوا الحرم وان يتركوا ثياب الحل ويستبدلونها بثياب الحرم اما شراء واما عارية . واما هبة فان وجدوا ذلك فبها والا طافوا بالبيت عرايا * وفرضوا على نساء العرب مثل ذلك غير ان المرأة كانت تطوف في درع مفرج القوادم والمآخير قالت امرأة وهي تطوف بالبيت *

﴿ اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله ﴾

﴿ اخثم مثل القعب باد ظله * كأن حمى خيبر لا تمله ﴾

وكلفوا العرب ان يفيضوا من مزدلفة وقد كانوا يفيضون من عرفة الى غير ذلك من الامور التي ابتدعوها وشرعوها مما لم يأذن به الله وقد فصلت في كتب أحوالهم . ومع ذلك انهم كانوا يدعون انهم على شريعة أبيهم ابراهيم عليه السلام *

وقد حذا حذوهم حذو القذة بالقذة غلاة هذه الامة ومتصوفتها . ترى طائفة منهم قد اتخذوا ضرب المعازف وآلات اللهو عبادة يتعبدون بها في بيوت الله ومساجده . وطائفة اتخذوا الطواف على قبور الصالحين اعظم طاعة وعبادة وقصدوها في طلب الحاجات ونذروا لها ﴿ ومنهم ﴾ من ابتدع الرهبانية والحيل الشيطانيه . والمكائد التي لم يهتد اليها النفوس الانسانية . وزعم انه سلك سبيل الزهاد . وطريق العباد . ومقصده الاعلى نيل شهواته الحيوانيه . والفوز بزخارف هذه الدنيا الدنيه . الى غير ذلك مما يطول . ولا يعلم الموحد ماذا يقول .

﴿ الى ديان يوم الدين نمضي * وعند الله تجتمع الخصوم ﴾

ولبعض اكابر اهل العلم رسالة جمع فيها المسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجاهلية . وهي مايزيد على مائة مسألة ولنا عليها شرح مفصل . وخصالهم كلها صادقة على الغلاة ولا سيا (النبهاني منهم) . وما ذكرناه كاف في التمثيل ويتبين منه انه حذا حذو اسلافه الجاهليين . نسأله تعالى العافية في الدنيا والدين .

﴿ الامر الثالث ﴾ من الامور التي يجب التنبيه عليها والاشارة بصريح العبارة اليها ان من

مكانوا كالاعلام الشيع على اهل الحق ودعاة التوحيد من الائمة [illegible]
ومقصودهم من ذلك تنفير القلوب عنهم ولذلك يلقبونهم بالقاب مشعرة بالتهم كالمجسمة والحشوية
وفي هذه الازمنة يلقبونهم بالوهابية وبالمنكرين ونحو ذلك، وقد برأهم الله تعالى من كل ملام
برحمته سبحانه. ومعلوم ان المسلمين من يعتقد عقيدة الاسلام وقد فسرت في حديث جبريل
المشهور فمن كان معتقدا تلك العقيدة كان مسلما ولا يخرج عن الاسلام الا اذا اخل بتلك العقيدة
كأن يعتقد ان مع الله الها آخر يعبده باى عبادة كانت. فانها انواع مختلفة. فحينئذ يخرج عن
الاسلام ولا يقال لمن عبد غيره تعالى مسلما ولا لمن كفره انه كفر مسلما. ومنه يعلم امر الغلاة.
ولما اهل البدع فلم يكفرهم اهل الحق *

وقد سئل شيخ الاسلام عن المسائل التي وقع فيها خلاف ونزاع بين اهل السنة والخوارج والروافض فهل يستوجب ذلك التكفير فانهم كفروا المسلمين واهل السنة بمخالفتهم فيما ابتدعوه. واصلوه. ووضعوه. وذهبوا اليه وانتحلوه. فاجاب الشيخ بقوله اصل التكفير للمسلمين من الخوارج والروافض الذين يكفرون أئمة المسلمين بما يعتقدون انهم أخطؤا فيه من الدين. وقد اتفق اهل السنة والجماعة على ان علماء المسلمين لايجوز تكفيرهم بمجرد الخطأ المحض بل كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس كل من يترك قوله لخطأ اخطأه يكفر ولا يفسق ولا يأثم. فان الله قال فى دعاء المؤمنين (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا) وفي الصحيح عن النبيء صلى الله عليه وسلم ان الله قال قد فعلت الخ *

وقال رحمه الله في أثناء كلام له في النهي عن التفرق والاختلاف وترك التعصب لمذهب او قبيلة او طريقة *

قال فليس كل من اخطأ يكون كافرا ولا فاسقا ولا عاصيا بل قد عفا الله لهذه الامة عن الخطأ والنسيان. وقد قال تعالى في كتابه فى دعاء المؤمنين (ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا او أخطأنا) وثبت فى الصحيح ان الله قال قد فعلت لاسيما وقد يكون من يوافقكم فى اخص من الاسلام مثل ان يكون مثلكم على مذهب الشافعي او منتسبا الى الشيخ عدى. ثم بعد هذا قد يخالف فى شيء وربما كان الصواب معه فكيف يستحل عرضه او دمه او ماله مع ماقد ذكر الله من حقوق المسلم والمؤمن وكيف يجوز التفريق بين الامة باسماء مبتدعة لا اصل لها فى كتاب الله

ولا سنة رسوله، وهذا التفرق الذي حصل بين الامة (علمائها ومشائخها وامرائها وكبرائها) هو الذي اوجب تسلط الاعداء عليهم وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله كما قال تعالى (ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء) واذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، واذا اجتمعوا صلحوا وملكوا فان الجماعة رحمة وان الفرقة عذاب، وجماع ذلك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) الى قوله (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) فمن الامر بالمعروف الامر بالائتلاف والاجتماع والنهي عن الاختلاف والفرقة ۰ ومن النهي عن المنكر اقامة الحدود على من خرج عن شريعة الله تعالى فمن اعتقد في بشر انه اله او دعا ميتا او طلب منه الرزق والنصر والهداية وتوكل عليه وسجد له فانه يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه انتهى ۰ فعلم منه حكم من ابتدع وحكم الغلاة فان من اعتقد في بشر انه اله او دعا ميتا او طلب منه الرزق وغير ذلك ليس حكمه حكم المبتدع كما قال ولا يشترط في الخروج عن الدين والعياذ بالله ان يكفر المكلف بجميع ماجاء به الرسول بل يكفي في الكفر والردة ان يأتي بما يوجب ذلك ولو في بعض الاصول وهذا ذكره الفقهاء من اهل كل مذهب ومن اراد الوقوف على جزئيات وفروع في الكفر والردة فعليه بما صنف في ذلك (كالاعلام بقواطع الاسلام) وما عقده الفقهاء من اهل كل مذهب في باب حكم المرتد فمن نطق بالشهادتين ثم اتى بما يعارضهما فلا تنجيانه *

قال شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية في الرساله السنية لما ذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين وامره صلى الله عليه وسلم بقتالهم قال فاذا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه ممن انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة حتى امر صلى الله عليه وسلم بقتالهم فليعلم ان المنتسب الى الاسلام والسنة في هذه الازمان قد يمرق ايضا من الاسلام وذلك باسباب منها الغلو الذي ذمه الله في كتابه حيث قال يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق وعلي بن ابي طالب حرق الغالية من الرافضة وأمر باخاديد خدت لهم عند باب كندة فقذفوا فيها واتفق الصحابة على قتلهم لكن ابن عباس كان مذهبه ان يقتلوا بالسيف بلا تحريق وهو قول اكثر الصحابة وقصتهم معروفة عند العلماء وكذلك الغلو في

بعض المشايخ بل الغلو في على بن ابى طالب بل الغلو في المسيح ونحوه فكل من غلا في نبي او رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل ان يقول ياسيدى فلان انصرني او اغثني او ارزقني او اجبرني أو انا في حسبك ونحو هذه الاقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل . فان الله انما ارسل الرسل وانزل الكتب ليعبد وحده لا يجعل معه اله آخر والذين يدعون مع الله آلهة اخرى مثل المسيح والملائكة والاصنام لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلائق وتنزل المطر وتنبت النبات انما كانوا يعبدونهم او يعبدون قبورهم او صورهم . ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى . ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فبعث الله رسوله ينهى ان يدعي أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة . وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم أقرب) قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة فانزل الله هذه الآية ثم ذكر آيات في المعنى انتهى *

والمقصود منه انه جعل عباد القبور من شر الخوارج المارقين فهم شر أصناف الخوارج . وقد توقف بعض السلف في تكفير الخوارج قيل لعلي أكفار هم قال من الكفر فروا وعباد القبور لم يتوقف أحد من أهل العلم الذين يرجع اليهم في كفرهم غاية ما قالوا لا يقتل حتى يستتاب أولا يكفر حتى تقوم عليه الحجة أو نحو هذا الكلام . والمسلمون لم يكفرهم أحد من أهل العلم ولشيخ الاسلام نصوص أخر في هذا المعنى ننقلها تتميما للفائدة *

قال رحمه الله في كتاب الاستغاثة الذى رد به على ابن البكرى ان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم وان كان ذلك المخالف يكفرهم لان الكفر حكم شرعى فليس للانسان ان يعاقب بمثله كمن كذب عليك وزنى باهلك ليس لك ان تكذب عليه وتزني باهله لان الكذب والزنا حرام لحق الله تعالى وكذلك التكفير حق الله تعالى فلا يكفر الا من كفره الله ورسوله . وأيضا فان تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على ان تبلغه الحجة النبوية التى يكفر من خالفها والا فليس كل من جهل شيئا من الدين يكفر *

ولهذا لما استحل طائفة من الصحابة والتابعين كقدامة بن مظعون وأصحابه شرب الخمر وظنوا انها تباح لمن عمل صالحا على ما فهموه من آية المائدة اتفق علماء الصحابة كعمر وعلي وغيرهما على

[illegible] الاستحلال [illegible] الاستحلال

[illegible] الشبهة التي [illegible] حتى يتبين لهم الحق فاذا أصروا على الجحود كفروا . وقد ثبت في الصحيحين حديث الذي قال لأهله اذا أنا مت فاسحقوني ثم ذروني في اليم فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا من العالمين فأمر الله سبحانه البر فرد ما أخذ منه وأمر البحر فرد ما أخذ منه . وقال ما حملك على ما فعلت قال خشيتك يا رب فغفر له . فهذا اعتقد انه اذا فعل ذلك لا يقدر الله على اعادته وانه لا يعيده أو جوز ذلك وكلاهما كفر لكن كان جاهلا لم يتبين له الحق بيانا يكفر بمخالفته فغفر الله له . ولهذا كنت اقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين نفوا ان الله تعالى فوق العرش لما وقعت محنتهم انا لو وافقتكم كنت كافرا لأني أعلم ان قولكم كفر وانتم عندي لا تكفرون لأنكم جهال . وكان هذا خطابا لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم . وأصل جهلهم شبهات عقلية حصلت لرؤسهم من قصور من معرفة المنقول الصحيح والمعقول الصريح الموافق له . وكان هذا خطابنا فلذا لم نقابل جهله وافتراءه بالتكفير بمثله . كما لو شهد شخص بالزور على شخص أو قذفه بالفاحشة كذبا عليه لم يكن له ان يشهد عليه بالزور ولا ان يقذفه بالفاحشة انتهى المقصود منه *

وقال في موضع آخر من هذا الكتاب اذا خاض هذا يعني ابن البكري في مسألة لم يسبقه اليها عالم ولا معه فيها نقل عن أحد ولا هي من مسائل النزاع بين العلماء فيختار أحد القولين بل هجم فيها على ما يخالف دين الاسلام المعلوم بالضرورة عن الرسول فانا بعد معرفة ما جاء به الرسول نعلم بالضرورة انه لم يشرع لأمته ان يدعو أحدا من الاموات لا الانبياء ولا الصالحين ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ولا بلفظ الاستعاذة ولا بغيرها كما انه لم يشرع لأمته السجود لأحد لا لحي ولا الى ميت ونحو ذلك بل نعلم انه نهى عن كل هذه الامور وان ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله *

لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يتبين لهم ماجاء به الرسول مما يخالفه . ولهذا ما بينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل الاسلام الا تفطن وقال هذا أصل دين الاسلام *

وكان بعض الاكابر من الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول هذا أعظم ما بينته لنا لعلمه بان هذا

أهل الدين وكان هذا وأمثاله في ناحية أخرى يدعون الأموات ويسألونهم ويستجيرون بهم ويتضرعون اليهم وربما كان ما يفعلونه بالأموات أعظم لأنهم انما يقصدون الميت في ضرورة نزلت بهم فيدعونه دعاء المضطر راجين قضاء حاجتهم بدعائه أو الدعاء به أو الدعاء عند قبره بخلاف عبادتهم لله ودعائهم اياه فانهم يفعلونه في كثير من الاوقات على وجه العادة والتكلف انتهى ٭

﴿ما ذكره شيخ الاسلام في الرسالة المارديّة مما يتعلق بالمقصود﴾

قد ذكر رحمه الله في فصل حكم الصلوة خلف أهل الاهواء كلاما مفصلا يوضح هذه المسألة ويكشف حجاب تلك المعضلة فاحببت نقله حرصا على اقتناء فوائده وان طال الكلام ٭

﴿قال رحمه الله﴾ واما الصلاة خلف اهل الاهواء والبدع وخلف اهل الفجور ففيه نزاع مشهور وتفصيل ليس هـذا موضع بسطه لـكن اوسط الاقوال في هؤلاء ان تقديم الواحد من هؤلاء في الامامة لايجوز مع القـدرة على ذلك فان كان مظهرا للفجور او البدع وجب الانكار عليه ونهيه عن ذلك وأقل مراتب الانكار هجره لينتهي عن فجوره وبدعته

ولهذا فرق جمهور الأئمة بين الداعية وغير الداعية فان الداعية أظهر المنكر فاستحق الانكار عليه بخلاف الساكت فانه بمنزلة من أسر الذنب فهذا لاينكر عليه في الظاهر فان الخطيئة اذا خفيت لم تضر الا صاحبها ولـكن اذا اعلنت فلم تنكر ضرت العامة . ولهـذا كان المنافقون يقبل منهم علانيتهم وتوكل سرائرهم الى الله بخلاف من أظهر الـكفر فاذا كان داعية منع من ولايته وامامته وشهادته وروايته لما في ذلك من النهى عن المنكر لا لاجل فساد الصلوة أواتهامه في شهادته وروايته فاذا أمكن الانسان ان لايقدم مظهرا للمنكر في الامامة وجب ذلك لـكن اذا ولاه غيره ولم يمكنه صرفه أو كان هو لا يتمـكن من صرفـه الا بشر اعظم ضررا من ضرر ما أظهره من المنكر فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الـكثير ولا دفع أخف الضررين بحصول أعظم الضررين فان الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتـكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الامكان ومطلوبها بترجيح خير الخيرين اذا لم يجتمعا جميعا ودفع الشرين اذا لم يندفعا جميعا . فاذا لم يمكن منع المظهر للبدعة والفجور الا بضرر زائد على ضرر امامته لم يجز ذلك بل يصلى خلفه مالا يمكن فعله الا خلفه كالجمع والاعياد والجماعة اذا لم يكن هناك امام غيره . ولهذا كان الصحابة

ومن ذلك انهم يصلون خلف الحجاج والمختار بن ابي عبيد الثقفي الجمعة والجماعة فان تفويت الجمعة والجماعة اعظم فسادا من الاقتداء فيهما بامام فاجر لاسيما اذا كان التخلف عنهما لايدفع فجوره فيبقى ترك المصلحة الشرعية بدون دفع تلك المفسدة. ولهذا كان التاركون للجمعة والجماعات خلف أئمة الجور مطلقا معدودين عند السلف والائمة من اهل البدع . واما اذا امكن فعل الجمعة والجماعات خلف البر فهو اولى من فعلها خلف الفاجر . وحينئذ فاذا صلى خلف الفاجر من غير عذر فهو موضع اجتهاد العلماء . منهم من قال يعيد لانه فعل مالا يشرع له بحيث ترك ما يجب عليه من الانكار بصلاته خلف هذا فكانت صلاته منهيا عنها فيعيدها ومنهم من قال لا يعيد قال لان الصلاة في نفسها صحيحة وما ذكر من ترك الانكار هو امر منفصل عن الصلاة وهو يشبه البيع بعد نداء الجمعة . واما اذا لم يمكنه الصلاة الا خلفه كالجمعة فهنا لا تعاد الصلاة واعادتها من فعل اهل البدع . وقد ظن طائفة من الفقهاء انه اذا قيل ان الصلاة خلف الفاسق لا تصح اعيدت الجمعة خلفه والا لم يعد وليس كذلك بل النزاع في الاعادة حيث نهى الرجل عن الصلاة فاما اذا امر بالصلاة خلفه فالصحيح هنا انه لا اعادة عليه لما تقدم من ان العبد لم يؤمر بالصلاة مرتين . واما الصلاة خلف من يكفر من اهل الاهواء فهناك قد تنازعوا في نفس صلاة الجمعة خلفه ومن قال انه يكفر امر بالاعادة لانها صلاة خلف كافر لكن هذه المسألة متعلقة بتكفير اهل الاهواء والناس مضطربون في هذه المسألة . وقد حكى عن مالك فيها روايتان . وعن الشافعي فيها قولان . وعن الامام احمد ايضا فيها روايتان وكذلك اهل الكلام فذكروا للأشعري فيها قولان . وغالب مذاهب الأئمة فيها تفصيل وحقيقة الامر في ذلك ان القول قد يكون كفرا فيطلق القول بتكفير صاحبه ويقال من قال كذا فهو كافر لكن الشخص المعين الذي قال لايحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها وهذا كما في نصوص الوعيد فان الله تعالى يقول (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) . فهذا ونحوه من نصوص الوعيد حق لكن الشخص المعين لايشهد عليه بالوعيد فلا يشهد على معين من اهل القبلة بالنار لجواز ان لايلحقه الوعيد لفوات شرط او ثبوت مانع فقد لايكون التحريم بلغه . وقد يتوب من فعل المحرم . وقد تكون له حسنات عظيمة تمحوا عقوبة ذلك المحرم . وقد يبتلى بمصائب تكفر عنه . وقد يشفع فيه شفيع مطاع . وهكذا الاقوال التي

يكفر ولكن قد يكون الرجل لا يبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق او تكون بلغته ولم يثبت
عنده او لم يتمكن من فهمها . وقد يكون قد عرضت له شبهات يعذره الله بها فمن كان من المؤمنين
مجتهدا في طلب الحق واخطأ فان الله يغفر له خطأه كائنا ما كان سواء كان في المسائل النظرية
والعلمية . او المسائل الفروعية العملية . هذا الذي عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وجماهير
أئمة الاسلام . واما التفريق بين نوع وتسميته مسائل الاصول وبين نوع آخر وتسميته مسائل
الفروع فهذا الفرق ليس له اصل لا عن الصحابة ولا عن التابعين لهم باحسان ولا ائمة الاسلام
وانما هو مأخوذ من المعتزلة وامثالهم من اهل البدع وعنهم تلقاه من ذكره من الفقهاء في كتبهم
وهو تفريق متناقض * فانه يقال لمن فرق بين النوعين ما حد مسائل الاصول التي يكفر المخطئ
فيها * وما الفاصل بينها وبين مسائل الفروع . فان قال مسائل الاصول هي مسائل الاعتقاد
والفروع مسائل العمل . قيل له فتنازع الناس في محمد صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه ام لا وفي ان
عثمان افضل من علي ام علي افضل وفي كثير من معاني القرآن وتصحيح بعض الاحاديث هي
من المسائل الاعتقادية لا العملية ولا كفر فيها بالاتفاق ووجوب الصلاة والزكاة والصيام
والحج وتحريم الفواحش والخمر هي مسائل علمية والمنكر لها يكفر بالاتفاق وان قال الاصول
هي الاصول القطعية قيل له كثير من مسائل العمل قطعية وكثير من مسائل النظر ليست قطعية .
وكون المسألة قطعية او ظنية هو من الامور الاضافية وقد تكون المسالة عند رجل قطعية
لظهور الدليل القاطع له كمن يسمع النص من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتيقن مراده منه
وعند غيره لا تكون ظنية فضلا عن ان تكون قطعية لعدم بلوغ النص اياه اولعدم ثبوته عنده اولعدم
تمكنه من العلم بدلالته[1] ثم ذكر حديث الذي قال لاهله اذا انا مت فاحرقوني الخ . الى ان قال وهذه
المسائل مبسوطة في غير هذا الموضع لكن المقصود هنا ان مذاهب الائمة مبنية على هذا التفصيل
بين النوع والعين ولهذا حكى طائفة عنهم الخلاف في ذلك ولم يفهموا غور قولهم . فطائفة تحكى عن

---

(١) نص ماقاله وقد ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث الذي قال لاهله اذا انا مت فاحرقوني
ثم أسحقوني ثم اذروني في اليم فو الله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابا ما عذبه احدا من العالمين فأمر الله
البر برد ما اخذ منه والبحر برد ما اخذ منه وقال ما حملك على ماصنعت قال خشيتك يا رب فغفر الله له فهذا
شك في قدرة الله في المعاد بل ظن ان لا يعود وانه لا يعذره الله عليه اذا فعل ذلك وغفر الله له وهذه المسائل الخ

احمد في تكفير اهل البدع روايتان مطلقا حتى يجعل الخلاف في تكفير المرجئة والشيعة المفضلة لعلي وربما رجحت التكفير والتخليد وليس هذا مذهب احمد ولا غيره من أئمة الاسلام بل لا يختلف قوله انه لا يكفر المرجئة الذين يقولون الايمان قول بلا عمل ولا يكفر من يفضل عليا على عثمان بل ونصوصه صريحة بالامتناع من تكفير الخوارج والقدرية وغيرهم وانما كان يكفر الجهمية المنكرين لاسماء الله وصفاته لان مناقضة اقوالهم لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرة بينة ولان حقيقة قولهم تعطيل الخالق وقد ابتلي بهم حتى عرف حقيقة امرهم وانه يدور على التعطيل وتكفير الجهمية مشهور عن السلف والأئمة لكن ما كان يكفر اعيانهم فان الذي يدعو الى القول اعظم من الذي يقوله والذي يعاقب مخالفه اعظم من الذي يعاقبه . ومع هذا فالذين كانوا من ولاة الامور يقولون بقول الجهمية ان القرآن مخلوق وان الله لا يرى في الآخرة وغير ذلك ويدعون الناس الى ذلك ويمتحنونهم ويعاقبونهم اذا لم يجيبوهم ويكفرون من لم يجبهم حتى انهم كانوا اذا افتكوا الاسير لا يطلقونه حتى يقر بقول الجهمية ان القرآن مخلوق وغير ذلك ولا يولون متوليا ولا يعطون رزقا من بيت المال الا لمن يقول ذلك . ومع هذا فالامام احمد رضي الله عنه ترحم عليهم واستغفر لهم لعلمه بانه لم يتبين لهم انهم مكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم ولا جاحدون لما جاء به لكن تأولوا فاخطأوا وقلدوا من قال لهم ذلك . وكذلك الشافعي لما قال لحفص الفرد حين قال القرآن مخلوق كفرت بالله العظيم بين ان هذا القول كفر ولم يحكم برده حفص بمجرد ذلك لانه لم يتبين له بعد الحجة التي يكفر بها ولو اعتقد انه مرتد لسعى في قتله وقد صرح في كتبه بقبول شهادة أهل الاهواء والصلاة خلفهم . وكذلك قال مالك والشافعي واحمد في القدري ان جحد علم الله كفر . ولفظ بعضهم ناظروا القدرية بالعلم فان أقروا به خصموا وان جحدوا كفروا

وسئل أحمد رحمه الله عن القدري هل يكفر قال ان جحد العلم كفر وحينئذ فجاحد العلم هو من جنس الجهمية . وأما قتل الداعية الى البدع فقد يقتل لكف ضرره عن الناس كما تقتل المحارب وان لم يكن في نفس الامر كافرا فليس كل أمر بقتله يكون قتله لردته .

وعلى هذا قتل غيلان القدري وغيره قد يكون على هذا الوجه . وهذه المسائل مبسوطة في غير هذا الموضع وانما نبهنا عليها تنبيها انتهى كلام شيخ الاسلام رحمه الله

والذي تحصل [illegible] قدمناه من النصوص ان الغلاة ودعاة غير الله وعبدة القبور اذا كانوا [illegible]

بحكم ماهم عليه ولم يكن أحد من أهل العلم من ينبههم على خطئهم فليس لاحد ان يكفرهم
وأما من قامت عليه الحجة وأصر على ما عنده واستكبر استكبارا او تمكن من العلم فلم يعلم فسنذكر حكمه فى الآتي *

(والمقصود) ان من تمسك من المسلمين بما كان عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من المعتقد والدين الذى خالفوا به أهل البدع وباينوهم فلم يذهبوا الى ماذهبت اليه الجهمية المعطلة ولا الى ماذهبت اليه القدريه النفاة والقدرية المجبرة ولا الى ماذهبت اليه الخوارج والمعتزلة ولا الى ماذهبت اليه الرافضة والمرجئة ولم يذهبوا الى ما افتراه الغلاة فى الاولياء والصالحين من عباد القبور ونحوهم فان هؤلاء يسمون عند أهل السنة والجماعة غالية كما سموا به من غلا فى علىّ وزعم انه الاله الحق فاستتابهم على فأبوا فخدلهم الاخاديد وأوقد فيها النيران وقذفهم فيها . وقال

انى اذا رأيت أمراً منكرا * أججت ناري ودعوت قنبراً

وفى رواية لما رأيت الامر أمراً منكراً الخ فهؤلاء هم المسلمون الذين لايكفرون . وتسمية من عبد غير الله مسلما فهو الى ان يعالج عقله أحوج منه ان الى يقام عليه الدليل .

﴿ الامر الرابع ﴾ من الامور التى يجب التنبيه عليها ان من مكايد الغلاة التي كادوا بها العوام انهم يقولون ان الاستغاثة بالاموات وندائهم في المهمات وشد الرحال لزيارة قبورهم وتقديم قرابينهم اليها ونذورهم هو من علامات محبتهم والتقرب بقربتهم ومن أنكر على ذلك وأبى ماهنالك ونهى عن زخرفتها وايقاد السرج عليها وبناء المساجد عليها وقصد أهلها فى طلب الحاجات والتجاء اليها فى المهمات فهو من المبغضين للصالحين والمنكرين لكرامات الاولياء والصديقين الى غير ذلك من أقوالهم الناسبة لضلالهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم فان من أنكر مثل تلك البدع والضلالات هم المحبون لهم والمحافظون على هديهم وطريقتهم وأما هؤلاء الغلاة وأعداء الهداة فقد أفسدوا الدين وسدوا طريق الموحدين يعرف ذلك من وقف على أحوالهم وما قالوه فى الاسلام وما بدلوه من الدين وما عليه أهل البوادى اليوم والاعراب من الكفر بآيات الله ورد أحكام القرآن والاستهزاء بذلك والرجوع الى سوالف البادية وما كانت عليه من العادات والاحكام الجاهلية* وأمثالهم حالا من عرف ان كتاب الله وأحاديث رسوله عند أهل الغلاة فلم يقوموا بذلك [illegible] شيء مما هنالك أو هو جاهل بما جاءت به

[illegible] الكتب لا يتجاوزونه بل هم على [illegible] لا يدرون ما الذي جاءت به الرسل من ربهم [illegible]
أمور [illegible] في اللذات والشهوات بل أعرضوا عن الشريعة وما جاءت به من الأوامر
والنواهي ولم يلتفتوا الى ما في كتب السنة من الأحكام وظنوا ان [illegible] التقرب بنذورهم الى
القبور وندائهم لها والاستغاثة بهم وان من منعهم من دعاء الانبياء والصالحين والاستغاثة بهم
والاستعانة في الشدائد والمهمات وانهم لا يدعون مع الله في الحاجات والملمات ولا يذبح لهم تقربا
ولا يطاف بقبورهم ولا يتوكل عليهم فقد استخف بهم وتنقصهم وهضمهم حقهم * وأصل هذا
انهم لا يعرفون بين حق الله وحق عباده ولا تمييز عندهم في ذلك بل يرون استحقاقهم كثيراً
من العبادات المختصة بالله وهـذا يشبه غلو النصارى في المسيح وغيره * وقد قالوا لمن أنكر
عليهم عبادة المسيح قد تنقصت المسيح وقلت فيه قولا عظيما كما قال عمرو ابن العاص وأصحابه
النجاشي لما قدموا عليه بعد الهجرة الاولى الى الحبشه وسألوه ان يخلي بينهم وبين المهاجرين
عنـده جعفر بن أبي طالب وأصحابه وأبى ذلك النجاشي فقال عمرو انهم يقولون في المسيح
قولا عظيما يعني يقولون هو عبد ليس بآله فارسل النجاشي لجعفر وأصحابه وسألهم عن ذلك
فقالوا نقول فيه ما قال الله تعالى وتلا جعفر صدر سورة مريم حتى أتى على ذكر المسيح وشأنه
فقال النجاشي والله ما زاد المسيح على هـذا * وبالجملة فمن عرف ما جاءت به الرسل من
وجوب توحيـد الله وأفراده بالعبادة عرف وتبين له ان المنع من دعائهم وقصدهم من دون
الله في الحاجات والملمات هو عين تعظيمهم وتوقيرهم وتعزيزهم والايمان بهم وتصديقهم وقبول
ما جاؤا به ومنابذة اعدائهم واضدادهم من المشركين على اختـلاف أجناسهم وتباين مللهم *
فان أصـل النزاع بينهم وبين أعدائهم في عبادة الله وحـده والبراءة من عبـادة ماسواه ولا
يحصل ولا يتصور الايمان بهم الا باعتقاد هذا وموافقتهم عليه وأما مخالفتهم فيه ومعصيتهم
فهي عين التنقص والاستخفاف بهم ومن عرف هذا عرف ان أهل الحق والايمان من عهد
رسول الله صلى الله عليـه وسلم الى قيام الساعة هم المعظمون للرسـل الموقرون لهم العارفون
بحقوقهم القائمون بما يجب لله وما يجب لعباده من الحقوق لا أهـل الشرك بهم والمعصية لهم
ونبذ أوامرهم وترك ماجاءوا به وهجره وعزله عن الحكم به وتقديم منطق اليونان في باب
معرفة الله وصفاته وتقديم آراء الرجال وحدثهم على النصوص والاحاديث الصريحة وتقديم غلو

للنصارى [illegible] الاحبار والرهبان على ما جاء في [illegible] بن حاتم [illegible] الامر
له وهذا هو حقيقة الاستحباب عند كافة العلماء، وأما طاعة الرسول في [illegible] الله
وترك دعاء الانبياء والصالحين فهو عين التعظيم والتوقير ولذلك قال عز من قائل (قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) فظهر ان كلهم [illegible] الله في [illegible]
انهم قوم لا يعقلون *

فنسألك اللهم ان تخلع من اعداء الحق وثائق قلوبهم وأفئدتهم وان تباعد بينهم وبين ازودتهم وان تحيرهم في سبلهم وان تضلهم عن وجههم وان تقطع عنهم المدد وان تنقص منهم العدد وان تملأ أفئدتهم الرعب. وتقبض أيديهم عن البسط. وتخرم ألسنتهم عن النطق. وتشرد بهم من خلفهم. وتنكل بهم من وراءهم. وتقطع بخزيهم اطماع من بعدهم. اللهم عقم ارحام نساءهم. وييبس اصلاب رجالهم. واقطع نسل دوابهم وانعامهم * اللهم لا تأذن لسمائهم في قطر ولا لارضهم في نبات *

﴿ الامر الخامس ﴾ ان كثيرا ممن يظهر عقيدة الغلاة وينتصر لهم ويصوب رأيهم في جواز نداء الصالحين ودعائهم والالتجاء اليهم والاستغاثة بهم وقصدهم بالنذور وبكل زور مما استباحوه من الاعمال والاقوال المناقضة لما جاءت به الاديان التي شرعها ذو الجلال والملك المتعال. هم زنادقة لا يعترفون بان للعالم الها خالقا مدبرا للكائنات علويها وسفليها منكرين للكتب الالهية وما اشتملت عليه من الاحكام نافين للمعاد وليوم التناد ويقولون لا حساب ولا كتاب ولا جنة ولا نار ولا آخرة ولا دار قرار ومقصودهم من الانتصار للغلاة وأهل الطرائق المبتدعة وما اشتملت عليه من المنكرات ومالم يأذن به الله من العبادات ستر عوارهم بباطل انتصارهم والتوصل الى شتم اهل الحق وحماة الدين واغاضة من خاصمهم على باطلهم من الموحدين. وقد سمعت ان بعض الاوغاد من زنادقة بغداد الفوا كتابا سموه الفجر الصادق وكان الحري ان يسموه باقوال المارق. قد اشتمل على تصحيح أقوال المبتدعة وضلالات الغلاة ومخازي آراء الغواة معاداة للرادين على أقوالهم والمظهرين لاحوالهم والكاشفين حجب جهلهم وضلالهم وتوصلا الى شتم من عاداهم من أهل الحق لزيغهم ومراغمة لمن جرد عليهم صوارم براهين رد باطلهم وهم من مشاهير زنادقة بغداد مربع الزور والفساد قد أنكروا المعبود

واليوم الموعود. وجحدوا ارسال الرسل والانبياء وما اشتملت عليه الكتب الالهية من الاحكام والانباء. فليس لهم من الاسلام الا اسمه ولا من الدين الاذي منتحله ورسمه وكيدهم لايفيدهم وحالهم معلوم لدى العموم *

﴿ ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم ﴾

وقد ذكر المفسرون عند الكلام على قوله تعالى (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) ان المنافق اسم اسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو الذى يستر كفره ويظهر ايمانه وان كان أصله في اللغة معروفا. يقال نافق ينافق منافقة ونفاقا وهو مأخوذ من النافقاء وهي احدى حجر اليربوع وهي التي يدخل منها وليس مأخوذا من النفق وهو السرب الذى يستتر فيه لستره كفره وكان المنافقون يأتون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشهدون شهادة مؤكده انه رسول الله فشهدالله عليهم انهم كاذبون. ومن اصدق من الله قيلا. فلا ينبغي ان يصدق باقوالهم وقد عدد الله تعالى قبائحهم وهي موجودة في منافقي بغداد وزنادقة العراق فمنها ان من عادتهم الاستجنان بالايمان الكاذبة كما استجنوا بالشهادة الكاذبة اى اتخذوا حلفهم بالله انهم لمنكم جنة عن القتل او السبي أو نحوهما مما يعامل به الكفار ومن هنا اخذ الشاعر قوله

﴿ وما انتسبوا الى الاسلام الا * لصون دمائهم ان لا تسالا ﴾

وقد اخبر سبحانه عن صفتهم وشأنهم فقال (واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم) لصباحتها وتناسب اعضائها وان يقولوا تسمع لقولهم لفصاحتهم وذلاقة السنتهم. وهكذا أولئك المنافقون يعجب الناس من هيا كلهم ويسمعون لكلامهم اى ماهم الا اجرام خالية من الايمان والخير كالخشب منصوبة مسندة الى الحائط في كونها اشباحا خالية عن الفائدة أو كانهم أصنام منحوتة من خشب مسندة الى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم وفي مثلهم قال الشاعر

﴿ لايخدعنك اللحى ولا الصور * تسعة أعشار من ترى بقر ﴾

﴿ تراهم كالسحاب منتشرا * وليس فيها لطالب مطر ﴾

﴿ في شجر السرو منهم شبه * له رواء وما له ثمر ﴾

ثم بين الله تعالى ردهم ايضا وقال (يحسبون كل صيحة عليهم) أي متى [illegible]

بأي وجه كان طارت عقولهم وظنوا ذلك ايقاعا بهم كما قال جرير يخاطب الاخطل

﴿ ما زلت تحسب كل شيء بعدهم * خيلا تكر عليهم ورجالا ﴾

﴿ وقال المتنبي ﴾

﴿ وضاقت الارض حتى ظن هاربهم * اذا رأى غير شيء ظنه رجلا ﴾

ثم استأنف سبحانه الكلام عنهم لبيان ما يجب من معاملتهم فقال هم العدو أى هم الكاملون فى العداوة والراسخون فيها فان أعدى الاعادي العدو المداجي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي ككثير من ابناء الزمان فاحذرهم لكونهم أعدى الاعادى ولا تغترن بظاهرهم *

﴿ فلا تقنع باول ما تراه * فاول طالع فجر كذوب ﴾

قاتلهم الله أى لعنهم وطردهم فان القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها وكذلك الطرد عن رحمة الله تعالى والبعد عن جنابه الاقدس منتهى عذابه عز وجل وغاية نكاله جل وعلا والسورة من أولها الى آخرها فى بيان أحوال المنافقين وذكر أحكامهم . والمقصود ان كثيرا من الزنادقة والمنافقين . ومنهم من سبق ذكرهم يظهرون مايظهره الغلاه وأولئك الزائغون الغواة لمزيد حبهم للدنيا وخوفهم على مناصبهم ومراتبهم وهم لا دين لهم ولا ايمان ولا صلوة ولا زكاة ولا حج ولا صيام وهم كل وقت على وجل يحسبون كل صيحة عليهم . فلا يلتفت الى هذيانهم . وضلالهم وبطلانهم . فما اشبه كلامهم بطنين ذباب . أو صرير باب . أو نبح كلاب . (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) .

﴿ وقد تسلب الايام حالات أهلها * وتعدو على أسد الرجال الثعالب ﴾

﴿ الامر السادس من تلك الامور ﴾ ان الغلاه وعبدة القبور وسالكي الطرق المبتدعة يكيدون الجهلة والعوام بمكائد كثيرة منها ما سبق ومنها انهم يقولون لهم ان المخالفين لنا لم تزل تصيبهم نكبات الدنيا ومصائبها بخلاف من سلكنا فانا ممتعون منعمون بنعم الدنيا ومناصبها الرفيعة ومراتبها العالية وترى من أولياء الامور انظروا الى فلان وفلان وفلان ويعدون لهم كثيرا من كلاب الدنيا الدنية ويقولون لهم ثم انظروا الى مخالفينا كابن تيميه واصحابه وقد كانوا اهل ... من المحابس ومن هذا الكيد كثيرا ما يكرره النبهاني في

[illegible]

[illegible] الشاذلى ... من عقد جوازا دعاء غير الله والاستغاثة الى ما سواه

وغير ذلك وان الشهاب ... فى كتبه لم يخلّ بها أحد من المسلمين لقوله بذلك وان العلماء

افتوا فى حبسه الحبس الطويل فحبسه حاكم مصر يومئذ ومنعه من الكتابة فى الحبس وان

لا يدخل عليه بدوات وأوراق فى الحبس ونحو من ذلك الهذيان وهكذا قال ابن حجر فى

الجوهر المنظم وفى فتاواه وهكذا السبكى فى بعض كتبه *

واعلم ان من له نظر وبصيرة لا يلتفت الى مثل هذا الهذيان هذا الكلام الذى يشبه كلام الصبيان بل ينظر الى الدليل والبرهان. وما اصاب ابن تيمية واضرابه من أهل الحق فله اسوة بسادات أهل الدين والانبياء والمرسلين. صلوات الله عليهم أجمعين. ولو بسطنا الكلام على ما جرى عليهم وما جرى على اكابر المجتهدين وأهل العلم لما وسعه سفر كبير ولم يختص بذلك عصر بل هكذا جميع الاعصار *

﴿ ان الرياح اذا اشتدت عواصفها * فليس ترمى سوى العالى من الشجر ﴾

(قال العلامة) الشيخ شهاب الدين احمد بن على الدلجى وكان من اكابر حفاظ عصره ومحدثيهم وأعلمهم بعقائد السلف وعلومهم فى كتاب الفلاكة والمفلوكين قلما خلا عالم او نبيل من نكبة وانا ذاكر هنا طرفا لائقا بمقصودي من ذوى النكبات من الاعيان الذين عرضت لهم *

(مالك بن أنس) ابن أبى عامر بن الحرث ابن غيمان (بالغين المعجمة) ابو عبدالله الامام المدنى أحد أئمة الاسلام سعى به الى جعفر بن سليمان بن على ابن عم أبى جعفر المنصور فدعا به وجرده وضربه سبعين سوطا ومدت يداه حتى انخلع كتفاه. وسبب ضربه انهم سألوه عن مبايعة محمد ابن عبد الله بن حسن وقالوا له ان فى أعناقنا مبايعة ابى جعفر. فقال انما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين فاسرع الناس الى محمد فسعى به فضرب لذلك . ثم لم يزل بعده فى علو ورفعة كأنما كانت تلك السياط حليا تحلى بها توفى سنة اربع وسبعين ومائة *

(ابو حنيفة النعمان بن ثابت) الفقيه الكوفى أحد الأئمة المتبوعين كان يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى أمير العراقين فاراده لقضاء الكوفة ايام مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية فابى فضربه مائة سوط وعشرة اسواط كل يوم عشرة اسواط وبقي على الامتناع وسجنه فتوفى

[illegible]

(الامام احمد بن محمد بن حنبل) بن هلال الشيباني المروزي ثم البغدادي استحوذ على المأمون جماعة من المعتزلة وقولوه بخلق القرآن فحملوه على ان يكتب الى نائبه ببغداد اسحق بن ابراهيم بن مصعب يأمره ان يدعو الناس الى القول بخلق القرآن فكان ذلك اول الفتنة وكان ذلك آخر عمر المأمون قبل موته بشهور سنة ثمانية عشر ومائتين فلما وصل الكتاب استدعى جماعة من العلماء فامتنعوا فهددهم بالضرب وقطع الارزاق فاجاب اكثرهم مكرهين واستمر على الامتناع احمد بن حنبل ومحمد بن نوح الجنديسابوري فحملا على بعير متعادلين يقصدين الى الخليفة عن أمره بذلك ثم جاء الصريخ بموت المأمون في الثلث الاخير ثم جاء الخبر بان المعتصم قد ولي الخلافة وان الامر شديد فردا الى بغداد في سفينة مع بعض الاسارى ومات محمد بن نوح في الطريق واودع الامام احمد السجن ببغداد نحوا من ثمانية وعشرين شهرا ثم احضره المعتصم في قيوده واجلسه بمجلس ودعاه الى القول بخلق القرآن فامتنع وقال فما قال ذلك ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى شهادة ان لا اله الا الله وانا اشهد ان لا اله الا الله وان القرآن علم الله ومن علم ان علم الله مخلوق فقد كفر اعطوني شيئا من كتاب الله او سنة رسوله حتى اقول به وناظره احمد ابن ابي دواد وغيره وانكروا الآثار التي اوردها وقالوا للمعتصم هذا اكفرك واكفرنا وقال له اسحاق ابن ابراهيم نائب بغدادا يا أمير المؤمنين ليس من تدبير الخلافة ان تخلي سبيله ويغلب خليفتين فعند ذلك حمي واشتد غضبه فاخذ وجيء بالعقابين والسياط وضربه ضربا مبرحا شديدا حتى اغمي عليه وغاب عقله وأمر باطلاقه الى اهله فنقل وهو لا يشعر ولما شفي من الضرب بقي مدة وابهاماه يؤذيهما البرد وكان الضرب في الخامس والعشرين من رمضان سنة احدى وعشرين ومائتين. وتوفي سنة احدى واربعين ومائتين*

﴿ يوسف بن يحيي البويطي ﴾ صاحب الامام الشافعي كان الشافعي يسأل عن الشيء فيحيل عليه فاذا أجاب قال هو كما اجاب. وقال عنه الشافعي هو لساني. حمل الى بغداد في ايام الواثق بالله من مصر وفي عنقه غل وفي رجليه قيد وبين الغل والقيد سلسلة حديد فيها طوق وزنتها أربعون رطلا وارادوه على القول بخلق القرآن فامتنع ومات بالسجن في قيوده سنة احدى وثلاثين ومائتين.

﴿ ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ﴾ [illegible]
[illegible] محمد بن يحيى الذهلي
من [illegible] البخاري يقول ان لفظه بالقرآن مخلوق وكان قد وقع بين محمد بن يحيى الذهلي
وبين البخاري في ذلك كلام وصنف البخاري في ذلك كتابه خلق افعال العباد فاراد الامير ان
يصرف الناس عن السماع من البخاري فلم يقبلوا فامر عند ذلك بنفيه من البلاد فخرج منها
ودعا على خالد بن احمد فلم يمض شهر حتى امر ابن طاهر بان ينادى على خالد بن احمد على
اتان وزال ملكه وسجن ببغداد حتى مات فخرج البخاري الى بلد يقال لها (خرتنك) فمات سنة
ستين وثلاثمائة نقلته بلفظه من تاريخ ابن كثير *

﴿ احمد بن علي بن شعيب النسائي ﴾ صاحب السنن امام عصره والمقدم على اضرابه رحل الآفاق
واخذ عن الحذاق . وكان ينسب الى شيء من التشيع قالوا دخل دمشق فسأله أهلها ان
يحدثهم بشيء من فضائل معاوية فقال مايكفي معاوية ان يذهب رأسا برأس حتى يروى له
فضائل فجعلوا يطعنون فيه حتى اخرج من الجامع فسار الى مكة فمر بالرملة فسئل عن فضائل
معاوية فامسك عنه فضربوه في الجامع . فقال اخرجوني الى مكة فاخرجوه وهو عليل .
فتوفي بمكة مقتولا شهيدا سنة ثلاث وثلاثمائة *

﴿ ابو عمرو عيسى الثقفي النحوي ﴾ شيخ سيبويه صاحب كتاب الجامع الذي قيل ان سيبويه
اخذه وزادعليه ما استفاده من الخليل ونسبه اليه اودعه شخص وديعة فنمى الخبر الى يوسف بن
عمر امير العراقين فكتب الى نائبه بالبصرة يأمره ان يحمل اليه عيسي بن عمرو مقيدا فدعا به
ودعا حدادا وامره بتقييده فلما قيده قال له لا بأس عليك انما ارادك لتعليم ولده قال فما بال
القيد اذا . فلما وصل اليه سأله فانكر فامر بضربه فضرب بالسياط توفي سنة تسع واربعين
ومائة * كان كثير الاستعمال للغريب والتقعر في كلامه وهو القائل افرنقعوا عني . قال يوما
لابي عمرو بن العلاء انا افصح من معد بن عدنان فاستنشده ابو عمرو بيتا فيه بدا بمعنى ظهر .
وقال له كيف تسنده الى جماعة الاناث اتقول بدين او بدان فقال بدين فقال اخطأت ولو قال
بدان لاخطأ أيضا وانما اراد ابو عمرو تغليطه وانما الصواب بدون من بدا يبدوا اذا ظهر وبدأ
يبدأ اذا شرع في الشيء معنى آخر ذكرت هذا استطرادا لاشتماله على فائدة *

لابو جعفر محمد بن الزيات بن عبد الملك * وزر للمعتصم ثم لابنه هارون الواثق ثم لما مات الواثق اشار هو بتولية ولده واشار القاضي احمد بتولية اخيه المتوكل وتم امر المتوكل فحقد ذلك عليه مضموما الى ما تقدم عليه القديم لانه كان يغلظ عليه في حياة الواثق تقربا اليه وكان ابن الزيات قد صنع تنورا من حديد في ايام وزارته وله مسامير محدودة الى داخله يعذب فيه الناس وكان يقول اذا استرحم . الرحمة خور في الطبيعة فلما اعتقله المتوكل ادخله التنور وقيده بخمسة عشر رطلا من الحديد ومات في التنور فوجد قد كتب في التنور بفحمة

من له عهد بنو * م يرشد الصب اليه

سهرت عيني ونامت * عين من هنت عليه

رحم الله رحيما * دلت عيني عليه

توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة *

﴿ ناصح الدين ابو محمد سعيد المعروف بابن الدهان ﴾ النحوي البغدادي شارح كتاب الايضاح والتكملة وكتاب اللمع لابن جني . وكان يفضل على ابن ابي محمد الجواليقي وابن الخشاب وابن الشجري المعاصرين له . انتقل الى الموصل قاصدا جناب الوزير جمال الدين الاصفهاني المعروف بالجواد . وكانت كتبه ببغداد . واستولى الغرق في تلك السنة على البلد . فغرقت كتبه وكان خلف داره مدبغة ففاضت بالغرق الى بيته فتلفت كتبه بهذا السبب زيادة على تلف الغرق فارسل من احضرها له وكان قد افنى عمره فيها فاشاروا عليه ان يطيبها بالبخور ويصلح ما امكنه فيها فبخرها باللاذن ولازمها بالبخور الى ان بخرها باكثر من ثلاثين رطلا لاذنا فطلع ذلك الى رأسه وعينيه فاحدث له العمى توفي سنة تسع وستين وخمسمائة *

﴿ ابو العباس احمد بن محمد بن عطاء ﴾ احد أئمة الصوفية حدث عن يوسف بن موسى القطان والمفضل وغيرهما كانت له ختمة يتلوها سبع عشرة سنة يتدبرها مات ولم يكملها احضر في امر الحلاج وقد كتب الحلاج اعتقاده فسأله الوزير حامد بن العباس عما قاله الحلاج فقال من لايقول بهذا فهو بلا اعتقاد . فقال له الوزير ويحك تصوب مثل هذا الاعتقاد فقال مالك ولهذا عليك بما نصبت له من اخذ اموال الناس وظلمهم . مالك والكلام مع هؤلاء السادة فامر الوزير بضرب شدقيه ونزع خفيه وان يضرب بهما رأسه فما زال يفعل به كذلك حتى زال الدم

[illegible] فقال ابن

عطاء الذي قتله ابن مقلة وقطع يديه ورجليه كان ابن عطاء [illegible] سنة تسع وثلاثمائة

ثم مات الوزير [illegible] ما دعا عليه ابن عطاء مقطوع اليدين والرجلين مقتولا *

﴿المقرى محمد بن احمد بن ايوب بن الصلت﴾ أبو الحسين المقرى المعروف بابن شنبوذ روى عن ابى مسلم وبشر بن موسى وخلف وكان يختار حروفا انكرها أهل زمانه عليه وصنف ابو بكر بن الانبارى محمد بن القاسم الحافظ الذى كان يحفظ فى كل جمعة عشرة آلاف ورقة كتابا فى الرد عليه . كان ابو بكر المذكور من اعلم الناس بالنحو والادب وكان لا يأكل الا البقالى ولا يشرب ماء الا قريب العصر مراعاة لحفظه . عقد لابن شنبوذ مجلس فى دار الوزير ابى على محمد بن مقلة وادعى عليه بالحروف التى كان يقرؤها فقر بالبعض * فضربه الوزير ابو على بالدرة على رأسه واستتيب فدعا على ابن مقلة فلم يفلح بعد ذلك . توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة *

﴿الوزير ابن مقلة﴾ احد المشاهير الكتاب محمد بن على بن الحسين بن عبد الله بن على المعروف بابن مقلة الوزير كان له بستان كبير جدا وعليه (جميعه) شبكة من ابريسم وفيه من الطيور والقماري والهزار والطواويس شيء كثير وفيه من الغزلان وبقر الوحش وحميره والنعام والايل شيء كثير ايضا وولى الوزارة لثلاثة من الخلفاء المقتدر والقاهر والراضي وبنى له دارا فجمع عند بنائها خلق كثير من المنجمين فاتفقوا على ان تبنى فى الوقت الفلانى فاسس جدرانها بين العشاءين كما اشاروا فما لبث بعد استتمامها الا يسيرا وقد انشد فيه بعض الشعراء

﴿قل لابن مقلة لا تكن عجلا * واصبر فانك في أضغاث احلام﴾
﴿تبني بانقاض دور الناس مجتهدا * دارا ستنقض ايضا بعد ايام﴾
﴿ما زلت تختار سعدا تطلبن لها * فلم يوف بها من نحس بهرام﴾
﴿ان القران وبطليموس ما اجتمعا * في حال نقض ولا فى حال ابرام﴾

ثم عزل عن وزارته واحرقت داره وانقلعت اشجاره وقطعت يده ثم قطع لسانه واغرم الف الف دينار . ثم سجن وحده مع الكبر والضعف والضرورة وكان يستقي الماء بنفسه من بئر عميق يدلى الحبل بيده اليسرى ويمسكه بفيه وقاسى جهدا جهيدا حتى مات فى الحبس سنة ثمان

[illegible]

﴿ إذا ما مات بعضك فابك بعضا * فان البعض من بعض قريب ﴾

قال والنكبات كثيرة لاتحصى ولما ذكرناه [illegible] فان الكتاب كله اذا [illegible] في بابه والله تعالى اعلم انتهى ما قصدنا نقله من كتاب الفلاكة للامام الحافظ الشيخ شهاب الدين وقد ذكر عددا كثيرا من الأئمة المفلوكين الذين أصيبوا بانواع المصائب والبلايا وهذا الكتاب فريد في بابه *

* ولصاحب الاغاني ابي الفرج الاصفهاني كتاب سماه مقاتل الطالبيين ذكر فيه مالاقاه اهل البيت النبوي من المصائب والنوائب من القتل والحبس وغير ذلك من الخطوب التي جرت عليهم ويكفيك منها الطامة الكبرى والمصيبة التي لم تزل عين الدين المحمدي منها عبرى وهي ما فعلوه بريحانة الرسول وقرة عين فاطمة البتول وهو من اكبر سادات الامة * واعز ابناء بني الرحمه * فبأي وجه يلاقي من تجرأ على هذه الجريمة جد أولئك الأئمة *

﴿ ويل لمن شفعاؤه خصماؤه * والصور في نشر الخلائق ينفخ ﴾

﴿ لابد ان ترد القيامة فاطم * وقميصها بدم الحسين ملطخ ﴾

فيقال للنبهانى هل كان ماأصاب أولئك الاكابر الاماجد لفساد فى الدين ام لخلل فى العقائد كلا بل ذلك فضل من الله تعالى عليهم واعلاء لشأنهم ابتلوا فصبروا * والدرجات الرفيعة لاتنال الا بالثبات على الاهواء . وهيهات ان تحصل راحة بلا تعب وهيهات * وفى الخبر حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات . والعيش الرغد والاتكاء على الارائك واقبال الدنيا انما يكون لمثل النبهاني واضرابه لا لمثل شيخ الاسلام واحزابه *

﴿ فى النفس اشياء لااستطيع اذكرها * لو قلتها قامت الدنيا على ساق ﴾

﴿ والمقصود ﴾ ان ماأصاب الشيخ ابن تيمية واصحابه هو مما يزيد ذوي الالباب بصيرة على علو قدره . ورفعة ذكره . ولكن الجهول الحسود لما نظر بعين السخط رأى الحسنات سيئات والمدائح قبائح .

﴿ بليت به جهولا جاهليا * ثقيل الروح مذموما بغيضا ﴾

﴿ ولم يك اكثر الطلاب علما * ولكن كان اسرعهم نهوضا ﴾

وستقف ان شاء الله تعالى على حاله ، ومبلغ علمه وسيكون لنا المام على هذه المسألة مرة أخرى كلما عاد اليها الخصم ، فهنالك ترى ماينشرح له الصدور .

﴿ الامر السابع ﴾ من تلك الامور ان من علم حال النبهانى وما هو عليه من المعرفة وما يعتقده من العقائد ويراه من الآراء لم يلتفت الى ما ذكره فى كتابه الذى سماه شواهد الحق ولا غيره من هذيانه الصريح فان الرجل جاهل كما ستعلمه من رد كتابه هـذا سقيم الفهم باخبار العدول الثقاة ورواية الصادقين من الرواة وما نشره من هذيانه اعدل شاهد على ذلك واصح دليل على ماهنالك فضلا عما ذكره فيه جهابذة العصر الذين رأوه وخالطوه وعرفوا حاله وشاهدوا اعماله ومع ذلك نذكر كلام بعضهم فيه ليحمد الله من عوفى من شقائه وعضال دائه *

(قال الفاضل العلامه) السيد بدر الدين الحلبي متع الله المسلمين بحياته فى كتابه الارشاد والتعليم عند ذكره مقالات الامم ما نصه .

(ومن شنيع) مقالاتهم فى الاسلام قولهم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يخلو منه زمان ولا مكان يريدون بذلك انه ما من زمان الا وهو فيه موجود ولا من مكان الا وهو فيه موجود قال حفظه الله وهذه المقاله الشنيعة لم نرها لاحد من المتكلمين المتقدمين منهم والمتأخرين ولا رأيناها فى كتب العقائد ولا كنا نظن أحدا يقول هذه المقاله الشنيعة وانما ذكرها الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهانى البيروتى صاحب الكتب الكثيرة فى الادعيه والصلوات فى منظومة له سماها طيبة الغراء ناقلا لها عن البرهان الحلبى . قال ذكر يوسف النبهانى انه اطلع على رساله الفها البرهان الحلبى فى هذا الموضوع وطالعها وانتفع بها .

قال وهذه مقاله شنيعة فى الغلو فى النبي صلى الله عليه وسلم و [illegible] بها فان هذا [illegible] لا بى صلى الله عليه وسلم فى أخص أوصاف البارى [illegible] الناس لاصلاح هذه المقاله الشنيعة فان [illegible] الى الخروج عن [illegible] الاسلام والامر [illegible] حول ولا قوة الا بالله .

(وليت شعرى) اى دليل قام عند هذا الذى قال هذه المقاله حتى قال [illegible] مرة او حديثا صحيحا ان قال ذلك [illegible] على [illegible] المتكلمون على ان البارى [illegible] لا [illegible] على انه [illegible]

تحكم له بما حكم به للبارى جل وعلا فهو عين الشرك الصريح ومثل هذه العقائد الفاسدة الباطلة الكاذبة يلقيها أهل الغفلة من المنتمين للعلم فى آذان العامة فتصادف منهم قبولا وتجتمع عليها قلوبهم حتى يصير من المتعذر نزعها من أذهانهم وربما كفروا من انكرها عليهم ورأوا ان انكار ذلك نوع من الالحاد في الدين واستخفاف بصاحب الشريعة المطهرة صلى الله عليه وسلم (وقال أيده الله تعالى) ومثل هذه العقيدة فى الشر او اقل منها فساد دعوى بعض المغفلين ممن ينتمون الى العلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم جميع ما كان وما يكون *

ولاهل هذه العقيدة دلائل على هذه المقاله الشنيعة كلها مبنية على مقدمات فاسدة اوقعها فى قلوبهم المبالغة فى اطراء النبي صلى الله عليه وسلم المنهى عنه بقوله لا تطرونى كما اطرت النصارى عيسى . وأحاديث موضوعة كاذبة وقعت اليهم فاعتقدوا صحتها وهي مفتراة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكفى لمن ينكر هذه العقيدة انه لم يقم دليل من كتاب او سنة صحيحة عليها مع الجزم باتفاق الكل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض له الامر فيتوقف فيه الى أن يأتيه الوحى من الله به وحديث الافك على الصديقة الطاهرة شاهد . ومن ادعى انه افيضت عليه بعد ذلك العيون فليأت بآية اوحديث ولاطريق لاثبات مثل هذا الا الخبر الصادق وهذه العقيدة هى الفرقان بين أهل السنة وبين المبتدعة عند اكثري مسلمى الهند . فمن كان يعتقد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم جميع ما كان وما يكون فهو من أهل السنة والخير وان لم يكن يعتقد ذلك فهو من أهل البدعة والفساد * وعلمائهم في ذلك رسائل لا تكاد تحصي سحنوها بالدلائل الفاسدة على هذه المقاله الشنيعة والرد على مخالفيهم فيها *

(قال) وقد سئلت عن هذه المسئله والحمد سنة تسع عشر وثلثمائة بعد الالف وكان قصد السائل تعرف عقيدتى بما اعرف من الحق الذى لا مرية فيه وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم أطلعه الله تعالى على كثير من المغيبات لمصالح يقتضيها التشريع ولم يطلعه على كل ما كان ويكون وبينت له أن هذا لايخل [illegible] على مرتبته عليه السلام بل من الادب مع الله ومعه ان لا نصفه بما لم يصف نفسه به ولا [illegible] له ما لم يخبر هو ثبوته لنفسه .

فانكر السائل ذلك وحرك بعض الجماعة [illegible] ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يعلم عدد الشعرات التى فى لحيته [illegible] اترى ان [illegible] ليست من المكونات وانقطع

[illegible]

[illegible] الأرض فساد فيصدق [illegible] ويقولون

ان [illegible] شيطانه وسولت له نفسه الخبيثة حتى ألفت قلوبهم

[illegible] وتحركت [illegible] الشريرة لا تدل على حق اذعنت فيهم وتشربته قلوبهم

[illegible] عليهم [illegible] فسادها وانها ليست من الدين *

وذكر قصة جرت له بسبب ذلك في أحد مساجد الجامعة في الهند ثم قال هكذا بذر علماء السوء بذور الخرافات والبدع والعقائد الفاسدة في قلوب العامة فتمكنت في قلوبهم حتى تعسر على احذق الناس بامراض القلوب علاجها واختيار دواء نافع لها * وليس هذا محل بسط الكلام على هذا الموضوع وموعدنا ان شاء الله القسم الثاني من هذا الكتاب وهو قسم الارشاد فانه به امس واشد ارتباطا انتهى كلامه . وقد شفى به صدور المؤمنين جزاه الله خير الجزاء ومقصودنا منه ما يتعلق بمقالة النبهاني وخرافته وسقنا الكلام كله حرصا على ما فيه من الفوائد *

ثم ان النبهاني هذا أخذ مقالته هذه من أهل الاتحاد والحلول . قال عبد الكريم الجيلي إنّ هو من قوله قل هو الله أحد راجع الى ضمير الخطاب المستتر في قل المقدر بأنت مرادا به الانسان الكامل وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ضرب من الهذيان تفرع على قول محيي الدين سبحان من أظهر الاشياء وهي عينها وقال الجيلي أيضا ان النصارى لم يكفروا باصل الحلول وانما كفروا بالحصر الذي تضمنه كلامهم ان الله هو المسيح لا غيره من الاشياء ولو عمموا لم يكفروا * وهذا الكلام مما تقشعر منه جلود المؤمنين فقول النبهاني ان النبيّ صلى الله عليه وسلم لا يخلو منه زمان ولا مكان ناقلا عن البرهان الحلبي هو من شعب ذلك الوادي وللقوم غلو في هذا المقام يأباه المتشرعون * ومنه قولهم ان الشرائع المتقدمة على ظهوره صلى الله عليه وسلم شريعته والانبياء من قبله نوابه في التبليغ ووقوع النسخ في هاتيك الشرائع كوقوعه في شريعته التي ظهر بها وعلى هذا قول قائلهم *

﴿ كل النبيين والرسل الكرام أتوا * نيابة عنه في تبليغ دعواه ﴾
﴿ فهو الرسول الى كل الخلائق في * كل الدهور ونابت عنه أفواه ﴾

وقال ابن الفارض على لسان الحقيقة المحمدية *

[illegible] *

(ومن ذلك) زعمهم ان الاولياء [illegible] يرونه صلى الله عليه وسلم يقظة بعد وفاته [illegible]

ايضا [illegible] فقال الشيخ تاج الدين بن الملقن في طبقات الاولياء في ترجمة الشيخ

خليفة بن موسى النهرملكي كان كثير الرؤية لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ومناما

فكان يقال ان اكثر افعاله يتلقاه منه صلى الله عليه وسلم يقظة ومناما ورآه في ليلة واحدة سبع

عشرة مرة قال له في احداهن يا خليفة لا تضجر مني فكثير من الاولياء مات بحسرة رؤيتي

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المنن قال رجل للشيخ ابي العباس المرسي

يا سيدي صافحني بكفك هذه فانك لقيت رجالا وبلادا فقال والله ما صافحت بكفي هذه الا

رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال وقال الشيخ لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة

عين ما عددت نفسي من المسلمين ومثل هذه النقول كثير في كتب القوم جدا وفي تنوير

الحلك لجلال الدين السيوطي الذي رد به على منكري رؤيته صلى الله عليه وسلم بعد وفاته

في اليقظة طرف من ذلك وكل ما اتى به لا دليل فيه واطال الكلام في ذلك ثم قال وقد ذكر

عن السلف والخلف وهلم جرا ممن كانوا رأوه في النوم فرأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن

اشياء كانوا منها متشوشين فاخبرهم بتفريجها ونص لهم على الوجوه التي منها فرجها فجاء الامر

كذلك بلا زيادة ولا نقص انتهى المراد منه * وليت شعري لم كان عثمان يطلب شاهدين من

كل من اتاه بآية يشهدان على أنها من القرآن وهلا رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة وساله

عن تلك الآية وهو وسائر الصحابة أحق ممن ذكر بهذه الفضيلة * وقد وقع بينهم ماوقع من

الاختلاف فلم يره أحد منهم ويدفع اشكاله والسيوطي رحمه الله كان فيما ألفه من الكتب

حاطب ليل في كل كتاب له مذهب ومشرب . وما أتى به في كتابه هذا لا يعول عليه كما

سيرد عليك مردودا *

ثم ان رؤيته صلى الله عليه وسلم عند القائلين بها يقظة اكثر ماتقع بالقلب ثم يترقى الحال الى

ان يرى بالبصر على مازعموا * واختلفوا في حقيقة المرئي. فقال بعضهم المرئي ذات المصطفى بجسمه

وروحه واكثر ارباب الاحوال على انه مثاله. وبه صرح الغزالي فقال ليس المراد انه يرى جسمه

وبدنه بل مثالا له صار ذلك المثال آلة يتأدى بها المعنى الذي في نفسه قال والآلة تارة تكون

ايها الناس [illegible] النبي كيف طعن على [illegible] الخلف وذكره بحاطب ليل وما كان السيوطي حاطب ليل فمن ابن اصابوا التقي حاطب النهار ومن شقوتهم انه يذكر علمائهم علماء من المتقدمين الاخيار

[illegible]

[illegible] الشيخ [illegible]
[illegible] بل هو [illegible] الأرض والعرش والكرسي
مملوءة [illegible] ادراك [illegible] ورؤيته [illegible]
[illegible] وقال بعد نقل أحاديث وآثار ساقها فتحصل من مجموع
هذا الكلام المنقول والاحاديث ان النبي صلى الله عليه وسلم حي بجسده وروحه وانه يتصرف
ويسير حيث شاء في أقطار الارض وفي الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل
منه شيء وانه مغيب عن الابصار كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم فاذا أراد الله
تعالى رفع الحجاب عمن أراد إكرامه برؤيته رآه على هيئته التي هو عليها لا مانع من ذلك
ولا داعي الى التخصيص برؤية المثال انتهى * وذهب الى نحو هذا في سائر الانبياء عليهم السلام
فقال انهم أحياء ردت اليهم أرواحهم بعد ما قبضوا وأذن لهم في الخروج من قبورهم والتصرف
في الملكوت العلوي والسفلي واتى باخبار كثيرة تشهد له وكلها لا أصل لها ولا متصرف
في الكون الا الله تعالى كما سنبرهن على ذلك ان شاء الله * ويكفي في ابطال هذا القول قوله تعالى
(الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها ويرسل
الاخرى الى أجل مسمى) فاذا أمسك التي قضى عليها فمن أين لها التمكن من التصرف ومن
أين لاحد ان يراها * وأعجب من ذلك كله ما نقله الشيخ صفي الدين ابن أبي المنصور والشيخ
عبد الغفار عن الشيخ أبي العباس الطنجي من انه رأى السماء والارض والعرش والكرسي
مملوءة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وزعم من زعم ان السؤال عن كيفية رؤية المتعددين
له عليه الصلوة والسلام في زمان واحد في أقطار متباعدة ينحل به ولا يحتاج معه الى ما اشار اليه
بعضهم وقد سئل عن ذلك فانشد *

﴿كالشمس في كبد السماء وضوءها * يغشى البلاد مشارقا ومغاربا﴾

﴿اللهم انا نعوذ بك من أن نقول ما لا ترضاه * وان تعصمنا من الزيغ والزلل والاشتباه﴾

﴿ والمقصود ﴾ ان قول النبهاني الذي سبق بيانه في كلام العلامة السيد بدر الدين الحلبي وما
وافقه من اقوال الذين ذكرناهم كلها من واد واحد وانها متفرعة على القول بالحلول والاتحاد
غير ان كلامهم ليس صريحا في ذلك ولكن الامر كما قيل رب كناية ابلغ من تصريح . فعلى

[illegible]

﴿ فخير امور الدين ما كان سنة * وشر الامور المحدثات البدائع ﴾

هذا حال النبهاني في عقائده وحظه من العلوم النقلية والعقلية اشرنا من الى بعضه عليه كما سنفصله ان شاء الله تعالى .

لكن قد علمنا بعض حاله وما هو عليه الى اليوم من افعاله واعماله وحيث انهم اوقفنا على حقيقة امره وان كان ما نشره من الكتب اطلعنا على حلوه ومره سألت عنه بعض الافاضل من الاصحاب ممن رآه واجتمع به وعرف ما عنده من الفصول والابواب فكتب كلاما طويلا فيه وعرفني بظاهره وخافيه . فمن ذلك قوله ان النبهاني قد قضى شطرا من عمره في المحاكم النظامية وتسمى ايضا بالمحاكم القانونية ثم ذكر كلاما طويلا في بيان حال تلك القوانين وما فيها من المخالفة لقواعد الدين ثم قال ان النبهاني تولى رياسة الجزاء في بيت الله المقدس عددا كثيرا من الاعوام وبين حقيقة هذا المنصب وما يتعاطاه الرئيس من الاحكام قال ثم تحول الى رياسة محكمة البداية في بيروت وبين ما يرى في هذا المحل من الوظائف والمواد . ثم قال وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت قلت ان كان صادقا عليه ذلك المقال يكون تائها في اودية الجهل والضلال فكيف يدعي الايمان فضلا عن دعواه المحبة لسيد ولد عدنان وهو معرض عن هديه وسنته ناء عن العمل بشريعته فهلا قرأ قوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون وسنذكر ان شاء الله تعالى فيما سيأتي تفصيل هذه المسألة وبيان حكمها بما ينشرح لها الخاطر ثم ذكر شيئا كثيرا من بيان أحواله مما يطول ذكره *

وظن يوسف النبهاني المسكين انه قد خلا له الجو فصفر وطاول العلماء الاعلام بما ذكر في كتابه الذي وسمه بدلائل الحق ماذكر وصال وجال وقال ماقال *

﴿ واذا ماخلا الجبان بارض * طلب الطعن وحده والنزالا ﴾

وتصدى مثله لما تصدى له دليل على جهله . ومزيد غباوته وخفة عقله بل هو كما قيل

﴿ لو ان خفة عقله في رجله * سبق الغزال ولم يفته الارنب ﴾

ولولا الترفع عن مكافأة امثاله . والانفة من مخاطبة اشكاله . لعرفناه قدره . واوضحنا له شأنه

[illegible] ولا الشرع الله
والرسول بيته والتقطيع [illegible] من كره وجهه

﴿ واذا اتيت الامر من غير بابه [illegible] ضللت وان تهتدي الى الباب تهتد ﴾

﴿ والتصوير ﴾ [illegible] ذكر هذه المسئلة من احوال النبهاني ان الذي خاصم اهل الحق كلهم على هذا القول وقد تشابهوا كتشابه [illegible] في الاتفاق على الضلال . وباطل الاقوال . فلا يغتر بما زخرفوه وزوروه فانهم ليسوا من رجال العلم والكمال . والله اعلم بحقيقة الحال .

﴿ الامر الثامن من تلك الامور ﴾ لابد للمتناظرين من مرجع يكون مهيمنا على الحق الذي يدعيه كل منهما والا فالمناظرة لا تتم قال الامام العلامة الشيخ عبد العزيز كل متناظرين على غير اصل يكون بينهما يرجعان اليه اذا اختلفا في شيء من الفروع فهما كالسائر على غير طريق وهو لا يعرف المحجة فيتبعها ولا يعرف الموضع الذي يريده فيقصده وهو لا يدري من اين جاء فيرجع فيطلب الطريق وهو على ضلال قال ولكنا نؤصل بيننا اصلا فاذا اختلفنا في شيء من الفروع رددناه الى الاصل فان وجدناه فيه ولا رمينا به ولم نلتفت اليه ثم قال الاصل بيني وبين خصمي ماامرنا الله عز وجل واختاره لنا وعلمناه وادبنا به في التنازع والاختلاف ولم يكلنا الى غيره ولا الى انفسنا واختيارنا فنعجز ثم بينه بقوله قال الله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا لرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا) . فهذا تعليم من الله وتأديبه واختياره لعباده المؤمنين مااصله المتنازعون بينهم . قال وقد تنازعت انا وبشر وبيننا كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما امر الله عز وجل فاذا اختلفنا في شيء من الفروع رددناه الى كتاب الله عز وجل فان وجدناه فيه والا فالى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم فان وجدناه فيها والا ضربناه في الحائط ولم نلتفت اليه الى آخر ماقاله في حضرة الخليفة العباسي عند مناظرته مع بشر .

وقال الامام العلامة الشيخ عبد اللطيف في موضع من كتبه . اعلم ان مستند المسلمين في العقائد ومرجعهم في اصول الدين وفروعه الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجماع من سلف من علماء الامة والتقليد في باب اصول الدين ومعنى شهادة ان لا اله الا

[illegible] والله لا [illegible] ولا يجعلهم [illegible] الاصح [illegible]

فضلا عما [illegible] الى آخر ما قال .

﴿ وقال في موضع آخر ﴾ ان الاصل المعتمد في هذا الباب وغيره من اصول الدين وفروعه هو ما دل عليه الكتاب والسنة واجماع علماء الامة فهذه هي الادلة الشرعية والاجماع والقياس مختلف فيه والجمهور على قبوله بشروطه ، وليس المعول على كلام الآحاد من اهل العلم والدين وان علت درجتهم وارتفعت رتبتهم ولا تصلح المعارضة بقول فلان وفلان من اهل العلم والدين ولا ينقض الدليل بمخالفة احد كائنا من كان . انتهى .

﴿ وقال في موضع آخر ﴾ ان المعتمد عند المسلمين في مسائل أصول الدين وفروعه على كتاب الله وسنة رسوله واجماع اهل العلم ولا تذكر اقوال اهل العلم الا تبعا وبيانا لانها المقصودة بالذات والاصالة ثم المسائل التي لا يلزم بها المجتهد غيره هي ما كان للاجتهاد فيه مساغ ولم يخالف كتابا ولا سنة صريحة ولا اجماعا وما خالف ذلك فهو مردود على قائله ويلزمه اهل العلم بصريح الكتاب والسنة واجماع الامة قال امام دار الهجرة مالك بن انس رحمه الله تعالى ما منا الا راد ومردود عليه الا صاحب هذا القبر يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ﴿ واحسن منه ﴾ قول الله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الآية وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم متكئا على اريكته يأتيه الامر من امري فيقول بيننا وبينكم كتاب الله الا واني اوتيت الكتاب ومثله معه فاذا كان رد السنة محرما لا يجوز ولو ردها ظانا ان القرآن لا يدل عليها ، فكيف رد الكتاب والسنة وعدم الالزام بهما لخلاف احد من الناس كائنا من كان . ومسائل معرفة الله ووجوب توحيده واسلام الوجه له وحده لا شريك له ومسائل ربوبيته واختصاصه بالخلق والايجاد والتدبير ونحو ذلك مما يعلم بالضرورة من دين الاسلام كصمديته تعالى ونفي الكفو والصاحبة والولد . وغناه بذاته ومباينته لمخلوقاته وعموم قدرته واحاطة سمعه وبصره وعلمه بجميع المعلومات والمبصرات والمسموعات ونحو ذلك من اصول الدين ، فكل الرسل متفقة عليه ، وجميع الكتب داعية اليه . والعقول الصحيحة حاكمة به فكل اجتهاد خالفه فباطل مردود لا يسوغ العمل به في شريعة من الشرائع ولا عند عالم من العلماء ولا فقيه من الفقهاء . ﴿ ثم قال قال شمس الدين ﴾ في هدايته بل جميع

[illegible]

(أما الأول) أنه تعالى أحد واحد لا شريك له في ملكه ولا ند له ولا ضد ولا نظير ولا [illegible]

ولا معين ولا منازع [illegible]

«الثاني» أنه لا والد له ولا ولد ولا كفو ولا نسب بوجه من الوجوه ولا زوجة .

«الثالث» أنه غني بذاته فلا يأكل ولا يشرب ولا يحتاج الى شيء مما يحتاج اليه خلقه بوجه من الوجوه .

«الرابع» انه لا يتغير ولا تعرض له الآفات من الهرم والمرض والسنة والنوم والنسيان والندم والخوف والهم والحزن ونحو ذلك .

«الخامس» انه لا يماثله شيء من مخلوقاته بل ليس كمثله شيء . لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله

«السادس» انه لا يحل بشيء من مخلوقاته ولا يحل في ذاته شيء منها بل هو بائن عن خلقه بذاته والخلق بائنون عنه .

«السابع» انه اعظم من كل شيء . واكبر من كل شيء . وفوق كل شيء . وعال على كل شيء . وليس فوقه شيء البتة .

«الثامن» انه قادر على كل شيء . ولا يعجزه شيء يريده بل هو فعال لما يريد .

«التاسع» انه عالم بكل شيء يعلم السر واخفى ويعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس ولا متحرك ولا ساكن الا وهو يعلمه على حقيقته .

«العاشر» انه سميع بصير يسمع ضجيج الاصوات . باختلاف اللغات على تفنن الحاجات . ويرى دبيب النملة السوداء . على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء . قد احاط سمعه بجميع المسموعات . وبصره بجميع المبصرات . وعلمه بجميع المعلومات . وقدرته بجميع المقدورات . ونفذت مشيئته في جميع البريات . وعمت رحمته جميع المخلوقات . وسع كرسيه الارض والسموات .

«الحادي عشر» انه الشاهد الذي لا يغيب ولا يستخلف احدا على ملكه ولا يحتاج الى من يرفع اليه حوائج عباده او يعاونه او يستعطفه عليهم ويسترحمه لهم .

«الثاني عشر» انه الابدي الباقي الذي لا يضمحل ولا يتلاشى ولا يعدم ولا يموت

﴿الثالث عشر﴾ انه الحكيم [illegible] الرسل
وانزل الكتب [illegible] الخير والشر [illegible]
[illegible]

﴿الرابع عشر﴾ انه الصادق فى وعده وخبره فلا اصدق منه قيلا ولا اصدق منه حديثا وهو لا يخلف الميعاد.

﴿الخامس عشر﴾ انه تعالى صمد بجميع معانى الصمدية فيستحيل عليه ما يناقض صمديته.

﴿السادس عشر﴾ انه قدوس سلام فهو المبرأ من كل عيب وآفة ونقص.

﴿السابع عشر﴾ انه الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه.

﴿الثامن عشر﴾ انه العدل الذى لا يجور ولا يظلم ولا يخاف عباده منه ظلما وهذا مما اتفقت عليه جميع الكتب والرسل وهو من الحكم الذى لا يجوز ان تأتى شريعة بخلافه ولا يخبر نبي بخلافه فترك المثلثة عباد الصليب هذا كله وتمسكوا بالمتشابه من المعانى والمجمل من الالفاظ واقوال من قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل واصول المثلثة ومقالاتهم فى رب العالمين تخالف هذا كله وتباينه اشد المخالفة والمباينة انتهى.

﴿قال﴾ فقف وتأمل هذه الاصول وأولها وهو انه تعالى لاشريك له ولا ند ولا شافع الا من بعد اذنه ووازن بينه وبين قول الغلاة الى آخر ما قال.

فعلم من جميع ما نقلناه ان الدلائل انما تكون من الكتاب والسنة والاجماع وعليه كتب الاصول. وأما القياس فقد اختلف فيه الاصوليون ومن أراد تفصيل الكلام فى هذا المقام فعليه بتلك الكتب. وقد جمع العلامة والفاضل الفهامة الشيخ جمال الدين القاسمى الدمشقى حفظه الله تعالى ومتع المسلمين بحياته عدة رسائل فى اصول الفقه ترشد الناظر اليها الى الحق وتغنيه عن كثير من المطولات فهذه هى الدلائل لا ماذكره النبهانى من استدلاله على مطالبه بكلام السبكي أو ولده او ابن حجر المكى واضرابهم وكما استدل على مشروعية الاستغاثة بغير الله فى الصحيفة الخامسة والستين ومائة بما نقل عن أحمد الرفاعي انه قال من كانت له حاجة فليستقبل عَبَّادان نحو قبرى ويمشى سبع خطوات ويستغيث بى فان حاجته تقضى الخ. فمثل هؤلاء اذا قالوا أقوالا تخالف الكتاب والسنة يضرب بها على وجوه قائليها كل من كان. ومن

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ولولا خوف التطويل لأتينا في هذا المقام بما يشفي الغليل ويروي العليل وحسبنا الله ونعم الوكيل

(ونرجو من الهمم) ان يجري في ميدان المناظرة ويثير غبار البحث على وجه الخصم الالد الذي ركب متن المكابرة . واسأل الله تعالى ان لا يذيق قلمي عذاب الافتراء . وان يعصمني من الخطأ والزلل في الاقوال والافعال فهو الملاذ والملجأ من كل بلاء . وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب .

﴿ قال النبهاني ﴾ القسم الاول من المقدمة في الكلام على انقطاع الاجتهاد المطلق الذي يدعيه بالباطل فرقة الوهابية ومن أعجبه شأنهم من جهلة المبتدعين شذاذ المذاهب الاسلامية وجعلت ذلك رسالة سميتها السهام الصائبه . لاصحاب الدعاوي الكاذبه . ثم ذكر خطبة هذه الرسالة الى ان قال فاقول ان دعوى الاجتهاد في هذا الزمان منهم ومن غيرهم مطلقا مهما كان عالما هي دعوى كاذبة لايلتفت اليها ولا يعول عليها قال وقد ذكرت في كتابي حجة الله على العالمين الرد على من يدعي الاجتهاد في هذا الزمان ونقلت عبارات العلماء في ذلك كالامام الشعراني والامام بن حجر الهيتمي والامام المناوي وغيرهم بما يقنع كل ذي طبع سليم . وفهم مستقيم . الى ان قال أما الاجتهاد فلا يدعيه اليوم الا مختل العقل والدين الا من طريق الولاية كما قاله الشيخ الاكبر محيي الدين بن العربي ثم نقل مانقله المناوي في أول شرحه الكبير على الجامع الصغير عن ابن حجر المكي انه قال لما ادعى الجلال السيوطي الاجتهاد قام عليه معاصروه ورموه عن قوس واحدة وكتبوا له سؤالا فيه مسائل أطلق الاصحاب فيها وجهين وطلبوا منه ان كان عنده أدنى مراتب الاجتهاد وهو اجتهاد الفتوى فليتكلم على الراجح من تلك الاوجه وعلى الدليل على قواعد المجتهدين فرد السؤال من غير كتابة واعتذر بان له اشغالا تمنعه من النظر في ذلك . قال الشهاب فتأمل صعوبة هذه المرتبة اعني اجتهاد الفتوى الذي هو

وهذا الترجيح بلا مرجح وعصبية من المصنف او اغواء للعوام نعوذ بالله من ذلك

[illegible] الاجتهاد المطلق [illegible]

[illegible] وجها حسنا [illegible]

الاجتهاد المطلق تنتهي من الآن ان نسبنا لاحد من أهل هذه الازمنة بل قال ابن الصلاح ومن سنه [illegible] انقطع من نحو [illegible] سنة ولابن الصلاح نحو الثلاثمائة سنة أي لانه من أهل القرن السابع فتكون اليوم قد انقطعت من سبعمائة سنة أي بالنظر الى عصر ابن حجر وهو من أهل القرن العاشر فيكون لنا الآن منقطعة نحو ألف سنة اذ نحن في العام السابع عشر من القرن الرابع عشر وهو عام تأليفي لكتاب حجة الله على العالمين قال بل نقل ابن الصلاح عن بعض الاصوليين انه لم يوجد بعد عصر الشافعي مجتهد مستقل * قال ثم قال الشهاب ابن حجر واذا كان بين الأئمة نزاع طويل في ان امام الحرمين وحجة الاسلام الغزالي وناهيك بهما هل هما من أصحاب الوجوه أولا فما ظنك بغيرهما بل قال الأئمة في الروياني صاحب البحر انه لم يكن من أصحاب الوجوه هـذا مع قوله لو ضاعت نصوص الشافعي لامليتها من صدري فاذا لم يتأهل هؤلاء الاكابر لمرتبة الاجتهاد المذهبي فكيف يسوغ لمن لم يفهم اكثر عباراتهم على وجهها ان يدعى ماهو أعلى من ذلك وهو الاجتهاد المطلق * سبحانك هذا بهتان عظيم . ثم نقل جملة من أقوال العلماء تشهد له بأن الاجتهاد قد انقطع الى آخر ما هذا به في هذا الباب مما يدل على جهله وافلاسـه من كل علم وعلى دعواه الكاذبة . والكلام على ما اشتمل عليه كلامه من الباطل يطول غير أنا نتكلم على مقاصده على سبيل الاجمال دون التفصيل

﴿ فاقول الكلام ﴾ على مقالته هذه من وجوه *

﴿ الوجه الاول ﴾ ان نسبة دعوى الاجتهاد الى الوهابية وهم على زعمه من كان موافقاً للشيخ محمد بن عبد الوهاب فى الاعتقاد افتراء وكذب وبهتان عليهم فان أهل نجد كلهم على مذهب الامام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنـه مقلدون له فى فروع الاحكام وموافقون له فى أصول الدين وعقائده . وقد صرح الشيخ محمـد بذلك فى كثير من رسائله وهو لم يدع الاجتهاد . ولا دعا أحداً من الناس الى تقليده بل أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فنسبة أهل نجد ومن يتبع السنن النبوية الى الشيخ وعدهم فرقة من فرق المسلمين غير فرقة أهـل السنة ظلم وعدوان . وزور وبهتان . وأعجب من ذلك ان النسبة الى الشيخ ينبغي ان تكون المحمدية

[illegible]

[illegible] ولا [illegible] على [illegible]

وانما [illegible] الاجتهاد [illegible] لا تخلو [illegible]

والوجه الثاني ان الكلام في باب الاجتهاد مفروغ منه فقد أطنب الكلام عليه الاصوليون لاسيما في كتب المطولات ومع ذلك فلا بد من ذكر شيء مما يتعلق به على سبيل الاختصار قالوا الاجتهاد استفراغ الوسع لتحصيل ظن الحكم من فقيه وهو المجتهد المطلق . وشرطه كمال لا يعد له الا العقول قوة وملكة وهي العقل يدرك بها المطلوب مطلقا أو في تلك الواقعة لتجزي الاجتهاد وفقه النفس أي شدة الفهم بالطبع لمقاصد الكلام حتى يكون له قدرة على استخراج احكام الفقه من أدلتها وقوة يقتدر بها على التصرف بالجمع والتفريق والترتيب والتصحيح والافساد فان ذلك ملاك صنعة الفقه ومن اتصف بالبلادة والعجز عن التصرف لم يكن من أهل الاجتهاد . ويشترط أيضا توسط درجته عربية وأصولا وعلمه بآيات الاحكام وأحاديثها وخبرته بمواقع الاجماع والناسخ والمنسوخ والمتواتر والآحاد وأسباب النزول وحال الرواة والمتون ويكفيه تقليد الحفاظ وأئمة علم الكلام وندب له البحث عن المعارض ودون المجتهد المطلق مجتهد المذهب بان يخرج مابيديه على نصوص أيامه ودونه مجتهد الفتيا بان يتبحر ويتمكن من الترجيح ثم ذكروا مسائل كثيرة في هذا الباب لاغرض لنا بنقلها . ثم اختلف الاصوليون هل يجوز خلو الزمان عن مجتهد أم لا . منهم من قال يجوز بل يقع ومنهم من قال لا يجوز استدلالا بقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله أي الساعة . وسيأتي الكلام على هذه المسألة ان شاء الله *

هذا خلاصة ماذكره الاصوليون في هذا الباب وقد علمت منه ان شروط الاجتهاد التي اشترطوها ليس وجودها من المحال بل هي ممكنة الوجود في كل عصر وعلمت ايضا مماذكرناه من كلامهم انهم لم يقولوا بسد باب الاجتهاد . ولا اقتضاه كلامهم ولا دل عليه كتاب ولا سنة وهما المرجع في التنازع قال الله تعالى (واذا تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) فقول من قال بانقطاع الاجتهاد قول بلا دليل . فلا يلتفت اليه بل يرمى به على وجه قائله . ويرد على صاحبه

[illegible]
ونص ... [illegible] يخالف ما أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم انه لا تخلو الارض
من القائمين لله بحججه وقالوا لم يبق في الارض عالم بعد الائمة الاربعة (وقالت طائفة)
ليس لاحد ان يختار بعد أبي حنيفة وأبي يوسف وزفر بن الهذيل ومحمد بن الحسن والحسن
ابن زياد اللؤلؤي وهذا قول كثير من الحنفية. وقال بكر بن العلاء القشيري المالكي ليس
لاحد ان يختار بعد المائتين من الهجرة.

وقال آخرون ليس لاحد ان يختار بعد الاوزاعي وسفيان الثوري ووكيع بن الجراح وعبد الله بن المبارك. (وقالت طائفة) ليس لاحد ان يختار بعد الشافعي. واختلف المقلدون من اتباعه فيمن يؤخذ بقوله من المنتسبين اليه ويكون له وجه يفتى ويحكم به من ليس كذلك وجعلوهم ثلاث مراتب طائفة أصحاب وجوه كابن سريج والقفال وأبي حامد. وطائفة أصحاب احتمالات لا أصحاب وجوه كأبي المعالي وطائفة ليسوا أصحاب وجوه ولا احتمالات كابن حامد وغيره. واختلفوا متى انسد باب الاجتهاد على أقوال كثيرة ما أنزل الله بها من سلطان وعند هؤلاء ان الارض قد خلت من قائم لله بحجة ولم يبق فيها من يتكلم بالعلم ولم يحل لاحد بعد ان ينظر في كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لاخذ الاحكام منها ولا يقضي ولا يفتي بما فيها حتى يعرضه على قول مقلده ومتبوعه فان وافقه حكم به وأفتى به والا رده ولم يقبله * وهذه أقوال كما ترى قد بلغت من الفساد والبطلان والتناقض والقول على الله بلا علم وابطال حججه والزهد في كتابه وسنة رسوله وتلقي الاحكام منهما مبلغها. ويأبى الله الا ان يتم نوره ويصدق قول رسوله انه لا تخلو الارض من قائم لله بحجته ولن تزال طائفة من أمته على محض الحق الذي بعثه به وانه لا يزال يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الامة من يجدد لها دينها ﴿ ويكفي ﴾ في فساد هذه الاقوال ان يقال لاربابها فاذا لم يكن لاحد ان يختار بعد من ذكرتم فمن أين وقع لكم اختيار تقليدهم دون غيرهم وكيف حرمتم على الرجل ان يختار ما يؤديه اليه اجتهاده من القول الموافق لكتاب الله وسنة رسوله وابحتم لانفسكم اختيار قول من قلدتموه وأوجبتم على الامة تقليده وحرمتم تقليد من سواه ورجحتموه على تقليد من سواه فما الذي سوغ لكم هذا الاختيار الذي لادليل عليه من كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا قياس ولا قول

صاحب . وحرمتم اختيار ماعليه الدليل من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة *

﴿ ويقال لكم ﴾ فاذا كان لايجوز الاختيار بعد المائتين عندك ولا عند غيرك فمن أين ساغ لك وأنت لم تولد الا بعد المائتين بنحو سنين سنة ان تختار قول مالك دون من هو أفضل منه من الصحابة والتابعين أومن هو مثله من فقهاء الامصار أوممن جاء بعده . وموجب هذا القول ان اشهب وابن الماجشون ومطرف ابن عبد الله واصبغ بن الفرج وسحنون بن سعد وأحمد ابن المعدل ومن فى طبقتهم من الفقهاء كان لهم ان يختاروا الى انسلاخ ذى الحجة من سنة مائتين . فلما استهل هلال المحرم من سنة احدى ومائتين وغابت الشمس من تلك الليلة حرم عليهم فى الوقت بلا مهلة ماكان مطلقا لهم من الاختيار *

(ويقال للآخرين) أليس من المصائب وعجائب الدنيا تجويزكم الاختيار والاجتهاد والقول فى دين الله بالرأى والقياس لمن ذكرتم من أئمتكم ثم لاتجيزون الاختيار والاجتهاد لحفاظ الاسلام واعلم الامة بكتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابه وفتاواهم كاحمد بن حنبل والشافعي واسحق بن راهويه ومحمد بن اسمعيل البخارى وداود بن على ونظرائهم على سعة علمهم بالسنن ووقوفهم على الصحيح منها والسقيم وتحرسهم في معرفة أقوال الصحابه والتابعين ودقة نظرهم ولطف استخراجهم للدلائل ومن قال منهم بالقياس فقياسه من أقرب القياس الى الصواب وأبعده عن الفساد وأقربه الى النصوص مع شدة ورعهم وما منحهم الله من محبة المؤمنين لهم وتعظيم المسلمين علماءهم وعامتهم لهم *

(فان احتج كل فريق) منهم بترجيح متبوعه بوجه من وجوه التراجيح فى تقدم زمان أو زهد أو ورع أو لقاء شيوخ وأئمة لم يلقهم من بعده أو كثرة اتباع لم يكونوا لغيره أمكن الآخر ان يبدوا لمتبوعهم من الترجيح بذلك أو غيره ما هو مثل هذا أو فوقه . وأمكن غير هؤلاء كلهم ان يقولوا لهم جميعا نفوذ قولكم هذا ان لم تأمنوا من التناقض يوجب عليكم ان تتركوا قول متبوعكم لقول من هو أقدم منه من الصحابة والتابعين واعلم وأورع وأزهد وأكثر اتباعا وأجل . فاين اتباع ابن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل . بل اتباع عمر وعلى من اتباع الائمة المتأخرين في الكثرة والجلالة . وهذا أبو هريرة قال البخاري حمل العلم عنه ثمانمائة رجل ما بين صاحب وتابع وهذا زيد بن ثابت من جملة

أصحاب عبد الله ابن عباس * وأين في اتباع الائمة مثل عطاء وطاوس ومجاهد وعكرمة وعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة وجابر بن زيد . وأين في اتباعهم مثل السعيد بن والشعبي ومسروق وعلقمة والاسود وشريح . وأين في اتباعهم مثل نافع وسالم والقاسم وعروة وخارجة بن زيد وسليمان ابن يسار وأبي بكر ابن عبد الرحمن . فما الذى جعل الائمة باتباعهم اسعد من هؤلاء باتباعهم ولكن أولئك واتباعهم على قدر عصرهم . فعظمهم وجلالتهم وكبرهم منع المتأخرين من الاقتداء بهم . وقالوا بلسان قالهم وحالهم هؤلاء كبار علينا لسنا من زبونهم كما صرحوا وشهدوا على أنفسهم . فان أقدارهم نتقاصر عن تلقي العلم من القرآن والسنة . وقالوا لسنا أهلا لذلك لا لقصور الكتاب والسنة ولكن لعجزنا نحن وقصورنا فاكتفينا بمن هو أعلم بهما منا .

﴿ فيقال ﴾ لهم فلم تنكرون على من اقتدى بهما وحكمهما وتحاكم اليهما وعرض أقوال العلماء عليهما فما وافقهما قبله وما خالفهما رده فهب انكم لم تصلوا الى هذا المنقود فلم تنكرون على من وصل اليه وزاق حلاوته وكيف تحجرتم الواسع من فضل الله الذى ليس على قياس عقول العالمين ولا اقتراحاتهم وهم وان كانوا فى عصركم ونساؤا امكم وبينكم وبينهم نسب قريب فالله يمن على من يشاء من عباده . وقد أنكر الله سبحانه على من رد النبوة بان الله صرفها عن عظماء القرى ومن رؤسائها واعطاها لمن ليس كذلك بقوله أهم نقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون *

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل امتى كالمطر لايدرى أوله خير أم آخره . وقد اخبر الله سبحانه عن السابقين بانهم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين . وأخبر سبحانه انه بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين *

قال وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ثم أخبر ان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . انتهى ما ذكره الحافظ بن القيم فى كتابه أعلام الموقعين وقد تبين منه ان ماذكره النبهانى تبعا لاسلافه الزائغين دليل على جهله وافلاسه من فنون العلم فروعها وأصولها اذ لا تقبل مقالته الا من هو أجهل منه او ممن هو على شاكلته *

هو الوجه الرابع من الوجوه الدالة على فساد قول الذي السيوطي * اذ كل ما ليس عليه آثاره من علم ليس بمتروك وان الاجتهاد هو ليس بنبوة حتى يقال انه ختم بفلان وفلان أما النبوة فقد دل نص الكتاب والسنة على ختمها قال تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة مرفوعا الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بناء فاحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون به ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا اللبنة وأنا خاتم النبيين بل ان الدليل العقلى قام على ذلك أيضاً وهو كمال الشريعة وشمولها للاحكام على اختلاف الاعصر والازمان وصيانتها من تطرق التغيير والتبديل بسبب اعجازها مع كونها أوسط الشرائع اذ لا غلو فيها ولا تقصير *

وهذا كله قد دل على ان النبوة ختمت بالخاتم صلى الله عليه وسلم أما الاجتهاد فلم نر على ختامه دليلا لا من كتاب الله ولا من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم بل ولا من أقوال الصحابة بل رأينا مايدل على ان علم الشريعة وعلماءها باقون الى قيام الساعة * روى كميل بن زياد النخعي قال أخذ على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه بيدى فاخرجنى ناحية الجبانة فلما أصحر جعل يتنفس ثم قال يا كميل بن زياد القلوب أوعية فخيرها أوعاها احفظ عنى ما أقول لك * الناس ثلاثة فعالم ربانى ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ولم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق * العلم خير من المال . العلم يحرسك وأنت تحرس المال . العلم يزكوا على الانفاق وفى رواية على العمل والمال تنقصه النفقة . العلم حاكم والمال محكوم عليه ومحبة العلم دين يدان بها . العلم يكسب العالم الطاعة فى حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته * وصنيعة المال تزول بزواله * مات خزان الاموال وهم احياء ان ههنا علما والعلماء باقون مابقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة . هاه هاه ان ههنا علما وأشار بيده الى صدره لو أصبت له حملة بلى أصبته لقنا غير مأمون عليه يستعمل آلة الدين للدنيا يستظهر بحجج الله على كتابه وبنعمه على عباده أو منقادا لاهل الحق لا بصيرة له فى احيائه ينقدح الشك فى قلبه باول عارض من شبهة لاذا ولا ذاك أو منهوما للذات سلس القياد للشهوات أو مغرى بجمع الاموال والادخار ليسا من دعاة الدين أقرب شبها بهم الانعام السائمة لذلك يموت العلم بموت حامليه

اللهم بلى لن تخلو الارض من قائم لله بحجته كيلا تبطل حجج الله وبيناته وأولئك الاقلون عددا الاعظمون عند الله قدرا بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوها الى نظرائهم ويزرعوها فى قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالملا الاعلى أولئك خلفاء الله فى أرضه ودعاته الى دينه هاه هاه شوقا الى رؤيتهم واستغفر الله لى ولك اذا شئت فقم *

ذكره أبو نعيم في الحلية وغيره قال أبو بكر الخطيب هذا حديث حسن من أحسن الاحاديث معنى وأشرفها لفظا *

وقد شرح هذا الحديث شرحا مفصلا الامام بن قيم الجوزيه فى كتابه مفتاح دار السعاده ومما قال في شرحه عند الكلام على قوله اللهم بلى لن تخلو الارض من قائم لله بحجج الله ويدل عليه الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتى على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك ويدل عليه أيضا ما رواه الترمذى عن قتيبة حدثنا حماد بن يحيي الابح عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره قال هذا حديث حسن غريب ويروى عن عبد الرحمن بن مهدى انه كان يثبت حماد بن يحيي الابح وكان يقول هو من شيوخنا . وفى الباب عن عمار وعبد الله بن عمرو . فلو لم يكن في أواخر الامة قائم بحجج الله مجتهد لم يكونوا موصوفين بهذه الخيرية .

وأيضاً فان هذه الامة أكمل الامم وخير أمة أخرجت للناس ونبيها خاتم النبيين لا نبي بعده فجعل الله العلماء فيها كلما هلك عالم خلفه عالم لئلا تطمس معالم الدين وتخفى أعلامه . وكان بنو اسرائيل كلما هلك نبي خلفه نبي فكانت تسوسهم الانبياء والعلماء لهذه الامة كالانبياء فى بنى اسرائيل . وأيضاً ففى الحديث الآخر يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين . وانتحال المبطلين . وتأويل الجاهلين . وهذا يدل على انه لا يزال محمولا فى القرون قرنا بعد قرن . وفى صحيح أبي حاتم من حديث الخولاني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الله يغرس فى هذا الدين غرسا يستعملهم فى طاعته . وغرس الله هم أهل العلم والعمل فلو خلت الارض من عالم خلت من غرس الله انتهى المقصود من نقله *

فعلم من هـذا الوجه بطلان ما ذكره النبي النبهاني في مقدمة كتابه من الهذيان وانه بعيد عن العلم والمعرفة لا فكر له ولا ذوق والامر لله *

﴿الوجه الخامس﴾ قوله أما الاجتهاد فلا يدعيه اليوم الا مختل العقل والدين الا من طريق الولاية كما قاله الشيخ الاكبر الخ لا معنى له ولا محصل. وقد أسلفنا لك انه لا يمكن ان يخلو الزمان من مجتهد كما ذكره الاصوليون من مذهب الحنابلة وأهل الحديث . ولم كان الجامع لشروط الاجتهاد المتأهل لاخذ دينه من الكتاب والسنة مختل العقل والدين . فهل هذا الا كلام جاهل قد تخبطه الشيطان من المس . ثم ما معنى قوله الا من طريق الولاية الخ . فهل رأى أحد من علماء الفروع والاصول هـذه العبارة في باب الاجتهاد . ولكن لا بدع ان يصدر مثل هـذا الهذيان عن مثل هذا المبتدع الجاهل . والجاهل يعمل بنفسه مالا يعمل العدو بعدوه . والشيخ محي الدين ممن كان يدعي الاجتهاد المطلق كما دلت عليه نصوص كتبه وقال في شعر له *

﴿نسبوني الى ابن حزم واني * لست ممن يقول قال ابن حزم﴾
﴿بل ولا غيره فان كلامي * قال نص الكتاب ذلك حكمي﴾
﴿أو يقول الرسول أو أجمع الـ * ـخلق على ما أقول ذلك علمي﴾

أشار رحمه الله في هـذه الابيات الى انه يأخذ الاحكام الدينية من الكتاب والسنة والاجماع . وهذه عنده هي الدلائل دون القياس والكلام مستوفي في محله *

﴿الوجه السادس﴾ قال نقل عن ابن حجر المكي انه قال لما ادعى الجلال السيوطي الاجتهاد قام عليه معاصروه ورموه عن قوس واحده وكتبوا له سؤالا فيه مسائل أطلق الاصحاب فيها وجهين وطلبوا منه ان كان عنده أدنى مراتب الاجتهاد وهو اجتهاد الفتوى فليتكلم على الراجح من تلك الاوجه وعلى الدليل على قواعد المجتهدين فرد السؤال من غير كتابة واعتذر ان له أشغالا تمنعه من النظر في ذلك الخ *

﴿أقول﴾ ان صدق ابن حجر في نقله فانه لا يوثق به فقد افترى على شيخ الاسلام أعظم من ذلك وتبين كذبه عليه كما سيجيء . كان الجواب عن الامام السيوطي عليه الرحمة انه لا يلزم المجتهد ان يكون عالما بجميع مواد الاوجه المضبوط من العلوم *

وقد سئل الامام [illegible] عن [illegible] مسألة فقال في جواب ست وثلاثين مسألة منها لا أدري ،

وهكذا نقل عن الامام أبي حنيفة وغيره ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء *
﴿ الوجه السابع ﴾ قول ابن حجر بل قال ابن الصلاح ومن تبعه انها انقطعت من نحو ثلاثمائة سنة ولابن الصلاح نحو ثلاثمائة سنة أي لانه من أهل القرن السادس فتكون اليوم قد انقطعت من ستمائة سنة أي بالنظر الى عصر ابن حجر الخ *
أقول هذا كلام ساقط عن درجة الاعتبار لما قدمناه في الوجه الثالث من كلام الحافظ ابن القيم ولما أوردناه من النصوص والدلائل على بطلان هذا القول وابن حجر مضطرب الكلام لا يثبت على قول فانه ذكر هنا ان الاجتهاد قد انقطع من ستمائة سنة بالنظر الى عصره . مع انه ذكر في كتابه الجوهر المنظم عند شتمه لشيخ الاسلام ابن تيمية ما نصه *
(ولقد تصدى) شيخ الاسلام وعالم الانام المجمع على جلالته واجتهاده وصلاحه وأمامته التقي السبكي قدس الله روحه ونور ضريحه للرد في تصنيف مستقل أفاد فيه وأجاد وأصاب وأوضح بباهر حججه طريق الصواب فشكر الله مسعاه وأدام عليه شآبيب رحمته ورضاه اهـ فانظر الى ابن حجر كيف ادعى الاجماع على اجتهاد السبكي لكونه على منهجه ومسلكه في الابتداع واتباع الهوى * ثم انه لم تسمح نفسه في الاقرار باجتهاد من لم يبلغ هو ولا أشياخه الى كعب علاه أعني أبا العباس تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى فقد قال في الجوهر المنظم بعد عبارته السابقة هذا ما وقع من ابن تيمية مما ذكر وان كان عثرة لاتقال أبداً . ومصيبة يستمر عليه شومها دواما وسرمدا . ليس بعجب فانه سولت له نفسه وهواه وشيطانه ان ضرب مع المجتهدين بسهم صائب وما درى المحروم انه أتى باقبح المعائب الى آخر ما قال مما يتبين منه لدى كل منصف اتباع ابن حجر لهواه واختياره سبيل الضلال عامله الله بعدله (والمقصود) ان كلام مثل هؤلاء الغلاة لايجوز ان يحتج به فهم يتكلمون على حسب اهوائهم لا انهم يتبعون الدليل . ويسلكون سواء السبيل . فسقط كلام الغافل النبهاني ولا يجوز الالتفات اليه بوجه من الوجوه *
﴿ الوجه الثامن ﴾ من الوجوه الداله على سقوط مقاله الغبي النبهاني ان كل واحد من الائمة صرح بانه اذا صح الحديث يجب اتباعه والاخذ به ولذلك صرح كثير من الائمة بوجوب الاخذ بالحديث والاضراب عن كل مايخالفه من أقوال المجتهدين وفي كتاب اعلام الموقعين

ونهى الأئمة الأربعة عن تقليدهم وذم من أخذ أقوالهم بغير حجة فقال الشافعي مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدرى ذكره البيهقي . وقال اسمعيل بن يحيى المزني في أول مختصره . اختصرت هذا من علم الشافعي ومن معنى قوله لاقربه على من أراده مع اعلاميه نهيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحتاط لنفسه * وقال أبو داود قلت لاحمد الاوزاعي هو اتبع من مالك قال لا تقلد دينك أحدا من هؤلاء ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخذ به ثم التابعين بعد الرجل فيه مخير * وقد فرق أحمد بين التقليد والاتباع فقال أبو داود سمعته يقول الاتباع ان يتبع الرجل ما جاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعن أصحابه ثم هو من بعد في التابعين مخير . وقال أيضا لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الثوري ولا الاوزاعي وخذ من حيث أخذوا . وقال من قلة فقه الرجل ان يقلد دينه الرجال . وقال بشر بن الوليد قال أبو يوسف لا يحل لاحد ان يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا . وقد صرح مالك بان من ترك قول عمر ابن الخطاب لقول ابراهيم النخعي انه يستتاب فكيف بمن ترك قول الله ورسوله لقول من هو دون ابراهيم أو مثله * وقال جعفر الفرماني حدثني أحمد بن ابراهيم الدورقي حدثني الهيثم بن جميل قال قلت لمالك ابن أنس يا أبا عبد الله ان عندنا قوما وضعوا كتبا يقول أحدهم حدثنا فلان عن فلان عن عمر بن الخطاب بكذا وكذا وفلان عن ابراهيم بكذا ويأخذ بقول ابراهيم . قال مالك وصح عندهم قول عمر قلت انما هي رواية كما صح عندهم قول ابراهيم فقال مالك هؤلاء يستتابون انتهى *

﴿ الوجه التاسع ﴾ ان قول النبهاني البليد يقتضي ان يقدم كلام من يقلد اليوم على ما صح من الاحاديث النبوية المخالفة لقول المجتهد وذلك هو عين الخطأ * وقد سمعت من بعض قضاة الاتراك انه قال اذا رأيت نصا في منية المصلي ورأيت حديثا في صحيح الامام البخارى يخالف ذلك النص آخذ بما في المنية واترك الحديث الصحيح ولا أعمل به فانظر الى هذه الغباوة والجهل العظيم *

﴿ وقد سئل ﴾ أبو العباس تقى الدين شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه الزكيه عن رجل تفقه على مذهب من المذاهب وتبصر فيه واشتغل بعده بالحديث فوجد أحاديث صحيحة

[illegible] ولا فقيها ولا عالما [illegible] السلف فيه ما يخالف ذلك لا [illegible]

[illegible] المذهب او يجب عليه الرجوع الى العمل بالحديث ومخالفة مذهبه .

فأجاب الحمد لله رب العالمين . قد ثبت في الكتاب والسنة والاجماع ان الله تعالى افترض على العباد طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يوجب على هذه الامة طاعة أحد بعينه في كل ما امر به ونهى عنه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان صديق الامة وأفضلها بعد نبيها عليه الصلوة والسلام ورضى الله عنه يقول اطيعوني ما أطعت الله تعالى فاذا عصيت الله عز وجل فلا طاعة لى عليكم واتفق كلهم على أنه ليس أحد معصوما في كل ما امر الله تعالى به ونهى عنه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولهذا قال غير واحد من الائمة كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الائمة الاربعة رحمهم الله تعالى أجمعين قد نهوا الناس عن تقليدهم في كل ما يقولونه وذلك هو الواجب . قال الامام ابو حنيفة هـذا رأيي وهذا أحسن ما رأيت فمن جاء برأى خير منه قبلناه . ولهذا لما اجتمع أفضل اصحابه ابو يوسف بامام دار الهجرة مالك بن أنس وسأله عن مسئلة الصاع وصدقة الخضراوات ومسئلة الاجناس فاخبر مالك رحمه الله تعالى بما دلت عليه السنة في ذلك فقال رجعت لقولك يا أبا عبدالله ولو رأى صاحبي ما رأيت لرجع كما رجعت . (ومالك) رحمه الله تعالى كان يقول انما أنا بشر أصيب وأخطيء فاعرضوا قولى على الكتاب والسنة او كلام هذا معناه . والشافعي رحمه الله تعالى كان يقول من ضيق علم الرجل ان يقلد دينه الرجال . وقد قال لا تقلد دينك الرجال فانهم لم يسلموا من أن يغلطوا . وقد ثبت فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من يرد به الله خيرا يفقهه في الدين ولازم ذلك ان من لم يفقهه الله عز وجل فى الدين لم يرد به خيرا فيكون التفقه فى الدين فرضا . والتفقه فى الدين معرفة الاحكام الشرعية بادلتها السمعية . فمن لم يعرف ذلك لم يكن متفقها في الدين لـكن من الناس من قد يعجز عنها فيلزمه ما يقدر عليه . ومن كان قادرا على الاستدلال. فقيل يحرم عليه التقليد مطلقا. وقيل يجوز مطلقا . وقيل يجوز عند الحاجة كما اذا ضاق الوقت عن الاستدلال . وهذا القول أعدل الاقوال ان شاء الله تعالى والاجتهاد ليس هو أمر لا يقبل التجزى والانقسام بل يكون الرجل مجتهدا فى فن اوباب او مسئلة دون فن وباب ومسئلة وكل فاجتهاده بحسب وسعه فمن نظر فى مسئلة قد تنازع العلماء فيها

ورأى مع أحد القولين نصوصا لم يعلم لها معارضا بعد نظر مثله فهو بين أمرين اما أن يتبع قول القائل الآخر لمجرد كونه الامام الذي اشتغل على مذهبه . ومثل هذا ليس بحجة شرعية بل مجرد عادة تعارضها عادة غيره واشتغاله على مذهب امام آخر . واما ان يتبع القول الذي ترجح في نظره بالنصوص الدالة عليه فحينئذ موافقته لامام يقاوم به ذلك الامام وتبقى النصوص النبوية سالمة في حقه عن المعارض بالعمل . فهذا هو الذي يصلح . وانما تنزلنا هذا التنزل لانه قد يقال ان نظر هذا قاصر وليس اجتهاده تاما في هذه المسئلة لضعف آلة الاجتهاد في حقه . اما اذا قدر على الاجتهاد التام الذي يعتقد معه ان القول الآخر ليس معه ما يدفع النص فهذا يجب عليه اتباع النصوص وان لم يفعل كان متبعا للظن وما تهوى الانفس وكان من أكبر العصاة لله تعالى ورسوله بخلاف من يقول للقول الآخر حجة راجحة على هذا النص ويقول انا لا أعلمها . فهذا يقال له قد قال الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم والذي تستطيعه من العلم والفقه في هذه المسئلة قد دل علي ان هذا القول هو الراجح فعليك ان تتبع ذلك . ثم ان تبين لك فيما بعد ان للنص معارضا راجحا كان حكمك في ذلك المجتهد المستقل اذا تغير اجتهاده وانتقال الانسان من قول الى قول لاجل ما تبين من الحق فهو محمود عليه بخلاف اقراره بقول لا حجة معه عليه وترك قول الذي وضحت حجته او الانتقال من قول الى قول بمجرد عادة واتباع هوى فهذا مذموم . واذا كان المقلد قد سمع حديثا وتركه لا سيما اذا كان قد رواه أيضا عدل فمثل هذا اذا وجد لا يكون عذرا في ترك النص . وقد بينا فيما كتبناه في الدفع عن الائمة الاعلام نحو عشرين عذراً في ترك العمل ببعض الاحاديث وبينا أنهم معذورون في الترك لتلك الاعذار وانما نحن معذورون في تركها لهذا الترك . فمن ترك الحديث لاعتقاده أنه لم يصح اورواية مجهول او نحو ذلك ويكون غيره قد علم صحته وثقة روايته فقد زال عذر ذلك في حق هذا ومن ترك الحديث لاعتقاده ان ظاهر القرآن يخالفه او القياس او عمل لبعض الانصار . وقد تبين لآخر ان ظاهر القرآن لا يخالفه وان نص الحديث الصحيح مقدم على الظواهر ومقدم على القياس والعمل لم يكن عذر ذلك الرجل عذرا بحقه فان ظهور المدارك الشرعية للاذهان وحقها منها امر لا يضبط طرفاه لا سيما اذا كان التارك للحديث معتقدا أنه قد ترك العمل به المهاجرون والانصار أهل المدينة النبوية وغيرها الذين يقال لهم لا يتركون الحديث الا لاعتقادهم انه منسوخ

او معارضين براجح ، وتصانيف من بعدهم من المهاجرين والانصار لما ذكروه بل قد يحتاج له
لبعضهم او من جمعه منهم او نحو ذلك مما يقدح في هذا المعارض لا النص . واذا قيل لهـذا
المستفتي المسترشد انت اعلم ام الامام الفلاني كانت هذه معارضة فاسدة لان الامام الفلاني
قد خالف في هذه المسئلة من هو نظيره من الائمة ولست من هـذا اولى . ولـكن نسبة
هؤلاء الائمة الى هؤلاء نسـبة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابي ومعاذ ونحوهم
من الائمة وغيرهم . (فكما) ان هؤلاء الصحابة بعضهم لبعض اكفاء في موارد النزاع فاذا تنازعوا
في شيء ردوه الى الله ورسوله وان كان بعضهم قد يكون أعلم في مواضع أخر . وكذلك موارد
النزاع بين الائمة . وقد ترك الناس قول عمر وابن مسعود رضي الله عنهما في مسألة تيمم الجنب
وأخذوا بقول ابي موسى الاشعري وغيره لما احتج بالكتاب والسنة وتركوا قول عمر رضي
الله تعالى عنه في دية الاصابع وأخذوا بقول معاوية ابن أبي سفيان لما كان روي من لسان النبي
صلى الله عليه وسلم قال هذه وهذه سواء . وقد كان بعض الناس يناظر ابن عباس في المتعة فقال
له قال ابو بكر قال عمر فقال ابن عباس يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء . أقول قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم وتقولون قال أبو بكر قال عمر لما سئل عنها فأمر بها فعارضوه بقول
عمر . (فبين) ان عمر لم يرد ما يقولونه فالحوا عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق
ان يتبع ام عمر مع علم الناس ان أبا بكر وعمر أعلم من ابن عمر وابن عباس رضى الله تعالى عنهما .
ولو فتح هـذا الباب لوجب ان يعرض عن أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ويبقى كل
امام من اتباعه بمنزلة النبي في أمته . وهـذا تبديل للدين وشبيه بما عاب الله تعالى به النصارى
في قوله (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا
الها واحدا لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يشركون) والله سبحانه اعلم انتهى *

﴿ الوجه العاشر ﴾ انه يفهم من كلام النبهاني البليد انه يجب على المسلمين منذ نحو الف سـنة
في مشارق الارض ومغاربها ان يقـلد أحد المجتهدين الاربعة ومن أخذ دينـه من الـكتاب
والسنة أو قلد غـير هؤلاء من صحابي أو غيره خرج عن جادة الصواب وسلك غـير سبيل
المؤمنين هـذا لازم من لوازم كلامه الباطل وقوله العاطل وهو مردود لم يقل به عالم يعتد
بعلمه وفي كـتاب اعلام الموقعين للحافظ بن القيم عليه الرحمه *

هل يلزم المستفتي ان يجتهد في أعيان المفتين ويسأل الاعلم والادين ام لا يلزمه ذلك فيه مذهبان كما سبق وبينا مأخذهما والصحيح انه يلزمه لانه المستطاع من تقوى الله تعالى المأمور بها كل أحد قال وتقدم له اذا اختلف عليه مفتيان أحدهما أورع والآخر أعلم فأيهما يجب تقليده فيه للائمة مذاهب سبق توجيهها وهل يلزم العامي ان يتمذهب ببعض المذاهب المعروفة ام لا *

فيه مذهبان احدهما لا يلزمه وهو الصواب المقطوع به اذ لا واجب الا ما أوجبه الله ورسوله ولم يوجب الله ورسوله على احد من الناس أن يتمذهب بمذهب رجل من الامة فيقلده دينه دون غيره * وقد انطوت القرون الفاضلة مبرأة اهلها من هذه النسبة بل لا يصح للعامي مذهب ولو تمذهب به فالعامي لا مذهب له لان المذهب انما يكون لمن له نوع نظر واستدلال ويكون بصيرا بالمذاهب على حسبه او لمن قرأ كتابا في فروع ذلك المذهب وعرف فتاوى امامه واقواله . واما من لم يتأهل لذلك البتة بل قال انا شافعي او حنبلي او غير ذلك لم يصر كذلك بمجرد القول كما لو قال انا فقيه او نحوي او كاتب لم يصر كذلك بمجرد قوله * يوضحه ان القائل انه شافعي او مالكي او حنفي يزعم انه متبع لذلك الامام سالك طريقه وهذا انما يصح اذا سلك سبيله في العلم والمعرفة والاستدلال . فاما مع جهله وبعده جدا عن سيرة الامام وعلمه وطريقه فكيف يصح له الانتساب اليه الا بالدعوى المجردة والقول الفارغ من كل معنى والعامي لا يتصور ان يصح له مذهب ولو تصور له ذلك لم يلزمه ولا لغيره ولا يلزم احدا قط ان يتمذهب بمذهب رجل من الامة بحيث يأخذ اقواله كلها ويدع اقوال غيره وهذه بدعة قبيحة حدثت في الامة لم يقل بها احد من أئمة الاسلام وهم من اعلى رتبة واجل قدرا واعلم بالله ورسوله من ان يلزموا الناس بذلك * وابعد منه قول من قال يلزمه ان يتمذهب بمذهب عالم من العلماء وابعد منه قول من قال يلزمه ان يتمذهب باحد المذاهب الاربعة *

فيا لله العجب ماتت مذاهب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومذاهب التابعين وتابعيهم وسائر ائمة الاسلام وبطلت جملة الا مذاهب اربعة انفس فقط من بين سائر الائمة والفقهاء وهل قال ذلك احد من الائمة اودعا اليه او دلت عليه لفظة واحدة من كلامه *

والذي اوجبه الله تعالى ورسوله على الصحابة والتابعين وتابعيهم هو الذي اوجبه على من بعدهم

الى يوم القيامة لا تختلف الواجب ولا يتبدل وان اختلفت كيفيته او قدره باختلاف القدرة والعجز والزمان والمكان والحال. فذلك ايضا تابع لما اوجبه الله تعالى ورسوله. ومن صحح للعامي مذهبا قال هو قد اعتقد ان هذا المذهب الذي انتسب اليه هو الحق فعليه الوفاء بموجب اعتقاده وهذا الذي قاله هؤلاء لو صح لزم منه تحريم استفتاء اهل غير المذهب الذي انتسب اليه وتحريم تمذهبه بمذهب نظير امامه او ارجح منه او غير ذلك من اللوازم التي يدل فسادها على فساد ملزوماتها بل يلزم منه انه اذا رأى نص رسول الله صلى الله عليه وسلم او قول خلفائه الاربعة مع غير امامه ان يترك النص واقوال الصحابة ويقدم عليها قول من انتسب اليه وعلى هذا فله ان يستفتي من شاء من اتباع الائمة وغيرهم ولا يجب عليه ولا على المفتي ان يتقيد باحد من الائمة الاربعة باجماع الامة كما لم يجب على العالم ان يتقيد بحديث اهل بلده او غيرة من البلاد . فاذا صح الحديث وجب عليه العمل به حجازيا كان او عراقيا او شاميا او مصريا او يمنيا . وكذلك لا يجب على الانسان التقيد بقراءة السبعة المشهورين باتفاق المسلمين . بل اذا وفقت القراءة رسم المصحف الامام وصحت في العربية وصح سندها جازت القراءة بها وصحت الصلاة بها اتفاقا بل لو قرأ بقراءة تخرج عن مصحف عثمان وقد قرأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصحابة بعده جازت القراءة بها ولم تبطل الصلاة بها على اقوال . * والثاني * تبطل الصلاة بها وهاتان الروايتان منصوصتان عن الامام احمد . * والثالث * ان قرأ بها في الركن لم يكن مؤديا الفرضه وان قرأ بها في غيره لم يكن مبطله وهذا اختيار ابي البركات ابن تيمية لانه لم يتحقق الاتيان بالركن في الاول ولا الاتيان بالمبطل في الثاني ولكن ليس له ان يتبع رخص المذاهب واخذ غرضه من أيّ مذهب وجده فيه بل عليه اتباع الحق بحسب الامكان انتهى *

* فظهر لك * مما قررناه في الوجوه العشرة ان ما ذكره النبهاني المسكين من القول بانسداد باب الاجتهاد قول باطل مبتدع فانا نعلم بالضرورة انه لم يكن في عصر الصحابة رجل واحد اتخذ رجلا منهم يقلده في جميع اقواله فلم يسقط منها شيئا واسقط اقوال غيره فلم يأخذ منها شيئا . ونعلم بالضرورة ان هذا لم يكن في التابعين ولا تابعي التابعين فليكذبنا المقلدون برجل واحد سلك سبيلهم الوخيمة في القرون الفضيلة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم *

وانما حدثت هذه البدعة في القرن الرابع المذموم على لسانه صلى الله عليه وسلم فالمقلدون

[illegible] في جميع ما قاله يستحلون به الفروج والدماء والاموال ويحرمونها ولا يدرون أذلك صواب ام خطأ على خطر عظيم ولهم بين يدي الله موقف شديد يعلم فيه من قال على الله ما لا يعلم انه لم يكن على شيء *

وقد اطنب الحافظ ابن القيم عليه الرحمة في كتابه اعلام الموقعين الكلام في ذم المقلدين وابطل فيه قول الجهلة بانقطاع الاجتهاد والف جمع من الافاضل في ذلك كتبا مفيدة ولولا تعرض هذا الجاهل لهذه المسألة وان لم يكن لها مناسبة لموضع كتابه ما فتحنا فيها فا ولا حركنا قلما ولكن ابى الله تعالى الا ان يفضح من تنقص العلماء الاخيار وسادات هذه الامة وان يرى الناس عورته ويغريه بكشفها ونعوذ بالله من الخذلان وقد اصابته سهامه الصائبة وتبين انه من اصحاب الدعاوي الكاذبه وكان هو الحرى بما انشده *

ومن جهلت نفسه قدره * رأى غيره منه مالا يرى

﴿ ثم ان النبهاني الغبي ﴾ عقب مسألة الاجتهاد بمسألة أخرى لا مناسبة لها ايضا بموضوع كتابه لكنه اراد ان يظهر عجبه ودعاويه الكاذبة في العلم فقال بعد ان هذى وتكلم بكلمات ساقطة تناسب جهله انى سمعت مرارا من بعضهم لزوم تأليف تفسير للقرآن على مقتضى الاذواق العصريه وسمعت من رجل منهم انه سيفعل ذلك ويؤلف تفسيرا بهذه الصفة التي توافق هذا العصر وهو في نفسه لايقدر على فهم متن الاجروميه وقال لى بعض من يجتمع عليهم ويسمع كلامهم . وقد ثبت في ذهنه بعض نزغاتهم هذه وظنها حقا قد نفعت بتأليفك المسلمين نفعا عظيما ولكن بقي عليك شيء واحد فقلت له ماهو قال ان تؤلف تفسيرا للقرآن على مقتضى الاذواق االعصرية فان هذه التفاسير الموجودة قد الفوها على مقتضى اذواق اهل العصور السالفة . وقد تغير الحال الآن واختلفت اذواق الناس ومشاربهم فيلزم تأليف تفسير يوافقهم

(قال فاجبت انى لست اهلا لذلك) وبيني وبين مرتبة التفسير درجات كثيرة لايمكنني الوصول اليها وتآليفي كلها جمع فوائد واكثرها في شؤون النبي صلى الله عليه وسلم من فضائله ومعجزاته ومدائحه ونحو ذلك مما لارأي لى فيه وانما هو نقل صرف وتفسير القرآن قد فرغ منه العلماء ونقلوه عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ومن بعدهم من أئمة الدين ودونوه في تفاسيرهم هذه الموجودة وهي كافية وافية وهي كما وافقت اهل العصور السابقة توافق اهل

هذا العصر فان الاحكام الشرعية التي اشتمل عليها القرآن هي صالحة لكل انسان *
وقد استوت فيها العصور والازمان وليس للقرآن معان خاصة باهل العصور السابقة ومعان
أخرى خاصة باهل العصور اللاحقة . ولما لاذواق والمشارب فهي ان كانت موافقة للشرع
قطعوبها يوجد في هذه التفاسير وان كانت مخالفة للشرع فكيف يمكن ان يفسر القرآن بمعان
توافق هذه الاذواق الفاسدة والمشارب الكاسدة ونحن لا يجوز لنا ان نفسر القرآن بعقولنا
ونطبقه على الاذواق العصرية كما يقوله السفهاء المخذولون ويتجاسرون على دعوى اقتدارهم
على تفسير كلام الله تعالى بافهامهم السقيمة وعقولهم الناقصة فان تفسير القرآن بالرأي ممنوع شرعا
ثم انه نقل بعض ماقالوه في الفرق بين التفسير والتأويل وتكلم بهذيان يوافق فهم امثاله ثم ذكر
قصيدة له يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم * ثم قال والحاصل ان هذه الفرقة المخدوعة المخذولة
من طلبة زماننا في غاية الغباوة ونقص العقل والدين . وقد عظم ضررهما على انفسهم وعلى من
يخالطهم ويصغى الى كلامهم من المسلمين فانهم مع جمعهم لعقائد شتى من عقائد اهل الزيغ
والبدع والوهابية وغيرهم واستحسانهم ضلالاتهم هم اضر منهم بكثير وذلك ان الوهابية قوم
اهل بدعة ظهروا بها في بلاد نجد وانتشر مذهبهم الى ماحواليهم من البلاد . ثم تقلص ظلهم
وقلوا وذلوا وانحصروا في ارضهم وهم مع كونهم حنابلة انكر عليهم علماء مذهب الامام احمد
ماهم عليه من الغلو في الدين وتضليل المسلمين اما هذه الفرقة الجديدة فهي مؤلفة من سائر
المذاهب بدون علم ولا تقوى ولا قواعد يستندون اليها كسائر الفرق وانما الجامع بينهم فساد
الافكار والاعتراض على الأئمة الاخيار وهم يختلطون بالناس ويكتبون آراءهم الفاسده . ثم اخذ
يبدى ويعيد ويكرر الشتم على اخيار اهل عصره المعرضين عن بدعه . ثم تعرض بالذم لما طبع
من كتب الشيخين وسائر الكتب السلفية ككتاب الصارم المنكي . ثم ختم رسالته بقصيدة من
شعره الركيك يغال برسول الله صلى الله عليه وسلم ويشرك به هذا ماذكره في هذا الباب وهو
يشتمل على مفاسد كثيرة لا يمكن ضبط اقلها بل ان كل كلمة من كلماته دلت على باطل فكلامه
ظلمات بعضها فوق بعض وكله ينادى على جهله وغلوه ويدل على انه ممن انزل الله تعالى فيه .
(وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب
السعير) ولو اخذنا نتكلم على جميع ماحواه كلامه من المفاسد لطال الكلام جدا ولكنا نتكلم

لي بعامته على مسائل الاجمال *

﴿ فاتول ﴾ حاصل ما دل عليه كلامه من المقاصد امور ﴿ الاول ﴾ ان تفسير القرآن قد احيط بحدوده ونضج واحترق ولا يمكن ان يستنبط من التنزيل مالم يستنبط ﴿ الثاني ﴾ من الامور التي دل عليها كلامه ان الذي يتصدى لطلب تفسير مشتمل على الاذواق العصرية وعلومه هو ملحد مبتدع زائغ الى آخر ماذكره فيه من الذم ﴿ الثالث ﴾ ان الوهابية مبتدعة غير ان ضررهم دون من تبلهم ﴿ الرابع ﴾ القدح في ابن تيمية وجرح كتبه وكتب ابن القيم وابن قدامة . هذا ما دل عليه كلامه . ونحن نتكلم على مطلب مطلب على سبيل الايجاز والاختصار . وبالله التوفيق وهو المستعان *

﴿ الكلام على كتب التفسير والاحتياج الى تفسير موافق لافكار اهل العصر ﴾

ان من طالع كتب التفسير المتداولة بين الايدى اليوم وجدها اعظم مانع من الوقوف على مراد الله تعالى بكتابه الكريم فان منها ما هو مشحون بقواعد النحو ووجوهه فتراه يذكر في كل آية من الوجوه مايفوت الحصر *

ومنها ما هو مشحون بالمسائل الكلامية . والقواعد الحكمية . حتى يصرف الآيات الى ما اصله من الاصول ويؤول النصوص القطعية الى ما يوافق معتقده * اذا نظرت تفسير الرازي والبيضاوى وابى السعود تعلم حقيقة هذا الكلام * ومنها ما اشتمل على قصص بنى اسرائيل واكاذيبهم واقوالهم التى تحيلها العقول وتنفر عنها الطباع * ومنها تفاسير لا يدل عليها نقل ولا عقل ولا لغة من اللغات كالتفسير الشهير بأنه من باب الاشارة * ومنها ومنها مما لايحيط به العد والاحصاء *

وقد تكلم على التفسير كلام منصف واقف على الحقيقة العلامة السيد محمد بدر الدين الحلبي فسح الله تعالى في مدته وبارك في حياته فى كتاب التعليم والارشاد فقال سلمه الله تعالى بعد ان تكلم على علم التفسير وان اهل العلم لم يعطوه حقه والذي ينظر فيما طبع من نحو قرن في مصر وهى محط رحال العلوم الدينية وكعبة العلوم التى يفد اليها الحجاج من جميع الآفاق والقدوة لكافة اهل الامصار يرى العجب العجاب *

يرى ان الذى طبع منها الى الآن تفسير الخاذن تفسير الجلالين بحاشية الصاوي وبحاشية

تفسير البيضاوي بحاشية الشهاب * الكشاف بقطعة من حاشية السيد * تفسير فخر الدين الرازي
تفسير أبي السعود * تفسير النسفي * تاج التفاسير * ابن جرير الطبري * الدر المنثور للسيوطي *
تفسير ابن عباس * وبعض تفاسير ضئيلة هذه هي كتب التفاسير التي تتداولها ايدى الناس
اليوم وهي التي يعتمد عليها طلاب العلوم الشرعية في تفسير كتاب الله جل شأنه والوقوف
على مراده منه *

فاما تفسير الخازن وهو اكثر كتب التفاسير تداولا وأعظمها انتشارا بين عامة المسلمين وطلبة العلوم الشرعية فهو الكتاب الذي يقف القلم حائرا عند وصفه لا يدري ما يقول فيه وما الذي يحذر به المسلمين منه وخير مايقال فيه انه مجموعة الاكاذيب ولا أرى الا ان الانسان لو جرد مافيه من الاكاذيب الموضوعة على لسان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والاقاصيص الكاذبة التي وضعها اليهود كقصة بابل والغرانيق وارم ذات العماد وغيرها لكانت فوق نصف الكتاب وبعد ذلك فاشياء ان لم تضر لم تنفع *

وهو على اشتماله على هذين الوصفين اللذين هما من اقبح أوصاف المؤلفات فهو العمدة لعامة المسلمين وأكثر طلبة العلوم الشرعية وأكثر انتشارا بينهم ولقد أرى ان نسخه التي نشرت في مصر لا تقل عن مائة الف نسخة فسد بواسطتها عشرة اضعاف هذا العدد من المسلمين ودخل عليهم في دينهم ما ليس منه من حديث موضوع وتفسير مفترى *

ومن العجيب ان لا يوجد في علماء الاسلام من ينهى الناس عن نشر مثل هذه الكتب المفسدة للعلوم والشرائع المضرة بالاخلاق والعقائد وقد لا يخلو بلد من بلاد الاسلام عن قوم من أهل العلم ولو قليلين يعرفون ما في هذه الكتب من المفاسد ولا يحظرون على الناس استعمال هذه الكتب لاتقاء شرها بل ربما سئلوا عنها فاثنوا عليها خيرا مسايرة لاميال العامة ومصانعة لهم فيما هو من أهم مهمات الدين قال وهذا البحث موعدنا به ان شاء الله القسم الثاني من هذا الكتاب وهو قسم الارشاد وانما غرضنا في هذا القسم النظر في طرق التعليم وكتب العلم المستعملة وبيان جيدها من رديئها *

واما تفسير الجلالين بحاشيتيه الجمل والصاوى فهما يساويان تفسير الخازن انتشارا وكثرة تداول الا ان انتشار الخازن بيد العوام اكثر وانتشار هذين بيد الخاصة نعني طلاب العلوم الشرعية

لكنه واما الشروح فهو تابعة في الاختصار لا يمكن الاستقلال به في فهم كتاب الله تعالى مع
قال فيه اخر عليها من جمع بينه وبين بعض تفاسير المتقدمين الموثوق بها وحواشيها واما
حواشيه الكشاف فهي من مؤلفات متأخرى أهل العلم عصر وحسبك هذا في معرفة
منزلتيهما بين المؤلفات *

ثم انه سلمه الله عقد فصلا في انحطاط العلم ثم قال واما الكشاف ومختصره للقاضي البيضاوى فيما المشكلة التي لا يحل اجمالا واغلاقا وغموضا ولشدة غرابتهما في ذلك اكثر المتأخرون من تعليق الحواشي والشروح عليهما لبيان عبارتهما وتوضيح مقاصدهما حتى لو جمعت الحواشي والشروح التي عليهما لاربت على الف مجلدة وما ذكره صاحب كشف الظنون مما كتب عليهما قليل من كثير ولولا انهما بحيث يخفيان الا على من ألف حل الرموز والطلاسم واستخراج المخبآت لم يستن من جاء بعدهما بالتوسع في الكتابة عليهما والمبالغة في توضيح غوامضهما وفوق هذا كله اشتمالهما على مسائل كثيرة خارجة عن التفسير بالمرة لا ترتبط فيه بوجه من الوجوه كالمسائل الكلامية التي حشيا بهما كتابيهما وهي ليست من فن التفسير ولا من متعلقاته وانما كان الغرض من ذكرها بيان معتقديهما والاستشهاد له بكتاب الله *

ويلحق تفسير أبي السعود بهذين التفسيرين فانه صورة أخرى لهما مع بعض تغييرات قليلة جدا ويلحق تاج التفاسير بتفسير الجلالين ونسبته اليه كنسبة تفسير أبي السعود الى تفسيرى الكشاف والبيضاوي وان اختلف عنه فيسيرا

واما تفسير فخر الدين الرازى وهو كتاب العامة والخاصة وعمدة الناس في هذا الموضوع فابو حيان المفسر يقول في تفسيره تفسير الامام فخر الدين فيه كل شيء الى التفسير وما أحسن ما ترجم به أبو حيان هذا التفسير الكبير بل البحر العميق ولقد يفتح الانسان جزءا من أجزاء هذا التفسير للمراجعة والكشف فيه عن تفسير آية من آى كتاب الله فلا يشعر الا وقد توسط بحرا لجيا لا يخلص الانسان منه الى ساحل ويظهر مما كتبه الامام فخر الدين في مقدمة كتابه انه قد أودع كتابه كثيرا مما لا تعلق له بعلم تفسير كتاب الله ولا ارتباط له فيه بوجه من الوجوه وانما كان غرضه مما جمعه في تفسيره من هذه المسائل الغريبة مع ان

الكتاب في تفسير كتاب الله تعالى وفي ما يظهر من كلامه في أول كتابه أن يبرهن على حقيقة ما قاله لبعض مناظريه من أن كتاب الله جل ثناؤه وعلا سلطانه لا يمكن استقصاء ما فيه من الاسرار ولا الاحاطة بما فيه من المعاني والحكم ولو كتب في ذلك مآت من المجلدات وان فاتحة الكتاب يمكن ان يكتب فيها مجلد ضخم في أحكامها واسرارها ومعانيها ولذلك وضع في تفسير الفاتحة مجلدا لرد ما أنكره المنكرون عليه وان كان لم يصنع شيئاً بالرد عليهم بحشو كتابه بهذه المسائل التي ذكرها ولا ارتباط لها بتفسير كتاب الله بوجه من الوجوه وكل كلام مؤلف كلام الله أو غيره يمكن للعالم ان يتوسع في الكتابة عليه الى مثل ما توسع به الامام فخر الدين في تفسير كتاب الله *

والمؤلف اذا أغمض عينه وتسامح في تأليفه وراعى المناسب والمجاور ومجاوره استطال في يده حبل الكلام فلم يقف به عند حد *

ولقد رأينا لمتأخر من متأخري المصريين يدعى السحيمي حاشية على شرح عبد السلام على جوهرة التوحيد تقع في أربع مجلدات ضخام على ان الامير وهو أطول باعا منه في علم الكلام وادق نظرا استوعب الكلام على شرح عبد السلام في مجلد صغير وكان في قدرة السحيمي ان يضيف الى مجلداته الاربع أربعة أخر ولكن رأى ان الاقتصار على هذا المقدار كاف في البلاغ الى ما قصده من البرهان على سعة اطلاعه *

ثم تكلم على تفسير روح المعاني وان مصنفه أخذه من تفسير الامام فخر الدين الا انه حذف منه كثيرا من الزوائد وأضاف اليه وأحسن غاية الاحسان وضم شيئاً من أقوال سلف المفسرين ومتقدميهم وان لم يميز بين ما قوى سنده من هذه الاقاويل وما وهي فيبقى في الامر بعض لبس واشكال واضاف اليه ايضا جملة كبيرة من تفاسير المتصوفة فلم يكتف رحمه الله بجمع تأويلات المتكلمين التي تأولوا بها القرآن للاستدلال على عقائدهم وتطبيقها على ما أدتهم اليه عقولهم منها عملا بقاعدتهم المشهورة عندهم من وجوب تأويل النقل اذا عارض العقل حتى يرجع الى العقل . فاضاف الى ذلك تأويلات المتصوفة التي صرفوا بها القرآن عن ظاهره الى معان لا تدل الالفاظ العربية عليها بوجه من وجوه الدلالات المعروفة عند الناس فجاء كتابه جامعا للطرق الثلاثة ، طريقة السلف ، وطريقة المتكلمين . وطريقة المتصوفة . الا ان

طريقة السلف لم يفرق فيها البتة بين غث وسمين صحيحها من سقيمها ولذلك كان ككتب الحديث التي لا يبين فيها سند الحديث ورجال رجاله لاتقع الثقة به سيما اذا تعارض مع غيره ولم يقع الترجيح بينهما بوجه من وجوه الترجيح *

(واما تفسير) الدر المنثور الجلال السيوطي فقد زعم انه اختصر به على حسب عادته تفسير ابن جرير الذي جمع فيه صحاح الاحاديث المتعلقة بتفسير كتاب الله تعالى وبيان اسباب النزول واضاف السيوطي في مختصره احاديث واهية الاسناد في هذا الموضوع نفسه ومزجها بتلك الاحاديث احاديث الاصل فاختلطت بها حتى لايمكن التمييز بينها وقلت الثقة في الجميع *

وربما استبعد احد ان يضع السيوطي في تفسيره الدر المنثور احاديث واهية الاسناد اوموضوعة مع ماله من المؤلفات في موضوعات الاحاديث فنقول ان من علم طريقة السيوطي في التأليف لم يستنكر هذا الذي قلناه . وطريقته رحمه الله على ما علمنا من استقراء كتبه انه كلما وقع اليه كتاب من الكتب في اى فن من الفنون واستحسنه اختصره ونسبه الى نفسه بدون تمييز بين غث وثمين ولا وقوف على حقائق العلوم ولذلك تراه مضطربا فى كتبه لانه لايحكم فكر نفسه وانما يحكم في كل كتاب فكر مؤلفه هو فيضيفه الى نفسه ببعض تصرف يحدثه في الكتاب * وان كنت قد قرأت في كتابه الذى سماه الجامع الصغير فى احاديث البشير النذير وكتابه الذى سماه اللئالي المصنوعه . في الاحاديث الموضوعه . ورأيت فى الجامع الصغير كثيرا من الاحاديث التى نص فى كتابه اللئالى على انها موضوعة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تصح عنه بطريق من الطرق جزمت بصحة هذا الذى قلنا وعلمت انه لايؤلف وانما يلخص كتب الناس وينسبها لنفسه *

ثم اطال الكلام فى السيوطى وابن كمال باشا وانهما على منهج واحد فى انتحال الكتب بعد الاختصار الى ان قال سلمه الله *

واما تفسير محيي الدين فهو مسخ للقرآن ونقض للدين من اساسه ويرى بعض الباحثين انه ليس من مؤلفات محيي الدين وانما هو من مؤلفات القاشانى احد الملاحدة الباطنية نسبه لمحيي الدين ليروجه بين عوام المسلمين ومن يستميتون الى مايقول محيي الدين مهما كان حاله والظن بمحيي الدين انه لا يضع مثل هذا الكتاب ولا يذهب هذه المذاهب الفاسدة في تفسير كتاب الله تعالى *

[illegible] كان من مؤلفات [illegible] القرآن [illegible] بين المسلمين تحت [illegible] ولا
موقف يوقف الناس على الصحيح والفاسد من هذه الكتب *
﴿ واما تفسير ﴾ ابن عباس فهو من مؤلفات مجد الدين الفيروز آبادي صاحب القاموس جمع فيه رواية محمد بن السائب الكلبي عن ابن عباس قال وقد علمت مما ذكرناه في المقدمة حال ابن السائب الكلبي وضعفه وقلة ثقة العلماء بروايته *
﴿ قال هذه ﴾ كتب التفسير التي نقرأها اليوم وان كان قد فاتنا ذكر شيء منها فانه لا يخرج عن مضارعة واحد من هذه الكتب التي ذكرناها فلم يبق بيدنا ما يصح الاعتماد عليه والثقة به غير تفسير ابن جرير . وهو الحسنة الوحيدة للمطابع الاسلامية بعد قرن واكثر من ظهور المطابع في الممالك الاسلامية ولولا ان بعض امراء العرب من سكان الجزيرة العربية راسل بعض تجار الكتب بمصر في شأنه واعانه على ذلك بمساعدات جليلة لم يظهر له ظل في عالم المطبوعات اكتفاء منه بالخازن والجمل *
وان أردت معرفة تفاسير الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وعلماء القرن الثالث فارجع الى ما كتبناه في المقدمة على هذا العلم فقد بسطنا هناك مؤلفات القرون الثلاثة . والباحث عليها ان لم يجدها كلها وجد منها ما يكفي لحاجة الناس *
ثم انه اعتذر عما كتبه بانه لم يرد انتقاص احد بذلك بل ان غرضه بيان ان هذه التفاسير المتداولة قاطعة عن العلوم الاسلامية وان ضرورة المحافظة على الدين تقضي باختيار الكتب النافعة قال فكل ماذكره فانما الغرض منه تمحيص الحقيقة والالتماس الانفع لنا في علوم ديننا وهذا عذرنا في كل ما نسطره عن هذه المؤلفات التي ابتلينا بها اليوم وابتليت بنا الخ *
انتهى المقصود مما ذكره هذا الفاضل المنصف وبه يعلم حال المتداول من التفاسير على الاجمال فكيف يقال ان تفسير القرآن قد فرغ منه العلماء مع انهم هم الذين قالوا في شأن علم التفسير علم لا نضج ولا احترق وقالوا المراد بنضج العلم تقرير قواعده وتفريع فروعها وتوضيح مسائله والمراد باحتراقه بلوغه النهاية في ذلك ﴿ وقد ﴾ ذكر الامام السيوطي في الاتقان ان القرآن في اللوح المحفوظ كل حرف منه بمنزلة جبل قاف وكل آية تحتها من التفاسير مالا يعلمه الا الله تعالى انتهى . فمتى اعطى العلماء حقه حتى يقال انهم قد فرغوا منه . فهل هذا الا قول من قد بلغ

من الجمال بديعه الى الغاية . واى ذنب لمن طلب فى هذا العصر او تمنى ان يفسر القرآن تفسيرا لفهم العامة والخاصة بعبارة سلسة يفهمها كل احد كعبارات ابناء هذا العصر وكتابة الناشئين فيه لا كعبارات الكتاب الماضين من الاعاجم وغيرهم فانهم كانوا يتفاخرون بدقة العبارات وصعوبتها وعدم فهمها ويعيبون الواضح منها . مع ان العلماء المتقدمين والكتبة السابقين على العكس من ذلك فقد رأيت فى بعض كتب اصول الحديث ما نصه ويكره كراهة تنزيه الخط الدقيق لفوات الانتفاع او كماله به لمن ضعف نظره وربما ضعف نظر كاتبه بعد ذلك فلا ينتفع به كما قال الامام احمد بن محمد بن حنبل لابن عمه حنبل بن اسحاق بن حنبل ورآه يكتب خطا رقيقا فانه يخونك احوج ماتكون اليه انتهى *

(فكتب عليه الوالد) رحمه الله فى هامش الكتاب انظر اذا كانت الدقة في الخط هكذا فكيف بها فى عبارات العلوم الشرعية وقد عدوا ذلك وجعلوه من الفضائل العلية . وجعلوا فهمها من اقصى مراتب العلم حتى اهملوا حفظ العلوم والمسائل بل لايعدون ذلك شيئا . وليت شعرى هل كان علم المتقدمين فى الصدور ام فى السطور . وكيف كان علماء الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين *

قال وقد رأيت بعض المؤلفين وانا اقابل معه تأليفه وقد دقق فيه يتوقف فى فهم بعض العبارات ولا يهتدى لها الا بتأمل طويل فهل ينبغى لمسلم ذلك . وليت شعرى اذا اشتغل المتعلم فى فهم العبارة فمتى يشتغل بحفظ المعنى فانصف . ثم قال وما احوجهم الى ذلك الا عبارات الاعاجم الركيكة القاصرة عن مقاصدهم وكم رأينا ممن رسخ في فهم ذلك ولا يستطيع اعراب بيت من الشعر العربى فهل يليق ذلك بالعلماء امناء الدين انتهى *

وشكوى الناس فى كل عصر من الكتب المتداولة بين الايدى قد عرفها كل احد فاى ذنب لمن تمنى ان يؤلف فى هذا العصر عصر ظهور كنوز العلم وانتشار الكتب العجيبة تفسير يفصل فيه محاسن الشريعة الغراء ويطبق فيه احوال العصر ويوافق فيه بين القواعد التى ثبتت بالبرهان وبين الايات الكريمة مما يستوجب ميل العامة لمطالعته ومراجعته فانه الكتاب الذى قال الله تعالى فى شأنه مافرطنا فى الكتاب من شىء وقال عز اسمه (سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى) فهذه الآية شملت جميع ما خلق الله تعالى من العرش الى

القرون ولمن يتكلم على هذه الآية له مجال واسع في البحث عن أسرار القرون ولهذا كانت هذه السورة من أحب السور الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال سبحانه لما قالت الملائكة (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم مالا تعلمون) وهنا ذكر المفسرون ان من جملة حكم خلق الانسان وتخليفه في الارض ابرازما أودع الله في الارض من خواص النبات والحيوان والمعدن على يدي هذا الخليفة لما أودع فيه من الشهوات وحوائج المأكل والملبس وغير ذلك مما استنتجه بافكاره ووصل اليه بصيرته فدخل في هذا الباب من العلوم مالا يحيط به دوائر الامكان ولا يقوم به قلم ولا لسان *

* فالاشتغال بمثل هذا التفسير أليس أولى من صرف العمر بذكر القبور وأهلها وتشويق الجهلة وحثهم على عبادتها والالتجاء اليها مع انهم لم يقصروا في ذلك وهي لديهم من أعظم الواجبات بل ليس لهم سوى هذا الكمال من أمور الدنيا والآخرة فتراهم مفلسين من كل فضيلة *

* ويقال للنبهاني الجاهل القبوري هلا رأيت كتاب الفاضل الشيخ حسين الجسر الطرابلسي وقد كتب فيه ما نصه وقد خطر لى حيث وجدت مجالا للكلام وسيما للنداء ان أحرر رسالة يستبان منها حقيقة الدين الاسلامى وكيفية تحققه لمتبعيه على اسلوب جديد سهل الفهم لا تمله الانفس ولا تستوعره الافكار يروق العقول الحره . ويعجب الاذهان المطلقه عن قيود التعصب ان شاء الله . انتهى المقصود من نقله *

افيقال ان الكتاب الذي الفه فيه مغمز لثالب كلا بل هو كتاب من أجل الكتب المصنفة فى هذا الفن ان لم نقل أحسنها فاى فائدة فى الكلام مع الفلاسفة الاولين . واى نفع يترتب على الكلام فى عقائد المعتزلة وابطال دلائلهم مع تقلص ظل وجودهم من هذا العالم . وفلاسفة العصر لهم فنون أخرى غير فنون اسلافهم وسلاحهم الذى يحملونه على أهل الدين غير سلاح أوائلهم . فينبغى للحازم ان يعد لهم ما ينخذلون له وينقادون اليه . فاي ذنب لمن تمنى تفسيرا على هذا المنهج والمسلك الذى سلكه الفاضل الطرابلسى وهلا شد النبهانى رواحله الى هذا الفاضل وتعرف منه دينه وداوى ادواء جهله بعقاقير معارفه . أو سافر الى الفاضل السيد بدر الدين الحلبي فتعلم منه مايخرجه من ظلمات جهالته وينور قلبه بانوار علومه فان الرجل ممن ابتلى بداء (النوك) والجهل فلا بد له من طبيب حاذق وان قيل ان داء النوك ليس له دواء *

* نرى كثيرا من المفسرين يؤول آيات الله تعالى الحكمة ليوافقها مع قواعد هيئة اليونان. ويطبقها على اصول الحكمة الالهية أو الطبيعية اليونانية مع مكابدة المشاق وتحمل الصعوبات مع ان ما ظهر من الفنون الجديدة التي قام على صحتها البرهان يمكن تطبيقها وتوفيقها مع النصوص من غير كلفة لموافقة صحيح المعقول لصريح المنقول *

فلم لم يعترض النبهاني القبوري على مثل تفسير الامام فخر الدين الرازي وقد شحنه من كلام المتكلمين وفلاسفة اليونانيين . ومتى كانت هذه المباحث لدى المسلمين قبل ان تترجم كتب الفلاسفة فاذا لم يعترض على مثل ذلك فلم يعترض على من سلك ذلك المسلك في الفلسفة الجديدة التي هي أصح واولى بالاعتبار من هذيان اليونانيين . فهل هذا الكلام منه الا تحكم وترجيح بلا مرجح (ثم ان هذا) القبوري لم يعترض على تفاسير القوم التي فسروا بها كلام الله تعالى ولم يقصدها من كلامه رب العالمين بل عد مثل هذه التفاسير من أجل المآثر . وأعظم التحف والمفاخر . ولم يتكلم بها أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا غيرهم فلم ينكر على من تمنى ان يصنف تفسيرا يدل عليه كلام الله دلالة صريحة ويصدقه العيان ويؤيده البرهان * فاي ذنب لمن يطلب تصنيف مثل هذا التفسير . (نعم) المذنب هو الذي يطلب تصنيف ذلك من هذا الجاهل القبوري الغبي أحد الغلاة ويتكلم معه مثل هذا الكلام . وهو على ما سمعنا به ممن رآه من قراء المولد والتهاليل للاموات فان هو من مثل هذه المطالب العالية فلا شك ان الذي تكلم معه بذلك الكلام وطلب منه ان يفسر القرآن . ومدح كتبه هو من العوام ومن أجهل الناس . فاي كتاب من كتبه يمدح مع كونها مشحونة بالاكاذيب والمغالاة في الدين ويأسف الناظر ان نظر فيها لحظة على فوات جزء من حياته في العبث بل ربما يجس تصوره وذهنه بما عقل منها *

﴿الكلام على قول النبهاني ان الذي يتصدى لطلب تفسير مشتمل على العلوم العصرية ملحد﴾

قد سبق منا بيان مقصد هذا المتصدي وذكرنا انه ليس من الملحدين بهذا الامل والمقصد . ولم يكن مقصده الا تكثير سواد المسلمين . وحسن دعوة أعداء الدين . وفهم العوام أجل مقاصد الاسلام . فكيف يكون مثل هذا من الملحدين . والسالك غير سبيل المؤمنين النبهاني لا يحكم بالالحاد ولا لخاف على من فسر القرآن برأيه ويقول (أفتون الناس بالجهل)

الذي هو الفعل الجميل الموجب لصفاء القلب وذكاء النفس ولا تفعلون ما تزكون به من مقام تجلي الافعال الى تجلي الصفات (وأنتم تتلون) كتاب فطرتكم الذي يأمركم بالدين السالك بكم سبيل التوحيد (افلا تعقلون) فتقيدون مطلقات صفاتكم الذميمة بعقال ما أفيض عليكم من لانوار القديمة واطلبوا المدد والعون ممن له القدرة الحقيقية (بالصبر) على ما يفعل بكم لكي تصلوا الى مقام الرضا (والصلاة) التي هي المراقبة وحضور القلب لتاقي تجليات الرب وان المراقبة لشاقة الا على المنكسرة قلوبهم اللينة أفئدتهم لقبول أنوار التجليات اللطيفة واستيلاء سطواتها القهرية فهم الذين يتيقنون انهم بحضرة ربهم وانهم اليه راجعون بفناء صفاتهم ومحوها في صفاته فلا يجدون في الدار الا شؤن الملك اللطيف القهار . انتهى *

وهذا تفسير قوله تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم أفلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون) . فانظر ايها المنصف العارف باللغة ومدلولاتها في دلالة الفاظ هذه الآيات على ما ذكروه من المعاني وهل هو الا تفسير بما تهوى الانفس *

وحيث انجر الكلام بنا الى هذا المقام وجب ان نذكر هنا بعض القواعد الاصولية المتعلقة بفن التفسير ليتميز به الحق من الباطل ويعرف الخطأ من الصواب ومن الله نستمد الاعانة والتوفيق *

قال شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية الحراني قدس الله روحه في كتابه الذي صنفه في أصول التفسير وهو كتاب مفصل حافل لم يؤلف مثله في هذا الفن ما نصه * يجب ان يعلم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بين لاصحابه معاني القرآن كما بين لهم الفاظه فقوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم يتناول هذا وهذا . وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرؤن القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما انهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل جميعا ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة وقال أنس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد في أعيننا رواه أحمد في مسنده . وأقام ابن عمر على حفظ البقرة ثمان سنين أخرجه في الموطأ وذلك ان الله تعالى قال (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته) وقال أفلا يتدبرون القرآن)

وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا تمكن . وأيضا فالعادة تمنع ان يقرأ قوم كتابا فى فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحونه فكيف بكلام الله الذى هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم ولهذا كان النزاع بين الصحابة فى تفسير القرآن قليل جدا . وهو وان كان بين التابعين أكثر منه بين الصحابة فهو قليل بالنسبة الى مابعدهم . ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة وربما تكلموا فى بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال والخلاف بين السلف فى التفسير قليل وغالب مايصح عنهم من الخلاف يرجع الى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وذلك صنفان أحدهما ان يعبر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى فى المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى كتفسيرهم الصراط المستقيم بعض بالقرآن اى اتباعه . وبعض بالاسلام فالقولان متفقان لان دين الاسلام هو اتباع القرآن ولكن كل منهما نبه على وصف غير الوصف الآخر . كما ان لفظ صراط يشعر بوصف ثالث وكذلك قول من قال هو السنة والجماعة وقول من قال هو طريق العبودية وقول من قال هو طاعة الله ورسوله وأمثال ذلك . فهؤلاء كلهم أشاروا الى ذات واحدة لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها *

* الثانى * ان يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود فى عمومه وخصوصه . مثال ما نقل فى قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا) الآية فمعلوم ان الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للحرمات . والمقتصد يتناول فاعل الواجبات . وتارك المحرمات . والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات مع الواجبات . فالمقتصدون أصحاب اليمين (والسابقون السابقون أولئك المقربون) . ثم ان كلا منهم يذكر هذا فى نوع من أنواع الطاعات كقول القائل السابق الذى يصلى فى اول الوقت والمقتصد الذى يصلى فى أثنائه والظالم لنفسه الذى يؤخر العصر الى الاصفرار أويقول السابق المحسن بالصدقة مع الذكاة . والمقتصد الذى يؤدي الذكاة المفروضة فقط . والظالم مانع الذكاة قال وهذان الصنفان اللذان ذكرناهما فى تنوع التفسير تارة لتنوع الاسماء والصفات وتارة لذكر بعض أنواع المسمى وهو الغالب فى تفسير سلف الامة الذى يظن انه مختلف . ومن التنازع الموجود منهم مايكون اللفظ فيه محتملا للامرين اما

لكونه مشتركا في اللغة كلفظ القسورة الذي يراد به الرامي ويراد به الاسد ولفظ عسعس الذي يراد به اقبال الليل وادباره . واما لكونه متواطئا في الاصل لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشخصين كالضمائر في قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى . وكلفظ الفجر والشفع والوتر وليال عشر واشباه ذلك . فمثل ذلك قد يجوز ان يراد به كل المعاني التي قالها السلف . وقد لا يجوز ذلك . فالاول أما لكون الآية نزلت مرتين فاريد بها هذا تارة وهذا تارة . واما لكون اللفظ المشترك يجوز ان يراد به معنياه . واما لكون اللفظ متواطئا فيكون عاما اذا لم يكن لمخصصه موجب فهذا النوع اذا صح فيه القولان كان من الصنف الثاني *

﴿ ومن الاقوال ﴾ الموجودة عنهم ويجعلها بعض الناس اختلافا ان يعبروا عن المعاني بالفاظ متقاربة كما اذا فسر بعضهم تبسل بتحبس وبعضهم بترتهن لان كلا منهما قريب من الآخر *

﴿ ثم قال فصل ﴾ والاختلاف في التفسير على نوعين منه مامستنده النقل فقط ومنه ما يعلم بغير ذلك . والمنقول اما عن المعصوم أوغيره ومنه مايمكن معرفة الصحيح منه من غيره ومنه مالا يمكن ذلك . وهذا القسم الذي لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه عامته مما لا فائدة فيه ولا حاجة بنا الى معرفته . وذلك كاختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف واسمه وفي البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة . وفي قدر سفينة نوح وخشبها وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر ونحو ذلك فهذه الامور طريق العلم بها النقل فما كان منه منقولا نقلا صحيحا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ومالا بان نقل عن أهل الكتاب ككعب ووهب وقف عن تصديقه وتكذيبه لقوله صلى الله عليه وسلم اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم . وكذا ما نقل عن بعض التابعين وان لم يذكر انه أخذه عن أهل الكتاب . فمتى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض . وما نقل في ذلك عن الصحابة نقلا صحيحا فالنفس اليه أسكن مما ينقل عن التابعين لان احتمال ان يكون سمعه من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو من بعض من سمعه منه أقوى . ولان نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقل من نقل التابعين . ومع جزم الصحابي بما يقوله كيف يقال انه أخذه عن أهل الكتاب وقد نهوا عن تصديقهم *

وأما القسم الذي يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود كثير ولله الحمد وان قال الامام أحمد

ثلاثة ليس لها أصل التفسير والملاحم والمغازي . وذلك لان الغالب عليها المراسيل . وأما ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل فهذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان فان التفاسير التي يذكر فيها كلام هؤلاء صرفا لا يكاد يوجد فيها شئ من هاتين الجهتين مثل تفسير عبد الرزاق والفريابي ووكيع وعبد واسحق وأمثالهم أحدهما قوم اعتقدوا معاني . ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها *

(والثاني) قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ ان يريده من كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظر الى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به فالاولون راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر الى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان والآخرون راعوا مجرد اللفظ وما يجوز ان يراد به العربي من غير نظر الى ما يصلح للمتكلم وسياق الكلام * ثم هؤلاء كثيرا ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة كما يغلط في ذلك الذين قبلهم كما ان الاولين كثيراً ما يغلطون في صحة المعنى الذي فسروا به القرآن كما يغلط في ذلك الآخرون وان كان نظر الاولين الى المعنى أسبق ونظر الآخرين الى اللفظ أسبق والاولون صنفان تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه ولم يرد به وفي كلا الامرين قد يكون ما قصدوا نفيه أو اثباته من المعنى باطلا فيكون خطؤهم في الدليل والمدلول وقد يكون حقا فيكون خطؤهم في الدليل لا في المدلول . فالذين اخطؤا فيهما مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذاهب باطلة وعمدوا الى القرآن فتأولوه على رأيهم وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم . وقد صنفوا تفاسير على أصول مذهبهم مثل تفسير عبد الرحمن بن كيسان الاصم والجبائي وعبد الجبار والرماني والزمخشري وأمثالهم ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة يدس البدع في كلامه وأكثر الناس لا يعلمون كصاحب الكشاف ونحوه حتى انه يروج على خلق كثير من أهل السنة كثيرا من تفاسيرهم الباطلة . وتفسير ابن عطيه وأمثاله اتبع للسنة وأسلم من البدعة ولو ذكر كلام السلف المأثور عنهم على وجهه لكان أحسن . فانه كثيرا ما ينقل من تفسير ابن جرير الطبري وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدرا . ثم انه يدع ما ينقله ابن جرير عن السلف ويذكر ما يزعم انه قول المحققين وانما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم

وإن كانوا أقرب إلى السنة لكن ينبغي أن يعطى كل ذي حق حقه فإن الصحابة والتابعين والأئمة إذا كان لهم في الآية تفسير وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر لاجل مذهب اعتقدوه وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين صار مشاركا للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا *

(وفي الجملة) من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم الى ما يخالف ذلك كان مخطئا في ذلك بل مبتدعا لانهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه كما انهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله *

(وأما الذين) أخطئوا في الدليل لا في المداول كمثل كثير من الصوفية والوعاظ والفقهاء يفسرون القرآن بمعان صحيحة في نفسها لكن القرآن لا يدل عليها مثل كثير مما ذكره السلمي في الحقائق فان كان فيما ذكروه معاني باطلة دخل في القسم الاول . انتهى كلام شيخ الاسلام ملخصا *

فقد علم من كلامه رحمه الله تعالى ان من فسر القرآن تفسيراً لا يخرج به عن السنة ولا يذكر فيه شيئا يناقض المنصوص ويذكر ما دل عليه لفظ القرآن باوجز عبارة والطفها وأوضحها ويبين محاسن ما اشتمل عليه الكتاب الكريم من الاحكام وما أخبر به من أمور الدنيا والآخرة وبيان الحكم المشتمل عليها مما ينطبق على الفنون الصحيحة على ممر الاعصر والايام فكيف يكون المتصدى لمثل هذا التفسير والطالب له ان يكون ملحداً أو مبتدعا ويكون النبهاني الذي يحكم بغير ما انزل الله من قوانين محاكم العدلية مسلما على المنهج المستقيم سبحانك هذا بهتان عظيم قال الله عز ذكره (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ومحبة الرسول باتباعه لا بالعمل على خلاف شريعته ولا بالغلو فيه كما غلا النبهاني حيث اعتقد ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يخلو منه زمان ولا مكان يريد بذلك انه ما من زمان الا وهو فيه موجود وما من مكان الا وهو فيه موجود وهذه مقالة شنيعة في الغلو في النبي صلى الله عليه وسلم وانزال له فوق منزلته التي أنزله الله بها فان هذا اشراك للنبي صلى الله عليه وسلم في أخص أوصاف الباري جل شأنه فكيف يدعي محبته من يقول بهذه المقالة ثم يصرف عمره في الحكم بغير ما انزل الله ويذب عن البدع ويحث عليها ويشتم المحامين عن السنة النبوية والمحافظين على التوحيد

(انتباه) وهذا ليس بحلول تعجب وتشنيع وايراد من المصنف الغوى على العلامة النبهاني حيث انه ما قال

وسائر ما وردت به الشريعة الغراء كشيخ الاسلام ابن تيمية وأضرابه فول بقرده المصنف في كتابه النبهاني أعدى الاعداء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم *

* الكلام على قول النبهاني ان الوهابية مبتدعة غير ان ضررهم دون من قبلهم * وأخذ يشتم السلفيين بكل ما هو أهل له ولا بد من الكلام على حقيقة ما عليه أهل نجد وبيان حال خصومهم عقائدهم ليتبين الناظر المنصف من المبتدع ومن الزائغ عن الحجة البيضاء *

(قال العلامة) الشيخ عبد اللطيف النجدي من أحفاد الامام الشيخ محمد عليهما الرحمة في كتابه منهاج التأسيس . في الرد على ابن جرجيس . ونقص عليك شيئاً عن سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونذكر طرفاً من أخباره وأحواله ليعلم الناظر فيه حقيقة أمره فلا يروج عليه تشنيع من استحوذ عليه الشيطان وأغواه وبالغ في كفره واستهواه . فنقول قد عرف واشتهر واستفاض من تقارير الشيخ ومراسلاته ومصنفاته المسموعة المقروءة عليه وما ثبت بخطه وعرف واشتهر من أمره ودعوته وما عليه الفضلاء النبلاء من أصحابه وتلامذته انه على ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله تعالى واثبات صفات كماله ونعوت جلاله التي نطق بها الكتاب العزيز وصحت بها الاخبار النبوية وتلقاها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبول والتسليم يثبتونها ويؤمنون بها ويمرونها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل . ومن غير تكييف ولا تمثيل . وقد درج على هذا من بعدهم * من التابعين وتابعيهم من أهل العلم والايمان وسلف الامة وأئمتها كسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله . وطلحة بن عبيد الله وسليمان بن يسار وأمثالهم . ومن الطبقة الثانية كمجاهد بن جبير . وعطاء بن أبي رباح والحسن البصري وابن سيرين وعامر الشعبي وجنادة بن أبي أمية وحسان بن عطية وأمثالهم ومن الطبقة الثالثة علي بن الحسين وعمر بن عبد العزيز . ومحمد بن مسلم الزهري . ومالك بن أنس وابن أبي ذئب وابن الماجوشني وكحماد بن سلمة . وحماد بن زيد والفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك وأبي حنيفة النعمان بن ثابت . ومحمد بن ادريس . واسحق بن ابرهيم . وأحمد بن حنبل . ومحمد بن اسمعيل البخاري ومسلم بن حجاج القشيري . واخوانهم وأمثالهم ونظرائهم من أهل الفقه والاثر في كل مصر وعصر . (وأما توحيد العبادة) والالهية فلا خلاف بين أهل الاسلام فيما قاله الشيخ .

+ ايها الناظر ... من اعدى الاعداء للرسول صلى الله عليه وسلم من هاتين الفرقتين ...

وبان عنهم من الهدى الذي دعا اليه . ووضح ذلك ان أصل الاسلام وقاعدته شهادة ان لا اله الا الله . وهي أصل الايمان بالله وحده وهي أفضل شعب الايمان وهذا الاصل لا بد فيه من العلم والعمل والاقرار باجماع المسلمين ومدلوله وجوب عبادة الله وحده لا شريك له والبراءة من عبادة ما سواه كائنا من كان وهذا هو الحكمة التي خلقت لها الانس والجن وأرسل لها الرسل وانزلت بها الكتب . وهي تتضمن كمال الذل والحب . وتتضمن كمال الطاعة والتعظيم . وهذا هو دين الاسلام الذي لا يقبل الله دينا غيره . لا من الاولين ولا من الاخرين . فان جميع الانبياء على دين الاسلام وهو يتضمن الاستسلام لله وحده . فمن استسلم له ولغيره كان مشركا . ومن لم يستسلم له كان مستكبرا عن عبادته قال الله تعالى (ولقد بعثنا في كل امة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون) وقال تعالى عن الخليل (اذ قال لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) وقال تعالى عنه (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين) . (وقال قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال (تعالي واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وذكر عن رسله (نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم) انهم قالوا لقومهم (اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) وقال عن أهل الكهف (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) وقال الله تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به) في موضعين من كتابه وقال تعالى (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار)

(قال رحمه الله) والشرك المراد بهذه الايات ونحوها يدخل فيه شرك عباد القبور وعباد الانبياء والملائكة والصالحين فان هذا هو شرك جاهلية العرب الذين بعث فيهم عبد الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يدعونها ويلتجؤن اليها ويسألونها على وجه التوسل بجاهها وشفاعتها لتقربهم الى الله كما حكى الله ذلك عنهم في مواضع من كتابه كقوله تعالى (ويعبدون

من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) الآية وقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وقال تعالى (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون) *

﴿ قال رحمه الله ﴾ ومعلوم ان المشركين لم يزعموا ان الانبياء والاولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والارض واستقلوا بشيء من التدبير والتأثير والايجاد ولو في خلق ذرة من الذرات قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته (قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) فهم معترفون بهذا مقرون به لا ينازعون فيه ولذلك حسن موقع الاستفهام وقامت الحجة بما أقروا به من هذا الجمل وبطلت عبادة من لا يكشف الضر ولا يمسك الرحمة ولا يخفى ما في التنكير من العموم والشمول المتناول لاقل شيء وأدناه من ضر أو رحمة . وقال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) الى قوله فانى تسحرون . وقال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) ذكر فيه السلف كابن عباس وغيره ايمانهم هنا بما أقروا به من ربوبيته وملكه وفسر شركهم بعبادة غيره

﴿ قال رحمه الله ﴾ وقد بين القرآن في غير موضع ان من المشركين من أشرك بالملائكة . ومنهم من أشرك بالانبياء والصالحين . ومنهم من اشرك بالكواكب . ومنهم من أشرك بالاصنام . وقد رد عليهم جميعهم وكفر كل أصنافهم كما قال تعالى (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون) وقال تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم) الآية . وقال (لن يستنكف المسيح ان يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون) ونحو ذلك في القرآن كثير وبه يعلم المؤمن ان عبادة الانبياء والصالحين كعبادة الكواكب والاصنام من حيث الشرك والكفر بعبادة غير الله *

﴿ قال رحمه الله ﴾ وهذه العبادات التي صرفها المشركون لآلهتهم هي أفعال العبد الصادرة منه كالحب والخضوع والانابة والتوكل والدعاء والاستعانة والاستغاثة . والخوف والرجاء والنسك والتقوى والطواف ببيته رغبة ورجاء وتعلق القلوب والآمال بفيضه ومده واحسانه وكرمه فهذه الانواع أشرف أنواع العبادة وأجلها بل هي لب سائر الاعمال الاسلامية

وخلاصتها وكل [illegible] يحاج [illegible] على صاحبه [illegible] وشأن الشرك وكفر من كفر من المشركين كمن يقصد غير الله بهذا وتأمله لذلك قال تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون) (وقال تعالى) أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) (وقال تعالى) اتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) الآية . وحكى عن أهل النار انهم يقولون لآلهتهم التي عبدوها مع الله تالله ان كنا لفي ضلال مبين . اذ نسويكم برب العالمين . ومعلوم انهم ما سووهم به في الخلق والتدبير والتأثير وانما كانت التسوية في الحب والخضوع والتعظيم والدعاء ونحو ذلك من العبادات *

﴿ قال رحمه الله ﴾ بجنس هؤلاء المشركين وأمثالهم ممن يعبد الاولياء والصالحين نحكم بانهم مشركون ونرى كفرهم اذا قامت عليهم الحجة الرسالية وما عدا هذا من الذنوب التي دونه في الرتبة والمفسدة لا نكفر بها ولا نحكم على أحد من أهل القبلة الذين باينوا عباد الاوثان والاصنام والقبور بكفر بمجرد ذنب ارتكبوه وعظيم جرم اجترحوه . وغلاة الجهمية والقدرية والرافضة ونحوهم ممن كفرهم السلف لانخرج فيهم عن أقوال ائمة الهدى والفتوى من سلف هذه الامة ونبرأ الى الله مما اتت به الخوارج وقالته في اهل الذنوب من المسلمين .

(قال رحمه الله) . ومجرد الاتيان بلفظ الشهادة من غير علم بمعناها ولا عمل بمقتضاها لا يكون به المكلف مسلما بل هو حجة على ابن آدم خلافا لمن زعم ان الايمان مجرد الاقرار كالكرامية ومجرد التصديق كالجهمية . وقد اكذب الله المنافقين فيما أتوا به وزعموه من الشهادة وسجل على كذبهم مع انهم أتوا بالفاظ مؤكدة بانواع من التأكيدات .قال تعالى(اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقون لكاذبون) فاكدوا بلفظ الشهادة وان المؤكدة واللام والجملة الاسمية فاكذبهم وأكد تكذيبهم بمثل ما أكدوا به شهادتهم سواء بسواء . وزاد التصريح باللقب الشنيع والعلم البشيع الفضيع . وبهذا تعلم ان مسمى الايمان لا بد فيه من الصدق والعمل ومن شهد ان لا اله الا الله وعبد غيره فلا شهادة له وان صلى وزكى وصام وأتى بشيء من أعمال الاسلام . قال تعالى لمن آمن ببعض الكتاب ورد بعضا .(افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) الآية وقال تعالى(ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون

ان يتخذوا بين ذلك سبيلا) الآية . وقال تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه) الآية *

(والكفر نوعان) مطلق ومقيد فالمطلق ان يكفر بجميع ماجاء به الرسول والمقيد ان يكفر ببعض ماجاء به الرسول حتى ان بعض العلماء كفر من أنكر فرعا مجمعا عليه كتوريث الجد والاخت وان صلى وصام . فكيف بمن يدعو الصالحين ويصرف لهم خالص العبادة ولبها وهذا مذكور فى المختصرات من كتب المذاهب الاربعة بل كفروا ببعض الالفاظ التى تجرى على السن بعض الجهال وان صلى وصام من جرت على لسانه *

(قال رحمه الله) والصحابة كفروا من منع الزكوة وقاتلوهم مع اقرارهم بالشهادتين والاتيان بالصلاة والصوم والحج *

(قال رحمه الله) واجتمعت الامة على كفر بنى عبيد القداح مع انهم يتكلمون بالشهادتين ويصلون ويبنون المساجد فى قاهرة مصر وغيرها *

(وذكر ابن الجوزى) انه صنف كتابا فى وجوب غزوهم وقتالهم سماه النصر على مصر قال وهذا يعرفه من له أدنى المام بشئ من العلم والدين فتسمية عباد القبور بانهم يصلون ويصومون ويؤمنون بالبعث مجرد تعمية على العوام وتلبيس لينفق شركهم ويقال باسلامهم وايمانهم ويأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون *

(وأما مسائل القدر والجبر) والارجاء والامامة والتشيع ونحو ذلك من المقالات والنحل فهو أيضا فيها على ما كان عليه السلف الصالح وائمة الهدى والدين يبرأ مما قالته القدرية النفاة والقدرية المجبرة وما قالته المرجئة والرافضة وما عليه غلاة الشيعة والناصبة . يوالى جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكف عما شجر بينهم ويرى انهم أحق الناس بالعفو عما يصدر منهم وأقرب الخلق الى مغفرة الله واحسانه لفضائلهم وسوابقهم وجهادهم وما جرى على ايديهم من فتح القلوب بالعلم النافع والعمل الصالح وفتح البلاد ومحو آثار الشرك وعبادة الاوثان والنيران والاصنام والكواكب ونحو ذلك مما عبده جهال الانام . ويرى الارادة بما عليه [illegible] ويرى ان أفضل الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله تعالى عنهم أجمعين ويعتقد [illegible]

غير مخلوق منه بدا واليه يعود ويبرأ من رأى الجهمية القائلين بخلق القرآن . ويحكي تكفيرهم عن جمهور السلف أهل العلم والايمان ويبرأ من رأى الكلابية أتباع عبد الله بن سعيد ابن كلاب القائلين بان كلام الله هو المعنى القائم بنفس البارى وان مانزل به جبريل حكاية أو عبارة عن المعنى النفسي ويقول هذا من قول الجهمية . وأول من قسم هذا التقسيم هو ابن كلاب وأخذ عنه الاشعري وغيره كالقلانسي ويخالف الجهمية فى كل ماقالوه وابتدعوه فى دين الله . ولا يرى ما ابتدعه الصوفية من البدع والطرائق المخالفة لهدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسنته في العبادات والخلوات والاذكار المخالفة للمشروع . ولا يرى ترك السنن والاخبار النبوية لرأي فقيه . ومذهب عالم خالف ذلك باجتهاده بل السنة أجل في صدره وأعظم عنده من ان نترك لقول أحد كائنا من كان . قال عمر بن عبد العزيز لا رأى لاحد مع سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم . نعم عند الضرورة وعدم الاهلية والمعرفة بالسنن والاخبار وقواعد الاستنباط والاستظهار يصار الى التقليد لا مطلقا بل فيما يتعسر ويخفى . ولا يرى ايجاب ماقاله المجتهد الا بدليل تقوم به الحجة من الكتاب والسنة . خلافا لغلاة المقلدين ويوالي الائمة الاربعة ويرى فضلهم وامامتهم وانهم من الفضل والفضائل في غاية ورتبة يقصر عنها المتطاول . ويوالى كافة أهل الاسلام وعلماءهم من أهل الحديث والفقه والتفسير وأهل الزهد والعبادة . ويرى المنع من الانفراد عن ائمة الدين من السلف الماضين برأي مبتدع أو قول مخترع . فلا يحدث فى الدين ماليس له أصل يتبع وما ليس من أقوال أهل العلم والاثر ويؤمن بما نطق به الكتاب وصحت به الاخبار وجاء الوعيد عليه من تحريم دماء المسلمين وأموالهم واعراضهم ولا يبيح من ذلك الا ما أباحه الشرع وأهدره الرسول ومن نسب اليه خلاف هذا فقد كذب وافترى وقال ما ليس له به علم وسيجزيه الله ما جزى به امثاله من المفترين *

وابدى رحمه الله تعالى من التقارير المفيدة * والابحاث من الفريدة على كلمة الاخلاص والتوحيد . شهادة ان لا اله الا الله ما دل عليه الكتاب المصدق . والاجماع المسلمين المحقق . من نفي استحقاق العبادة والالهية عما سوى الله واثبات ذلك لله سبحانه على وجه الكمال المنافى لكايات الشرك وجزئياته . وان هذا هو معناها وضعا ومطابقة خلافا لمن زعم غير ذلك من المتكلمين كمن يفسر الاله بالقدرة على الاختراع او بانه تعالى غني عما

[illegible] اليه ما عداه . فان هذا لازم المعنى . اذ الاله الحق لا يكون الا قادرا غنيا عما سواه . واما كون هذا هو المعنى المقصود بالوضع فليس كذلك . والمتكلمون خفي عليهم هذا وظنوا ان تحقيق توحيد الربوبية والقدرة هو الغاية المقصودة . والفناء فيه هو تحقيق التوحيد . وليس الامر كذلك بل هذا لا يكفي في الايمان وأصل الاسلام الا اذا اضيف اليه واقترن به توحيد الالهية . وافراد الله بالعبادة والحب والخضوع والتعظيم والانابة والتوكل والخوف والرجاء وطاعة الله وطاعة رسوله *

هذا أصل الاسلام وقاعدته . والتوحيد الاول توحيد الربوبية والقدرة . والخلق والايجاد هو الذي بنى عليه توحيد العمل والارادة وهو دليله الاكبر . وأصله الاعظم . كما قال تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) . الى آخر الآيات . قال العلامة ابن القيم رحمه الله *

﴿ إن كان ربك واحدا سبحانه * فاخصصه بالتوحيد مع احسان ﴾

﴿ أو كان ربك واحدا انشاك لم * يشركه اذا نشاك رب ثان ﴾

﴿ فكذاك أيضا وحده فاعبده لا * تعبد سواه يا أخا العرفان ﴾

وهذه الجمل منقولة عن السلف والائمة من المفسرين وغيرهم من أهل اللغة اجمالا وتفصيلا *

﴿ وقد قرر رحمه الله ﴾ على شهادة ان محمدا رسول الله من بيان ماتستلزمه هذه الشهادة وتستدعيه وتقتضيه من تجريد المتابعة والقيام بالحقوق النبوية من الحب والتوقير والنصرة والمتابعة والطاعة وتقديم سنته صلى الله عليه وسلم على كل سنة وقول والوقوف معها حيث ما وقفت . والانتهاء حيث انتهت في أصول الدين وفروعه . باطنه وظاهره . خفيه وجليه . كليه وجزئيه . ماظهر به فضله . وتأكد علمه ونبله . وانه سباق غايات . وصاحب آيات لا يشق غباره . ولاتدرك فى البحث والافادة آثاره . وان اعداءه ومنازعيه وخصومه في الفضل . وشانيه يصدق عليهم المثل السائر بين أهل المحابر والدفاتر *

﴿ حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه * فالناس اعداء له وخصوم ﴾

﴿ كضرائر الحسناء قلن لوجهها * حسدا وبغيا انه لدميم ﴾

﴿ وله رحمه الله ﴾ من المناقب والمآثر . ما لايخفى على أهل الفضائل والبصائر ومما اختصه الله

بهم من الكرامة لتسلط اعداء الدين وخصوم عباد الله المؤمنين على سبه والتعرض لبهته وعيبه . قال الشافعي رحمه الله تعالى ما أرى الناس ابتلوا بشتم أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا ليزيدهم الله بذلك ثوابا عند انقطاع أعمالهم . وأفضل الامة بعد نبيها أبو بكر وعمر . وقد ابتليا من طعن أهل الجهالة والسفاهة بما لا يخفى وما حكيناه عن الشيخ حكاه أهل المقالات عن أهل السنة والجماعة مجملا ومفصلا قال وهذه عبارة أبي الحسن الاشعري في كتابه مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين قال أبو الحسن الاشعري *

جملة ما عليه اصحاب الحديث واهل السنة الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون من ذلك شيئا . والله تعالى اله واحد فرد صمد . لم يتخذ صاحبة ولا ولدا . وان محمدا عبده ورسوله . وان الجنة حق وان النار حق . وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور . وان الله تعالى على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى . وان له يدين بلا كيف كما قال لما خلقت بيدي . وكما قال بل يداه مبسوطتان . وان له عينين بلا كيف وان له وجها جل ذكره كما قال تعالى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وان اسماء الله تعالى لا يقال انها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج . واقروا ان لله علما . كما قال انزله بعلمه . وكما قال (وما تحمل من انثي ولا تضع الا بعلمه) واثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك كما نفته المعتزلة . واثبتوا لله القوة كما قال(اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة) وقالوا انه لا يكون في الارض من خير ولا شر الا ماشاء الله وان الاشياء تكون بمشيئة الله تعالى كما قال وما تشاؤن الا ان يشاء الله . وكما قال المسلمون ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن . وقالوا ان احدا لا يستطيع ان يفعل شيئا قبل ان يفعله . اويكون احد يقدر على ان يخرج عن علم الله . وان يفعل شيئا علم الله انه لا يفعله واقروا انه لا خالق الا الله . وان اعمال العباد يخلقها الله وان العباد لا يقدرون ان يخلقوا شيئا وان الله تعالى وفق المؤمنين لطاعته . وخذل الكافرين بمعصيته . ولطف للمؤمنين ونظر لهم واصلحهم وهداهم ولم يلطف للكافرين ولا اصلحهم ولا هداهم . ولو اصلحهم لكانوا صالحين . ولو هداهم لكانوا مهتدين . وان الله تعالى يقدر ان يصلح الكافرين ويلطف لهم حتى يكونوا مؤمنين ولكنه اراد ان يكونوا كافرين كما علم وخذلهم واضلهم وطبع على قلوبهم . وان الخير والشر

بقضاء الله وقدره . ويؤمنون بقضاء الله وقدره خيره وشره حلوه ومره . ويؤمنون أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله كما قال . ويلجؤون أمرهم الى الله ويثبتون الحاجة الى الله في كل وقت والفقر الى الله في كل حال . ويقولون ان القرآن كلام الله غير مخلوق والكلام في الوقف واللفظ . من قال باللفظ او بالوقف فهو مبتدع عندهم . لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق . ويقولون ان الله تعالى يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر . ويراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لانهم عن الله محجوبون . قال الله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . وان موسى سأل الله سبحانه الرؤية في الدنيا وان الله تعالى تجلى للجبل فجعله دكا فاعلمه بذلك انه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة . ولم يكفروا أحدا من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر . وهم بما معهم من الايمان مؤمنون وان ارتكبوا الكبائر . والايمان عندهم هو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره . وحلوه ومره . وان ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وان ما أصابهم لم يكن ليخطيهم . والاسلام هو ان يشهد ان لا اله الا الله على ما جاء في الحديث . والاسلام عندهم غير الايمان . ويقرون بان الله مقلب القلوب . ويقرون بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانها لاهل الكبائر من أمته وبعذاب القبر وان الحوض حق . والمحاسبة من الله للعباد حق والوقوف بين يدي الله حق . ويقرون بان الايمان قول وعمل يزيد وينقص . ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق . ويقولون أسماء الله هى الله . ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار ولا يحكمون بالجنة لاحد من الموحدين حتى يكون الله تعالى نزلهم حيث شاء . ويقولون أمرهم الى الله ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم ويؤمنون بان الله تعالى يخرج قوما من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وينكرون الجدل والمراء في الدين والخصومة في القدر والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من ربهم بالتسليم للروايات الصحيحة ولما جاءت به الآثار التى رواها الثقات عدلا عن عدل حتى ينتهي ذلك الى رسول صلى الله عليه وسلم ولا يقولون كيف ولا لم لان ذلك بدعة . ويقولون ان الله لم يأمر بالشر بل نهى عنه وأمر بالخير ولم يرض بالشر وان كان مريدا له . ويعرف حق السلف الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ويأخذون بفضائلهم

ويمسكون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم . ويقدمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليا رضي الله تعالى عنهم . ويقرون انهم الخلفاء الراشدون المهديون وانهم افضل الناس كلهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم . ويصدقون بالاحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينزل الى سماء الدنيا فيقول هل من مستغفر كما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال الله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله ورسوله) ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين . وان لا يبتدعوا في دينهم ما لم يأذن به الله ويقرون ان الله تعالى يجيء يوم القيمة كما قال . (وجاء ربك والملك صفا صفا) وان الله تعالى يقرب من خلقه كيف يشاء كما تعالى (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) ويرون العيد والجمعة والجماعة خلف كل امام بر وفاجر ويثبتون المسح على الخفين سنة ويرونه في الحضر والسفر . ويثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم الى آخر عصابة تقاتل الدجال وبعد ذلك يرون الدعاء لائمة المسلمين بالصلاح وان لا يخرج عليهم بالسيف وان لا يقاتلوا في الفتنة . ويصدقون بخروج الدجال وان عيسى ابن مريم يقتله . ويؤمنون بمنكر ونكير والمعراج والرؤيا في المنام . وان الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل اليهم ويصدقون بان في الدنيا سحرة وان الساحر كافر كما قال الله تعالى . وان السحر كائن موجود في الدنيا . ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم . ويقرون ان الجنة والنار مخلوقتان . وان من مات مات باجله . وكذلك من قتل قتل باجله . وان الارزاق من قبل الله تعالى يرزقها عباده حلالا كانت او حراما . وان الشيطان يوسوس للانسان ويشككه ويخبطه . وان الصالحين قد يجوز ان يخصهم الله تعالى بايات تظهر عليهم وان السنة لا تنسخ القرآن . وان الاطفال امرهم الى الله ان شاء عذبهم وان شاء فعل بهم ما اراد . وان الله عالم ما العباد عاملون وكتب ان ذلك يكون وان الامور بيد الله تعالى ويرون الصبر على حكم الله تعالى والأخذ بما امر الله به والانتهاء عما نهى الله عنه . واخلاص العمل والنصيحة لجماعة المسلمين . واجتناب الكبائر والزنا وقول الزور والمعصية والفخر والكبر والازراء على الناس والعجب . ويرون مجانبة كل داع الى بدعة والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الاثار والنظر في الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الاذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المأكل والمشرب

[illegible] وكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب وما
توفيقنا الا بالله . وهو حسبنا ونعم الوكيل انتهى *

هذا ما يعتقده اهل نجد ومن يوافقهم فكيف يقال انهم مبتدعون ولكن الامر كما قيل

﴿ ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا ﴾

وهذا النبهاني الجاهل من اشد الناس عداوة للذين آمنوا ولذلك يرميهم بكل منكر واذا ذكر اخوانه المبتدعة ذكرهم بكل تعظيم . ثم ان الشيخ عبد اللطيف لما ذكر في منهاجه معتقد جده واتباعه ذكر طرفا من حال هذا المبتدع واخوانه وعقد فصلا لذلك فقال .

﴿ ونذكر لك ﴾ طرفا من معتقد عباد القبور والصالحين وحقيقة ماهم عليه من الدين ليعلم الواقف عليه اى الفريقين احق بالامن ان كان الواقف ممن اختصه الله تعالى بالفضل والمن . ولئلا يلتبس الامر بتسميتهم لكفرهم ومحالهم تشفعا وتوسلا واستظهارا مع ما في التسمية من الهلاك المتناهى عند من عقل الحقائق من ذلك محبتهم مع الله محبة تأله وخضوع ورجاء ودعاء وهم مع الله في المهمات والملمات والحوادث التى لا يكشفها ولا يجيب الدعاء فيها الا فاطر الارض والسموات والعكوف حول اجداثهم وتقبيل اعتابهم والتمسح باثارهم طلبا للغوث واستجابة الدعوات واظهار الفاقة وابداء الفقر والضراعة واستنزال الغيوث والامطار وطلب السلامة من شدائد البر والبحار . وسؤالهم تزويجهم الارامل والايامى . واللطف بالضعفاء واليتامى والاعتماد عليهم في المطالب العالية وتأهيلهم لمغفرة الذنوب والنجاة من الهاويه واعطاء تلك المراتب الساميه . وجماهيرهم لما الفت ذلك طباعهم وفسدت به فطرهم وعز عنه امتناعهم لا يكاد يخطر ببال احدهم مايخطر ببال آحاد المسلمين من قصد الله تعالى والانابة اليه بل ليس لذلك عندهم الا الولى الفلانى ومشهد الشيخ فلان حتى جعلوا الذهاب الى المشاهد عوضا عن الخروج للاستقاء والانابة الى الله فى كشف الشدائد والبلوى كل هذا رأيناه وسمعناه عنهم قال وقد حدث الشيخ مصطفى البولاقي ان بعض رؤساء الجامع الازهر عاده لما اشتكى عينيه وقال له هلا ذهبت الى مولد الشيخ احمد البدوى فقد حكى ان انسانا شكا اليه ذهاب بصره فسمع قائلا يقول من الضريح اعطوه عين كذا وكذا فانظر الى ماخطر ببال هذا المتكلم من تعظيم هذا الميت وتأهيله لتلك المطالب التى لا يقدر عليها الا الله القاهر الغالب وقصد الوساطة

هنا محل ما فيهما اطنبنا في خطر بيانه اصلا ولن تسمعت عن جاهلية العرب مثل هذه الغرائب التي تنتهي عندها العجب والكلام مع زكي القلب يقظ الذهن قوي لمحة العارف الحاذق ومن لا يرضى نفسه بحضيض التقليد في أصول الديانات والتوحيد واما ميت القلب بليد الذهن وضيع النفس جامد القريحة ومن لا تفارق همته التشبث باذيال التقليد والتعلق على ما يحكى عن فلان وفلان في معتقد اهل المقابر والتنديد فذلك فاسد الفطرة معتل المزاج وخطابه محض عناء ولجاج ﴿قال﴾ ومما بلغنا عن بعض علماء زبيد ان رجلين قصدا الطائف فقال احدهما لصاحبه والمسئول ممن يترشح للعلم اهل الطائف لا يعرفون الله انما يعرفون ابن عباس فاجابه بان معرفتهم لابن عباس كافية لانه يعرف الله فاى ملة صان الله ملة الاسلام لا تمانع هذه الكفريات ولا تدافعها . وذكر الزبيدي أيضا ان رجلا كان بمكة عند بعض المشاهد قال لمن عنده أريد الذهاب الى الطواف . فقال بعض غلاتهم مقامك ههنا اكرم ومن وقف على كتاب مناقب الأربعة المعبودين بمصر . وهم البدوي والرفاعي والدسوقي ورابعهم فيما أظن أبو العلاء . فقد وقف على ساحل كفرهم . وعرف صفة افكهم . وبلغنا عن بعض الثقات . ان جماعة من المدعين للعلم بزبيد كانوا يقرؤن صحيح البخاري فاذا فرغوا منه . اما احيانا أو مطلقا ذهبوا الى قبر الجبيرتي أو غيره فوقفوا عاكفين ما شاء الله وعليهم السكينة والوقار وضرب من الخضوع لنازل الحفرة . قال من نقله فالله أعلم * أهو شيء وجدوه في صحيح البخاري أو غيره أوما هو . قال ورأيت في حاشية الشيخ ابراهيم البيجوري على السنوسية نقلا عن الدردير فيما أظن عن الشعراني ان الله وكل بقبر كل ولي ملكا يقضي حاجة من سأل ذلك الولي *

فقف هنا وانظر ما آل اليه شركهم وأفكهم فاين هذا من قوله تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعاني) وقوله (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) . وقوله (فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) . وقوله تعالى (أم من يجيب المضطر اذا دعاه) . وقوله تعالى (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) الآية *

﴿ واي حجة ﴾ في هذا الذي قال الشعراني لو كانوا يعلمون ولكن القوم أصابهم دآء الامم قبلهم فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين *

ومن هذا الجنس ما ذكره الشعراني في ترجمة الملقب شمس الدين الحنفي انه قال في مرض

يوم من كانت له حاجة فليأت قبري ويطلب ان اقضيها له فانما بيني وبينه ذراع من تراب وكل رجل يحجبه عن اصحابه ذراع من تراب فليس برجل انتهى *

وقد اجتمع جماعة من الموحدين من أهل الاسلام في بيت رجل من أهل مصر وبقربه رجل يدعي العلم فأرسل اليه صاحب البيت فسأله بمجمع من الحاضرين فقال له كم يتصرف في الكون فقال ياسيدي سبعة . قال من هم قال فلان وفلان وعد أربعة من المعبودين بمصر فقال صاحب الدار لمن بحضرته من الموحدين انما بعثت لهذا الرجل وسألته لاعرفكم قدر ما أنتم فيه من نعمة الاسلام أو كلاما نحو هذا وباب تصرف المشائخ والاولياء قد اتسع حتى سلكه جمهور من يدعي الاسلام من أهل البسيطة وخرقه قد هلك في بحاره اكثر من سكن الغبراء واظلته المحيطة حتى نسي القصد الاول من التشفع والوساطة * فلا يعرج عليه عندهم الا من نسي عهود الحمى وقد ذكر هذا شيخ الاسلام في منهاجه عن غلاة الرافضة في علي فعاد الامر الى الشرك في توحيد الربوبية والتدبير والتأثير ولم يبلغ شرك الجاهلية الاولى الى هذه الغاية بل ذكر الله جل ذكره انهم يعترفون له بتوحيد الربوبية ويقرون به ولذلك احتج عليهم في غير موضع من كتابه بما أقروا به من الربوبية والتدبير على ما انكروه من الالهية *

ومن ذلك وهو من عجيب أمرهم ما ذكره حسين بن محمد النعمى اليمني في بعض رسائله ان امرأة كف بصرها فنادت وليها اما الله فقد صنع ما ترى ولم يبق الا حسبك انتهى

وحدثني سعد بن عبدالله بن سرور الهاشمي رحمه الله ان بعض المغاربة قدموا مصر يريدون الحج فذهبوا الي الضريح المنسوب الى الحسين رضي الله عنه بالقاهرة فاستقبلوا القبر واحرموا ووقفوا وركعوا وسجدوا لصاحب القبر حتى انكر عليهم سدنة المشهد وبعض الحاضرين فقالوا هذا محبة في سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه . وذكر بعض المؤلفين من أهل اليمن ان مثل هذا وقع عندهم . وقد حدثني الشيخ خليل الرشيدى بالجامع الازهر ان بعض اعيان المدرسين هناك قال لايدق وتد في القاهرة الا باذن السيد احمد البدوى قال فقلت له هذا لايكون الا لله او كلا مانحو هذا فقال حي في سيدى احمد البدوى اقتضى هذا *

﴿ وحكى ﴾ ان رجلا سأل الآخر كيف رأيت الجمع عند زيارة الشيخ الفلاني فقال لم ارا كثر منه الا في جبال عرفات الا اني لم ارهم سجدوا لله سجدة قط ولا صلوا مدة الثلاثة أيام فقال

السائل قد تحملها الشيخ. قال بعض الافاضل ورأيت بحمل الشيخ مصر اماما ابن بصرى وعقد له الشيخ خرقة. وتابع فقه. ونال رشاش زتومه الزائر والمعتقد وسائر كل البلاد انتهى *

﴿ وقد اشتهر ﴾ ما يقع من السجود على اعتاب المشهد وقصد التبرك مع ما فيه لا يدع حقيقة العبادة الصورية. ومن المعروف عنهم شراء الولدان من الولى بثمن معين يؤدى ربما جاريا يؤدى كل عام وان كانت امرأة فمهرها او نصف مهرها لانها مشتراة منه ولا يمانع هذا الا مكابر لانه استفاض واشتهر فلا ينكره الا مكابر فى الحسيات. وان فقد بعض أنواعه فى بعض البلاد فكم له من نظائر. وهذا اشد واشنع مما ذكر جل ذكره عن جاهلية العرب بقوله (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) الآية. وكذلك جعل السوائب باسم الولى لا يحمل عليها ولا تذبح. وسوق الهدايا والقرابين الى مشاهد الاولياء وذبحها حبا للشيخ وتقربا اليه. وهذا وان ذكر اسم الله عليه فهو اشد تحريما مما ذبح للحم وذكر عليه اسم غير الله كعيسى مثلا فان الشرك فى العبادة اكبر من الشرك بالاستعانة. ومن ذلك ترك الاشجار والكلأ والعشب اذا كان بقرب المشهد وجعله من ماله

﴿ ومنها الحج الى المشاهد ﴾ فى اوقات مخصوصة مضاهاة لبيت الله فيطوفون حول الضريح ويستغيثون ويهدون لصاحب القبر ويذبحون وبعض مشائخهم يأمر الزائر بحلق رأسه اذا فرغ من الزيارة كما يفعلون فى بيت الله الحرام بعد الاداء. وقد صنف بعض غلاتهم كتابا سماه حج المشاهد وهو متداول.

ومنها التعريف فى بعض البلاد عند من يعتقدونه من أهل القبور فيصلون عشية عرفة عند القبر خاضعين سائلين.

والعراق فيه من ذلك الحظ الاكبر. والنصيب الاوفى الاوفر. بل فيه البحر الذى لا ساحل له. والمهامة التى لا ينجو سالكها ولا يكاد. ومن نحوه عرف الكفر وظهر الشرك والفساد كما يعرف ذلك من له المام بالتواريخ ومبدأ الحوادث فى الدين *

﴿ ومن شاهد ﴾ ما يقع منهم عند مشهد الحسين ومشهد على والكاظم عند رافضتهم. وعبد القادر والحسن البصرى والزبير وامثالهم عند سنتهم من العبادات وطلب العطايا والمواهب والتصرفات وانواع الموبقات علم أنهم من اجهل الخلق واضلهم وانهم فى غاية من الكفر والشرك

[illegible]

[illegible]

(ومن ذلك) ان كل يوم مما تقدم اتخاذها أعيادا ومواسم مضاهاة لما شرعه الله ورسوله من الاعياد الكلية والزمانية *

(ومنها) ما يقع ويجرى فى هذه الاجتماعات من الفجور والفواحش وترك الصلوات وفعل الخلاعات التى هى فى الحقيقة خلع لربقة الدين والتكليف ومشابهة لما يقع فى اعياد النصارى والصابئة والافرنج ببلاد قرانتنا وغيرها من الفجور والطبول والزمور والخمور وبالجملة فما احدثه عباد القبور يعز حصره او استيفاؤه انتهى كلام الفاضل الشيخ عبد اللطيف فى منهاجه *

(فيأيها النبهانى) الغافل هذا حال اخوانك ومن هو على شاكلتك ثم انك لم ترض بهذه المصائب والمثالب والمعائب حتى زدت فى الطنبور نغمه وذلك اعتقادك ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم موجود فى كل مكان وزمان ونظمت قصيدة من شعرك الركيك الفاسد فى ذلك ثم مع ذلك تدعى إنك محب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كلا ثم كلا وقد ارسله الله تعالى لمحق الشرك وازالة الضلال وأنت بجهلك تريد تبديل الاحوال يريدون ان يطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون فمن المبتدع أمن يحافظ على السنة النبوية ويذب عنها من يحاول نقصها فى كل كلية وجزئيـة أم أمثالك الذين يدعون مع الله الهـا آخر ويطعنون على أخيار الامة وهداة المسلمين ويذبوا عن البدع وأهل الاهواء ويحكم بغير ما أنزل الله ويقدم المواد القانونية. على الآيات القرآنية والاحاديث النبوية. افلا يستحى من هذه بعض اوصافه ان يثلب أهل الايمان. وحملة القرآن. وحفاظ سنة سيد ولد عدنان. ولـكن الامر كما ورد فى الحديث الصحيح ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى (اذا لم تستح فاصنع ماشئت) ولهذا النبهاني عدة قصائد فى الاستغاثة والالتجاء الى غير الله وهي مطبوعة مشهورة ولولا ان يدنس القلم ذكرها لذكرتها فانها تؤيد ماذكره الشيخ عبد اللطيف رحمه الله عنهم وها أنا ذا اذكر شعر بعض الغلاة المشتمل على مالهم من الغلو فى القبور والمشاهد من ذلك قول بعض العراقيين

سبوح سرت ليلا فسبحان من اسرى ... نبا من نبات الماء للكوفة الغرا

تروم باكناف الغرى لهـا وكرا ... تمـد جناحا من قوادمه الصبا

كأنها الأسرى ثوب الحداد ومن سل   محلها بالصمير الأخيها اسرى
جرت تجرى كل الى خير موقف   يقول لمحيه قفا نبك من ذكرى
وكم غمرة خضنا اليه وانما   يخوض عباب البحر من يطلب الدرا
نؤم ضريحا بالضراح وان علا   بارفع منه لا وسناكه قدرا
حوى المرتضى سيف القضا اسد الشرى   على الذرى بل زوج فاطمة الزهرا
مقام على كرم الله وجهه   مقام على رد عين العلى حسرى
اثير مع الافلاك خالف دوره   فمن فوقه الغبرا ومن تحته الخضرا
احطنا به وهو المحيط حقيقة   بنا فتعالى ان نحيط به خبرا
تطوف من الاملاك طائفة به   فتسجد فى محراب جامعه شكرا
وحزب من العالين يهتف بالثنا   عليه بوحى كدت اسمعه جهرا
جدير بان يأوى الحجيج لبابه   ويلمس من اركان كعبته الجدرا
حرى بتقسيم الفيوض وما سوى   ابى الحسنين الاحسنين بها احرا
ثرى منه بالدنيا الثراء لمترب   وللمذنب الجاني الشفاعة فى الاخرى
باهداب اجفان واحداق أعين   وحر وجوه عفرتها يد الغبرا
امطنا القذى عن جفن سيف مذكر   اجل سيوف الله اشهرها ذكرا
فو الله ما ندرى وقد سطع السنا   جلونا قرابا ام جلينا له قبرا

وجاء من العراقيين من خمس هذه الابيات فقال

سرينا لنمحوا الاثم او نغنم الاجرا   لزورة من تمحو زيارته الوزرا
وسارت وقد ارخى علينا الدجى سترا   نبا من نبات الماء للكوفة الغرا
سبوح سرت ليلا فسبحان من اسرى
تخيرتها دون السفائن مركبا   واعددتها للسير شرقا ومغربا
فكانت كمثل الطير ان رمت مطلبا   تمد جناحا من قوادمه الصبا
تروم باكناف الغرى لها وكرا
وكانت تجلى قبل هذا تجملا   وقد غذيت فيما امر الذي حلا

اطل على وقعة الشهيد بكربلا   كساها الاسى ثوب الحداد ومن حلى
تحملها الصبر لاعجا اعرى

الى موقف سرنا بغير توقف   تزيد بكائي عنده بتلهف
ولما تجارينا بباك ومدنف   جرت فجرى كل الى خير موقف
يقول لعينيه قفا نبك من ذكرى

ترامت بنا فلك فيانم مرتمى   الى درة الفخر التى لن تقوما
نخضنا اليه البحر والبحر قد طما   وكم غمرة خضنا اليه وانما
يخوض عباب البحر من يطلب الدرا

الى مرقد يعلو السماكين منزلا   وقد نال ما نال الضراح من العلى
نسير ولا نلوى على السير معدلا   نؤم ضريحا ماالضراح وان علا
بارفع منه لاو ساكنه قدرا

فزوج ابنة المختار كان غضنفرا   علاوارتضته الطهر من سائر الورى
اتعرف من هذا الذى طال مفخرا   حوى المرتضى سيف القضا اسدالشرى
على الذرى بل زوج فاطمة الزهرا

عيون الورى ان لاحظت منه كنهه   ترد عن التشبيه حسري فينتهوا
وان مقاما لا ترى العين شبهه   مقام على كرم الله وجهه
مقام على رد عين العلى حسرى

لقد صير الغبراء خضراء قبره   واشرق فيها في الحقيقة بدره
وقد وافق الاعجاز لله دره   اثير مع الافلاك خالف دوره
فمن فوقه الغبرا ومن تحته الخضرا

احاط بنا علما فليت سليقة   تفيد علوما عن علاه دقيقة
مجازا وقد جزنا اليه طريقة   احطنا به وهو المحيط حقيقة
نبا فتعالى ان نحيط به خبرا

فطف فى مقام حل فيه ولبه   تر العالم الاعلى حفيفا بتربه

فكالمسجد الاقصى وأى نتيه   تطوف من الاملاك طائفة به

فتسجد في محراب سامه شكرا

فاثنى عليه من علا مثل من دنا   وكل بما أثنى أجاد وأحسنا

فحزب من الدانين اذ ذاك اعلنا   وحزب من العالين يهتف بالثنا

عليه بوحي كدت اسمعه جهرا

حججنا الى بيت علا بجنابه   عشية آوينا الى باب غابه

ومن قد سمت اركان كعبتنا به   جـديد بان يأوى الحجيج لبابه

ويلمس من اركان كعبته الجدرا

فيوض عـلوم الله من قـدم حوى   فقسم منهـا ما افاد وما احتوى

ومن قبل مايثوى ومن بعد ماسوى   حرى بتقسيم الفيوض وما سوى

أبى الحسنين الا حسنين بها احرى

ظللنا وكم جان لديه ومـذنب   وذي حاجة منا وصاحب مطلب

نقبل والاجفان تهمى بصيب   ثرى منه في الدنيا الثراء لمترب

وللمذنب الجانى الشفاعة فى الاخرى

خدمنا أمير المؤمنين بموطن   نعفر فيه الوجـه قصد تيمن

ويخدم قبر المرتضى كل مؤمن   باهداب اجفان واحداق اعين

وحر وجوه عفرتها يد الغبرا

ازلنا غبارا كان فى قـبر حيدر   فـلاح كغمد المشرـفي المشهر

ولا غروفى ذاك المكان المطهر   امطنا القذى عن جفن سيف مذ كر

اجل سيوف الله اشهرها ذ كرا

تبدى سنى أنواره وتبينا   غداة جلونا قبره فتزينا

فحير افهاما وابهر أعينا   فوالله ما ندري وقد سطع السنا

جلونا قرابا ام جلينا له قبرا

وقال صاحب الاصل وقد خمسها آخر من شعراء العراق أيضا

شيدت رفعة وعزت مثالا   وتعطلت فخامة وجلالا

واستمخت من الجبال الثقالا   قبة المرتضى علي تعالى

شأنها عن موازن وعديل

ونمت في الدجى كبدر منير   وتبدت تزهو بحسن نضير

فهي اكسير كل قلب كسير   من نضار صيغت بغير نظير

في مثال منزه عن مثيل

قد صفا كالمرآة منها صقال   فبدا للنجوم فيها مثال

فلك لايحيط فيه خيال   فوقها كالاكليل لاح هلال

رمقته السهى بطرف كليل

ملأت قبة العوالم بالضو   واستقلت بنفسها في ذرى الجو

بعلى علت فما ضرها لو   كبرت فاستقلت الفلك الدو

وارعنها بان يرى بديل

حل فيها نور الهدى فتحلت   ودنت فوق قبره فتدلت

ملئت هيبة فعزت وجلت   جللت مرقدا جليلا تجلت

فوقه هيبة المليك الجليل

سمكها سامت السماك مقاما   حين ضمت ذاك الامام الهماما

ابدا شأو شأنها لن يسامى   فعلى قبة السماء اذا ما

فضلوها اقول بالتفضيل

هى عين وللتجلي سجنجل   كل ذات بعكسها تتمثل

وبمرآة فكر من يتخيل   هي باء مقلوبة فوق تلك الـ

ـنقطة المستحيلة التاويل

دار مجد من بابها السعد يدخل   دار في صحنها الهدى في تسلسل

ـفي علاها مهما تشا ابدا قل   هى فلك بل ما عليه استوى الفلـ

ـك ومن فوق لوحه من قبيل

كم نفوسا بطهرها أحياها   مجتباها كما قد آن اجتباها

ما ترى عند بابها محتاجا   هي كهف النجاة طور المناجا

ة ثمال العفاة مأوى الدخيل

هي كنز لدرة الفخر موئل   قد حوت كل جوهر متفضل

ليس فيها لعارض الدهر مقتل   هي حق لجوهر الخاص مالك

مرض الدام عندها من مقيل

هي شمس الهدى لمن ضل دوما   ما رأى من بها اهتدى قط لوما

كم هدت من غوى الجهالة قوما   هي ظل ماضل من قال يوما

بحماها من تحت ظل ظليل

صدف قد غلت بدر ثمين   وامام للمؤمنين مبين

كنزها قد حوى لخير دفين   هي غمد لذي فقار بطين

من سيوف الله العلي صقيل

حضرة فوقها الجلال تجلى   اجمة في عرينها الليث حلا

كيف تدنو الاسود منه محلا   هي غاب ثوى به أسد اللا

ه علىّ بصدر اشرف غيل

هو سيف القضا بايدى قدير   نصله ينتضى بيوم عسير

حيدر يضرم الوغى بسعير   ذاك ليث اردى العدى بزئير

وحسام أبادهم بصليل

هى روض ونعم مرعى ومنهل   لامير النحل الامام المفضل

دار فيها كأس الرحيق المسلسل   كورة لليعسوب مازج صرف الـ

شهد منها اطائب الزنجبيل

فلك دائر منير بشهب   نورها ظاهر بشرق وغرب

هونت فى تدبيرها كل صعب   كرة مستديرة فوق قطب

دبر الكائنات بالتعديل

صاغها الله من محاسن تعجب وطلاها من نوره المتلهب
فهى اسنى سبيكة لمذهب افرغتها يمنى المفاخر من تبـ
ـر المعالى فى قالب التبجيل

صبغة الله زينت بالتحلى وعليها الاملاك للوحى تملى
مذ دنا الروح نحوها بالتدلى صبغتها بالنور ايدى التجلى
بقدامى من خافقى جبرئيل

لا يحيط الخيال وقتا فوقتا بحلاها ولا يخيل نعتا
جمعت ذاتها فضائل شتى فغشاها النور الالهى حتى
بخيال جلت عن التخييل

احرزت من ازاهر الشرف الغض واحاطت بالمجد فى الطول والعرض
كل فضل من فضلها يتبعض قد حوى فصل بابها جمل الفضـ
ـل التى قد غنين عن تفصيل

جليت تزدهى بجسم صقيل فهى زهراء مالها من مثيل
منذ زفت لخير مولى جليل كعروس بدت بوجه جميل
تسبي شمس الضحى بخد اسيل

هى بدر الدجى بغير سرار هى شمس ضاءت بغير استتار
زندها فى كلا الجديدين وار هى فى الليل مثلها فى نهار
وبوقت الضحى كوقت الاصيل

نالت النيرات من ذاك نيلا يستميل المحب للحب ميلا
فتهاوت منها تقبل زيلا فابلتها االبدور بالالثم ليلا
وشموس النهار بالتقبيل

كسراج لنا تجلت مساء فاستعارت منها الدراري سناء
زيتها التبر يستنير ضياء صحنها كالقنديل يزهر عماء
وهي تحكى ذباله القنديل

هل محب يحنو على ما اقاسى　　من غرام دك الجبال الرواسي
.الجرحي سواكما اليوم اسى　　ياخليلى والخليل المواسى
.منكما من يحب نفع الخليل

بالغريين حاجة اقضيها　　وبكو فان بلغة ارتجيها
فبحق الزهرا وحق بنيها　　عالانى بذكر من حل فيها
ان قلبي يطب بالتعليل

ذوسجايا أصفى من الدر والور　　ومزايا لم نحصها بالتفكر
أخبرت عن نعوته الكتب الغر　　نعته بالزبور جاء وبالفر
قان بل بالتوراة والانجيل

هل أتى فى سواه بالذكر تملى　　آي وحي بها تسامي محلا
وصفه بالقرآن قد جاء يتلى　　الامام المبين أحصى به الله
جميع الاشياء فى التنزيل

صدره نسخة لما كان فى الكو　　ن قديما من خطها الناس املو
هو علم الكتاب فى علمه أو　　فهو اللوح بل وما خط فى اللو
ح لديه مقيد التسجيل

كم تملنا منه بكاس روىّ　　فامطنا برشفها كل غى
ان ترم ان تفور منها بري　　سل سبيلا اسلسبدل علىّ
وعلى ان السبيل قصد السبيل

زره مهما أصالك الخطب منها　　تق غيثا همى وبحرا خضما
ناجل فى راحه عن القاب هما　　هرساقى الحوض الذى الناس يظما
من حبته يداه بالتنويل

كم غليل روى بمحض مقيل　　سرويناه عن فرات ونيل
كم أفاضت كفاه من سلسبيل　　[illegible] الشفا لكل عليل
[illegible] لدت كل عليل

ساعه الأقدس نبدى وتراه   وعلى قطرة الشنا سواه
بحر جود فالشفاه سواه   علم كل قطرة من نداه

هي غيث لكل عام محل

جئت أشكو اليه بثي وحزني   حاش لله ان يخيب ظني
لله من فضله تصارى التمني   عرض حال لاعر وان طال اني

لذت في جاهه العريض الطويل

غيث فضل يهمى بفيض غزير   وغياث من كل أمر عسير
كيف أرضى منه بمن يسير   طامع من نوالى بكثير

ما أنا منه قانع بقليل

كم عديم أحيا بجود عميم   وهدى حائرا لنهج قويم
ولا عتابه بقلب سليم   جئت مستهديا هدى من كريم

لست مستجديا جدى من بخيل

لجناحي اراش بعد تلافي   بقدامى أفضاله والخوافى
قبره كعبة غدا للطوافى   من ثراه لى ثروة وحذافى

ردعانى بهن أغنى معيل

كل من زار قبره أمن الهو   ل وان كان ذنبه يملا الجو
ما ترانى وقد أحاط بى السو   زرته والدموع تنهل والاو

زار تنهال عن كثيب مهيل

حبه بارز بدا من ضميري   وعلينا فرض ولاء الامير
بولاه كم اغتنى من فقير   ليس لى بعد حبه من نقير

يغن عنى شيئا ولا من فتيل

(وقال أيضا الشاعر العراقي)

حضرت الكاظمين منها المرايا   قد حكت قلب صب أهل الطفوف
صبغتها يد التجلي بكف   كبرت عن تشبيهها بالكفوف

زوقت من غدير نجم صفاء   فتراءت لطرفي المطروف
صور الكائنات موجا بموج   سابحات في موجها المكفوف
من قناديل عسجد زينوها   بصفوف للوح اثر صفوف
وبهم تعليقها الانيق تبدى   كسطور منضودة من حروف
روضة للصدور فيها ورود   باكف الالحاظ ذات قطوف
قد اطلت شمسا بغير كسوف   واقلت بدرا بغير خسوف
وطوت كاظما ولفت جوادا   فازدهت بالمطوى والملفوف
شرفت فيهما وما كل ظرف   حاز تشريفه من المظروف
وغدت للقلبين مثل شغاف   رق لطفا كقلبي المشغوف
وهى لما على السماء أنافت   بهما قلت ياسما المجد نوفي
كلما زرتها أقول لعيني   هذه كعبة الجلال فطوفي
بحماها كم من الوفد من الزو   ار فازت من المنى بصنوف
أفاخشى صروف دهري واني   بحماها يخشى الزمان صروفي
حرم آمن فمن كان فيه   قاطنا كان آمنا من مخوف
ومطاف به استدارت فطافت   زمر كاستدارة الخذروف
كم لرشد من حائري هدته   وبرفدكم قد كفت من كوفي
شنفتها العلياء لما أصاخت   لصرير الاقلام أبهى شنوف
بشمخت عزة بانف أشم   مرغم بالتراب شم الانوف
أرعفت مارن الصباح فاجرت   دمه من بروقها بسيوف
الفت نفسى الثناء عليها   وهي لاتنثنى عن المألوف
لاتلمنى على الوقوف بباب   تتمنى الاملاك فيه وقوفي
هو باب مجرب ذو خواص   كان منها اغاثة الملهوف
ملجأ العاجزين كهف اليتامى   مروة المرملين مأوى الضيوف
من يروم الفتوح مما سواه   طرقت بابه اكف الحتوف

أنا عنه نحيا ونبنا بعدنا   ي والحوادث لنت بالصروف

هم بنو المرتضى وعترة طه   سحب الفضل أبحر المعروف

فليقل من شاء أنى موال   راقل من ولاهم بشفوف

فلهم منى الثنا ما اليهم   قطع المدلجون كل تنوف

(وقال)

الا ان صندوقا أحاط بحيدر   وذى العرش قد أوبى الى حضرة القدس

فان لم يكن لله كرسى عرشه   فان الذى فى ضمنه آية الكرسى

وقال وقد شاهد الزوار ليلا تتهافت على الصندوق خلال الشموع الموقدة

صندوق قبر المرتضى زواره   بين الشموع لهم عليه تهافت

فكأنه بدر به قد احدقت   سيارة من أنجم وثوابت

(وقال لما زار موسى الكاظم)

خلعنا نفوسا قبل خلع نعالنا   غداة حللنا مرقدا منك مأنوسا

وليس علينا من جناح بخلعها   لانك بالوادى المقدس ياموسى

الى غير ذلك من شعره الذي جمعه بمجموع سماه الباقيات الصالحات وكله على هذا المنهج ومن العجب من يسلك هـذا المسلك كيف يدعى انه من أهل السنة وليس من الروافض وله أبيات فى الشيخ عبد القادر الكيلانى وهى هـذه وقد سلك فيها من الغلو مسلك مانقلناه من شعره *

أبيات شعرى حكت آيات تنزيل   تتلى بحضرة ممدوحى بترتيل

وعت من الملأ الاعلى لها اذن   فشنفتها بتكبير وتهليل

قد انطوى العالم الاسمى باحرفها   فعطر النشر منها طيب تأويل

عن حسنها قاصرات الطرف قد قصرت   أجب بكاعبة النجدين عطبول

ماست دلالا تعاطيني الرضاب طل   فهمت مابين عسال ومعسول

تاهت على اللؤلؤ المنثور اذ نظمت   فى مدح مولاى عبد القادر الجليلى

قطب عليه مدار العالمين له   دور تسلسل لا في قيد تعطيل

غوث وغيث لراجيه وخائفه ... يحيي ويهمي بافضال وتفضيل
مستعجل لتجلي ذاته طوبت ... لعينه عينه من غير تمثيل
جلاء نقطة عين العين رتبته ... كم فزت منها بتصغير وتكحيل
طوفان علم به نوح النبوة في ... فلك الفتوة ينجي كل محمول
خضم فيض بعيد الغور فيه دست ... سفن الولاية لا في ساحل النيل
مصباح فضل بنبراس الجمال زهت ... مشكاته له فيه لا في ضوء قنديل
نور بسيط على وجه البسيطة بل ... بحر محيط بمعقول ومنقول
قرآن جمع لاشتات الهبات من الـــنزرات لا قبض بسط العرض والطول
فرقان فرق العلى آياته رسمت ... في جبهة كانت منه بأكليل
مفتاح غيب بلا ريب برزخه ... باب الشهود لديه غير مقفول
في عالم الغيب قد صحت مشاهدة ... له فجاء بكشف غير معلول
توارثت أولياء الله بعثته ... منذ الست ومن جيل الى جيل
في النشأتين له حال تصرفه ... نالله في كل معقود ومحلول
باب الرجاء وقطب الاولياء ونخ ... ر الاتقياء ومأوى كل مذلول
عين الكمال وسلطان الرجاء ومم ... دوح الفعال وحامي كل مخذول
ملجا المريدين منجي اللائذين به ... كنز المقلين مذخوري ومأمولي
زخري وفيه غنى فقري ومدحته ... فخري أنال بحشري منه تنويلي
الى موائده اللاتي حوت مددا ... مددت باعا به علقت كشكولي
تفصيل اجمال جزء من خوارقه ... عن حصرها كل اجمالي وتفصيلي
نلت البقا بفنائي في محبته ... فشاغلي فيه أضحى عين مشغول
وبان صحوي بمحوي في هواه وعن ... وهمي باني سواه بان تخييلي
أتى من العلم في مثل الذي أتيا ... موسى وعيسي بتوراة وانجيل
ندب اذا عم خطب أو دجا حزن ... جلاه في سيف حزم غير مفلول
تهديك بهجته الغراء وغنيته ... تغنيك عن كل مقصود ومأمول

فإنه عند [illegible]   وما سافرت تقوى غير مبذول

ونيل القربة من أعتاب سدته   والذل الخشوع بدمع منك مسبول

فسدرة المنتهى لا تلك حضرته   لقد تناهى اليها علم جبريل

ترى المحبين صرعى تحت قبته   وقلبهم عن هواه غير مشغول

أما تراهم وفى أطمارهم ربضوا   ببابه كاسود الغيل بالغيل

اليه من وصل تدجت منقطعا   فيانقطع بحبل الله موصول

كم ظن قوم قبولا منه تم لهم   وحققوا الظن انى غير مقبول

فدع رجالا على جهل تمنفى   فهل سمعت بصب غير معذول

وابغ رضا الله فى مدح تقدمه   لفارق بين مفضال ومفضول

عليه أزكى سلام الله تتبعه   تحية الملأ الاعلى بتبجيل

ما دوخت ديمة الرضوان مرقده   وجللته وغشته بتذييل *

الى غير ذلك من الشعر الكثير فى هذا الباب * ولو استوعبناه لطال به الكتاب وهذا حال خواصهم. وقد سمعت غلوهم فكيف حال عوامهم. وقد حكى العراقيون ان قبر عبد القادر قد غدا اليوم قبلة يطوفون عليه طواف الحجيج ببيت الله الحرام. وينذرون له النذور ويقدون السرج على رغم ماجاء به دين الاسلام. وقد اتخذ ذرارى الشيخ ذلك غنيمة يرتعون فيها كما ترتع الانعام. وبعض سفهاء العقول وناقصوا الاحلام يتخذهم وسائل فى الدنيا والآخرة. وحكى العراقيون ان الكيلانيين اليوم أشر امة فى العراق وعائلتهم أصبحت بلاء على بغداد ومن العجيب ان كبير تلك العائلة (نقيب) يدعى انه سلفى العقيدة وهو من سدنة الاصنام لم يزل يأكل النذور المحرمة من الهنديين وغيرهم نسأله تعالى أن يطهر الارض من أمثال هؤلاء المعادين لدين الله تعالى والمضادين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما أحق هذا النقيب بقول القائل *

﴿ نزلوا بمكة فى قبائل هاشم * ونزلت فى البيداء أبعد منزل ﴾

وقد سمعت ان بعض ادباء بلدته هجاه بقصائد كثيرة منها قصيدة مطلعها *

﴿ أرجح بغداد واني غريبها * على جنة الفردوس لولا نقيبها ﴾

وانى أسأل الله تعالى ان ينصر المسلمين من أهل السنة وغيرهم حتى لا يكون أموالهم غنيمة لهكذا سفهاء وتصونهم من كيدهم انه على كل شيء قدير • ولولا ملاحظة ان يطول الكتاب لاتينا على مفصل أحوال هؤلاء السدنة وعباد الاصنام • وما ذكرناه كاف ان شاء الله تعالى في هذا المقام *

فظهر مما ذكرنا ان قول هذا الجاهل ان الشيخ محمد ومن وافقه من أهل نجد وغيرهم أهل بدعة هو قول باطل بل هم الفرقة الناجية ان شاء الله وهم أهل السنة والجماعة وهم عصابة الحق وان المبتدعة هم هذا الجاهل النبي ومن على شاكلته لما سمعت من جهلهم وضلالهم ولكن الامر كما قيل في المثل السائر • رمتني بدائها وانسلت *

﴿ وأما الكلام على ما ذكره من القدح والجرح في كتب الشيخين واضرابهما ﴾

فسيأتي البحث عنه مفصلا فيما خصص له من فصول كتابه وعادته ودأبه تكرير الكلام من غير طائل بل ليعظم حجم الكتاب فيفرح به * اما قوله وقد طبعوا الى الآن عشرة كتب ثم عددها مع الطعن والقدح فيها فيقال له اخطات في الحساب • كما قد زغت عن جادة الحق والصواب بل ان الذي طبع من كتب الشيخين ونحوهما نحو مائة كتاب ما بين مختصر ومفصل • منها ماطبع في مصر • ومنها ماطبع في المطابع الهنديه ومنها ما طبع في مكة شرفها الله • وكل هذه الكتب كنوز علم ومصابيح هدى • والحمد لله كما انها شجى لاعداء الدين والمبتدعة الملحدين واني أبشرك أيها المبتدع ان جميع كتب شيخ الاسلام وأصحابه ستطبع قريبا ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله حيث يظهر بها زيغ الملحدين وافتراء السبكي وابن حجر واضرابهما من المتبعين لهواهم الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين • ثم ختم كلامه على الكتب بذكر شيء من قصيدته التي سماها طيبة الغراء وهي التي ذكر فيها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم موجود في كل مكان وكل زمان غير انه لم يأت بجميع أبياتها هنا وزعم انه حاكى بها قصيدة بانت سعاد فيقال له لقد حكيت ولكن فاتك الشنب • وشعره ركيك جدا وسنتكلم عليه فيما يناسب من مباحث الكتاب • ثم نقول ان هذه القصيدة التي ذكرها لامناسبة لها مع البحث الذي هو بصدده • وهكذا مباحث كتابه كلها على هذا المنوال لم يزل يذكر مباحث غير متناسبة • ويورد امورا لا تفيده شيئا • ولم يكن قصده والله أعلم الا

انتاج كتابه وبيان رعونته وتجاهله نسأل الله تعالى العافية مما ابتلاه به

(ثم ابن النبهاني) ذكر القسم الثاني من المقدمة وقال انه يشتمل على اثني عشر تنبيها يلزم معرفتها لمن أراد مطالعة هذا الكتاب وذكر التنبيه الاول وفيه بيان أحوال ابن تيمية والتحذير عنه وانه ومن وافقه على ضلال. ثم ذكر التنبيه الثاني وهو بمعنى التنبيه الاول غير انه قال انه لا يكفر ابن تيمية وأصحابه لانهم من أهل القبلة وأطال الكلام في ذلك. ثم ذكر التنبيه الثالث وفيه ذكر رؤياه لابن السبكي وابن تيمية قائما والسبكي قاعدا على محجزه مع رجل ثالث ظنه صاحب الصارم المنكي ولم يعلم مقصده من هذا التنبيه * ثم ذكر التنبيه الرابع وقد اشتمل على بيان منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم وانه صاحب الشفاعة العظمى والمقام المحمود وان أهل العلم حثوا على دعائه والاستغاثة به وطلب مايطلب من الله تعالى منه وانه لم يمنع منها سوى محمد بن عبد الوهاب وأصحابه والسيد صديق حسن خان وحزبه وان هذا الرجل هو الذي طبع كتب السنن وأضل الناس بها ثم ذكر التنبيه الخامس وفيه الثناء على ابن تمية وابن القيم ودفع التناقض بين ما كان منه من المدح والذم نظرا لاختلاف الحالات وتغاير الجهات وتأييد ذلك بما نقل من كتاب الصواعق الالهية للشيخ سليمان بن عبد الوهاب الحنبلي * ثم ذكر التنبيه السادس . وفيه اعتقاده في ابن تيمية وتلامذته أنهم من ائمة الدين واكابر علماء المسلمين . قد نفعوا الامة المحمديه بعلمهم نفعا عظيما وان أساؤا غاية الاساءة في بدعة منع الزيارة والاستغاثة واضروا بها الاسلام والمسلمين وهذا الذي استوجب رده عليهم حسما لمادة الفساد الى آخر ما هذى به * ثم ذكر التنبيه السابع وفيه يقول إياك أيها المسلم ان يخدعك الشيطان بقبول أقوال ابن تيمية وأصحابه ويقول لك انهم من اكابر أهل العلم الى آخر هذيانه الذي اورده للتنفير عن أقول الشيخ ومن يوافقه *

ثم ذكر التنبية الثامن وفيه أنه لو كان كلام ابن تيمية حقا في مسألة المنع من شد الرحل لزيارة القبور لترك الناس الزيارة وخربت المدينة * ثم ذكر التنبيه التاسع وفيه أنه لم يقصد بما ألف ردع من يقول باقوال ابن تيمية عن معتقده المبتدع فان هذا مما لا يفيد بل مقصوده تنبيه الناس على فساد عقائد هؤلاء القوم وتحذير المسلمين عن اعتقاد قولهم *

ثم ذكر التنبيه العاشر وفيه ان ابن تيميـة وكذلك أصحابه لم يقصدوا بمنعهم من سفر الزيارة الحط من رتبة النبي صلى الله عليه وسلم حاشاهم من ذلك فانهم من اكابر علماء المسلمين وحماة

أيها النبهاني صدقت وبررت لان معك جماعة من أهل التصنيف بهذه الدعوى ودعوى المصنف مردود لانه يدعي بنفسه وليس معه احد منا ولا يقبل قول احد الا الافراد وامثاله انتهى

[illegible] الأدلة التي
قامت عليهم وما فهموه من الكتاب والسنة على حسب استعدادهم الخ . وهذه التنبيهات بعضها يتضمن بعضا . ثم نقل عبارة ابن تيمية في كتاب العقل والنقل في تعظيم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . ثم تعجب من القائل بهذا القول كيف يمنع من سفر الزيارة والاستغاثة به الخ . ثم ذكر التنبيه الحادي عشر وفيه تحذير الناس من مخالطة من يوافق ابن تيمية في الاعتقاد فانهم مبتدعة وتكلم عليهم بكل ما يستشنع . ثم ذكر التنبيه الثاني عشر وفيه بيان ان ابن تيمية لم يخص أحدا بالرد والتضليل ولكنه خاصم جميع المسلمين الى ان قال وزيد على ذلك تكفير كثير من أئمة الصوفية الذين هم سادات الامة الخ *

أقول هذا حاصل ما ذكر في تنبيهاته ويكفي الواقف عليها معرفة مبلغ هذا الرجل من العلم وخفة عقله ورعونته فان جميع ما ذكره في هذه التنبيهات ضرب من الوسواس وكلام المتوهين او نوع من هذيان المحموم ومآل جميعها واحد وهو الحط على ابن تيمية وأصحابه وتحذير الناس من الميل اليه ومطالعة كتبه والاخذ باقواله بسبب ما ظهر له من منع سفر الزيارة والاستغاثة بمخلوق ولسبب قوله بهذين المسألتين قد قامت القيامة وفار التنور وهذا والامر لله تعالى من ادبار المسلمين وسوء طوالعهم في هذا العصر عصر الترقي والاخذ بنواصي الكمالات . ونحن سنتكلم على كلا المسألتين في مقامها ونضرب صفحا عن مؤاخذته في كل ما هذا به في هذه التنبيهات وسنبين أقوال أهل العلم في شأن ابن تيمية مما يلقم النبهاني واضرابه حجر السكوت *

وذكر في التنبيه الثالث رؤياه ولم يعبرها فوجب تعبيرها له وذلك أنه قال رأيت منذ ثلاث سنوات ونيف الامام ابن تيمية والامام السبكي في رؤيا وهما في مجلس واحد والسبكي جالس وهو سمين اسمر عليه هيبة ووقار وابن تيمية واقف اسمر اغبر نحيف الوجه والجسم عليه هيبة العلم . وقد كان اقرب الي من السبكي فقصدته لاقبل يده ويغلب على ظني أني قبلتها وسألته عن مقدار عمره فقال ستمائة سنة ثم انتبهت .

(فيقال له) ان صحت رؤياك أيها النبهاني وان كان ما تراه يقظة ومناما أضغاث أحلام . دلت على ان الله تعالى كشف لك عن حال مقتداك وشيخ بدعك وهو السبكي فانه كما هو المعلوم لدى كل منصف كان من الد الخصوم لشيخ الاسلام بل لكل أهل حق وحيث كان جالسا بين يدى

تخصمه فهو دليل على ان خصمه وهو ابن تيمية قد افحمه على عجزه والأمر كما رأيت فقد أفحمه
السبكي على ما افتى به الشيخ ابن تيمية في مسئلتي الطلاق والزيارة ورد عليه الشيخ ابن تيمية
بعده بمجلدات بقول ابن السبكي رأيت منها مجلدا . واما سواد الوجه الذي لاح في السبكي فهو
بيان ما ابتدعه قال عز ذكره ترى الذين كذبوا على ربهم وجوههم مسودة . واما السمن الذي
كان فيه فهو علامة غيظه وشقائه بين يدي خصمه . واما وقوف ابن تيمية على ساقه فهو النصر
على خصومه وانه لم يزل قائما على ساق الهمة . واما نحافته وجوده فهو ما كابده من عناء مخاصمة
أهل البدع واعداء الدين . وتعبير سمنه هو من السودد . وتقبيل يديه ذلك له وضراعتك للحق *
واما الرجل الذي رأيته وظننته ابن عبد الهادي او ابن القيم فهو والله أعلم الاول لانه الذي
رد على مقتداك السبكي بعد وفاة الشيخ ابن تيمية في كتاب الصارم المنكي في الرد على السبكي
في كتابه شفاء السقام واقعده على عجزه أيضا . وبين جهله وغباوته . وقد رأيت وله الحمد
تعبير رؤياك من قبل . واما قوله لك في جواب سؤالك عن مدة عمره أنه ستمائة سنة فهو معنى
قوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) . ومثل ابن
تيمية لم يمت على تعاقب الازمان *

﴿ وما دام ذكر العبد بالفضل باقيا * فذلك حي وهو في الترب هالك ﴾

﴿ وقال آخر ﴾

﴿ قد مات قوم وما ماتت مكارمهم * وعاش قوم وهم في الناس أموات ﴾

فالعالم بما جاء به الرسول العامل به اطوع في أهل الارض من كل أحد فاذا مات احيا الله ذكره ونشر له في العالمين أحسن الثناء فالعالم بعد وفاته ميت وهو حي بين الناس . والجاهل في حياته حي وهو ميت بين الناس كما قيل *

﴿ وفي الجهل قبل الموت موت لاهله   واجسامهم قبل القبور قبور ﴾

﴿ وارواحهم في وحشة من جسومهم   وليس لهم حتى النشور نشور ﴾

ومن تامل أحوال أئمة الاسلام كائمة الحديث والفقه كيف هم تحت التراب وهم في العالمين كانهم أحياء بينهم لم يفقدوا منهم الا صورهم والا فذكرهم وحديثهم والثناء عليهم غير منقطع وهذه هي الحياة حقا حتى عد ذلك حياة ثانية كما قال المتنبي *

﴿ ذكر [illegible] ﴾

(السكون النبهاني) على ما حكى لي من رآه انه كذاب كثيرا ما يحدث بحكايات لا اصل لها وفي الحقيقة ان امثال هؤلاء المبتدعة كذلك وهم بيت الكذب كما انهم المتهالكون على الدنيا وهذا علامة دجاجلة العصر قبحهم الله تعالى *

هذا وما ذكره في باقي التنبيهات منه مما لا يستحق ان يصغى اليه لانه لا يخفى فساده حتى على صغار الطلبة . ومنه ما ذكره النبهاني في باب مختص به فاجلنا البحث عنه والكلام عليه الى وصولنا اليه . والله الهادي الى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ثم انه عقد بابا في اثبات مشروعية السفر الى زيارة قبره الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم كسائر الانبياء والصالحين وجعله الباب الاول وافتتحه بارجوزة مدح بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم استدل على مشروعية هذا السفر بما ذكره ابن حجر في كتابه الجوهر المنظم وقد اتى باكثره والكتاب مشهور . وبما ذكره ابن الحاج في مدخله وهو كذلك ثم بما ذكره السبكي في شفاء السقام . ثم بما ذكره الشيخ عبد القادر الكيلاني في الغنية ثم عقبه بكلام النووي ثم بكلام ابن الهمام الحنفي في فتح القدير . ثم بما في مشارق الانوار للشيخ حسن العدوي . ثم ذكر مازوروه من مد اليد للرفاعي . ثم ذكر اربعين حديثا في فضل المدينة لابن الحسن البكري ثم ختم الباب بخاتمة ذكر اختلاف الناس في التفاضل بين مكة والمدينة . ثم ذكر فصلا ذكر فيه شيئا مما لا ينبغي فعله للزائر نقله من كتاب الجوهر المنظم لابن حجر المكي . ثم نقل عن العدوي كلاما يتعلق بكرامات الاولياء وتصرفهم وبه ختم الباب وحيث ان هذه المباحث مشهورة بل انها قد ملتها الاسماع لم اذكرها في هذا المقام لطولها بل اذكر حاصلها في اثناء الرد عليه ومن الله التوفيق والهداية الى اقوم طريق *

﴿ اقول ﴾ كان من الحزم عدم التعرض لهذه المسائل المفروغ عن تحقيقها . وقد سبق منا بيان العذر للكلام على هذيان النبهاني مع العلم انه لا يفيد في رد من ختم الله على قلبه وسمعه وعلى بصره غشاوة فانه قد الف في هذا الباب كتب مفصلة ومجملة قد حقق فيها الكلام على هذه المسائل اتم تحقيق ومع ذلك لم يؤثر شيئا في فهم هذا الخصم واضرابه واعاد وابدى واستدل بما هو مردود مرارا عديدة فسبحان من طبع على قلبه وهنا كلام لابن القيم يناسب المقام قال رحمه

[illegible]
فغلط اهل الكلام فيما قالوه وعنوان القرآن مملوء من الاخبار عن المشركين عباد الاصنام انهم
كانوا يقرون بالله وبانه هو وحده ربهم وخالقهم وان الارض وما فيها له وحده وانه رب
السموات السبع ورب العرش العظيم وانه بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه وانه
هو الذي سخر الشمس والقمر وانزل المطر واخرج النبات والقرآن مناد عليهم بذلك محتج بما
اقروا به من ذلك على صحة مادعاهم اليه رسله فكيف يقال ان القوم لم يكونوا مقرين قط بان
لهم ربا وخالقا وهذا بهتان عظيم فالكفر امر وراء مجرد الجهل بل الكفر الاغلظ هو ما انكره
هؤلاء وزعموا انه ليس بكفر *

قالوا والقلب عليه واجبان لايصير مؤمنا الا بهما جميعا . واجب المعرفة والعلم . وواجب الحب والانقياد والاستسلام فكما لا يكون مؤمنا اذا لم يأت بواجب العلم والاعتقاد لا يكون مؤمنا اذا لم يأت بواجب الحب والانقياد والاستسلام بل اذا ترك هذا الواجب مع علمه ومعرفته به كان اعظم كفرا وابعد عن الايمان من الكافر جهلا فان الجاهل اذا عرف وعلم فهو قريب الى الانقياد والاتباع .

واما المعاند فلا دواء فيه قال تعالى كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق والله لايهدى القوم الظالمين *

قالوا فحب الله ورسوله بل كون الله ورسوله احب الى العبد من سواهما لايكون العبد مسلما الا به ولا ريب ان الحب امر وراء العلم فما كل من عرف الرسول احبه كما تقدم *

قالوا وهذا الحاسد يحمله بغض المحسود على معاداته والسعى فى اذاه بكل ممكن مع علمه بفضله وعلمه وانه لاشيء فيه يوجب عداوته الا محاسنه وفضائله *

ولهذا قيل الحاسد عدو للنعم والمكارم فالحاسد لم يحمله على معادات المحسود جهله بفضله وكماله وانما حمله على ذلك فساد قصده وارادته كما هي حال الرسل وورثتهم مع الرؤساء الذين سلبهم الرسل وورثوهم رياستهم الباطلة فعادوهم وصدوا النفوس عن متابعتهم ظنا ان الرياسة تبقى لهم وينفردون بها .

وسنة الله في هؤلاء ان يسلبهم رياسة الدنيا والآخرة ويصغرهم فى عيون الخلق مقابلة لهم

[illegible]

قال وهذا موارد احتجاج الفريقين وموقف اقدام الطائفتين فاجلس ايها المنصف منهما على الحكومة وتوخ بعلمك وعدلك فصل هذه الخصومة فقد ادلى كل منهما بحجج لا تمارض ولا تمانع وجاء ببينات لا ترد ولا تدافع فهل عندك شيء غير هذا يحصل به فصل الخطاب وينكشف به لطالب الحق وجه الصواب فيرضى الطائفتين ويزول به الاختلاف من البين والا

﴿ فخل المطى وحاديها * واعط القوس باريها ﴾

﴿ دع الهوى لاناس يعرفون به * قد كابدوا الحب حتى لان أصعبه ﴾

ومن عرف قدره وعرف لذى الفضل فضله فقد قرع باب التوفيق والله الفتاح العليم فنقول وبالله التوفيق .

كلا الطائفتين ماخرجت عن موجب العلم ولا عدلت عن سنن الحق وانما الاختلاف والتباين بينهما من عدم التوارد على محل واحد ومن اطلاق الفاظ مجملة بتفصيل معانيها يزول الاختلاف ويظهر ان كل طائفة موافقة للاخرى على نفس قولها وبيان هـذا ان المقتضى قسمان مقتض لا يتخلف عنه موجبه ومقتضاه لقصوره فى نفسه عن التمام او لفوات شرط اقتضائه او قيام مانع منع تأثيره فان أريد بكون العلم مقتضيا للاهتداء الاقتضاء التام الذى لا يتخلف عنـه أثره بل يلزمه الاهتـداء بالفعل فالصواب قول الطائفة الثانية وانه لا يلزم من العلم حصول الاهتـداء المطلوب وان أريد بكونه موجبا انه صالح للاهتداء مقتض له وقد يتخلف عنـه مقتضاه لقصوره او فوات شرط او قيام مانع فالصواب قول الطائفة الاولى قال وتفصيل هذه الجملة ان العلم بكون الشيء سببا لمصلحة العبد ولذاته وسروره قد يتخلف عنه عمـله بمقتضـاه لاسباب عديدة (السبب الاول) ضعف معرفته بذلك (السبب الثانى) عدم الاهلية وقد تـكون معرفته به تامة لـكن يكون مشروطا بزكاة المحل وقبوله للتزكية فاذا كان المحل غير زكي ولا قابل للتزكية كان كالارض الصلدة التى لا يخالطها الماء فانه يمتنع النبات منها لعدم أهليتها وقبولها فاذا كان القلب قاسيا حجريا لا يقبل تزكية ولا تؤثر فيه النصائح لم ينتفع بكل علم يعلمه كما لا تنبت الارض الصلبة ولو أصابها كل مطر وبذر فيها كل بذر كما قال تعالى فى هذا الصنف من الناس (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم)

وقال تعالى (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله) وقال تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) وهذا في القرآن كثير فاذا كان القلب قاسيا غليظا جافيا لا يعمل فيه العلم شيئا وكذلك اذا كان مريضا مهينا مائيا لا صلابة فيه ولا قوة ولا عزيمة لم يؤثر فيه العلم.

(السبب الثالث) قيام مانع وهو اما حسد او كبر وذلك مانع ابليس من الانقياد للامر وهو داء الاولين والآخرين الا من عصم الله وبه تخلف الايمان عن اليهود الذين شاهدوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعرفوا صحة نبوته ومن جرى مجراهم وهو الذى منع عبد الله بن أبي من الايمان . وبه تخلف الايمان عن أبي جهل وسائر المشركين فانهم لم يكونوا يرتابون فى صدقه وان الحق معه لكن حملهم الكبر والحسد على الكفر . وبه تخلف الايمان عن أمية واضرابه ممن كان عنده علم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم *

(السبب الرابع) مانع الرياسة والملك وان لم يقم بصاحبه حسد ولا تكبر عن الانقياد للحق لكن لا يمكنه ان يجتمع له الانقياد وملكه ورياسته فيضن بملكه ورياسته كحال هرقل واضرابه من ملوك الكفار الذين علموا نبوته وصدقه وأقروا بها باطنا وأحبوا الدخول في دينه لكن خافوا على ملكهم وهذا داء ارباب الملك والولاية والرياسة وقل من نجا منه الا من عصم الله وهو داء فرعون وقومه ولهذا قالوا (أنؤمن لبشر مثلنا وقومهما لنا عابدون) أنفوا ان يؤمنوا ويتبعوا موسى وهارون وينقادوا لهما وبنو اسرائيل عبيد لهم . ولهذا قيل ان فرعون لما أراد متابعة موسى وتصديقه شاور هامان وزيره فقال بينا أنت اله تعبد تصير عبدا تعبد غيرك فأبى العبودية واختار الرياسة والالهية المحال *

(السبب الخامس) مانع الشهوة والمال وهو الذى منع كثيرا من أهل الكتاب من الايمان خوفا من بطلان ماكلهم واموالهم التي تصير اليهم من قومهم وقد كان كفار قريش يصدون الرجل عن الايمان بحسب شهوته فيدخلون عليه منها فكانوا يقولون لمن يحب الزنا ان محمدا يحرم الزنا ويحرم الخمر وبه صدوا الاعشى الشاعر عن الاسلام قال وقد فاوضت غير واحد من أهل الكتاب فى الاسلام وصحته فكان آخر ما كلمني به أحدهم أنا لا اترك الخمر واشربها امنا فاذا أسلمت حلتم بيني وبينها وجلدتموني على شربها . وقال آخر منهم بعد ان عرف ماقلت

[illegible] الأرب أرباب العقول ولو ان [illegible] الى [illegible] وكانا له
ولاريب ان هذا القدر في نفوس خلق كثير من الكفار فتحمى قوة داعى الشهوة والمال
وضعف داعى الايمان فيجيب داعى الشهوة والمال ويقول لا أرغب بنفسى عن آبائى وسلفى .
(السبب السادس) محبة الاهل والاقارب والعشيرة يرى أنه اذا اتبع الحق وخالفهم ابعدوه
وطردوه عنهم وأخرجوه من بين أظهرهم وهذا سبب بقاء خلق كثير على الكفر بين قومهم
وأهاليهم وعشائرهم .
(السبب السابع) محبة الدار والوطن وان لم يكن له بها عشيرة ولا أقارب لكن يرى ان في
متابعة الرسول خروجه عن داره ووطنه الى دار الغربة والنوى فيضن بوطنه *
(السبب الثامن) تخيل ان في الاسلام ومتابعة الرسول ازراء وطعنا منه على آبائه واجداده
وذما لهم وهذا هو الذى منع أبا طالب وأمثاله عن الاسلام . استعظموا آباءهم وأجدادهم ان
يشهدوا عليهم بالكفر والضلال وان يختاروا خلاف ما اختار أولئك لانفسهم ورأوا أنهم ان
اسلموا سفهوا أحلام أولئك وضلوا عقولهم ورموهم بأقبح القبائح وهو الكفر والشرك ؛
ولهذا قال أعداء الله لابى طالب عند الموت اترغب عن ملة عبد المطلب . فكان آخر ما كلمهم
به . هو على ملة عبد المطلب فلم يدعه أعداء الله الا من هذا الباب لعلمهم بتعظيم أباه عبد المطب .
وانه انما حاز الفخر والشرف به فكيف يأتى أمرا يلزم منه غاية تنقيصه وذمه — ولهذا قال
لولا ان تكون مسبة على بنى عبد المطلب لاقررت بها عينك او كما قال وهذا شعره يصرح فيه
بانه قد علم وتحقق نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وصدقه كقوله *

﴿ ولقد علمت بأن دين محمد * من خير اديان البرية دينا ﴾
﴿ لولا الملامة اوحذار مسبة * لوجدتنى سمحا بذاك مبينا ﴾

﴿ وفى قصيدته اللامية ﴾

﴿ فوالله لولا أن تكون مسبة * تجر على أشياخنا فى المحافل ﴾
﴿ لكنا اتبعناه على كل حالة * من الدهر جدا غير قول التهازل ﴾
﴿ لقد علموا ان ابننا لامكذب * لدينا ولا يعنى بقول الاباطل ﴾

والمسبة التى زعم انها تجر على اشياخه شهادته عليهم بالكفر والضلال وتسفيه الاحلام وتضليل

المعزول وهذا هو الذي منعه من الاسلام بعد تحققه

(السبب التاسع) مانعة من يعاديه من الناس عن الرسول وسبقه الى الدخول في دينه وتخصيصه وقربه منه وهذا القدر منع كثيرا من اتباع الهدى يكون للرجل عدو ويبغض مكانه ولا يحب ارضا يمشي عليها ويقصد مخالفته ومناقضته فيراه قد اتبع الحق فيحمله قصد مناقضته ومعاداته على معاداة الحق وأهله وان كان لا عداوة بينه وبينهم وهذا كما جرى لليهود مع الانصار فانهم كانوا أعداءهم وكانوا يتواعدونهم بخروج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانهم يتبعونه ويقاتلونهم معه فلما بدرهم اليه الانصار واسلموا حملهم معاداتهم على البقاء على كفرهم ويهوديتهم

(السبب العاشر) مانع الالف والعادة والمنشأ فان العادة قد تقوى حتي تغلب حكم الطبيعة ولهذا قيل هي طبيعة ثانية فيربى الرجل على المقالة وينشأ عليها صغيرا فيتربى قلبه ونفسه عليها كما يتربى لحمه وعظمه على الغذاء المعتاد ولا يعقل نفسه الا عليها، ثم يأتيه العلم وهلة واحدة يريد ازالتها واخراجها من قلبه وان يسكن موضعها فيعسر عليه الانتقال ويصعب عليه الزوال . وهذا السبب وان كان أضعاف الاسباب معنى فهو اغلبها على الامم وارباب المقالات والنحل ليس مع ا كثرهم بل جميعهم الا ما عسى ان يشذ الا عادة ومربى تربي عليه طفلا لا يعرف غيرها ولا يحسن به فدين العوائد هو الغالب على ا كثر الناس فالانتقال عنه كالانتقال عن الطبيعة الى طبيعة ثانية . فصلوات الله وسلامه على أنبيائه ورسله خصوصا على خاتمهم وأفضلهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كيف غيروا عوائد الامم الباطلة ونقلوهم الى الايمان حتى استحدثوا به طبيعة ثانية خرجوا بها عن عادتهم وطبيعتهم الفاسدة ولا يعلم مشقة هذا على النفوس الا من زوال نقل رجل واحد عن دينه ومقالته الى الحق . فجزى الله المرسلين أفضل ما جازى به أحدا من العالمين . انتهى المقصود من نقله *

(وهذا كلام حسن) يعلم به سبب عناد المبتدعة على بدعهم وعدم تأثير الدعوة الحقة فيهم اذ هم على قدم اسلافهم الذين لم ينقادوا للحق ولم يذعنوا لدعوة المرسلين وأظن ان هذا الرجل وهو النبهاني المبتدع المجادل بالباطل وكذلك اضرابه من غلاة الشافعية قد توفرت فيهم الاسباب العشرة السابقة ولا سيا السبب الاول والثاني فان اليهود قد أخبر الله تعالى عن حال قلوبهم بقوله (ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر

[illegible] من خشية الله وما الله بغافل
عما يعملون) *

ونعود الى كلام هذا المخذول فنقول ان ما نقله عن ابن حجر والسبكي وغيرهما كله مستند معنى ومن بعد السبكي كلهم قلدوه في رأيه الفاسد واعتقاده الكاسد الذي ذكره في كتابه شفاء السقام، وقد علمت حال هذا الكتاب وما جرى عليه من الرد والابطال. فقد رده الامام العالم العلامة الحافظ المحقق أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي المقدسي قدس الله روحه في كتابه الذي سماه الصارم المنكي في الرد على السبكي. وقد حقق فيه المسائل المتعلقة بزيارة القبور وبين ما كان فيهما من حق وزور واظهر جهل السبكي بعلم الاثر والحديث وعدم فهمه لمقاصد الشريعة *

ومن نظر الى هذا الكتاب تبين له ان شهرة السبكي بالعلم كانت شهرة كاذبة وان نظره كنظر العوام وان منزلته من العلماء كقطرة من بحر ماء ونغبة من دأماء لايعلم شيئا من معقول ولا منقول وان اطراء غلاة الشافعية فيه من محض تعصبهم وقسوة قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة — ولهذا ترى هذا المخذول لم يزل يتمنى ان لم يكن الف هذا الكتاب أعني كتاب الصارم المنكي * فاذا رد هذا الكتاب رد جميع ما الف في هذه المسألة من كتب الغلاة ولو لم يكن سوى الصارم المنكي لكفى في ذلك مع ان كتب الرد عليهم لاتعد ولا تحصى ولا تكاد تستقصى ولو وقفت على ردود الجوهر المنظم لتبين لك انه خزف لدى كل منصف يعلم وكل هذه الكتب مشهورة متداولة بين الايدى فاذا تكلمنا على ماذكر هذا المخذول كان عبثا وتضييعا للقرطاس.

ولما كانت كتب الخصوم كلها في الرد على شيخ الاسلام ابن تيمية وقد ذكروا عنه مالم يقل به وزوروا عليه امورا كثيرة لم يقل بها ننقل جميع ماقاله في الزيارة من الكتب والفتاوى ثم ننبه على بطلان قول الخصم المخذول باوجز عبارة ومن الله نستمد التوفيق *

﴿قال شيخ الاسلام﴾ ابن تيمية قدس الله روحه في كتابه الجواب الباهر لمن سأل من أولياء الامور عما أفتى به في زيارة المقابر مانصه بعد البسملة *

قد ذكرت فيما كتبته من المناسك ان السفر الى مسجده وزيارة قبره كما يذكره أئمة المسلمين في مناسك الحج عمل صالح مستحب وقد ذكرت في عدة مناسك الحج السنة في ذلك وكيف

يسلم عليه . وهل يستقبل الحجرة كمالك والشافعي وأحمد . او لا يجعله يعني يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره في قول وخلفه في قول لان الحجرة لما كانت خارجة المسجد وكان الصحابة يسلمون عليه لم يكن يمكن أحدا ان يستقبل وجهه ويستدبر القبلة كما صار ذلك ممكنا بعد دخولها في المسجد *

ثم قال وأما ما ذكر في المناسك انه بعد تحية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحبيه والصلاة والسلام يدعو . فقد ذكر الامام أحمد وغيره انه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره لئلا يستدبره — وذلك بعد تحيته والصلاة والسلام ثم يدعو لنفسه وذكروا انه اذا حياه وصلى عليه يستقبل وجهه بابي هو وامي صلى الله عليه وسلم فاذا أراد الدعاء جعل الحجرة عن يساره واستقبل القبلة ودعا وهذا مراعاة منهم بذلك فان الدعاء عند القبر لا يكره مطلقا بل يؤمر به كما جاءت به السنة فيما تقدم ضمنا وتبعا . وانما المكروه ان يتحرى المجيء للقبر للدعاء عنده . وكذلك ذكر أصحاب مالك قالوا يدنوا من القبر فيسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعوا مستقبل القبلة يوليه ظهره . وقيل لا يوليه ظهره * فانما اختلفوا لما فيه من استدباره . فاما اذ جعل الحجرة عن يساره فقد زال المحذور بلا خلاف وصار في الروضة أو امامها . ولعل هذا الذي ذكره الائمة أخذوه من كراهة الصلاة الى القبر فان ذلك قد ثبت النهي فيه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلما نهى ان يتخذ القبر مسجدا أو قبلة امروا بان لا يتحرى الدعاء اليه كما لا يصلي اليه — ولهذا والله أعلم حرفت الحجرة وثلثت لما بنيت فلم يجعل حائطها الشمالي على سمت القبلة ولا جعل مسطحا . ولذلك قصدوا قبل ان تدخل الحجرة في المسجد *

﴿ثم﴾ ان الشيخ رحمه الله أطال الكلام . الى ان ذكر مسألة السفر للصلاة في المسجد . ثم قال والصلاة تقصر في هذا السفر المستحب باجماع المسلمين لم يقل أحد من أئمة المسلمين ان هذا السفر لا تقصر فيه الصلاة ولا نهى أحد عن السفر الى مسجده وان كان المسافر الى مسجده يزور قبره صلى الله عليه وسلم بل هذا من أفضل الاعمال الصالحة ولا في شيء من كلامي وكلام غيري نهى عن ذلك ولا نهى عن المشروع في زيارة قبور الانبياء والصالحين ولا عن المشروع في زيارة سائر القبور بل قد ذكرت في غير موضع استحباب زيارة القبور كما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يزور أهل البقيع وشهداء أحد ويعلم أصحابه اذا زاروا القبور ان يقول

[illegible] السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ونسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم *

واذا كانت زيارة قبور عموم المؤمنين مشروعة فزيارة قبور الانبياء والصالحين أولى لكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم له خاصة ليست لغيره من الانبياء والصالحين وهو انا أمرنا أن نصلي ونسلم عليه في كل صلاة وشرع ذلك في الصلاة وعند الاذان وسائر الادعية وان نصلي ونسلم عليه عند دخول مسجده وغير مسجده وعند الخروج منه وكل من دخل فلا بد ان يصلي فيه ويسلم عليه في الصلاة والسفر الى غيره مشروع لكن العلماء فرقوا بينه وبين غيره حتى كره مالك ان يقال زرت قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لان المقصود الشرعي بزيارة القبور السلام عليهم والدعاء لهم وذلك السلام والدعاء قد حصل على أكمل الوجوه في الصلاة في مسجده وغير مسجده وعند سماع الاذان وعند كل دعاء فتشرع الصلاة عليه عند كل دعاء فانه أولى بالمؤمنين من انفسهم ولهذا يسلم المصلي عليه في الصلاة قبل ان يسلم على نفسه وعلى سائر عباد الله الصالحين فيقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ويصلي عليه فيدعو له قبل ان يدعو لنفسه وأما غيره فليس عنده مسجد فيستحب السفر اليه كما يستحب السفر الى مسجده وانما يشرع ان يزار قبره كما شرعت زيارة القبور وأما هو فيشرع السفر الى مسجده وينهى عما يوهم انه سفر الى غير المساجد الثلاثة *

ويجب الفرق بين الزيارة الشرعية التي سنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبين البدعية التي لم يشرعها بل نهى عن مثل اتخاذ قبور الانبياء والصالحين مساجد والصلاة الى القبر واتخاذه وثنا وقد ثبت في الصحيحين عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى حتى ان أبا هريرة سافر الى الطور الذي كلم الله عليه موسى فقال له بصرة ابن أبي بصرة الغفاري لو أدركتك قبل ان تخرج لما خرجت سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لا تعمل المطي الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا ومسجد بيت المقدس فهذه المساجد شرع السفر اليها لعبادة الله فيها بالصلاة والقراءة والذكر والدعاء والاعتكاف * والمسجد الحرام يختص

[illegible] المساجد لأنها لا [illegible] يصلى فيها من غير سفر كان ذلك من أفضل الأعمال كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من تطهر في بيته ثم خرج الى المسجد كانت خطوتاه احداهما تحط خطيئة والاخرى ترفع درجة والعبد في صلاة مادام ينتظر الصلاة والملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الذى صلى فيه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث ولو سافر من بلد الى بلد مثل ان يسافر الى دمشق من مصر لاجل مسجدها أو بالعكس أو يسافر الى مسجد قباء من بلد بعيد لم يكن هذا مشروعا باتفاق الائمة الاربعة وغيرهم ولو نذر ذلك لم يف بنذره باتفاق الائمة الاربعة وغيرهم الا خلاف شاذ عن الليث بن سعد في المساجد . وقال ابن مسلمة من أصحاب مالك في مسجد قبآء فقط ولكن اذا أتى المدينة استحب له ان يأتي مسجد قباء ويصلي فيه لان ذلك ليس بسفر ولا بشد رحل فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتي مسجد قبآء راكبا وماشيا كل سبت ويصلي فيه ركعتين . وقال من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قبآء كان له كعمرة رواه الترمذي وابن أبي شيبة *

وقال سعد بن أبي وقاص وابن عمر صلاة فيه كعمرة ولو نذر المشي الى مكة للحج والعمرة لزمه باتفاق المسلمين ولو نذر ان يذهب الى مسجد المدينة أو بيت المقدس ففيه قولان احدهما ليس عليه الوفآء وهو قول أبي حنيفة واحد قولى الشافعى لانه ليس من جنسه ما يجب بالشرع . والثانى عليه الوفاء بذلك وهو مذهب مالك واحمد بن حنبل والشافعي في قوله الآخر لان هذا طاعة لله . وقد ثبت في صحيح البخارى عن عائشة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصيه ولو نذر السفر الى غير المساجد أو السفر الى مجرد قبر نبيّ أو صالح لم يلزمه الوفاء بنذره باتفاقهم فان هذا السفر لم يأمر به النبي صلى الله عليه وسلم بل قد قال لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد وانما يجب بالنذر ما كان طاعة . وقد صرح مالك وغيره بان من نذر السفر الى المدينة النبوية ان كان مقصوده الصلاة في مسجد النبى صلى الله عليه وسلم وفى بنذره . وان كان مقصوده مجرد زيارة القبر من غير صلاة في المسجد لم يف بنذره قال لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تعمل المطى الا الى ثلاثة مساجد والمسألة ذكرها اسماعيل بن اسحق في المبسوط

[illegible] كان أصحاب مالك يقولون ان من نذر ان يأتي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لزمه الوفاء بنذره لان المسجد لا يؤتى الا للصلاة ومن نذر اتيان المدينة النبوية فان كان قصده الصلاة في المسجد وفى بنذره وان قصد شيئا آخر مثل زيارة من بالبقيع أو شهداء أحد لم يف بنذره لان السفر انما يشرع الى المساجد الثلاثة . وهذا الذي قاله مالك وغيره ما علمت أحدا من ائمة المسلمين قال بخلافه بل كلامهم يدل على موافقته . وقد ذكر أصحاب الشافعي وأحمد في السفر لزيارة القبور قولين التحريم والاباحة وقدماؤهم وائمتهم قالوا انه محرم . وكذلك أصحاب مالك وغيرهم *

وانما وقع النزاع بين المتأخرين لان قوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد صيغة خبر ومعناه النهي فيكون حراما . وقال بعضهم ليس بنهي وانما معناه انه لا يشرع وليس بواجب ولا مستحب بل مباح كالسفر في التجارة وغيرها . فيقال له تلك الاسفار لا يقصد بها العبادة بل يقصد بها مصلحة دنيوية مباحة والسفر الى القبور انما يقصد به العبادة والعبادة انما تكون بواجب أو مستحب . فاذا حصل الاتفاق على ان السفر الى القبور ليس بواجب ولا مستحب كان من فعله على وجه التعبد مبتدعا مخالفا للاجماع والتعبد به بدعة ليس بمباح لكن من لم يعلم ان ذلك بدعة فانه قد يعذر فاذا تبينت له السنة لم يجز مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم ولا التعبد بما نهى عنه كما لا تجوز الصلاة عند طلوع الشمس ولا عند غروبها وكما لا يجوز صوم يومي العيدين وان كانت الصلاة والصيام من أفضل العبادات ولو فعل ذلك انسان قبل العلم بالسنة لم يكن عليه اثم فالطوائف متفقة على انه ليس مستحبا وما علمت احدا من ائمة المسلمين قال ان السفر اليها مستحب وان كان قاله بعض الاتباع فهو ممكن . واما الائمة المجتهدون فما منهم من قال هذا . واذا قيل هذا كان قولا ثالثا في المسئلة وحينئذ فيبين لصاحبه ان هذا القول خطأ مخالف للسنة ولاجماع الصحابة فان الصحابة في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبعدهم الى انقراض عصرهم لم يسافر أحد منهم الى قبر نبي ولا رجل صالح * وقبر الخليل عليه السلام بالشام لم يسافر اليه أحد من الصحابة وكانوا يأتون بيت المقدس ويصلون فيه ولا يذهبون الى قبر الخليل ولم يكن ظاهرا بل كان في البناء الذي بناه سليمان عليه السلام ولا كان قبر يوسف يعرف ولكن أظهر ذلك بعد اكثر من ثلثمائة سنة من الهجرة . ولهذا وقع فيه نزاع فكثير من أهل

العلم يذكره، ونقل ذلك عن مالك وغيره لان الصحابة لم يكونوا يزورونه فيعرف، ولما استولى النصارى على الشام نقبوا البناء الذى كان على الخليل واتخذوا المكان كنيسة، ثم لما فتح المسلمون البلد بقي مفتوحا، وأما على عهد الصحابة فكان قبر الخليل عليه السلام مثل قبر نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يكن أحد من الصحابة يسافر الى المدينة لاجل قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل كانوا يأتون فيصلون فى مسجده ويسلمون عليه فى الصلاة ويسلم من سلم عند دخول المسجد والخروج منه وهو مدفون في حجرة عائشة فلا يدخلون الحجرة ولا يقفون خارجها عنها في المسجد عند السور، وكان يقدم فى خلافة أبي بكر وعمر امداد اليمن الذين فتحوا الشام والعراق وهم الذين قال الله فيهم فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ويصلون في مسجده كما ذكرنا ولم يكن أحد يذهب الى القبر ولا يدخل الحجرة ولا يقوم خارجها فى المسجد بل السلام عليه من خارج الحجرة وعمدة مالك وغيره فيه على مافعل ابن عمر * وبكل حال فهذا القول لو قاله نصف المسلمين لكان له حكم أمثاله فى مسائل النزاع، واما ان يجعل هو الدين الحق ويستحل عقوبة من خالفه ويقال بكفره فهذا خلاف اجماع المسلمين وخلاف ماجاء به الكتاب والسنه فان كان المخالف للرسول فى هذه المسأله يكفر فالذى خالف سنته واجماع الصحابه وعلماء امته فهو الكافر * ونحن لا نكفر أحدا من المسلمين بالخطأ لا فى هذه المسائل ولا فى غيرها، ولكن ان قدر تكفير المخطئ فمن خالف الكتاب والسنة واجماع الصحابة والعلماء أولى بالتكفير ممن وافق الكتاب والسنة والصحابة وسلف الامة وائمتها فأئمة المسلمين فرقوا بين ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم وبين مانهى عنه فى هذا وغيره فما أمر به هو عباده وطاعة وقربه وما نهى عنه بخلاف ذلك بل قد يكون شركا كما يفعله أهل الضلال من المشركين وأهل الكتاب ومن ضاهاهم حيث يتخذون المساجد على قبور الانبياء والصالحين ويصلون اليها وينذرون لها ويحجون لها بل قد يجعلون الحج لى مد المخلوق أفضل من الحج الى بيت الله الحرام ويسمون ذلك الحج الاكبر، وصنف لهم شيوخهم فى ذلك مصنفات كما صنف المفيد ابن النعمان كتابا فى مناسك المشاهد سماه مناسك حج المشاهد [illegible] بيت الخالق *

وأصل دين الاسلام ان [illegible] الله وحده [illegible] له من [illegible] ندا ولا [illegible] ولا سميا [illegible]

تعالى (فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) وقال (ولم يكن له كفوا أحد) . وقال (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) . وقال (فلا تجعلوا لله أندادا) وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال قلت يارسول الله أي الذنب أعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك . قلت ثم أي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك . قلت ثم أي قال ان تزاني بحليلة جارك . وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) . فمن سوى بين الخالق والمخلوق في الحب له والخوف منه والرجاء له فهو مشرك والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم نهى امته عن دقيق الشرك وجليله حتى قال صلى الله عليه وسلم من حلف بغير الله فقد أشرك رواه أبو داود . وقال له رجل ماشاء الله وشئت فقال أجعلتني لله ندا بل ماشاء الله وحده وقال لاتقولوا ماشاء الله وشاء محمد . ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء محمد . وجاء معاذ بن جبل مرة فسجد له فقال له ماهذا يامعاذ . فقال يارسول الله رأيتهم في الشام يسجدون لاساقفتهم فقال يامعاذ انه لايصلح السجود الا لله ولو كنت آمرا أحدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها . فلهذا فرق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بين زيارة أهل التوحيد وبين زيارة أهل الشرك فزيارة أهل التوحيد لقبور المسلمين تتضمن السلام عليهم والدعاء لهم وهو مثل الصلاة على جنائزهم وزيارة أهل الشرك تتضمن انهم يشبهون المخلوق بالخالق ينذرون له ويسجدون له ويدعونه ويحبونه مثل مايحبون الخالق فيكونون قد جعلوه لله ندا وسووه برب العالمين وقد نهى الله تعالى ان يشرك به الملائكة والانبياء وغيرهم . فقال تعالى (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) *

قالت طائفة من السلف كان اقوام يدعون الانبياء كالمسيح وعزير ويدعون الملائكة فأخبرهم الله ان هؤلاء عبيده يرجون رحمته ويخافون عذابه ويتقربون اليه بالاعمال ونهى سبحانه ان يضرب له مثلا بالمخلوق فلا يشبه بالمخلوق الذي يحتاج الى الاعوان والحجاب ونحو ذلك قال

تعالى (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سيد الشفعاء لديه وشفاعته أعظم الشفاعات وجاهه عند الله أعظم الجاهات. ويوم القيامة اذا طلب الخلق الشفاعة من آدم ثم من نوح ثم من ابراهيم ثم من موسى ثم من عيسى كل واحد يحيلهم على الآخر فاذا جاؤا الى المسيح يقول اذهبوا الى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال فاذهب فاذا رأيت ربي خررت له ساجدا وأحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا أحسنها الآن فيقال أي محمد ارفع رأسك قل يسمع سل تعطه واشفع تشفع قال فيحد لي حدا فادخلهم الجنة فمن انكر شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر فهو مبتدع ضال كما ينكرها الخوارج والمعتزلة. ومن قال ان مخلوقا يشفع عند الله بغير اذنه فقد خالف اجماع المسلمين ونصوص القرآن قال تعالى (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) وقال تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وقال تعالى (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) وقال تعالى (مالكم من دونه من ولي ولا شفيع) ومثل هذا في القرآن كثير فالدين هو متابعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بان يأمر بما أمر به وينهى عما نهى عنه ويحب ما احبه الله ورسوله من الاعمال والاشخاص ويبغض ما بغضه الله ورسوله من الاعمال والاشخاص والله سبحانه وتعالى قد بعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالفرقان ففرق بين هذا وهذا فليس لاحد ان يجمع بين مافرق الله بينه فمن سافر الي المسجد الحرام والمسجد الاقصى او مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فصلى في مسجده وصلى في مسجد قباء وزار القبور كما مضت به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا هو الذي عمل العمل الصالح ومن انكر هذا السفر فهو كافر يستتاب فان تاب والا قتل. واما من قصد السفر لمجرد زيارة القبر ولم يقصد الصلاة في مسجده وسافر الى مدينته فلم يصل في مسجده صلى الله عليه وسلم ولا سلم عليه في الصلاة بل اتى القبر ثم رجع فهذا مبتدع ضال مخالف لسنة رسول الله صلى

أنه عليه وسلم ولا يجمع الصحابة وأموال الناس وهو الذي ذكر فيه القولان (أحدهما) أنه محرم (والثاني) لا شيء عليه ولا أجر له والذي يفعله علماء المسلمين هو الزيارة الشرعية يصلون في مسجده صلى الله عليه وسلم ويسلمون عليه في الدخول للمسجد وفي الصلاة وهذا مشروع باتفاق المسلمين قد ذكرت هذا في المناسك وفي الفتيا وذكرت أنه يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه وهذا الذي لم أذكر فيه نزاعا في الفتيا مع اني ذكرت فيه نزاعا لأن من العلماء من لا يستحب زيارة القبور مطلقا ومنهم من يكرهها مطلقا كما نقل ذلك عن ابراهيم النخعي والشعبي ومحمد ابن سيرين وهؤلاء من أجلة التابعين ونقل ذلك عن مالك وعنه أنها مباحة ليست مستحبة واما اذا قدر من اتى المسجد فلم يصل فيه ولكن اتى القبر ثم رجع فهذا هو الذي انكره الائمة كمالك وغيره وليس هذا مستحبا عند أحد من العلماء وهو محل النزاع هل هو حرام او مباح وما علمنا أحدا من علماء المسلمين استحب مثل هذا *

﴿ثم ذكر عليه الرحمة حكم السفر الى القبور من كلامه في الجواب الباهر فقال﴾

واما السفر الى قبور الانبياء والصالحين فهذا لم يكن موجودا في الاسلام في زمن مالك وانما حدث هذا بعد القرون الثلاثة قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم *

فاما هذه القرون التي اثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن هذا ظاهرا فيها ولكن بعدها ظهر الافك والشرك. ولهذا لما سأل سائل لمالك عن رجل نذر ان يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم. فقال ان كان اراد المسجد فليأته وليصل فيه وان كان اراد القبر فلا يفعل للحديث الذي جاء لا تعمل المطي الا الى ثلاثة مساجد وكذلك من يزور قبور الانبياء والصالحين ليدعوهم او يطلب منهم الدعاء او يقصد الدعاء عندهم لكونه اقرب اجابة في ظنه فهذا لم يكن يعرف على عهد مالك لا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره. واذا كان مالك يكره ان يطيل الوقوف عنده للدعاء فكيف بمن لا يقصد لا السلام عليه ولا الدعاء له. وانما يقصد دعاءه وطلب حوائجه منه ويرفع صوته عنده فيؤذي الرسول ويشرك بالله ويظلم نفسه ولم يعتمد الائمة الاربعة ولا غير الاربعة على شيء من الاحاديث التي يرويها بعض الناس في ذلك مثل مايروون انه قال من زارني في مماتي فكانما زارني في حياتي ومن قوله من زارني وزار ابي في عام ضمنت له على الله الجنة ونحو ذلك فان هذا لم يروه احد من أئمة المسلمين ولم يعتمدوا عليها

[illegible] العمل الصالح ولا نقل احد [illegible] الا [illegible]

بل [illegible] مشروعة كما قد بين العلماء الكلام عليها ومن زاره في حياته كان من المهاجرين اليه والواحد منهم لو انفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وهو انما اتى بالفرائض لا يكون مثل الصحابة فكيف يكون مثلهم في النوافل او بما ليس قربة او بما هو منهي عنه وكره مالك رحمه الله ان يقول القائل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم كره هذا اللفظ لان السنة لم تات به في قبره *

وقد ذكروا في تعليل ذلك وجوها ورخص غيره في هذا اللفظ للاحاديث العامة في زيارة القبور ومالك يستحب ما يستحبه سائر العلماء من السفر الى المدينة والصلاة في مسجده وكذلك السلام عليه وعلى صاحبيه عند قبورهم اتباعا لابن عمر . ومالك رضى الله عنه من اعظم الناس بهذا لانه قد رأى التابعين الذين رأوا الصحابة بالمدينة ولهذا كان يستحب اتباع السلف في ذلك ويكره ان يبتدع احد هنالك بدعة فكره ان يطيل القيام والدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم لان الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك وكره لاهل المدينة كلما دخل انسان المسجد ان يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم لان السلف لم يكونوا يفعلون ذلك *

قال مالك ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها بل كانوا يأتون الى مسجده فيصلون خلف ابى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين فان الاربعة صلوا أئمة في مسجده والمسلمون يصلون خلفهم وهم يقولون في الصلاة السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته كما كانوا يقولون ذلك في حياته . ثم اذا قضوا الصلاة قعدوا أوخرجوا ولم يكون يأتون القبر للسلام لعلمهم بان الصلاة والسلام عليه في الصلاة اكمل وأفضل وهى المشروعة *

وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك او الصلاة والدعاء فانه لم يشرعه لهم بل نهاهم . وقال لا تتخذوا قبري عيدا وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني فبين ان الصلاة تصل اليه من البعيد وكذلك السلام ومن صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا ومن سلم عليه سلم الله عليه عشرا . وتخصيص الحجرة بالصلاة والسلام جعل لها عيدا وهو قد نهاهم عن ذلك ونهاهم ان يتخذوا قبره أو قبر غيره مسجدا ولعن من فعل ذلك ليحذروا ان يصيبهم مثل ما اصاب غيرهم من اللعنة وكان أصحابه خير القرون وهم اعلم الناس بسننه وأطوع الامة

لا مرة ولكن كانوا يدخلون إلى المسجد لا يذهب أحد منهم إلى قبره لا من داخل الحجرة ولا من خارجها . وكانت الحجرة في زمانهم يدخل اليها من الباب اذ كانت عائشة فيها وبعد ذلك الى ان بني الحائط الآخر وهم مع ذلك التمكن من الوصول الى قبره لا يدخلون اليه لا لسلام ولا لصلاة ولا لدعاء لأنفسهم ولا لسؤال عن حديث أو علم ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلاما وسلاما فيظنون انه هو كلمهم وافتاهم وبين لهم الاحاديث او انه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج كما طمع الشيطان في غيرهم فاضلهم عند قبره وقبر غيره حتى ظنوا ان صاحب القبر يحدثهم ويفتيهم ويأمرهم وينهاهم في الظاهر وانه يخرج من القبر ويرونه خارجا من القبر ويظنون ان نفس ابدان الموتى خرجت من القبر تكلمهم وان روح الميت تجسدت لهم فرأوها كما رآهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج يقظة لا مناما فان الصحابة رضوان الله عليهم خير قرون هذه الامة التي هي خير امة اخرجت للناس وهم تلقوا الدين عن النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ففهموا من مقاصده وعاينوا من أفعاله وسمعوا منه شفاها مالم يحصل لمن بعدهم وهم قد فارقوا جميع أهل الارض وعادوهم وهجروا جميع الطوائف وأديانهم وجاهدوا باموالهم وانفسهم . قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل احد ذهبا مابلغ مد احدهم ولا نصيفه وهذا قاله لخالد بن الوليد لما تشاجر هو وعبد الرحمن بن عوف لان عبد الرحمن بن عوف كان من السابقين الاولين وهم الذين انفقوا من قبل الفتح وقاتلوا وهو فتح الحديبية وخالد هو وعمرو ابن العاص وعثمان بن طلحة أسلموا في مدة الهدنة بعد الحديبية وقبل فتح مكة فكانوا من المهاجرين التابعين لا من المهاجرين الاولين *

وأما الذين اسلموا عام فتح مكة فليسوا بمهاجرين لانه لاهجرة بعد الفتح بل كان الذين اسلموا من أهل مكة يقال لهم الطلقاء لان النبي صلى الله عليه وسلم اطلقهم بعد الاستيلاء عليهم عنوة كما يطلق الاسير والذين بايعوه تحت الشجرة ومن كان من مهاجرة الحبشة هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار *

وفي الصحيح عن جابر قال قال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الحديبية أنتم خير أهل الارض وكنا الفا واربعمائة ولهذا لم يطمع الشيطان ان ينال منهم من الاضلال والاغواء ما نال ممن

بالصحابة فلا كان فيهم من استحل ان يكذب على النبي صلى الله عليه وسلم وان كان لهم أهواء [illegible]

فهو كذب عليه . ولم يكن فيهم من أهل البدع المشهورة كالخوارج والروافض والقدرية والمرجئة

والجهمية بل كل هؤلاء انما حدثوا فيمن بعدهم ولم يكن فيهم من طمع الشيطان ان يتمثل له

في صورة بشر ويقول انا الخضر أو انا ابراهيم أو موسى أو عيسى أو المسيح أو ان يكلمه عند قبر

حتى يظن ان صاحبه كلمه بل هذا انما نابه فيمن بعدهم ونابه ايضا من النصارى حيث اتاهم بعد

الصلب وقال انا هو المسيح وهذه مواضع المسامير ولا يقول انا الشيطان فان الشيطان لا يكون

جسدا أو كما قال . وهذا هو الذى اعتمد عليه النصارى في انه صلب لا في مشاهدته فان أحدا

منهم لم يشاهد الصلب وانما حضره بعض اليهود وعلقوا المصلوب وهم يعتقدون انه المسيح

ولهذا جعل الله هذا من ذنوبهم وان لم يكونوا صلبوه ولكنهم قصدوا هذا الفعل وفرحوا به

قال تعالى (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما

قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع

الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه) وبسط هذا له موضع آخر *

* والمقصود * ان الصحابة رضى الله عنهم لم يطمع الشيطان ان يضلهم كما اضل به غيرهم من

أهل البدع الذين تأولوا القرآن على غير تأويله وجهلوا السنة اذا رأوا أو سمعوا امورا من الخوارق

فظنوها من جنس آيات الانبياء والصالحين وكانت من أفعال الشياطين كما اضل النصارى

واهل البدع بمثل ذلك فهم يتبعون المتشابه من الكتاب ويدعون المحكم ولذلك يتمسكون

بالمتشابه من الحجج العقلية والحسية كما يسمع ويرى امورا فيظن انه رحماني وانما هو شيطاني

ويدعون البين الحق الذى لا اجمال فيه ولذلك لم يطمع الشيطان ان يتمثل في صورته ويغيث من

استغاث به أو ان يحمل اليهم صوتا يشبه صوته لان الذين رأوه قد علموا ان هذا شرك لا يحل

ولهذا ايضا لم يطمع فيهم ان يقول احد منهم لاصحابه اذا كانت لكم حاجة فتعالوا الى قبرى

ولا تستغيثوا بى لا في محياى ولا في مماتى كما جرى مثل هذا لكثير من المتأخرين ولا طمع

الشيطان ان يأتي احدهم ويقول انا من رجال الغيب أو الاوتاد الاربعة أو من السبعة او الاربعين

أو يقول له انت منهم اذ كان هذا عندهم من الباطل الذى لا حقيقة له . ولا طمع الشيطان

ان يأتي احدهم فيقول انا رسول الله ويخاطبه عند القبر كما وقع ذلك لكثير ممن بعدهم عند

[illegible] يرون بعد الموت من يعظمونه . فأهل الهند يرون من يعظمونه من شيوخهم الكفار وغيرهم والنصارى يرون من يعظمونه من الانبياء والحواريين وغيرهم . والضلال من أهل القبلة يرون من يعظمونه *

* وأما النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأما غيره من الانبياء يقظة ويخاطبهم ويخاطبونه وقد يستفتونه ويسألونه عن احاديث فيجيبهم . ومنهم من يخيل له ان الحجرة قد انشقت وخرج منها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعانقه هو وصاحباه . ومنهم من يخيل اليه انه رفع صوته بالسلام حتى وصل مسيرة ايام الى مكان بعيد . وهذا وامثاله اعرف ممن وقع له هذا واشباهه عددا كثيرا . وقد حدثني بما وقع له في ذلك وبما اخبر به غيره من الصادقين من يطول هذا الموضع بذكرهم *

وهذا موجود عند خلق كثير كما هو موجود عند النصارى والمشركين لكن كثير من الناس يكذب بهذا وكثير منهم اذا صدق به يعتقد انه من الآيات الالهية وان الذي رأى ذلك رآه لصلاحه ودينه ولم يعلم انه من الشيطان وانه اضل من فعل به ذلك وانه بحسب قلة علم الرجل يضله ومن كان اقل علما قال له مايعلم انه مخالف للشريعة خلافا ظاهرا ، ومن عنده علم بها لايقول له ما يعلم انه مخالف للشريعة ولا مفيد فائدة في دينه بل يضله عن بعض ما كان يعرفه فان هذا فعل الشياطين هو وان ظن انه استفاد شيأ فالذي خسره من دينه اكثر ولهذا لم يقل قط احد من الصحابة ان الخضر اتاه ولا موسى ولا عيسى ولا انه سمع رد النبي صلى الله عليه وسلم وابن عمر كان يسلم ولم يقل قط أنه سمع الرد وكذلك التابعون وتابعوهم وانما حدث هذا في بعض المتأخرين وكذلك لم يكن أحد من الصحابة يأتيه فيسأله عند القبر عن بعض ما تنازعوا فيه واشكل عليهم من العلم لا خلفاؤه الاربعة ولا غيرهم مع أنهم أخص الناس به حتى ابنته فاطمة لم يطمع الشيطان ان يقول لها اذهبي الي قبره فسليه هل يورث كما أنهم أيضا لم يطمع الشيطان فيهم فيقول لهم اطلبوا منه ان يدعو لكم بالمطر لما اجدبوا ولا قال اطلبوا منه ان يستنصر لكم ولا ان يستغفر كما كانوا في حياته يطلبون منه ان يستسقي لهم وان يستغفر لهم فلم يطمع الشيطان فيهم بعد موته ان يطلبوا منه ذلك ولا طمع بذلك في القرون الثلاثة وانما

[illegible] الصلاة لا [illegible] الا على التوحيد والسنة فانه الشيطان كما يمثل النصارى في [illegible] عليهم [illegible] المسيح ومن قبله من الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولهذا لا يطمع الشيطان ان يطير أحدهم في الهواء ولا ان يقطع به الارض في مدة قريبة كما يقطع مثل هذا لكثير من المتأخرين لان الاسفار التي كانوا يسافرونها كانت طاعات كسفر الحج والعمرة والجهاد وهم يثابون على كل خطوة يخطونها فيه وكلما بعدت المسافة كان الاجر أعظم كالذي يخرج من بيته الى المسجد فخطواته احداهما ترفع درجة والاخرى تحط خطيئة فلم يمكن الشيطان ان يفوتهم ذلك الاجر بأن يحملهم في الهواء او يؤزهم في الارض ازا حتى يقطعوا المسافة بسرعة. وقد علموا ان النبي صلى الله عليه وسلم انما اسرى به الله من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ليريه من آياته وانه اراه من آياته الكبرى وكان هذا من خصائصه فليس لمن بعده مثل هذا المعراج ولكن الشياطين تخيل اليه معاريج شيطانية كما خيلها لجماعة من المتأخرين • واما قطع النهر الكبير بالسير على الماء فهذا قد يحتاج اليه المؤمنون أحيانا مثل ان لا يمكنهم العبور الى العدو وتكميل الجهاد الا بذلك فلهذا كان الله يكرم من يحتاج الى ذلك من الصحابة والتابعين بمثل ذلك كما اكرم به العلاء بن الحضرمي وأصحابه وابا مسلم الخولاني وأصحابه • وبسط هذا موضع آخر غير هذا الكتاب لكن المقصود ان يعرف ان الصحابة خير القرون وأفضل الخلق بعد الانبياء فما ظهر فيمن بعدهم ممن يظن أنها فضيلة للمتأخرين ولم تكن فيهم فانها من الشيطان وهي نقيصة لا فضيلة سواء كانت من جنس العلوم أو من جنس العبادات او من جنس الخوارق والآيات أو من جنس السياسة والملك بل خير الناس بعدهم أتبعهم لهم • قال ابن مسعود رضي الله عنه من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة اولئك أصحاب محمد صلى الله تعالي عليه وسلم ابر هذه الامة قلوبا وأعمقها علما واقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ولاقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فانهم كانوا على الهدي المستقيم • وبسط هذا له موضع آخر*

والمقصود هنا ان الصحابة تركوا البدع المتعلقة بالقبور بقبره وقبر غيره لنهيه صلى الله عليه وسلم عن ذلك ولئلا يتشبهوا باهل الكتاب الذين اتخذوا قبور الانبياء أوثانا وانما كان بعضهم يأتي من خارج فيسلم عليه اذا قدم من سفر كما كان ابن عمر يفعل بل كانوا في حياته يسلمون عليه

ثم جعل حولا بين القبر لا يقرب اليه عند كل صلاة وإذا جاء مسلم عليه رد عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكذلك من سلم عليه عند غيره رد عليه وكانوا يدخلون على عائشة فكانوا يسلمون عليه كما يسلمون في حياته ويقول أحدهم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وقد جاء هذا عاما مامن رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الارد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام فاذا كان رد السلام موجودا في عموم المؤمنين فهو في أفضل الخلق اولى . واذا سلم المسلم عليه في صلاته فانه وان لم يرد عليه لكن الله يسلم عليه عشرا كما في الحديث من سلم على مرة سلم الله عليه عشرا فالله يجزيه على هذا السلام أفضل مما يحصل بالرد كما ان من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا وكان ابن عمر يسلم عليه ثم ينصرف ولا يقف له او لنفسه لان ذلك لم ينقل عن أحد من الصحابة فكان بدعة محضة قال مالك لن يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها مع ان فعل ابن عمر اذا لم يفعل مثله سائر الصحابة انما يحصل للتسويغ كامثال ذلك فيما يفعله بعض الصحابة واما القول بان هذا الفعل مستحب او منهي عنه او مباح فلا يثبت الا بدليل شرعي فالوجوب والندب والاباحة والاستحباب والكراهة والتحريم لا يثبت شيء منها الا بالادلة الشرعية والادلة الشرعية كلها مرجعها اليه فالقرآن هو الذى بلغه والسنة هى التى علمها والاجماع بقوله عرف أنه معصوم والقياس انما يكون حجة اذا علمنا ان الفرع مثل الاصل او ان علة الاصل فى الفرع . وقد علمنا أنه صلى الله عليه وسلم لا يتناقض فلا يحكم في المتماثلين بحكمين متناقضين ولا يحكم بالحكم لعلة تارة ويمنعه اخرى مع وجود العلة الا لاختصاص احدى الصورتين بما يوجب التخصيص فشرعه هو ماشرعه وسنته هي ما سنها لا يضاف اليه قول غيره وفعله وان كان من أفضل الناس اذا وردت سنته بل ولا يضاف اليه الا بدليل يدل على الاضافة ولهذا كان الصحابة كابى بكر وعمر وابن مسعود يقولون باجتهادهم ويكونون مصيبين موافقين لسنته لكن يقول أحدهم اقول فى هذا برأيي فان يكن صوابا فمن الله وان كان خطأ فمنى ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه فان كان ماخالف سنته فهو شرع منسوخ مبدل لكن المجتهدون وان قالوا برأيهم واخطأوا فلهم أجر وخطأهم مغفور لهم وكان الصحابة اذا أراد أحدهم ان يدعو لنفسه استقبل القبلة ودعا لنفسه كما كانوا يفعلون فى حياته لا يقصدون الدعاء عند الحجرة ولا يدخل أحدهم الى القبر والسلام عليه قد شرع

[illegible]

والنوع الأول كل صلاة يقول المصلي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ثم يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين قال النبي صلى الله عليه وسلم فاذا قلتم ذلك أصابت كل عبد صالح لله في السماء والارض فقد شرع للمسلمين في كل صلاة ان يسلموا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خصوصا وعلى عباد الله الصالحين من الملائكة والانس والجن وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا نقول خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة السلام على فلان وفلان فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله هو السلام فاذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمدا عبده ورسوله وقد روى عنه التشهد بالفاظ أخر كما رواه مسلم من حديث ابن عباس وكما كان ابن عمر يعلم الناس التشهد ، ورواه مسلم من حديث ابي موسى لكن مثل تشهد ابن مسعود ولكن لم يخرج البخاري الا تشهد ابن مسعود وكل ذلك فان القرآن أنزل على سبعة احرف فالتشهد اولى *

والمقصود أنه صلى الله عليه وسلم ذكر ان المصلي اذا قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اصابت كل عبد صالح في السماء والارض وهذا يتناول الملائكة والانس والجن كما قال تعالى عنهم وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا *

والنوع الثاني السلام عليه عند دخول المسجد كما في المسند والسنن عند فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أحدكم المسجد فليقل باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم اغفرلى ذنوبي وافتح لى ابواب رحمتك واذا خرج قال باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم اغفرلي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك*

وروى مسلم في صحيحه الدعاء عند دخول المسجد بان يفتح له أبواب رحمته وعند خروجه بسؤال الله من فضله وهذا الدعاء مؤكد في دخول مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا ذكروه العلماء فيما صنفوه من المناسك لمن أتى الى مسجده أن يقول ذلك فان السلام عليه مشروع عند دخول المسجد والخروج وفي نفس كل صلاة ، وهذا أفضل وانفع من السلام عند قبره وادوم وهذا مصلحة محضة لا مفسدة فيها يرضى الله ويوصل نفع ذلك الى رسول الله والى المؤمن

وهذا مشروع في كل صلاة وعند دخول المسجد والخروج منه بخلاف السلام عند القبر مع أن قبره من حين دفن لم يمكن أحد من الدخول اليه لا لزيارة ولا لصلاة ولا لدعاء ولا غير ذلك ولكن كانت عائشة فيه لانه بيتها وكانت ناحية عن القبور لان القبور في مقدم الحجرة وكانت هي في مؤخر الحجرة ولم يكن الصحابة يدخلون الى هناك وكانت الحجرة على عهد الصحابة خارجة عن المسجد متصلة به وانما دخلت فيه في خلافة عبد الملك بن مروان بعد موت العبادلة ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وابن عمرو بل موت جميع الصحابة الذين كانوا بالمدينة ولم يكن الصحابة يدخلون الى عند القبر ولا يقفون عنده خارجا مع أنهم يدخلون الي مسجده ليلا ونهارا . وقد قال صلى الله تعالي عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام . وقال لا تشد الرحال الا الي ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا ومسجد بيت المقدس وكانوا يقدمون من الاسفار للاجتماع بالخلفاء الراشدين وغير ذلك فيصلون في مسجده ويسلمون عليه في الصلاة وعند دخول المسجد والخروج منه ولا يأتون القبر إذ كان عندهم مما لم يامرهم به ولم يسنه لهم وانما أمرهم وسن لهم الصلاة والسلام عليه في الصلاة وعند دخولهم المساجد وغير ذلك ولكن ابن عمر كان يأتيه فيسلم عليه وعلى صاحبيه عند قدومه من السفر وقد يكون فعله غير ابن عمر ايضا فهكذا رأي من رأى من العلماء هذا جائزا اقتداء بالصحابة رضى الله عنهم وابن عمر كان يسلم ثم ينصرف ولا يقف يقول السلام عليك يارسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبت ثم ولم يكن جمهور الصحابة يفعلون ذلك اذ لم يكن هذا سنة سنها لهم . وكذلك أزواجه كن على عهد الخلفاء وبعدهم يسافرن للحج ثم ترجع كل واحدة الى بيتها كما وصاهن بذلك وكانت امداد اليمن الذين قال الله فيهم فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه على عهد ابى بكر وعمر يأتون أفواجا من اليمن للجهاد في سبيل الله ويصلون خلف ابى بكر وعمر في مسجده ولا يدخل أحد منهم الى داخل الحجرة ولا يقف في المسجد خارجا منها لا لدعاء ولا صلاة ولا سلام ولا غير ذلك وكانوا عالمين بسنته كما علمهم الصحابة والتابعون ان حقوقه ملازمة لحقوق الله وان جميع ما أمر الله به وأحبه من حقوقه وحقوق رسوله فان صاحبها يؤمر بها في جميع المواضع والبقاع فليست الصلاة والسلام عليه عند قبره باوكد من ذلك في غير ذلك المكان بل صاحبها مأمور

بها حيث كان اما مطلقا واما عند الاسباب المؤكدة لها كالصلاة والدعاء والاذان ولم يكن شيء من حقوقه ولا شيء من العبادات هو عند قبره أفضل منه في غير تلك البقعة بل نفس مسجده له فضيلة لكونه مسجده . ومن اعتقد أنه قبل القبر لم يكن له فضيلة اذ كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي فيه والمهاجرون والانصار وانما حدثت له الفضيلة في خلافة الوليد بن عبد الملك لما ادخل الحجرة في مسجده . فهذا لا يقوله الا جاهل مفرط في الجهل او كافر فهو مكذب لما جاء مستحق للقتل *

وكان الصحابة يدعون في مسجده كما كانوا يدعون في حياته لم يتجدد لهم شريعة غير الشريعة التي علمهم اياها في حياته وهو لم يأمرهم اذا كان لاحدهم حاجة ان يذهب الى قبر نبي او صالح فيصلي عنده ويدعوه او يدعو بلا صلاة او يسأله حوائجه او يسأله ان يسأل ربه فقد علم الصحابه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمرهم بشيء من ذلك ولا أمرهم ان يخصوا قبره اوحجرته الى جوانب حجرته لا بصلاة ولا دعاء لا له ولا لانفسهم بل قد نهاهم ان يتخذوا بيته عيدا فلم يقل لهم كما يقول بعض الشيوخ الجهال لاصحابه اذا كان لكم حاجة فتعالوا الى قبري بل نهاهم عما هو ابلغ من ذلك ان يتخذوا قبره او قبر غيره مسجدا يصلون فيه لله لسد ذريعة أمته قد الشرك . فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما . وجزاه عنا أفضل ماجزى نبيا عن بلغ الرساله وأدى الامانة ونصح الامة وجاهد في الله حق جهاده وعبد الله حتى أتاه اليقين من ربه فكان انعام الله به أفضل نعمة أنعم بها على أهل الارض *

وقد دلهم صلى الله تعالى عليه وسلم على أفضل العبادات وأفضل البقاع كما في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قلت يارسول الله أي العمل أفضل قال الصلاه على مواقيتها قلت ثم أي قال ثم بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله سألته عنهن ولو استزدته لزادني . وفي المسند وسنن ابن ماجه عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال . استقيموا ولن تحصوا واعلموا ان خير اعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء الا مؤمن والصلاه قد سن للامة ان تتخذ لها مساجد وهي أحب البقاع الى الله كما ثبت عنه في صحيح مسلم وغيره أنه قال . أحب البقاع الى الله المساجد . وأبغض البقاع الى الله الاسواق . ومع هذا فقد لعن من يتخذ قبور الانبياء والصالحين مساجد وهو في مرض الموت نصيحة للامة وحرصا منه

على هذا كما نعته الله بقوله (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) *

وفى الصحيحين عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى لم يقم منه. لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قالت عائشة ولولا ذلك لا برز قبره ولكن كره ان يتخذ مسجدا *

وعن عائشة وابن عباس قالا لما نزل برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه فاذا اغتم كشفها عن وجهه. فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ماصنعوا *

ومن حكمة الله تعالى ان عائشة أم المؤمنين صاحبة الحجرة التي دفن فيها تروي هذه الاحاديث وقد سمعتها منه وان كان غيرها من الصحابه سمعها ايضا كابن عباس وابى هريرة وجندب وابن مسعود رضى الله تعالى عنهم. وفى الصحيحين عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاتل الله اليهود اتخذوا قبور انبياءهم مساجد. وفى الصحيحين عن عائشة ان ام حبيبة وام سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بارض الحبشة فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور. أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة * وفى صحيح مسلم عن جندب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يموت بخمس وهو يقول انى ابرأ الى الله ان يكون لى منكم خليل فان الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا الا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فانى انهاكم عن ذلك * وفى صحيح مسلم عن ابى مرثد الغنوى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها. وفى المسند وصحيح ابى حاتم انه قال أن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم احياء والذين يتخذون القبور مساجد.

﴿ وقد تقدم نهيه ﴾ ان يتخذ قبره عيدا فلما علم الصحابة انه قد نهاهم عن ان يتخذوه مصلى للفرائض التى تتقرب بها الى الله لئلا يتشبهوا بالمشركين الذين تتخذونها ويصلون بها وينذرون لها كان نهيهم عن دعائها اعظم واعظم كما انه لما نهاهم عن الصلاة عند طلوع الشمس وغروبها

ومن ذلك أن الشافع والمشفوع له [illegible] قال سيد الشفعاء يوم القيامة [illegible] صلى الله عليه وسلم
وطلبوا منه الشفاعة قال فأذهب فإذا رأيت ربي خررت له ساجدا فأحمده بمحامد يفتحها علي لا أحسنها
الآن فيقال لي ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع قال فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة
وكذلك ذكره في المرة الثانية والثالثة *

ولهذا قال ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق فاخبر انه لا يملكها احد دون الله وقوله الا من شهد بالحق وهم يعلمون استثناء منقطع اى من شهد بالحق وهم يعلمون هم اصحاب الشفاعة . منهم الشافع . ومنهم المشفوع له * وقد ثبت فى الصحيح عن ابى هريرة انه قال من اسعد الناس بشفاعتك يارسول الله . فقال لقد ظننت ياابا هريرة ان لا يسألنى عن هذا الحديث اول منك لما رأيت حرصك على الحديث اسعد الناس بشفاعتي من قال لا اله الا الله خالصا من قبل نفسه رواه البخاري فجعل أسعد الناس بشفاعتي أكملهم اخلاصا . وقال في الحديث اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول . ثم صلوا على فانه من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا . ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها درجة فى الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون ذلك العبد فمن سأل الله لى الوسيلة حلت عليه شفاعتى يوم القيامة فالجزاء من جنس العمل . فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا . قال ومن سأل لى الوسيلة حلت عليه شفاعتى يوم القيامة ولم يقل كان اسعد الناس بشفاعتى بل قال أسعد الناس بشفاعتى من قال لا اله الا الله خالصا من قبل نفسه فعلم ان مايحصل للعبد بالتوحيد والاخلاص من شفاعة الرسول وغيرها لا يحصل بغيره من الاعمال وان كان صالحا كسؤال الوسيلة للرسول فكيف بما لم يأمر به من الاعمال بل نهى عنه فذاك لاينال به خيرا لا في الدنيا ولا فى الآخرة مثل غلو النصارى فى المسيح فانهم يضرهم ولا ينفعهم ونظير هذا فى الصحيح عنه انه قال وان لكل نبي دعوة مجابة وانى اختبأت دعوتى شفاعتى لامتي يوم القيامة فهى نائلة ان شاء الله من مات لايشرك بالله شيئا وكذلك فى أحاديث الشفاعة كلها انما يشفع فى أهل التوحيد فبحسب توحيد العبد لربه واخلاصه دينه لله يستحق كرامة الله بالشفاعة وغيرها وهو سبحانه علق الوعد والوعيد والثواب والعقاب والحمد والذم بالايمان وتوحيده وطاعته فمن كان أكمل فى ذلك كان أحق بقولى الله له بخير الدنيا والآخرة ثم جميع عباده مسلمهم وكافرهم هو الذى

دونهم وهو الذي يدفع عنهم المكاره وهو الذي يقصدونه في الرغائب قال تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون) وقال تعالى قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن) أي بدلا عن الرحمن هذا أصح القولين كقوله تعالى (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون) أي لجعلنا بدلا منكم كما قاله عامة المفسرين ومنه قول الشاعر *

﴿ فليت لنا من ماء زمزم شربة * مبردة باتت على طهيان ﴾

أي بدلا من ماء زمزم فلا يكلأ الخلق بالليل والنهار فيحفظهم ويدفع عنهم المكاره الا الله قال تعالى (أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا في غرور أم من هذا الذي يرزقكم ان أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور) ومن ظن ان أرضا معينة تدفع عن أهلها البلاء مطلقا بخصوصها أو لكونها فيها قبور الانبياء والصالحين فهو غالط فافضل البقاع مكة وقد عذب الله أهلها عذابا شديدا عظيما فقال ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون *

﴿ ومن فصول الجواب الباهر لمن سأل من ولاة الامر عما أفتي به في زيارة المقابر كلام في ان الزيارة المتضمنه ترك مأمور أو فعل محظور ليست بمشروعة ﴾

قال شيخ الاسلام قدس الله روحه . وقد تنازع المسلمون في زيارة القبور فقال طائفة من السلف ان ذلك كله منهي عنه لم ينسخ فان أحاديث النسخ لم يروها البخاري ولم تشتهر ولما ذكر البخاري باب زيارة القبور . احتج بحديث المرأة التي بكت على القبر ونقل ابن بطال عن الشعبي قال لولا أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن زيارة القبور لزرت قبر ابنتي وقال النخعي كانوا يكرهون زيارة القبور وعن ابن سيرين مثله قال وقد سئل مالك عن زيارة القبور فقال قد كان نهى عنه عليه السلام . ثم أذن فلو فعل ذلك انسان ولم يقل الا خيرا لم أر بذلك باسا وليس من عمل الناس . وروى عنه انه كان يضعف زيارتها وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى أولا عن زيارة القبور باتفاق العلماء . فقيل لأن ذلك يفضي الى الشرك وقيل لاجل النياحة عندها . وقيل لانهم كانوا يتفاخرون بها . وقد ذكر طائفة من العلماء في قوله الها كم التكاثر حتى زرتم المقابر . انهم كانوا يتكاثرون بقبور الموتى وممن ذكره ابن عطية في

[illegible] وهذا [illegible] على الاكثار من زيارة القبور أي حتى حضرتم [illegible] الحكم القاطعة
على [illegible] زيارة القبور [illegible] والاشارة [illegible]

ثم قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا
وكان نهيه في معنى الآية . ثم أباح الزيارة بعد لمعنى الاتعاظ لا لمعنى المباهاة والتفاخر وتسنيمها
بالحجارة الرخام وتلوينها سرا وبنيان النواويس عليها هذا لفظ ابن عطية *

﴿ والمقصود ﴾ ان العلماء متفقون على انه كان نهى عن زيارة القبور ونهى عن الانتباذ في الدباء
والحنتم والمزفت والنقير واختلفوا هل نسخ ذلك فقالت طائفة لم ينسخ ذلك لان أحاديث
النسخ لم تثبت مشهورة . ولهذا لم يخرج البخاري مافيه نسخ عام * وقال الاكثرون بل نسخ
ذلك ثم قالت طائفة منهم انما نسخ الى الاباحة فزيارة القبور مباحة لا مستحبة . وهذا قول في
مذهب مالك واحمد وقالوا لان صيغة أفعل بعد الحظر انما تفيد الاباحة كما قال في الحديث كنت
نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وكنت نهيتكم عن الانتباذ في الادعية فانتبذوا ولا تشربوا
مسكرا . وقد روى ولا تقولوا هجرا وهذا يدل على ان النهي كان لما يقال عندها من الاقوال
المنكرة سدا للذريعة كالنهي عن الانتباذ في الاوعية كان لان الشدة المطربة تدب فيها ولا
يدري بذلك فيشرب الشارب الخمر وهو لا يدري . وقال الاكثرون زيارة قبور المؤمنين مستحبة
للدعاء للموتى مع السلام عليهم كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج الى البقيع فيدعو لهم وكما
ثبت في الصحيحين انه خرج الى شهداء أحد فصلى عليهم صلاته على الموتى كالمودع للاحياء
والاموات * وثبت في الصحيح انه كان يعلم أصحابه اذا زاروا القبور ان يقولوا السلام عليكم أهل
دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل
الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم — وهذا في زيارة قبور
المؤمنين — وأما زيارة قبر الكافر فرخص فيه لاجل تذكار الآخرة ولا يجوز الاستغفار لهم
وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله وقال
استأذنت ربي في ان أزور قبرها فاذن لي واستأذنته في ان أستغفر لها فلم يأذن لي فزوروا القبور
فانها تذكركم الآخرة * والعلماء المتنازعون كل منهم يحتج بدليل شرعي ويكون عند بعضهم من
العلم ماليس عند الآخر فان العلماء ورثة الانبياء . قال الله تعالى (وداود وسليمان اذ يحكمان في

الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما

ه والاقوال الثلاثة صحيحة باعتبار فان الزيارة اذا تضمنت أمرا محرما من شرك أو كذب أو ندب او نياحة وقول هجر فهي محرمة بالاجماع كزيارة المشركين بالله والساخطين لحكم الله فان هؤلاء زيارتهم محرمة فانه لا يقبل دين الا الاسلام وهو الاستسلام لله وحده فنسلم لما قدره الله وقضاه ونسلم لما يأمر به ويحبه وهذا نفعله وندعوا اليه وذلك نسلمه ونتوكل فيه عليه فنرضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ونقول في صلاتنا اياك نعبد واياك نستعين مثل قوله أستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين وقوله وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين) *

والنوع الثاني زيارة القبور لمجرد الحزن على الميت لقرابته أو صداقته فهذه مباحة كما يباح البكاء على الميت بلا ندب ولا نياحة كما زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وابكى من حوله وقال زوروا القبور فانها تذكركم الآخرة فهذه الزيارة كان ينهى عنها لما كانوا يصنعون من المنكر فلما عرفوا الاسلام أذن فيها لان فيها مصلحة وهو تذكر الموت فكثير من الناس اذا رأى قريبه وهو مقبور ذكر الموت واستعد للآخرة. وقد يحصل منه جزع فيتعارض الامران ونفس الجنس مباح ان قصد به طاعة وان عمل معصية كان معصية *

وأما النوع الثالث فهو زيارتها للدعاء لها كالصلاة على الجنازة فهذا هو المستحب الذي دلت السنة على استحبابه لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فعله وكان يعلم أصحابه مايقولون اذا زاروا القبور — وأما زيارة قباء فيستحب لمن أتى المدينة ان يأتي قباء فيصلي في مسجدها وكذلك يستحب له عند الجمهور ان يأتي البقيع وشهداء أحد كما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل فزيارة القبور للدعاء للميت من جنس الصلاة على الجنائز يقصد فيها الدعاء لهم لا يقصد فيها أن يدعو مخلوقا من دون الله ولا يجوز ان تتخذ مساجد ولا تقصد لكون الدعاء عندها أو بها أفضل من الدعاء في المساجد والبيوت. والصلاة على الجنائز أفضل باتفاق المسلمين من الدعاء للموتى عند قبورهم وهذا مشروع بل هو فرض على الكفاية متواتر متفق عليه بين المسلمين ولو جاء انسان الى سرير الميت يدعوه من دون الله ويستغيث به كان هذا شركا محرما باجماع المسلمين

[illegible]

لأهل الشرك والبدع وأعظم أنه يدل على الزيارة التي يفعلها أهل الشرك وأهل البدع اباحة فهو أعظم ضلالا ممن يحتج بصلاته على الجنازة على أنه يجوز أن يشرك بالميت ويدعى من دون الله ويذم ويثنى عليه كما يفعل ذلك من يستدل بهذا الذي شرعه الرسول وهو عبادة لله وطاعة له يثاب عليه الفاعل وينتفع المدعو له ويرضى به الرب على أنه يجوز أن يفعل ما هو شرك بالله وإيذاء للميت وظلم من العبد لنفسه كزيارة المشركين وأهل الجزع الذين لا يخلصون له الدين ولا يسلمون لما حكم به سبحانه وتعالى . فكل زيارة تتضمن فعل ما نهى عنه وترك ما أمر به كالتي تتضمن الجزع وقول الهجر وترك الصبر أو تتضمن الشرك أو دعاء غير الله وترك اخلاص الدين لله فهي منهي عنها وهذه الثانية أعظم اثما من الاولى ولا يجوز ان يصلى اليها بل ولا عندها بل ذلك مما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تصلوا الى القبور ولا تجلسوا عليها رواه مسلم في صحيحه . فزيارة القبور على وجهين وجه نهى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم واتفق العلماء على انه غير مشروع وهو ان يتخذها مساجد ويتخذها وثنا ويتخذها عيدا فلا يجوز ان تقصد للصلاة الشرعية ولا ان تعبد كما تعبد الاوثان . ولا ان تتخذ عيدا يجتمع اليها في وقت معين كما يجتمع المسلمون في عرفة ومنى *

وأما الزيارة الشرعية فهي مستحبة عند الاكثرين وقيل مباحة . وقيل كلها منهي عنه كما تقدم والذي تدل عليه الادلة الشرعية انه يحمل المطلق من كلام العلماء على المقيد *

وتفصيل الزيارة على ثلاثة أنواع منهي عنه ومباح ومستحب وهو الصواب . قال مالك وغيره لا تأت الا هذه الآثار (مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومسجد قباء وأهل البقيع وأحد) فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن يقصد الا هذين المسجدين وهاتين المقبرتين كان يصلي يوم الجمعة في مسجده ويوم السبت يذهب الى قباء كما في الصحيحين عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ياتي قباء كل سبت راكبا وماشيا فيصلي فيه ركعتين . وأما احاديث النهي فكثيرة مشهورة في الصحيحين وغيرهما كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبياءهم مساجد . ثم ذكر الاحاديث الواردة في ذلك وقد سبق ذكرها غير مرة . (ومنها) قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود ان من شرار

الا من [illegible] السلام [illegible] لا تتخذوا القبور [illegible] الامام احمد في مسنده
وابو حاتم في صحيحه . وفي سنن ابي داود عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تتخذوا قبري
عيدا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني . وفي موطأ مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ثم
ذكر الاثر المشهور في سنن سعيد بن منصور . وقال فلما اراد الائمة اتباع سنته في زيارة قبره
والسلام طلبوا ما يعتمدون عليه من سنته فاعتمد الامام أحمد على الحديث الذي في السنن عن
ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل يسلم علي الا رد
الله علي روحي حتى أرد عليه السلام وعنه أخذ ابو داود ذلك فلم يذكر في زيارة قبره غير
هذا الحديث وترجم عليه باب زيارة القبر مع ان دلالة الحديث على المقصود فيها نزاع وتفصيل
فانه لا يدل على كل ما يسميه الناس زيارة باتفاق المسلمين ويبقي الكلام المذكور فيه هل هو
السلام عند القبر كما كان من دخل على عائشة يسلم عليه أو يتناول هذا والسلام عليه من خارج
الحجرة . فالذين استدلوا به جعلوه متناولا لهذا وهذا وهو غاية ما كان عندهم في هذا الباب عنه
صلى الله تعالى عليه وسلم . وهو صلى الله عليه وسلم يسمع السلام من القبر وتبلغه الملائكة الصلاة
والسلام من البعد كما في النسائي عنه صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين يبلغوني عن
أمتي السلام . وفي السنن عن أوس بن أوس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اكثروا علي من
الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فان صلاتكم معروضة علي قالوا كيف تعرض صلاتنا عليك وقد
أرمت فقال ان الله حرم على الارض ان تأكل لحوم الانبياء صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما
وذكر مالك في موطئه ان عبد الله بن عمر كان يأتي فيقول السلام عليك يارسول الله . السلام
عليك يا أبا بكر . السلام عليك يا أبتي ثم ينصرف وفي رواية كان اذا قدم من سفر . وعلى هذا
اعتمد مالك رحمه الله فيما يفعل عند الحجرة اذا لم يكن عنده الا أثر ابن عمر وأما مازاد على ذلك
مثل الوقوف للدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم ومع كثرة الصلاة والسلام عليه فقد كرهه مالك .
وذكر انه بدعة لم يفعلها السلف ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما أصلح أولها . والله تعالى أعلم *

هذا ماوجدناه من الجواب الباهر . وبه علم مذهب الشيخ في زيارة القبور وان ماتكلم به
الخصوم من غلاة الشافعية ونحوهم هو محض بهتان وزور * وله رضى الله تعالى عنه كتاب آخر

[illegible]

[illegible] *

﴿ وقال المعترض السبكي ﴾ وورد في زيارة قبره صلى الله عليه وسلم أحاديث صحيحة وغيرها مما لم يبلغ درجة الصحيح لكنها يجوز الاستدلال بها على الاحكام الشرعية ويحصل بها الترجيح *

﴿ قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى ﴾ والجواب من وجوه ﴿ أحدها ﴾ ان يقال لو ورد من ذلك ما هو صحيح لكان انما يدل على مطلق الزيارة وليس في جواب الاستفتاء نهي مطلق عن الزيارة ولا حكى في ذلك نزاع في الجواب وانما فيه ذكر النزاع فيمن لم يكن سفره الا لمجرد زيارة قبور الانبياء والصالحين وحينئذ فلو كان في هذا الباب حديث صحيح لم يتناول محل النزاع ولا فيه رد على ما ذكره المجيب من النزاع والاجماع *

﴿ الثاني ﴾ انه لو قدر انه ورد في زيارة قبره أحاديث صحيحة لكان المراد بها هو المراد بقول من قال من العلماء انه يستحب زيارة قبره ومرادهم بذلك السفر الى مسجده وفي مسجده يسلم عليه ويصلي عليه ويدعو له ويثني عليه ليس المراد انه يدخل الى قبره ويصلي عليه وحينئذ فهذا المراد قد استحبه المجيب وذكر انه مستحب بالنص والاجماع فمن حكي عن المجيب انه لا يستحب ما استحبه علماء المسلمين من زيارة قبره على الوجه المشروع فقد استحق ما يستحقه الكاذب المفتري . واذا كان يستحب هذا وهو المراد بزيارة قبره فزيارة قبره بهذا المعنى من مواقع الاجماع لا من موارد النزاع *

﴿ الثالث ﴾ ان نقول قول القائل انه ورد في زيارة قبره أحاديث صحيحة قول لم يذكر عليه دليلا . فاذا قيل له لا نسلم انه ورد في ذلك حديث صحيح احتاج الى الجواب وهو لم يذكر شيئا من تلك الاحاديث كما ذكر قوله كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها . وكما ذكر زيارته لاهل البقيع وأحد فان هذا صحيح وهنا لم يذكر شيئا من الحديث الصحيح فبقي ما ذكره دعوى مجردة تقابل بالمنع *

﴿ الوجه الرابع ﴾ ان نقول هذا قول باطل لم يقله أحد من علماء المسلمين العارفين بالصحيح وليس في الاحاديث التي رويت بلفظ زيارة قبره حديث صحيح عند أهل المعرفة ولم يخرج

وأهل الصحيح شيئا من ذلك ولا أرباب السنن المشهورة كسنن أبي داود والنسائي والترمذي ونحوهم ولا أهـل المسانيد التي من هذا الجنس كمسند أحمد وغيره ولا في موطأ مالك ولا في مسند الشافعي ونحو ذلك شيء من ذلك . ولا احتج امام من أئمة المسلمين كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم بحديث فيه ذكر زيارة قبره . فكيف يكون في ذلك أحاديث صحيحة ولم يعرفها أحد من أئمة الدين ولا علماء الحديث ومن أين لهـذا وأمثاله ان تلك الاحاديث صحيحة وهو لا يعرف هذا الشأن *

﴿ الوجه الخامس ﴾ قوله ولا غيرها مما لم تبلغ درجة الصحيح لكنها يجوز الاستدلال بها على الاحكام الشرعية ويحصل بها الترجيح . فيقال له اصطلاح الترمذي ومن بعده ان الاحاديث ثلاثة أقسام صحيح وحسن وضعيف . والضعيف قد يكون موضوعا قعلم انه كذب وقد لا يكون كذلك فما ليس بصحيح ان كان حسنا على هذا الاصطلاح احتج به وهو لم يذكر حديثا وتبين انه حسن يجوز الاستدلال به فنقول له لا نسلم انه ورد من ذلك ما يجوز الاستدلال به وهو لم يذكر الا دعوى مجردة فتقابل بالمنع *

﴿ الوجه السادس ﴾ ان يقال ليس في هذا الباب ما يجوز الاستدلال به بل كلها ضعيفة بل موضوعة كما قد بسط في مواضع وذكرت هذه الاحاديث وذكرت كلام الائمة عليها حديثا حديثا بل ولا عرف عن أحد من الصحابة انه تكلم بلفظ زيارة قبره البتة فلم يكن هذا اللفظ معروفا عندهم ولهـذا كره مالك التكلم بخلاف لفظ زيارة القبور مطلقا فان هـذا اللفظ معروف عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعن أصحابه وفي القرآن ألهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر . لكن معناه عند الاكثرين الموت وعند طائفة هي زيارتها للتفاخر بالموتى والتكاثر . وأما لفظ قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المخصوص فلا يعرف لا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه وكل ما يروى فيه فهو ضعيف بل هو كذب موضوع عند أهـل العلم بالحديث كما قـد بسط هذا في مواضع *

﴿ الوجه السابع ﴾ ان يقال الذين أثبتوا استحباب السلام عليه عند الحجرة كمالك وابن حبيب وأحمـد بن حنبل وأبي داود احتجوا بفعل ابن عمر كما احتج بذلك مالك وأحمد وغيرهما وأما بالحديث الذي رواه أبو داود وغيره باسناد جيد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

[illegible]
[illegible]
عنه وان هذا هو المراد لم يرد على كل مسلم عليه في صلاة في شرق الارض وغربها مع
ان هذا المعنى ان كان هو المراد بطل الاستدلال بالحديث من كل وجه على اختصاص تلك
البقعة بالسلام وان كان المراد السلام عليه عند قبره كما فهمه عامة العلماء فهل يدخل فيه من سلم
من خارج الحجرة هذا مما تنازع فيه الناس . وقد تنازعوا في دلالته فمن الناس من يقول هذا
انما يتناول من سلم عليه عند قبره كما كانوا يدخلون الحجرة على زمن عائشة فيسلمون على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وكان يرد عليهم فاولئك سلموا عليه عند قبره وكان يرد عليهم وهذا قد
جاء عموما في حق المؤمنين مامن رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا رد الله
عليه روحه حتى يرد عليه السلام قالوا فاما من كان في المسجد فهؤلاء لم يسلموا عليه عند قبره بل
سلامهم عليه كالسلام عليه في الصلاة وكالسلام عليه اذا دخل المسجد وخرج وهذا هو السلام
الذي أمر الله به في حقه بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما وهذا السلام قد ورد انه من سلم عليه
مرة سلم الله عليه عشرا كما انه من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا فاما أثر من صلى عليه مرة
صلى الله عليه بها عشرا فهو ثابت من وجوه بعضها في الصحيح كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن
عمر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا على فانه
من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا تنبغي الا
لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون ذلك العبد فمن سأل الله لى الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم
القيامة وهذا مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير هذا الوجه كما في حديث العلاء
ابن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلي على
واحدة صلى الله عليه عشرا *

وأما السلام فقد جاء أيضا في أحاديث من أشهرها حديث عبد الله بن المبارك عن
حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن سليمان مولى الحسن بن علي عن عبد الله بن أبي طلحة
عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه جاء ذات يوم والبشر يرى في وجهه .
فقال انه جاءني جبريل فقال أما يرضيك يا محمد ان الله يقول انه لا يصلي عليك

أحد من أمتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرا وقد روى في عدة أحاديث ان الله جعل على كل من صلى عليه وسلم على كل من سلم عليه [illegible] بذكر عشرا لكن الحسنة بعشر أمثالها فالمقيد يفسر المطلق * قال القاضي عياض من رواية عبد الرحمن ابن عوف عنه عليه السلام قال لقيت جبريل فقال لي أبشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه قال ونحوه من رواية أبي هريرة ومالك بن أوس بن الحدثان وعبد الله بن أبي طلحة قلت وبسط الكلام على هذه الاحاديث له موضع آخر. والمقصود هنا ان ما أمر الله به من الصلاة والسلام عليه هو كما أمر به صلى الله عليه وسلم من الدعاء له بالوسيلة وهذا أمر اختص هو به فان الله أمر بذلك في حقه بعينه مخصوصا بذلك وان كان السلام على جميع عباد الله الصالحين مشروعا على وجه العموم وقد قيل ان الصلاة تكره على غير الانبياء . وغلا بعضهم فقال تكره على غيره من الانبياء . وكذلك قال بعض المتأخرين في السلام على غير الانبياء * ولكن الصواب الذي عليه عامة العلماء انه يسلم على غيره . واما الصلاة فقد جوزها أحمد وغيره والنزاع فيها معروف * وفي تفسير شيبان عن قتادة قال حدث انس بن مالك عن أبي طلحة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلمتم على فسلموا على المرسلين فانما انا رسول من المرسلين وهكذا رواه ابن ابي عاصم في كتاب الصلاة ورواه ابن ابي حاتم وغيره ولم يذكروا فيه سماع قتادة له وهو في تفسير سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة مرسلا . وقد قال الله تعالى في كتابه (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) وقال (وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) *

وقال لما ذكر نوحا وابراهيم وموسى وهارون والياسين وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم وتركنا عليهم في الآخرين سلام على موسى وهارون . وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين *

﴿ والمقصود ﴾ هنا ان هذا السلام المأمور به خصوصا والمشروع في الصلاة وغيرها عموما على كل عبد صالح كقول المصلي السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فان هذا ثابت في التشهدات المروية عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كلها مثل حديث ابن مسعود الذي في الصحيحين وحديث ابي موسى وابن عباس الذين رواهما مسلم وحديث ابن عمر وعائشة وجابر وغيرهم

الحي الغائب والميت [illegible] هذا السلام لا يقتضي ردا من المسلم عليه بل هو [illegible] دعاء للمؤمن
المؤمنين واستغفار لهم فيه الاجر والثواب من الله ليس [illegible] الدعاء لهم مثل ذلك الدعاء
بخلاف سلام التحية فانه مشروع بالنص والاجماع في حق كل مسلم وعلى المسلم عليه ان يرد
السلام ولو كان المسلم عليه كافرا فان هذا من العدل الواجب ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم
يرد على اليهود اذا سلموا بقوله وعليكم واذا سلم على معين تعين الرد واذا سلم على جماعة فهل
ردهم فرض على الاعيان او على الكفاية على قولين معروفين هما قولان في مذهب احمد وغيره
وسلام الزائر للقبر على الميت المؤمن هو من هذا الباب. ولهذا روى ان الميت يرد السلام مطلقا.
فالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم في مسجده وسائر المساجد وسائر البقاع مشروع
بالكتاب والسنة والاجماع . واما السلام عليه عند قبره من داخل الحجرة فهذا كان مشروعا
لما كان ممكنا بدخول من يدخل على عائشة . واما تخصيص هذا السلام والصلاة بالمكان
القريب من الحجرة فهذا محل النزاع . وللعلماء في ذلك ثلاثة اقوال منهم من ذكر استحباب
السلام والصلاة والسلام عليه اذا دخل المسجد ثم بعد ان يصلي في المسجد استحب أيضا ان
يأتي الى القبر ويصلي ويسلم كما ذكر ذلك طائفة من أصحاب مالك والشافعي واحمد . ومنهم من
لم يذكر الا الثاني فقط وكثير من السلف لم يذكروا الا النوع الاول فقط . فاما النوع الاول
فهو المشروع لاهل البلد وللغرباء في هذا المسجد وغير هذا المسجد . واما النوع الثاني فهو الذي
فرق من استحبه بين أهل البلد والغرباء سواء فعله مع الاول أو مجردا عنه كما ذكر ذلك ابن
حبيب وغيره اذا دخل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم قال باسم الله وسلام على رسول الله صلى
الله عليه وسلم السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفرلي وافتح لي أبواب
رحمتك وجنتك وجنبني من الشيطان الرجيم * ثم اقصد الى الروضة وهي مابين القبر والمنبر
فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيها وتسأله تمام ماخرجت اليه والعون عليه وان
كانت ركعتاك في غير الروضة اجزاتك وفي الروضة أفضل . وقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم مابين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنه . ثم تقف
بالقبر متواضعا وتصلي عليه وتثني بما يحضر وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعوا لهما وا كثر من
الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تأتي مسجد قباء قبور الشهداء

قلت وهذا الذي ذكره من استحباب الصلاة في الروضة قول طائفة وهو المنقول عن الامام أحمد في مناسك المروزي. وأما مالك فنقل عنه أنه يستحب التطوع في موضع صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لا يتعين لذلك موضع من المسجد. وأما الفرض فيصليه في الصف الأول مع الامام بلا ريب والذي ثبت في الصحيح عن سلمة بن الأكوع أنه كان يتحرى الصلاة عند الاسطوانة. وأما ما قصد تخصيصه بالصلاة فيه فالصلاة فيه أفضل وأما مقامه فانما كان يقوم فيه اذا كان اماما يصلي بهم الفرض والسنة أن يقف الامام وسط المسجد أمام القوم فلما زيد في المسجد صار موقف الامام في الزيادة والمقصود معرفة ما ورد عن السلف من الصلاة والسلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم عند دخول المسجد وعند القبر في مسند ابي يعلى الموصلي حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا زيد بن الحباب حدثنا جعفر بن ابراهيم من ولد ذي الجناحين حدثنا علي بن عمر عن أبيه علي ابن الحسين انه رأى رجلا يجيء الى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو فنهاه فقال الا احدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا قبري عيدا ولا بيوتكم قبورا فان تسليمكم يبلغني أينما كنتم * وهذا الحديث مما اخرجه الحافظ ابو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي فيما اختاره من الاحاديث الجياد الزائدة على ما في الصحيحين وهو اعلى مرتبة من تصحيح الحاكم وهو قريب من تصحيح الترمذي وابي حاتم البستي ونحوهما فان الغلط في هذا قليل ليس هو مثل صحيح الحاكم فان فيه أحاديث كثيرة يظهر انها كذب موضوعة فلهذا انحطت درجته عن درجة غيره فهذا علي بن الحسين زين العابدين وهو من اجل التابعين علما ودينا حتى قال الزهري ما رأيت هاشميا مثله وهو يذكر هذا الحديث باسناده ولفظه لا تتخذوا بيتي عيدا فان تسليمكم يبلغني اينما كنتم وهذا يقتضي انه لا مزية للسلام عليه عند بيته كما لا مزية للصلاة عليه عند بيته بل قد نهى عن تخصيص بيته بهذا. وهذا وحديث الصلاة مشهور في سنن أبي داود وغيره من حديث عبد الله بن نافع قال أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم وهذا حديث حسن ورواته ثقات مشاهير لكن عبد الله بن نافع الصائغ فيه لين لا يمنع الاحتجاج به قال يحيي بن معين هو ثقة وحسبك

[illegible]
ويذكر ذلك ويقال هذا انه يخالف انه [illegible] اجماعا فاذا كان [illegible]
لا شواهد مستندة قد نقلت في غير هذا الموضع كما رواه سعيد ابن منصور في سننه حدثنا
حبان بن علي حدثني محمد بن عجلان عن ابي سعيد مولى المهري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تتخذوا بيتي عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم
تبلغني • وقال سعيد أيضا حدثنا عبد العزيز بن محمد اخبرني سهيل بن أبي سهيل قال رآني
الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى • فقال
هلم الى العشاء فقلت لا أريده فقال مالي رأيتك عند القبر فقلت سلمت على النبي صلى الله عليه
وسلم فقال اذا دخلت المسجد فسلم عليه * ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا
بيتي عيدا ولا بيوتكم مقابر لعن الله اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد • وصلوا علىّ فان صلاتكم
تبلغني حيثما كنتم ما انتم ومن بالاندلس منه الا سواء * رواه اسماعيل بن اسحق في كتاب
الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يذكر هذه الزيارة وهي قوله ما انتم ومن بالاندلس
الا سواء لان مذهبه ان القادم من سفر و المريد للسفر سلامه أفضل وان الغرباء يسلمون اذا
دخلوا وخرجوا وهذه مزية على من بالاندلس والحسن ابن الحسن وغيره لا يفرقون بين أهل
المدينة والغرباء ولا بين المسافر وغيره فرواه القاضي اسمعيل عن ابراهيم بن حمزة * حدثنا عبد
العزيز بن محمد عن سهل بن أبي سهل قال جئت أسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وحسن بن
حسن يتعشى في بيت عند النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فجئته فقال أدن فتعش قال قلت
لا أريده قال مالي رأيتك وقفت قلت وقفت أسلم على النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت
فسلم عليه * ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوا في بيوتكم ولا تجعلوا بيوتكم
مقابر لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وصلوا علىّ فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم
ولم يذكر قول الحسن فهذا فيه انه أمره أن يسلم عند دخول المسجد وهو السلام المشروع
الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وجماعة من السلف كانوا يسلمون عليه اذا دخلوا
المسجد وهذا مشروع في كل مسجد • وهذا الحسن بن الحسن المثنى وهو من التابعين وهو من
ظهر علي بن الحسين هذا ابن الحسن وهذا ابن الحسن • وقد ذكر القاضي عياض هذا عن

الحسن بن علي عن أبيه رضي الله عنهم أجمعين فقال وعن الحسن بن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حيثما كنتم فصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني قال وعن الحسن بن علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم قلت والصلاة والسلام عليه عند دخول المسجد مأثور عنه صلى الله عليه وسلم وعن غير واحد من الصحابة والتابعين مثل الحديث الذي في المسند والترمذي وابن ماجة عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم . وقال رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك هذا لفظ الترمذي . وفي غيره أنه صلى الله عليه وسلم أمر بذلك وفي سنن أبي داود عن أبي أسيد او أبي حميد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل أحدكم المسجد فليسلم وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل وذكر الحديث . وقال الضحاك ابن عثمان حدثنا سعيد المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم اجرني من الشيطان الرجيم أخرجه ابن خزيمة في صحيحه قال القاضي عياض ومن مواطن الصلاة والسلام عليه دخول المسجد قال أبو اسحق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم عليه تسليما ويقول اللهم اغفر لي وافتح لي أبواب رحمتك وفضلك قال وقال عمرو بن دينار في قوله اذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم وقال ان لم يكن في البيت أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته قال وقال ابن عباس المراد بالبيوت المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في البيت أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . قال وعن علقمة قال اذا دخلت المسجد أقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد قال ونحوه عن كعب اذا دخل وخرج ولم يذكر الصلاة قال واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد قال ومثله عن أبي بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة قال وروى ابن وهب عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى

[illegible]

والنبيين وتقول اذا خرجت اللهم اني أسألك من فضلك وفي أخرى اللهم احفظني من الشيطان وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته باسم الله دخلنا وباسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك. قلت هذا فيه حديث مرفوع في سنن أبي داود وغيره أنه يقال عند دخول المسجد اللهم اني أسألك خير المولج وخير المخرج باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا قال القاضي عياض وعن أبي هريرة اذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي. وقلت وروى ابن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري عن ضرار بن مرة عن مجاهد في هذه الآية فاذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة قال اذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين واذا دخلت المسجد فقل السلام على رسول الله واذا دخلت على أهلك فقل السلام عليكم قلت والآثار مبسوطة في مواضع. والمقصود هنا أن نعرف ما كان عليه السلف من الفرق بين ما أمر الله به من الصلاة والسلام عليه وبين سلام التحية الموجب للرد الذي يشترك فيه كل مؤمن حي ويرد فيه على الكافر ولهذا كان الصحابة بالمدينة على عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم اذا دخلوا المسجد لصلاة او اعتكاف او تعليم او تعلم او ذكر لله ودعاء له ونحو ذلك مما شرع في المساجد لم يكونوا يذهبون الى ناحية القبر فيزورونه هناك ولا يقفون خارج الحجرة كما لم يكونوا يدخلون الحجرة أيضاً لزيارة قبره فلم يكن الصحابة بالمدينة يزورون قبره لا من المسجد خارج الحجرة ولا داخل الحجرة ولا كانوا أيضاً يأتون من بيوتهم لمجرد زيارة قبره بل هذا من البدع التي أنكرها الائمة والعلماء وان كان الزائر منهم ليس مقصوده الا الصلاة والسلام عليه وبينوا أن السلف لم يفعلوها كما ذكره مالك في المبسوط وقد ذكره أصحابه كابي الوليد الباجي والقاضي عياض وغيرهما*

قيل لمالك ان ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك أي يقفون على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلون عليه ويدعون له ولابي بكر وعمر يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة والايام المرة والمرتين او اكثر عند القبر يسلمون ويدعون ساعة

فقال لم يبلغني هذا عن أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما أصلح أولها ولم يبلغني هذا عن أول هذه الامة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر أو أراده فقد كره مالك رحمه الله هذا وبين انه لم يبلغه هذا عن أهل العلم بالمدينة ولا عن صدر هذه الامة وأولها ، وهم الصحابة وان ذلك يكره لاهل المدينة الا عند السفر ومعلوم ان أهل المدينة لا يكره لهم زيارة قبور أهل البقيع وشهداء أحد وغيرهم بل هم في ذلك ليسوا بدون سائر الامصار فاذا لم يكره لاولئك زيارة القبور بل يستحب لهم زيارتها عند جمهور العلماء كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل فاهل المدينة اولى أن لا يكره لهم بل يستحب لهم زيارة القبور كما يستحب لغيرهم اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ولكن قبر النبي صلى الله عليه وسلم خص بالمنع شرعا وحسا كما دفن في الحجرة ومنع الناس من زيارة قبره من الحجرة كما يزار سائر القبور فيصل الزائر الى عند القبر ، وقبر النبي صلى الله عليه وسلم ليس كذلك فلا يستحب هذه الزيارة في حقه ولا تمكن وهذا لعلو قدره وشرفه لا لكون غيره أفضل منه فان هذا لا يقوله أحد من المسلمين فضلا عن الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين بالمدينة وغيرها ومن هنا غلط طائفة من الناس يقولون اذا كانت زيارة قبر آحاد الناس مستحبة فكيف بقبر سيد الاولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه وهؤلاء ظنوا أن زيارة قبر الميت مطلقا هو من باب الاكرام والتعظيم له والرسول صلى الله عليه وسلم أحق بالاكرام والتعظيم من كل أحد وظنوا ان ترك الزيارة فيها تنقص لكرامته فغلطوا وخالفوا السنة واجماع الامة سلفها وخلفها فقولهم نظير قول من يقول اذا كانت زيارة القبور يصل الزائر فيها الى قبر المزور فان ذلك ابلغ في الدعاء له وان كان مقصوده دعاءه كما يقصده أهل البدع فهو ابلغ في دعائه فالرسول صلى الله عليه وسلم اولى ان نصل الى قبره اذا زرناه ، وقد ثبت بالتواتر واجماع الامة ان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يشرع الوصول الى قبره للدعاء له ولا لدعائه ولا لغير ذلك بل غيره يصلى على قبره عند اكثر السلف كما دلت عليه الاحاديث الصحيحة والصلاة على القبر كالصلاة على الجنازة تشرع مع القرب والمشاهدة وهو بالاجماع لا يصلى على قبره سواء كان للصلاة حد محدود او كان يصلى على القبر مطلقا ولم يعرف ان أحدا من الصحابة الغائبين لما قدم صلى على قبره صلى الله عليه وسلم * وزيارة القبور المشروعة هي مشروعة مع الوصول

الى القبر بدعة [illegible] وبعضهم الزيارة [illegible] النص والاجماع ، ولا على أئمة [illegible]
وان غلط هؤلاء الذين قاسوه على عموم المسلمين ، وهذا من باب القياس الفاسد ومن قاس
قياس الاولى وليسلم ما اختص به كل واحد من القياس والقيس به كان قياسه من جنس
قياس المشركين الذين كانوا يقيسون الميتة على المذكى . ويقولون للمسلمين أتأكلون ما قتلتم ولا
تأكلون ما قتل الله فأنزل الله تعالى (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم
انكم لمشركون) وكذلك لما أخبر الله ان الاصنام التي تعبد هي وعابدوها حصب جهنم قاس ابن
الزبعرى قبل أن يسلم هو وغيره من المشركين عيسى بها ، وقالوا يجب أن يعذب عيسى قال
ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير أم هو ماضربوه لك الا
جدلا بل هم قوم خصمون * ثم قال ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل
وبين تعالى الفرق بقوله (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) بين أن من كان
صالحا نبيا أو غير نبي لم يعذب لاجل من أشرك به وعبده وهو بريء من اشراكهم * وأما
الاصنام فهي حجارة تجعل حصبا للنار * وقد قيل انها من الحجارة التي قال الله تعالى فيها وقودها
الناس والحجارة . وقال تعالى (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) وبسط هذا له موضع آخر
* والمقصود هنا * أن يعرف أن ما مضت به سنته وكان عليه خلفاؤه وأصحابه وأهل العلم
والدين بالمدينة من تركهم لزيارة قبره اكمل في القيام بحق الله وحق رسوله صلى الله عليه وسلم
فهو اكمل وأفضل وأحسن مما يفعل مع غيره وهو أيضا في حق الله وتوحيده اكمل واتم وابلغ *
وأما كونه أتم في حق الله فلان حق الله على عباده ان يعبدوه ولا يشركوا به شيأ كما ثبت
ذلك في الصحيحين عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم ويدخل في العبادة جميع
خصائص الرب فلا يتقي غيره ولا يخاف غيره ولا يتوكل على غيره ولا يدعى غيره ولا يصلى
لغيره ولا يصام لغيره ولا يتصدق الا له ولا يحج الا الى بيته قال تعالى (ومن يطع الله ورسوله
ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) فجعل الطاعة لله والرسول وجعل الخشية والتقوى لله
وحده وقال (ولو أنهم رضوا بما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله
انا الى الله راغبون) فجعل الايتاء لله والرسول وجعل التوكل والرغبة لله وحده . وقال فاذا
فرغت فانصب والى ربك فارغب . وقال وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين إنما هو اله واحد

[illegible] في السموات والأرض [illegible] يعبدون) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) وقال تعالى (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير) ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له . وهذا الباب واسع وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله . وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم في صفة السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فهم لا يطلبون من غيرهم أن يرقيهم والرقية دعاء فكيف بما هو أبلغ من ذلك . ومعلوم أنه لو اتخذ قبره عيدا ومسجدا ووثنا صار الناس يدعونه ويتضرعون اليه ويسألونه ويتوكلون عليه ويستغيثون ويستجيرون به وربما سجدوا له وطافوا به وصاروا يحجون اليه وهذه كلها من حقوق الله وحده الذي لا يشركه فيها مخلوق وكان من حكمة الله دفنه في حجرته ومنع الناس من مشاهدة قبره والعكوف عليه والزيارة له ونحو ذلك لتحقيق توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له واخلاص الدين لله *

﴿ وأما قبور أهل البقيع ونحوهم ﴾ من المؤمنين فلا يحصل ذلك عندها واذا قدر أن ذلك فعل عندها منع من يفعل ذلك وهدم ما يتخذ عليها من المساجد وان لم تزل الفتنة الا بتعفية قبره وتعميته فعل ذلك كما فعله الصحابة بامر عمر بن الخطاب في قبر دانيال وأما كون ذلك أعظم لقدره واعلى لدرجته فلان المقصود المشروع بزيارة قبور المؤمنين كاهل البقيع وشهداء أحد هو الدعاء كما كان هو يفعل ذلك كما زارهم وكما سنه لامته فلو سن للامة أن يزوروا قبره للصلاة عليه والسلام عليه والدعاء له كما كان بعض أهل المدينة يفعل ذلك أحيانا وبين مالك أنه بدعة لم تبلغه عن صدر هذه الامة ولا عن أهل العلم بالمدينة وانها مكروهة فانه لن يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح أولها لكان بعض الناس يزوره ثم لتعظيمه في القلوب وعلم الخلائق بانه أفضل الرسل وأعظمهم جاها وأنه اوجه الشفعاء الى ربه تدعو النفس ان تطلب منه حاجاتها وأغراضها وتعرض عن حقه من الصلاة والسلام عليه والدعاء له فان الناس مع ربهم

[illegible] كما قال تعالى (وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) وقال تعالى (واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا) وقال تعالى (واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار) ونظائر هذا فى القرآن متعددة فاذا كانوا الا من شاء الله انما يعظمون ربهم ويوحدونه ويذكرونه عند ضرورتهم لاغراضهم ولا يعرفون حقه اذا خلصهم فلا يحبونه ويعبدونه ولا يسألونه ولا يقومون بطاعته فكيف يكونون مع المخلوق فهم يطلبون من الانبياء والصالحين أغراضهم وذلك مقدم عندهم على حقوق الانبياء والصالحين فاذا اعتقدوا ان فى زيارة قبر نبي اوصالح تحصيل أغراضهم بسؤاله ودعائه وجاهه وشفاعته أعرضوا عن حقه واشتغلوا باغراضهم كما هو الموجود فى عامة الذين يحجون الى القبور المعظمة ويقصدونها لطلب الحوائج . فلو اذن الرسول صلى الله عليه وسلم لهم فى زيارة قبره ومكنهم من ذلك لاعرضوا عن حق الله الذي يستحقه من عبادته وحقه وعن حق الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يستحقه من الصلاة والسلام عليه والدعاء له بل ومن جعله واسطة بينهم وبين الله فى تبليغ أمره ونهيه وخبره فكانوا يهضمون حق الله وحق رسوله كما فعلت النصارى فانهم بغلوهم فى المسيح تركوا حق الله من عبادته وحده وتركوا حق المسيح فهم لا يدعون له بل هو عندهم رب يدعى ولا يقومون بحق رسالته فينظرون ما أمر به وما أخبر به بل اشتغلوا بالشرك به وبغيره وبطلب حوائجهم ممن يستغيثون به من الملائكة والانبياء وصالحيهم عما يجب من حقوقهم وأيضا فلو جعلت الصلاة والسلام عليه والدعاء له عند قبره أفضل منها فى غير تلك البقعة كما قد يكون الدعاء للميت عند قبره أفضل لكانوا يخصون تلك البقعة بزيارة الدعاء له واذا غابوا عنها تنقص صلاتهم وسلامهم ودعائهم فان الانسان لا يجتهد فى الدعاء فى المكان المفضول كما يجتهد فى المكان الفاضل وهم قد امروا ان يقوموا بحق الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل مكان وان لا يكون البعيد عن قبره انقص ايمانا وقياما بحقه من المجاور لقبره وقال لهم صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا بيتى عيدا وصلوا على

[illegible] البلاغ [illegible] الذي [illegible] أن يصلوا عليه ويسألوا له الوسيلة إذا سمعوا المؤذن حيث كانوا وأن يسلموا عليه في كل صلاة ويصلوا عليه في الصلاة ويسلموا عليه اذا دخلوا المسجد واذا خرجوا منه فهذا الذي أمروا به عام في كل مكان وهو يوجب من القيام بحقه ورفع درجته واعلاء منزلته ما لا يحصل لو جعل ذلك عند قبره أفضل ولا اذا سوى بين قبره وقبر غيره بل انما يحصل كمال حقه مع حق ربه بفعل ما شرعه وسنه لامته من واجب ومستحب وهو أن يقوموا بحق الله ثم بحق رسوله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا من المحبة والموالاة والطاعة وغير ذلك من الصلاة والسلام والدعاء وغير ذلك ولا يقصد تخصيص القبر لما يفضى اليه ذلك من ترك حق الله وحق رسوله صلى الله عليه وسلم فهذا وغيره مما يبين ان ما نهى عنه الناس ومنعوا منه وكان السلف لا يفعلونه من زيارة قبره وان كان زيارة قبر غيره مستحبة فهو أعظم لقدره وارفع لدرجته واعلى في منزلته وان ذلك أقوم بحق الله واتم واكمل في عبادته وحده لا شريك له واخلاص الدين له ففي ذلك تحقيق شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وان كان أهل البدع الذين فعلوا مالم يشرعه بل ما نهى عنه وخالفوا الصحابة والتابعين لهم باحسان فاستحبوا ما كانوا أولئك يكرهونه ويمنعون منه هم مضاهون للنصارى وانهم نقصوا من تحقيق الايمان بالله ورسوله والقيام بحق الله وحق رسوله صلى الله عليه وسلم بقدر ما دخلوا فيه من البدعة التي ضاهوا بها النصارى فهذا هذا والله أعلم *

وأيضا فانه اذا أطيع أمره واتبعت سنته كان له من الاجر بقدر اجر من اطاعه واتبع سنته لقوله صلى الله عليه وسلم من دعى الى هدى كان له من الاجر مثل أجور من اتبعه من غير ان ينقص من أجورهم شيئا . وقوله من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة * واما البدع التي لم يشرعها بل نهى عنها وان كانت متضمنة للغلو فيه والشرك به والاطراء له كما فعلت النصارى فانه لا يحصل بها أجر لمن عمل بها فلا يكون للرسول صلى الله عليه وسلم فيها منفعة بل صاحبها ان عذر كان ضالا لا أجر له فيها وان قامت عليه الحجة استحق العذاب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا تطرونى كما اطرت النصارى عيسي ابن مريم فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم *

فان قال هؤلاء الذين قاسوا زيارة قبره على زيارة سائر القبور ان الناس منعوا من الوصول

اليه تعظيما لقدره وجعل سلامهم وخطابهم له من وراء الحجرة لان ذلك ابلغ في الادب والتعظيم . قيل فهذا موجب الفرق فان الزيارة المشروعة ان كان مقصودها الدعاء له فيكون ذلك قريبا من الحجرة أفضل منه فى سائر المساجد والبقاع فالذى يدعو له داخل الحجرة اقرب وان كان القرب مستحبا فكلما كان اقرب كان افضل كسائر القبور وان كان مقصودها مايقوله أهل الشرك والضلال من دعائه ودعاؤه من القرب اولى فينبغى ان يكون من داخل الحجرة اولى ولما ثبت ان هذا القرب من القبر ممنوع منه بالنص والاجماع وهو أيضا غير مقدور علم ان القرب من ذلك ليس بمستحب بخلاف زيارة قبر غيره والصلاة على قبره فان القرب منه مستحب مالم يفض الى مفسدة من شرك اوبدعة او نياحة فان افضى الى ذلك منع ذلك *

ومما يوضح هذا ان الشخص الذى يقصد اتباعه زيارة قبره يجعلون قبره بحيث تمكن زيارته فيكون له باب يدخل منه الى القبر ويجعل عند القبر مكان للزائر اذا دخل بحيث يتمكن من القعود فيه بل يوسع المكان ليسع الزائرين ومن اتخذه مسجدا جعل عنده صورة محراب أو قريبا منه . واذا كان الباب مغلقا جعل له شباك على الطريق ليراه الناس فيه فيدعونه . وقبر النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف هذا كله لم يجعل للزائر طريق اليه بوجه من الوجوه ولا ثم فى المكان كبير يتسع للزوار ولا جعل للمكان شباك يرى منه القبر بل منع الناس من الوصول اليه والمشاهدة له ومن أعظم مامن الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى امته واستجاب دعائه ان دفن فى بيته بجانب مسجده فلا يقدر أحد ان يصلى الا الى المسجد والعبادة المشروعة في المسجد معروفة بخلاف مالو كان قبره منفردا عن المسجد والمسافر اليه انما يسافر الى المسجد واذا سمي هذا زيارة لقبره فهو اسم لامسمى له انما هو اتيان الى مسجده — ولهذا لم يطلق السلف هذا اللفظ ولا عند قبره قناديل معلقة ولا ستور مسبلة بل انما يعلق القناديل فى المسجد المؤسس على التقوى ولا يقدر أحد ان يخلق نفس قبره بزعفران أو غيره ولا يندر له زيتا ولا شمعا ولا سترا ولا غير ذلك مما ينذر لقبر غيره وان كان فى بعض الاحوال قد سمح بعض الناس الحجرة أو خلقها بعضهم بزعفران فهذا انما هو للحائط الذى يلى المسجد لانفس باطن الحجرة والقبر فلا يفعل بقبر غيره وان فعل شيء فى ظاهر الحجرة فعلم ان الله سبحانه وتعالى استجاب دعاءه حيث قال اللهم لاتجعل قبرى وثنا يعبد وان كان كثير من الناس

يريدون ان يجعلوه وثنا ويعتقدون ان ذلك تعظيم له كما يريدون بذلك ويعتقدون فى قبر غيره فهم لا يتمكنون من ذلك بل هـذا القصد والاعتقاد خيال فى نفوسهم لاحقيقة له فى الخارج بخلاف القبر الذى جعل وثنا وان كان الميت وليا لله لا اثم عليه من فعل من أشرك به كما لا اثم على المسيح من اثم من أشرك به *

قال تعالى (واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك مايكون لى ان أقول ماليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم فى مانفسك انك أنت علام الغيوب ماقلت لهم الا ماأمرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد)

وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار. وقال تعالي ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك من أولياء ولـكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الدكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا *

فالمعبودون من دون الله سواء كانوا أولياء كالملائكة والانبياء والصالحين أو كانوا أوثانا قد تبرؤا ممن عبدهم وبينوا انه ليس لهم ان يوالوا من عبدهم ولا ان يواليهم عن عبدهم فالمسيح وغيره وان كانوا براء من الشرك بهم لـكن المقصود بيان مافضل الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وامته وما أنعم به عليهم من اقامة التوحيد لله والدعوة الى عبادته وحده واعلاء كلمته ودينه واظهار مابعثه الله من الهدى ودين الحق وما صانه الله به وصان قبره من ان يتخذ مسجدا فان هذا من أقوى أسباب ضلال أهل الـكتاب. ولهذا لعنهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك تحذيرا لامته وبين ان هؤلاء شرار الخلق عند الله يوم القيامة ولما كان أصحابه أعلم الناس بدينه وأطوعهم له لم يظهر فيهم من البدع ماظهر فيمن بعدهم لا فى أمور القبور ولا فى غيرها فلا يعرف من الصحابة من كان يتعمد الـكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان فيهم من له ذنوب لـكن هذا الباب مما عصمهم الله فيه من تعمد الـكذب على نبيهم وكذلك البدع الظاهرة المشهورة مثل بدعة الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة لم يعرف عن احد من الصحابة شىء من ذلك بل

العقول الثابتة عنهم تدل على موافقتهم للكتاب والسنة . وكذلك اجتماع رجال الغيب بهم أو الخضر أو غيره . وكذلك مجيء الانبياء اليهم في اليقظة وحمل من يحمل منهم الى عرفات ونحو ذلك مما وقع فيه كثير من العباد وظنوا انه كرامة من الله وكان من اضلال الشياطين لهم لم تطمع الشياطين ان توقع الصحابة في مثل هذا فانهم كانوا يعلمون ان هذا كله من الشيطان ورجال الغيب هم الجن قال تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا . وكذلك الشرك باهل القبور لم يطمع الشيطان ان يوقعهم فيه فلم يكن على عهدهم في الاسلام قبر نبي يسافر اليه ولا يقصد للدعاء عنده أو لطلب بركته أو شفاعته أو غير ذلك بل أفضل الخلق محمد خاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه وقبره عندهم محجوب لا يقصده أحد منهم لشيء من ذلك وكذلك كان التابعون لهم باحسان ومن بعدهم من أئمة المسلمين وانما تكلم العلماء والسلف في الدعاء للرسول صلى الله عليه وسلم عند قبره . منهم من نهى عن الوقوف للدعاء دون السلام عليه . ومنهم من رخص في هذا وهذا . ومنهم من نهى عن هذا وهذا * وأما دعاؤه هو وطلب استغفاره وشفاعته بعد موته فهذا لم ينقل عن أحد من ائمة المسلمين لا من الائمة الاربعة ولا غيرهم بل الادعية التي ذكروها خالية عن ذلك *

أما مالك فقد قال القاضي عياض وقال مالك في المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ويسلم ولكن يسلم ويمضي وهذا الذي نقله القاضي عياض ذكره القاضي اسمعيل ابن اسحق في المبسوط . قال وقال مالك لا أرى ان يقف الرجل عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر ثم يمضي وقال مالك ذلك لان هذا المنقول عن ابن عمر انه كان يقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبت أو يا أبتاه ثم ينصرف ولا يقف يدعو فرأى مالك ذلك من البدع . قال وقال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده فقوله في هذه الرواية اذا سلم ودعا قد يريد بالدعاء السلام فانه قال يدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده ويؤيد ذلك انه قال في رواية ابن وهب يقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وقد يراد انه يدعو له بلفظ الصلاة كما ذكر في الموطأ من رواية عبد الله بن دينار انه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر

وعمر وفي رواية يحيى بن يحيى وقد غلطه ابن عبد البر وغيره وقالوا انما لفظ الرواية على ماذكره ابن القاسم والقعنبي وغيرهما يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويسلم على أبي بكر وعمر وقال أبو الوليد الباجي وعندي أنه يدعو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بلفظ الصلاة ولأبي بكر وعمر لما في حديث ابن عمر من الخلاف • قال القاضي عياض وقال في المبسوط لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر فان اراد بالدعاء السلام والصلاة فهو موافق لتلك الرواية وان اراد دعاء زائدا فهي رواية أخرى وبكل حال فانما اراد الدعاء اليسير *

واما ابن حبيب فقال ثم يقف بالقبر متواضعا موقرا فيصلي عليه ويثني عليه ويثني بما حضر ويسلم على أبي بكر وعمر فلم يذكر الا الثناء عليه مع الصلاة واما الامام أحمد فذكر الثناء عليه بلفظ الشهادة له بذلك مع الدعاء له بغير الصلاة • ومع دعاء الداعي لنفسه ايضا لم يذكر ان يطلب منه شيئا ولا يقرأ عند القبر قوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما • كما لم يذكر مالك ذلك ولا المتقدمون من أصحابنا ولا جمهورهم بل قال في منسك المروزي ثم ائت الروضة وهي بين القبر والمنبر فصل فيها وادع بما شئت ثم ائت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقل السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته السلام عليك يامحمد بن عبد الله اشهد ان لا اله الا الله وأشهد انك رسول الله وأشهد انك بلغت رسالة ربك ونصحت لامتك وجاهدت في سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وعبدت الله حتى أتاك اليقين فجزاك الله أفضل ماجزى نبيا عن أمته ورفع درجتك العليا وتقبل شفاعتك الكبرى وأعطاك سؤلك في الآخرة والاولى كما تقبل من ابراهيم اللهم احشرنا في زمرته وتوفنا على سنته واوردنا حوضه واسقنا بكاسه مشربا رويا لا يظمأ بعده أبدا * وما من دعاء وشهادة وثناء يذكر عند القبر الا وقد وردت السنة بذلك وما هو منه في سائر البقاع ولا يمكن أحدا أن يأتي بذكر يشرع عند القبر دون غيره وهذا تحقيق لنهيه ان يتخذ قبره او بيته عيدا فلا يقصد تخصيصه بشيء من الدعاء للرسول صلى الله عليه وسلم فضلا عن الدعاء لغيره بل يدعى بذلك للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم حيث كان الداعي فان ذلك يصل اليه صلى الله تعالى عليه وسلم — وهذا بخلاف ماشرع عند قبر غيره كقوله السلام على أهل

الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين فان هذا لايشرع الا عند القبور ولا يشرع عند غيرها وهذا مما يظهر به الفرق بينه وبين غيره وان ماشرعه وفعله أصحابه من المنع من زيارة قبره كما تزار القبور هو من فضائله وهو رحمة لامته ومن تمام نعمة الله عليها فالسلف كلهم متفقون على ان الزائر لايسأله شيئا ولا يطلب منه مايطلب منه في حياته ويطلب منه يوم القيامة لاشفاعة ولا استغفارا ولا غير ذلك وانما كان نزاعهم في الوقوف للدعاء له والسلام عليه عند الحجرة فبعضهم رأى هذا من السلام الداخل في قوله صلى الله عليه وسلم مامن من رجل يسلم على الا رد الله على روحي حتى ارد عليه السلام واستحبه لذلك وبعضهم لم يستحبه أما لعدم دخوله وأما لان السلام المأمور به في القرآن مع الصلاة وهو السلام الذى لايوجب الرد أفضل من السلام الموجب للرد فان هذا مما يدل عليه الكتاب والسنة واتفق عليه السلف فان السلام المأمور به فى القرآن كالصلاة المأمور بها فى القرآن كلاهما لا يوجب عليه الرد بل الله يصلى على من يصلى عليه ويسلم على من سلم عليه ولان السلام الذى يوجب الرد هوحق للمسلم كما قال تعالى (واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها) ولهذا يرد السلام على من سلم وان كان كافرا وكان اليهود اذا سلموا عليه يقول عليكم وأمر أمته بذلك . وانما قال عليكم لانهم يقولون السام والسام الموت فيقول عليكم قال صلى الله عليه وسلم يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا . ولما قالت عائشة وعليكم السام واللعنة قال مهلا ياعائشة فان الله رفيق يحب الرفق في الامر كله او لم تسمعى ماقلت لهم يعني رددت عليهم فقلت عليكم فهذا اذا قالوا السام عليكم . واما اذا علم انهم قالوا السلام فلا يخصون فى الرد فيقال عليكم فيصير بمعنى السلام عليكم لا علينا بل يقال وعليكم * واذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته عليكم جزاء دعائهم وهودعاء بالسلامة والسلام أمان فقد تكون المستجاب هى سلامتهم منا أى من ظلمنا وعدواننا . وكذلك كل من رد السلام على غيره فانما دعا له بالسلامة وهذا محل ومن الممتنع ان يكون كل من رد على النبى صلى الله عليه وسلم السلام ممن لحق دعا له بالسلامة من عذاب الدنيا والآخرة فقد كان المنافقون يسلمون عليه ويرد عليهم ويرد على المسلمين أصحاب الذنوب وغيرهم لكن السلام فيه امان ولهذا قد تكون خرق بالسلام كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتابه الى قيصر قال فيه

من محمد رسول الله الى قيصر عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى كما قال موسى لفرعون والحديث فى الصحيحين من رواية ابن عباس عن أبى سفيان بن حرب فى قصته المشهورة لما قرأ قيصر كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وساله عن أحواله وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن ابتداء اليهود بالسلام. فمن العلماء من حمل ذلك على العموم. ومنهم من رخص اذا كان للمسلم اليه حاجة يبتدئه بالسلام بخلاف اللقاء والكفار كاليهود والنصارى يسلمون عليه وعلى أمته سلام التحية الموجب للرد. واما السلام المطلق فهو كالصلاة عليه انما يصلى عليه ويسلم عليه أمته فاليهود والنصارى لا يصلون عليه ويسلمون عليه وكانوا اذا رأوه يسلمون عليه فذلك الذى يختص به المؤمنون ابتداء وجوابا أفضل من هذا الذى يفعله الكفار معه ومع أمته ابتداء وجوابا ولا يجوز ان الكفار اذا سلموا عليه سلام التحية فان الله يسلم عليهم عشرا بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجيبهم على ذلك فيقول فيهم كما لو كان لهم دين فقضاه * واما ما يختص بالمؤمنين فاذا صلوا عليه صلى الله على من صلى عليه عشرا . واذا سلم عليه سلم الله عليه عشرا وهذا الصلاة والسلام هو المشروع فى كل مكان بالكتاب والسنة والاجماع بل هو مأمور به من الله سبحانه وتعالى لا فرق فى هذا بين الغرباء وبين أهل المدينة عند القبر — واما السلام عليه عند القبر فقد عرف أن الصحابة والتابعين المقيمين بالمدينة لم يكونوا يفعلونه اذا دخلوا المسجد وخرجوا منه ولو كان هذا كالسلام عليه لو كان حيا لكانوا يفعلونه كلما دخلوا المسجد وخرجوا منه كما لو دخلوا المسجد فى حياته وهو فيه فانه مشروع لهم كلما رأوه ان يسلموا عليه بل السنة لمن جاء الى قوم ان يسلم عليهم اذا قدم و اذا قام كما أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك وقال ليست الاولى أحق من الآخرة فهو لما كان حيا كان أحدهم اذا أتى يسلم واذا قام سلم ومثل هذا لا يشرع عند القبر باتفاق المسلمين وهو معلوم بالاضطرار من عادة الصحابة ولو كان سلام التحية خارج الحجرة كان مستحبا لكل أحد . ولهذا كان اكثر السلف لا يفرقون بين الغرباء وأهل المدينة ولا بين حال السفر وغيره فان استحباب هذا هؤلاء وكراهته لهؤلاء حكم شرعى يفتقر الى دليل شرعى ولا يمكن أحد ان ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه شرع لاهل المدينة الاتيان عند الوداع للقبر . وشرع لهم ولغيرهم ذلك عند القدوم من سفره وشرع للغرباء تكرير ذلك كلما دخلوا المسجد وخرجوا منه ولم يشرع ذلك لاهل المدينة فمثل هذه الشريعة ليس منقولا عن

النبي صلى الله عليه وسلم ولا من خلفائه ولا هو معروف من عمل الصحابة وانما نقل عن ابن عمر السلام عند القدوم من السفر وليس هذا من عمل الخلفاء وأكابر الصحابة قلت روى عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن أيوب عن نافع قال كان ابن عمر اذا قدم من سفر أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يارسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبتاه وأبتاه عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال معمر فذكرت ذلك لعبيد الله بن عمر فقال مانعلم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك الا ابن عمر هكذا قال عبيد الله بن عمر العمري الكبير وهو أعلم آل عمر في زمانه واحفظهم واثبتهم *

قال الشيخ كما كان ابن عمر يتحرى الصلاة والنزول والمرور حيث حل ونزل وغير ذلك في السفر . وجمهور الصحابة لم يكونوا يصنعون ذلك بل أبوه عمر كان ينهى عن مثل ذلك كما روى سعيد بن منصور في سننه . حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن المعرور بن سويد عن عمر قال خرجنا معه في حجة حجها فقرأ بنا في صلاة الفجر ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ولايلاف قريش في الثانية فلما رجع من حجته رأى الناس ابتدروا المسجد فقال ما هذا فقالوا مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار الانبياء بيعا من عرضت له منكم فيه الصلاة فليصل ومن يعرض له فليمض . ومما اتفق عليه الصحابة ابن عمر وغيره من انه لا يستحب لاهل المدينة الوقوف عند القبر للسلام اذا دخلوا المسجد وخرجوا بل يكره ذلك يبين ضعف حجة من احتج بقوله ما من رجل يسلم على الا رد الله على روحي حتي ارد عليه السلام فان هذا لو دل على استحباب السلام عليه من المسجد لما اتفق الصحابة علي ترك ذلك ولم يفرق في ذلك بين القادم من السفر وغيره . فلما اتفقوا على ترك ذلك مع تيسيره علم انه غير مستحب بل لوكان جائزا لفعله بعضهم . فدل على انه كان من المنهى عنه كما دلت عليه سائر الاحاديث . وعلى هذا فالجواب عن الحديث اما بتضعيفه على قول من يضعفه . وأما بان ذلك يوجب فضيلة الرسول صلى الله عليه وسلم لافضيلة المسلم بالرد عليه اذا كان هذا من باب المكافأة والجزاء حتى انه يشرع للبر والفاجر التحية بخلاف مايقصد به الدعاء المجرد وهو السلام المأمور به . واما بان يقال هذا مما هو فيمن سلم عليه من قريب والقريب ان يكون في بيته فانه ان لم يحد بذلك لم يبق له حد محدود من جهة الشرع

ثم قد ذكر [illegible] وبيّن أن الحديث ليس فيه [illegible] على المسلم ولا مدح له ولا ترغيب له في ذلك ولا ذكر أجر له كما جاء في الصلاة والسلام المأمور بهما فانه قد وعد ان من صلى عليه مرة صلى الله عليه عشرا وكذلك من سلم عليه وأيضا فهو مأمور بهما وكل مأمور به ففاعله محمود مشكور مأجور — وأما قوله ما من رجل يمر بقبر الرجل فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام وما من رجل يسلم علي الا رد الله على روحي حتى أرد عليه السلام فانما فيه مدح المسلم عليه والاخبار بسماعه السلام وانه يرد السلام فيكافئ المسلم عليه لا يبقى للمسلم عليه فضل فانه بالرد يحصل المكافأة كما قال تعالى (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) ولهذا كان الرد من باب العدل المأمور به الواجب لكل مسلم اذا كان سلامه مشروعا . وهذا كقوله من سألنا أعطيناه ومن لم يسألنا أحب الينا هو أخبار باعطائه السائل ليس هذا أمرا بالسؤال وان كان السلام ليس مثل السؤال لكن هذا اللفظ انما يدل على مدح الراد — وأما المسلم فيقف الامر فيه على الدليل واذا كان المشروع لاهل المدينة ان لا يقفوا عند الحجرة ويسلموا عليه علم قطعا ان الحديث لم يرغب في ذلك ومما يبين ذلك ان مسجده كسائر المساجد لم يختص بجنس من العبادات لا تشرع في غيره وكذلك المسجد الاقصى ولكن خصا بان العبادة فيهما أفضل بخلاف المسجد الحرام فانه مخصوص بالطواف واستلام الركن وتقبيل الحجر وغير ذلك . وأما المسجدان الآخران فما يشرع فيهما من صلاة وذكر واعتكاف وتعلم وتعليم وثناء على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وصلاة عليه وتسليم عليه وغير ذلك من العبادات فهو مشروع في سائر المساجد والعمل الذي يسمى زيارة لقبره لا يكون الا في مسجده لا خارجا عن المسجد فعلم ان المشروع من ذلك العمل مشروع في سائر المساجد لا اختص لقبره بجنس من أجناس العبادات ولكن العبادة في مسجده أفضل منها في غيره لاجل المسجد لا لاجل القبر * قال الشيخ ومما يوضح هذا انه لم يعرف عن أحد من الصحابة انه تكلم باسم زيارة قبره لا ترغيبا في ذلك ولا غير ترغيب فعلم ان مسمى هذا الاسم لم يكن له حقيقة عندهم . (ثم ذكر) ما حكيناه عنه فيما تقدم *

﴿ ثم قال والمقصود ﴾ ان هذا كله يبين ضعف حجة المفرق بين الصادر من المدينة والوارد عليها والوارد على مسجده من الغرباء والصادر عنه . وذلك انه يمتنع ان يقال انه يرد على هؤلاء ولا

[illegible] من أهل المدينة [illegible] الحجرة [illegible]
فيمتنع أن يكون النبي من سلم منكم يا أهل المدينة أرد عليه [illegible] مقيمين بها فان الغالب
بما هو غالب أوقاتهم وليس فى الحديث تخصيص ولا عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على
ذلك (يبين هذا) ان الحجرة لما كانت مفتوحة وكانوا يدخلون على عائشة لبعض الامور
فيسلمون عليه انما كان يرد عليهم اذا سلموا * (فان قيل) انه لم يكن يرد عليهم فهذا تعطيل
للحديث (وان قيل) كان يرد عليهم من هناك ولا يرد اذا سلموا من خارج فقد أظهر الفرق * وان
قيل بل هو يرد على الجميع فحينئذ ان كان رده لا يقتضى استحباب هذا السلام بطل الاستدلال
به وان كان رده يقتضى الاستحباب وهو الآن مختص بمن سلم من خارج لزم ان يستحب
لاهل المدينة السلام عند الحجرة كلما دخلوا المسجد وخرجوا وهو خلاف ما أجمع عليه الصحابة
والتابعون لهم باحسان وخلاف قول المفرقين * ومن أهل المدينة من قد لا يسافر منها أو لا يسافر
الا للحج والقادم قد يقيم بالمدينة العشر والشهر فهذا يرد عليه عشر مرات فى اليوم والليلة
وأكثر كلما دخل وخرج وذاك المدنى المقيم لا يرد عليه قط فى عمره ولا مرة * وأيضا فاستحباب
هذا للوارد والصادر تشبيه له بالطواف الذي يشرع للحاج عند الورود الى مكة وهو الذى يسمى
طواف القدوم وطواف التحية وطواف الورود وعند الصدر وهو الذى يسمى طواف الوداع
وهذا تشبيه لبيت المخلوق ببيت الخالق ولهذا لا يجوز الطواف بالحجرة بالاجماع ولا الصلاة
اليها كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم فى صحيح مسلم عن أبى مرثد الغنوى انه قال قال صلى الله تعالى
عليه وسلم لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها وأيضا فالطواف بالبيت لاهل مكة ولغيرهم كلما
دخلوا المسجد والوقوف عند القبر كلما دخل المدنى لا يشرع بالاتفاق فلم يبق الفرق بين المدنى
وغير المدنى له أصل فى السنة ولا نظير فى الشريعة ولا هو مما سنه الخلفاء الراشدون وعمل به
عامة الصحابة فلا يجوز ان يجعل هذا من شريعته وسنته واذا فعله من الصحابة الواحد والاثنان
والثلاثة وأكثر دون غيرهم كان غايته انه يثبت به التسويغ بحيث يكون هذا مانعا من دعوى
الاجماع على خلافه بل يكون كسائر المسائل التى ساغ فيها الاجتهاد لبعض العلماء اما أن يجعل
من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وشريعته وحكم مالم تدل عليه سنته لكون بعض السلف فعل
ذلك فهذا لا يجوز ونظير هذا مسحه للقبر * قال أبو بكر الاثرم قلت لابى عبد الله يعنى الامام

أخبرنا عن النبي صلى الله عليه وسلم المنبر ومسحته قال لا أعرف هذا قلت فالمنبر قال أما المنبر
نعم قد جاء فيه قال أبو عبد الله شيء يروونه عن ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن ابن عمر
أنه مسح على المنبر قال ويروونه عن سعيد بن المسيب في الرمانة قلت ويروى عن يحيى بن سعيد
يعني الانصاري شيخ مالك وغيره انه حيث أراد الخروج الى العراق جاء الى المنبر فمسحه ودعا
فرأيته استحسن ذلك . ثم قال لعله عند الضرورة والشيء . قلت لأبي عبد الله انهم يلصقون
بطونهم بجدار القبر وقلت له ورأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسونه ويقومون ناحية
فيسلمون فقال أبو عبد الله نعم وهكذا كان ابن عمر يفعل ذلك . ثم قال أبو عبد الله
بأبي وأمي صلى الله تعالى عليه وسلم * وقد ذكر أحمد بن حنبل أيضا في منسك المروزي نظير
ما نقل عن ابن عمر وابن المسيب ويحيى ابن سعيد وهذا كله يدل على التسويغ وان هذا مما
فعله بعض الصحابة فلا يقال انعقد اجماعهم على تركه بحيث يكون فعل من فعل ذلك اقتداء ببعض
السلف لم يبتدع هو شيئا من عنده . واما ان الرسول صلى الله عليه وسلم ندب الى ذلك ورغب
فيه وجعله عبادة وطاعة يشرع فعلها فهذا يحتاج الى دليل شرعي لا يكفي في ذلك فعل بعض
السلف ولا يجوز ان يقال ان الله ورسوله يحب ذلك او يكرهه وانه سن ذلك وشرعه او نهى
عن ذلك وكرهه أو نحو ذلك الا بدليل يدل على ذلك لاسيما اذا عرف ان جمهور أصحابه لم
يكونوا يفعلون ذلك فيقال لو كان هو ندبهم الى ذلك واحبه لفعلوه فانهم كانوا أحرص الناس
على الخير ونظير هذا متعددة والله أعلم * والمؤمن قد يتحرى الدعاء والصلاة في مكان دون
مكان لاجتماع قلبه فيه وحصول خشوعه فيه لا لانه يرى الشارع فضل ذلك المكان كصلاة
الذي يكون في بيته ونحو ذلك فمثل هذا اذا لم يكن منهيا عنه فلا بأس به ويكون ذلك مستحبا
في حق ذلك الشخص لكون عبادته فيه أفضل كما اذا صلى القوم خلف امام يحبونه كانت
صلاتهم أفضل من ان يصلوا خلف من هم له كارهون . وقد يكون العمل المفضول في حق بعض
الناس أفضل لكونه انفع له وكونه ارغب فيه وهو احب اليه من عمل افضل منه لكونه
يعجز عنه فهذا يختلف بحسب اختلاف الاشخاص وهو غير ما ثبت فضل جنسه بالشرع كما
ثبت ان الصلاة افضل . ثم القراءة . ثم الذكر بالادلة مع ان العمل المفضول في مكانه هو افضل
من الفاضل في غير مكانه كفضيلة الذكر والدعاء والقراءة بعد الفجر والعصر على الصلاة

[illegible] هنا [illegible] وكمصنه التشيع [illegible] والكرج والسجود على الرسول [illegible]
[illegible] القرآن [illegible] كما [illegible] وكتفيا آخر القرآن هنالك لانه موطن [illegible] الفنا . [illegible] هنا
[illegible] وبسط هذا له موضع آخر .

﴿ لكن المقصود هنا ﴾ ان نعلم ان ما قيل انه مستحب للامة قد ندبهم اليه الرسول صلى الله عليه وسلم ورغبهم فيه ولا بد له من دليل يدل على ذلك ولا يضاف الى الرسول صلى الله عليه وسلم الا ما صدر عنه والرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى فرض الله على جميع الخلق الايمان به وطاعته واتباعه وايجاب ما اوجبه وتحريم ما حرمه وشرع ما شرعه وبه فرق الله بين الهدى والضلال والرشاد والغى والحق والباطل والمعروف والمنكر وهو الذى شهد الله له بأنه يدعو اليه باذنه ويهدى الى صراط مستقيم وهو الذى جعل الرب طاعته طاعة له فى مثل قوله من يطع الرسول فقد اطاع الله . وقوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله وهو الذى لا سبيل لاحد الى النجاة الا بطاعته ولا يسأل الناس يوم القيامة الا عن الايمان به واتباعه وطاعته وبه يمتحنون فى القبور . قال تعالى فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين وهو الذى أخذ الله الميثاق على النبيين وأمرهم ان يأخذوا على أممهم الميثاق انه اذا جاءهم ان يؤمنوا به ويصدقونه وهو الذى فرق الله به بين أهل الجنة والنار فمن آمن به واطاعه كان من أهل الجنة . ومن كذبه وعصاه كان من أهل النار . قال تعالى ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين . والوعد بسعادة الدنيا والآخرة والوعيد بشقاوة الدنيا والآخرة يتعلق بطاعته فطاعته هى الصراط المستقيم وهى حبل الله المتين وهى العروة الوثقى وأصحابها هم اولياء الله المتقون وحزبه المفلحون وجنده الغالبون . والمخالفون لهم هم أعداء الله حزب ابليس اللعين . قال تعالى ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتى ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان خذولا وقال تعالى يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا اطعنا الله وأطعنا الرسول وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرائنا فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا . وقال تعالى قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين وقال تعالى فلا

وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم . وقال تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله . وجميع الرسل أخبروا بأن الله أمر بطاعتهم كما قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله يأمرون بعبادة الله وحده وتقواه وحده وخشيته وحده ويأمرون بطاعتهم كما قال تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون . وقال نوح اعبدوا الله واتقوه وأطيعون . وقال في الشعراء فاتقوا الله وأطيعون وكذلك قال هود وصالح ولوط وشعيب والناس محتاجون الى الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته في كل زمان ومكان ليلا ونهارا سفرا وحضرا سرا وعلانية جماعة وفرادى وهم احوج الى ذلك من الطعام والشراب بل من النفس فانهم متى فقدوا ذلك فالنار جزاء من كذب بالرسول وتولى عن طاعته كما قال تعالى فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى اى كذب بما أخبر به وتولى عن طاعته كما قال تعالى في موضع آخر فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى اي كذب بما أخبر به وتولى عن طاعته وقال تعالى انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فاخذناه أخذا وبيلا . وقال فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا والله تعالى قد سماه سراجا منيرا وسمى الشمس سراجا وهاجا والناس الى السراج المنير احوج منهم الى السراج الوهاج فانهم يحتاجون اليه ليلا ونهارا سرا وعلانية وهو انفع لهم فانه منير ليس فيه اذى بخلاف الوهاج فانه ينفع تارة ويضر أخرى ولما كانت حاجة الناس الى الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان به وطاعته ومحبته وموالاته وتعظيمه وتعزيزه وتوقيره عامة في كل مكان وزمان كان ما يؤمر به من حقوقه عاما لا يختص بقبره فمن خص قبره بشيء من الحقوق كان جاهلا بقدر الرسول صلى الله عليه وسلم وقدر ما أمر الله به من حقوقه وكل من اشتغل بما امر الله به من طاعته شغله عما نهى عنه من البدع المتعلقة بقبره وقبر غيره ومن اشتغل بالبدع المنهي عنها ترك ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم من حقه فطاعته هى مناط السعادة والنجاة والذين

[illegible] الأولين من الآيات وغيرهم [illegible] الرسول صلى الله عليه وسلم
وأكثر [illegible] والأمر [illegible] من تحقيق التوحيد والايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم
وهو تحقيق شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . وجميع
الخلق يسألون [illegible] ويسألون عن هذين الاصلين ماذا كنتم تعبدون وماذا أجبتم المرسلين
كما بسط هذا فى موضعه *

﴿ والمقصود ﴾ ان الصحابة كانوا فى زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين يدخلون المسجد ويصلون فيه الصلوات الخمس ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويسلمون عليه عند دخول المسجد وبعد دخوله ولم يكونوا يذهبون ويقفون الى جانب الحجرة ويسلمون عليه هناك وكان على عهد الخلفاء الراشدين والصحابة حجرته خارجة عن المسجد ولم يكن بينهم وبينه الا الجدار . ثم أنه انما أدخلت الحجرة في المسجد فى خلافة الوليد بن عبد الملك بعد موت عامة الصحابة الذين كانوا بالمدينة وكان من آخرهم موتا جابر بن عبد الله وتوفى فى خلافة عبد الملك فانه توفى سنة ثمان وسبعين والوليد تولي سنة ست وثمانين وتوفى سنة ست وتسعين فكان بناء المسجد وادخال الحجرة فيه فيما بين ذلك . وقد ذكر أبو زيد عمر بن شبة النميرى فى كتاب أخبار المدينة (مدينة الرسول) صلى الله عليه وسلم عن أشياخه وعمن حدثوا عنه ان عمر بن عبد العزيز لما كان نائبا للوليد على المدينة فى سنة احدى وتسعين هدم المسجد وبناه بالحجارة المنقوشة وعمل سقفه بالساج وماء الذهب وهدم حجرات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فأدخلها فى المسجد وأدخل القبر فيه *

﴿ ثم ذكر الشيخ ﴾ الآثار المروية فى عمارة عمر بن عبد العزيز المسجد وزيادته فيه وذكر ان حكم الزيادة حكم المزيد (فقال) وقد جاءت الآثار بان حكم الزيادة فى مسجده حكم المزيد تضعف فيه الصلاة بألف صلاة كما أن المسجد الحرام حكم الزيادة فيه حكم المزيد فيجوز الطواف فيه والطواف لا يكون الا فى المسجد لا خارجا منه ولهذا اتفق الصحابة على أنهم يصلون فى الصف الاول من الزيادة التى زادها عمر ثم عثمان وعلى ذلك عمل المسلمين كلهم فلولا ان حكمه حكم مسجده لكانت تلك صلاة فى غير مسجده والصحابة وسائر المسلمين بعدهم لا يحافظون عن العدول عن مسجده الى غير مسجده ويأمرون بذلك . قال ابو زيد حدثنى محمد بن يحيي حدثني من

أتى به ابن عمر زادها في المسجد من القبلة الى موضع المقصورة التي هي اليوم قال فاما الذي لاشك فيه عند أهل بلدنا ان عثمان هو الذي وضع القبلة في موضعها اليوم ثم لم تغير بعد ذلك * قال ابو زيد حدثنا محمد بن يحيى عن محمد بن عثمان عن مصعب بن ثابت عن خباب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو يوما في مصلاه لو زدنا في مسجدنا وأشار بيده نحو القبلة * حدثنا محمد بن يحيى عن محمد بن اسمعيل عن ابن أبي ذئب . قال قال عمر لو مد مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لكان منه حدثنا محمد بن يحيى عن سعد بن سعيد عن أخيه عن أبيه عن أبي هريرة . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو بني هذا المسجد الى صنعاء لكان مسجدي فكان ابو هريرة يقول والله لو مد هذا المسجد الى داري ماعدوت أن أصلي فيه . حدثنا محمد حدثنا عبد العزيز بن عمران عن فليح بن سليمان عن ابن أبي عمرة قال زاد عمر في المسجد في شاميه ثم قال لو زدنا فيه حتى يبلغ الجبانة كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهذا الذي جاءت به الآثار هو الذي يدل عليه كلام الائمة المتقدمين وعملهم فانهم قالوا ان الصلاة الفرض خلف الامام أفضل وهذا الذي قالوه هو الذي جاءت به السنة وكذلك كان الامر على عهد عمر وعثمان فان كليهما زاد من قبلي المسجد فكان مقامه في الصلاة الخمس في الزيادة وكذلك مقام الصف الاول الذي هو أفضل مايقام فيه بالسنة والاجماع . واذا كان كذلك فيمتنع أن تكون الصلاة في غير مسجده أفضل منها في مسجده وأن يكون الخلفاء والصفوف الاول كانوا يصلون في غير مسجده وما بلغني عن أحد من السلف خلاف هذا لكن رأيت بعض المتأخرين قد ذكر ان الزيادة ليست من مسجده وما علمت لمن ذكر ذلك سلفا من العلماء قال وهذه الامور نبهنا عليها ههنا فانه يحتاج الى معرفتها وأكثر الناس لايعرفون الامر كيف كان ولا حكم الله ورسوله في كثير من ذلك وكان من المقصود ان المسجد لما زاد فيه الوليد وأدخلت فيه الحجرة كان قد مات عامة الصحابة ولم يبق الا من ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبلغ من التمييز الذي يؤمر فيه بالطهارة والصلاة . ومن المعلوم بالتواتر ان ذلك كان في خلافة الوليد بن عبد الملك . وقد ذكروا ان ذلك كان سنة احدى وتسعين وان عمر بن عبد العزيز مكث في بنائه ثلاث سنين وسنة ثلاث وتسعين مات فيها خلق كثير من التابعين مثل سعيد بن المسيب وغيره من الفقهاء السبعة . ويقال لها سنة الفقهاء وجابر بن عبد الله وكان من السابقين الاولين ممن بايع بالعقبة تحت الشجرة ولم يكن بقي

من هؤلاء غيره لما مات وذلك قبل تغيير المسجد بسنين ولم يبق بعده ممن كان بالغا حين موت النبي صلى الله عليه وسلم الا سهل بن سعد الساعدى فانه توفي سنة ثماني وثمانين، وقيل سنة احدى وتسعين ولهذا قيل فيه انه آخر من مات بالمدينة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كما قاله ابو حاتم البستي وغيره * واما من مات بعد ذلك فكانوا صغارا مثل السائب بن زيد الكندي ابن أخت نمر فانه مات بالمدينة سنة احدى وتسعين . وقيل انه مات بعده عبد الله بن طلحة الذي حنكه النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك محمود بن الربيع الذى عقل مجة مجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه من بئر كان في دارهم وله خمس سنين مات سنة تسع وتسعين وله ثلاث وتسعون سنة وأبوا امامة بن سهل بن حنيف سماه النبي صلى الله عليه وسلم أسعد باسم أسعد بن زرارة مات سنة مائة لكن هؤلاء لم يكن لهم فى حياته من التمييز ماينقلون عنه أقواله وأفعاله التي ينقلها الصحابة مثل ما نقلها جابر وسهل بن سعد وغيرهما، وأما ابن عمر فكان قد مات قبل ذلك بعد قتل ابن الزبير بمكة سنة أربع وسبعين . وابن عباس مات قبل ذلك بالطائف سنة ثمان وستين فهؤلاء وأمثالهم من الصحابة لم يدرك أحد منهم تغيير المسجد وادخال الحجرة فيه وأنس بن مالك كان بالبصرة ولم يكن بالمدينة . وقيل أنه آخر من مات بها من الصحابة وكانت حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم شرقى المسجد وقبليه وقيل وشاميه فاشتريت من ملاكها ورثة أزواجه وزيدت فى المسجد فدخلت حجرة عائشة وكان الذى تولى ذلك عمر بن عبد العزيز نائب الوليد على المدينة فسد باب الحجرة وبنوا حائطا آخر عليها غير الحائط القديم فصار المسلم عليه من وراء الجدار أبعد من المسلم عليه لما كان جدارا واحدا . قال هؤلاء ولو كان سلام التحية الذي يرده على صاحبه مشروعا فى المسجد لكان له حد ذراع أو ذراعان أو ثلاثة فلا يعرف الفرق بين المكان الذى يستحب فيه هذا والمكان الذى لايستحب . فان قيل من سلم عليه عند الحائط الغربى رد عليه . قيل وكذلك من كان خارج المسجد والا فما الفرق حينئذ فيلزم ان يرد على جميع أهل الارض وعلى كل مصل فى صلاة كما ظنه بعض الغالطين ومعلوم بطلان ذلك . وان قيل يختص بقدر بين المسلم وبين الحجرة . قيل فما حد ذلك وهم لهم قولان منهم من يستحب القرب من الحجرة كما استحب ذلك مالك وغيره ولكن يقال فما حد ذلك القرب واذا جعل له حد فهل يكون من خرج عن الحد فعل المستحب وآخرون

من المتأخرين يستحبون التباعد عن الحجرة كما ذكر ذلك من ذكره من أصحاب أبي حنيفة والشافعي فهل هو بذراع أو باع أو أكثر . وقدره من قدره من أصحاب أبي حنيفة باربعة أذرع فانهم قالوا يكون حين يسلم عليه مستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره ولا يدنوا أكثر من ذلك وهذا والله أعلم قاله المتقدمون لان المقصود به السلام المأمور به في القرآن كالصلاة عليه ليس المقصود به سلام التحية الذي يرد جوابه المسلم عليه فان هذا لايشرع فيه هذا البعد ولا يستقبل به القبله ولا يسمع اذا كان بالصوت المعتاد . وبالجملة فمن قال انه يسلم سلام التحية الذي يقصد به الرد فلا بد من تحديد مكان ذلك . فان قال الى ان يسمع ويرد السلام فان حد في ذلك ذراعا أو ذراعين أو عشرة أذرع أو قال ان ذلك في المسجد كله أو خارج المسجد فلا بد له من دليل * والاحاديث الثابته عنه فيها ان الملائكة يبلغونه صلاة من صلى عليه وسلام من يسلم عليه ليس في شيء منها انه يسمع بنفسه ذلك . فمن زعم انه يسمع ويرد من خارج الحجرة من مكان دون مكان فلا بد له من حد . ومعلوم انه ليس في ذلك حد شرعي وما أحد يحد في ذلك حدا الا عورض بمن يزيده أو ينقصه ولا فرق *

وأيضا فذلك يختلف باختلاف ارتفاع الاصوات وانخفاضها والسنة للمسلم في السلام عليه خفض الصوت . ورفع الصوت في مسجده منهي عنه بالسلام والصلاة وغير ذلك بخلاف المسلم من الحجرة فانه فرق ظاهر بينه وبين المسلم عليه من المسجد . ثم السنة لمن دخل مسجده ان يخفض صوته فالمسلم عليه ان رفع الصوت أساء الادب برفع الصوت في المسجد وان لم يرفع لم يصل الصوت الى داخل الحجرة . وهذا بخلاف السلام الذي أمر الله به ورسوله الذي يسلم الله على صاحبه كما يصلي على من صلى عليه فان هذا مشروع في كل مكان لا يختص بالقبر *

﴿ وبالجملة ﴾ فهذا الموضع فيه نزاع قديم بين العلماء على كل تقدير فلم يكن عند أحد من العلماء الذين استحبوا سلام التحية في المسجد حديث في استحباب زيارة قبره يحتجون به فعلم ان هذه الاحاديث ليست مما يعرفه أهل العلم . ولهذا لما تتبعت وجدت رواتها إما كذاب وإما ضعيف سيء الحفظ ونحو ذلك كما قد بين في غير هذا الموضع . وهذا الحديث الذي فيه مامن مسلم يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام . قد احتج به احمد وغيره من العلماء . وقيل هو على شرط مسلم وهو معروف من حديث حيوة بن شريح المصري الرجل

الصالح الثقة عن أبي صخر عن يزيد ابن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة وأبو صخر هذا متوسط (ولهذا) اختلف فيه عن يحيي بن معين فرة قال هو ضعيف ووافقه النسائي ومرة قال لا بأس به ووافقه احمد فلو قدر ان هذا مخالف لما هو أصح منه وجب تقديم ذلك عليه ولكن السلام على الميت ورده السلام على من سلم عليه قد جاء في غير هذا الحديث . ولو أريد اثبات سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل هذا الحديث لكان هذا مختلفا فيه فالنزاع في اسناده وفي دلالة متنه . ومسلم روى بهذا الاسناد قوله صلى الله عليه وسلم من خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من الاجر كل قيراط مثل أحد ومن صلى عليها ثم رجع كان له من الاجر مثل أحد . وهذا الحديث قد رواه البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة وعائشة من غير هذا الطريق . ومسلم قد يروى عن الرجل في المتابعات مالا يرويه فيما انفرد به وهذا معروف منه في عدة رجال يفرق بين من يروى عنه ماهو معروف من روايه غيره وبين من يعتمد عليه فيما يفرد به . ولهذا كثير من أهل العلم يمتنعون ان يقولوا في مثل ذلك هو على شرط مسلم أو البخارى كما بسط هذا في موضعه

﴿ الوجه الثامن ﴾ انه لو كان في هذا الباب حديث صحيح لم يخف على الصحابة والتابعين بالمدينة ولو كان ذلك معروفا عندهم لم يكره أهل العلم بالمدينة مالك وغيره ان يقول القائل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فلما كرهوا هذا القول دل على أنه ليس عندهم فيه أثر لا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا عن أصحابه *

﴿ الوجه التاسع ﴾ ان الذين كرهوا هذا القول والذين لم يكرهوه من العلماء متفقون على ان السفر الى زيارة قبره انما هو سفر الى مسجده ولو لم يقصد الا السفر الى القبر لم يمكنه ان يسافر الا الى المسجد لكن قد يختلف الحكم بنيته كما تقدم . وأما زيارة قبره كما هو المعروف في زيارة القبور فهذا ممتنع غير مقدور ولا مشروع . وبهذا يظهر ان الذين كرهوا ان يسموا هذا زيارة لقبره قولهم أولى بالصواب وان هذا ليس زيارة لقبره ولا فيه ما يختص بالقبر بل كل ما يفعل فانما هو عبادة يفعل في المساجد كلها أو في غير المساجد أيضا . ومعلوم ان زيارة القبر مما اختصاص بالقبر . ولما كانت زيارة قبره المشروعة انما هي سفر الى مسجده وعبادة في مسجده ليس فيها ما يختص بالقبر كان قول من كره ان يسمى هذا زيارة لقبره أولى بالشرع والعقل

واللغة ولم يبق الا السفر الى مسجده . وهذا مشروع بالنص والاجماع . والذين قالوا يستحب زيارة قبره انما أرادوا هذا فليس بين العلماء خلاف في المعنى بل في التسمية والاطلاق . والمجيب لم يحك نزاعا في استحباب هذه الزيارة الشرعية التي تكون في مسجده وبعضهم يسميها زيارة لقبره . وبعضهم يكره ان تسمى زيارة لقبره والمجيب يستحب مايستحب بالنص والاجماع وقد ذكر مافيه النزاع كان الحاكي عنه خلاف هذا كاذبا مفتريا يستحق مايستحقه أمثاله من المفترين *

﴿ قال المعترض المالكي ﴾ وتضافرت النصوص عن الصحابة والتابعين . وعن السادة العلماء المجتهدين . بالحض على ذلك والندب اليه . والغبطة لمن سارع لذلك وداوم عليه . حتى نحا بعضهم في ذلك الي الوجوب . ورفعه عن درجة المباح والمندوب . ولم يزل الناس مطبقين على ذلك قولا وعملا . لايشكون في ندبه ولا يبغون عنه حولا . وفي مسند ابن ابي شيبة من صلى عليّ عند قبري سمعته . ومن صلى على نائيا سمعته *

﴿ قال الشيخ ﴾ هكذا في النسخة التي حضرت الى مكتوبه عن المعترض . وقد صحح على سمعته وهو غلط فان لفظ الحديث من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى على نائيا بلغته هكذا ذكره الناس . وهكذا ذكره القاضي عياض عن ابن أبي شيبة . وهذا المعترض عمدته في مثل هذا كتاب القاضي عياض . وهذا الحديث قد رواه البيهقي وغيره من حديث العلاء بن عمرو الحنفي . حدثنا أبو عبد الرحمن عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . قال من صلى عليّ عند قبري سمعته . ومن صلى على نائيا بلغته . قال البيهقي أبو عبد الرحمن هذا هو محمد بن مروان السدي فيما أرى وفيه نظر . وقد مضى مايؤكده قلت هو تبليغ صلاة أمته وسلامهم عليه كما في الاحاديث المعروفة مثل الحديث الذي في سنن أبي داود وغيره عن حسين الجعفي . حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن ابي الاشعث الصنعاني عن أوس ابن أوس الثقفي . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض . وفيه النفخة . وفيه الصعقة فاكثروا علي من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة على قالوا وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت يقولون (بليت) فقال ان الله حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء * وهذا الحديث رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه . ورواه أبو حاتم قال البيهقي وله شواهد [illegible] في اسامه ولم سواهد اكبر

ماذكر البيهقي * منها مارواه ابن ماجه . حدثنا عمرو بن سواد المصري حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد ابن أبي هلال عن زيد بن ايمن عن عبادة بن نسي عن أبي الدرداء رضي الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فانه مشهود تشهده الملائكة وان أحداً لن يصلي علي الا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها . قال قلت وبعد الموت قال وبعد الموت ان الله حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء . ورواه أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تهذيب الآثار من حديث سعيد بن أبي هلال كما تقدم ﴿ ومنها ﴾ مارواه أبو داود وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليّ فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم . وهذا له شواهد مراسيل من وجوه مختلفة يصدق بعضها بعضاً ﴿ منها ﴾ ما رواه سعيد بن منصور في سننه . حدثنا حبان بن علي حدثنا محمد بن عجلان عن أبي سعيد مولى المهري * قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا بيتي عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا عليّ حيث كنتم فان صلاتكم تبلغني . وقال سعيد حدثنا عبد العزيز بن محمد أخبرني سهيل ابن أبي سهيل قال رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى . فقال هلم الى العشاء فقلت لا أريده فقال مالي رأيتك عند القبر فقلت سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال اذا دخلت المسجد فسلم عليه ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيداً ولا بيوتكم مقابر لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . وصلوا عليّ فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم ما أنتم ومن بالاندلس منه الا سواء * ورواه اسمعيل بن اسحق القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولفظه قال مالي رأيتك وقفت قلت وقفت أسلم على النبي صلى الله عليه وسلم . فقال اذا دخلت المسجد فسلم وذكر الحديث ولم يذكر قول الحسن . وقال اسمعيل حدثنا ابراهيم بن الحجاج عن وهيب عن أيوب السختياني قال بلغني والله أعلم ان ملكا موكل بكل من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم حتى يبلغه . وأما السلام في النسائي وغيره من حديث سفيان الثوري عن عبد الله ابن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال ان لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام . وفي الحديث الذي تقدم من رواية أبي يعلى الموصلي وقد تقدم

اسناده عن علي بن الحسين انه رأى رجلا يجئ الى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو فنهاه. وقال ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيداً ولا بيوتكم قبوراً فان تسليمكم يبلغني أينما كنتم فهذه الاحاديث المعروفة عند اهل العلم التي جاءت من وجوه حسان فصدق بعضها بعضا وهي متفقة على أن من صلى عليه وسلم من أمته فان ذلك يبلغه ويعرض عليه وليس في شئ منها انه يسمع صوت المصلي عليه والمسلم بنفسه انما فيها ان ذلك يعرض عليه ويبلغه صلى الله عليه وسلم تسليما ومعلوم انه أراد بذلك الصلاة والسلام الذي ما أمر الله به سواء صلي عليه وسلم في مسجده أو مدينته أو مكان آخر فعلم ان ما أمر الله به من ذلك فانه يبلغه — وأما من سلم عليه عند قبره فانه يرد عليه وذلك كالسلام على سائر المؤمنين ليس هو من خصائصه ولا هو السلام المأمور به الذي يسلم الله على صاحبه عشرا كما يصلي على من صلى عليه عشرا فان هذا هو الذي أمر الله به في القرآن وهو لا يختص بمكان دون مكان — وقد تقدم حديث أبي هريرة انه يرد السلام علي من سلم عليه والمراد عند قبره لكن النزاع في معنى كونه عند القبر هل المراد في بيته كما يراد مثل ذلك في سائر ما أخبر به من سماع الموتى انما هو لمن كان عند قبورهم قريباً منها أو يراد به من كان في الحجرة كما قاله طائفة من السلف والخلف وهل يستحب ذلك عند الحجرة لمن قدم من سفر أو لمن أراده من أهل المدينة أو لا يستحب بحال وليس الاعتماد في سماعه مايبلغه من صلاة أمته وسلامهم الا على هذه الاحاديث الثابتة — فأما ذاك الحديث وان كان معناه صحيحاً فاسناده لا يحتج به وانما يثبت معناه باحاديث أخر فانه لا يعرف الا من حديث محمد بن مروان السدي الصغير عن الاعمش كما ظنه البيهقي وما ظنه في هذا هو متفق عليه عند أهل المعرفة وهو عندهم موضوع على الاعمش — قال عباس الدوري عن يحيي بن معين محمد بن مروان ليس بثقة * وقال البخاري سكتوا عنه لا يكتب حديثه البتة — وقال الجوزجاني ذاهب الحديث * وقال النسائي متروك الحديث. وقال صالح جزرة كان يضع الحديث. وقال أبو حاتم الرازي والازدي متروك الحديث. وقال الدارقطني ضعيف. وقال ابن حبان لا يحل كتب حديثه الا اعتباراً ولا الاحتجاج به بحال — وقال ابن عدي عامة مايرويه غيره محفوظ والضعف على رواياته بين فهذا الكلام على ماذكره من الحديث مع أنا قد بينا صحة معناه باحاديث أخر وهو لو كان صحيحاً

وأما ما فيه أنه يبلغ صلاة من صلى نائيا ليس فيه أنه يسمع ذلك كما قد وجدته منقولا عن هذا المعترض فان هذا لم يقله أحد من أهل العلم ولا يعرف في شيء من الحديث انما يقوله بعض الجهال يقولون انه يوم الجمعة وليلة الجمعة يسمع بأذنيه صلاة من صلى عليه فالقول بانه يسمع ذلك من نفس المصلي باطل وانما في الاحاديث المعروفة انه يبلغ ذلك ويعرض عليه وكذلك تبلغه اياه الملائكة وقول القائل انه يسمع الصلاة من بعيد ممتنع فانه ان أراد وصول صوت المصلي اليه فهذه مكابرة وان أراد انه بحيث يسمع أصوات الخلائق من البعد فليس هذا الا لله رب العالمين الذي يسمع أصوات العباد كلهم قال تعالى أم يحسبون انا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون وقال ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الى قوله ولا أكثر الا وهو معهم أينما كانوا الى قوله ان الله بكل شيء عليم وليس أحد من البشر بل ولا من الخلق يسمع أصوات العباد كلهم ومن قال هذا في بشر فقوله من جنس قول النصارى الذين يقولون ان المسيح هو الله وانه يعلم ما يفعله العباد ويسمع أصواتهم ويجيب دعاءهم قال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعا والله هو السميع العليم فلا المسيح ولا غيره من البشر ولا أحد من الخلق يملك لاحد من الخلق ضراً ولا نفعاً بل ولا لنفسه وان كان أفضل الخلق قال تعالى قل أني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً وقال تعالى قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب الآية وقال تعالي قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون وقوله الا ما شاء الله فيه قولان قيل هو استثناء متصل وانه يملك من ذلك ماملكه الله وقيل هو منقطع والمخلوق لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً بحال فقوله الا ما شاء الله استثناء منقطع أى لكن يكون من ذلك ماشاء الله كقول الخليل ولا أخاف

ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا أي لا أخاف ان يضروا شيئا لكن ان شاء ربي شيئا كان والا لم يكن ولا فهم لا يملكون شيئا وكذلك قوله ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة ثم قال الا من شهد بالحق وهم يعلمون نعمة الشهادة ونفع شهادته كقوله لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له وقال قل لله الشفاعة جميعا وبسط هذا له موضع آخر *

﴿ قال الشيخ ﴾ وأما ما ذكره من تضافر النقول عن السلف بالحض على ذلك واطباق الناس عليه قولا وعملا ﴿ فيقال ﴾ الذي اتفق عليه السلف والخلف وجاءت به الاحاديث الصحيحة هو السفر الى مسجده والصلاة والسلام عليه فى مسجده وطلب الوسيلة له وغير ذلك مما أمر الله به ورسوله فهذا السفر مشروع باتفاق المسلمين سلفهم وخلفهم وهذا هو مراد العلماء الذين قالوا يستحب السفر الى زيارة قبر نبينا صلى الله عليه وسلم فان مرادهم بالسفر لزيارته هو السفر الى مسجده وذكروا فى نسك الحج أنه يستحب زيارة قبره وهذا هو مراد من ذكر الاجماع على ذلك كما ذكر القاضى عياض (قال) وزيارة قبره سنة من المسلمين مجتمع عليها وفضيلة مرغب فيها فمرادهم الزيارة التى بينوها وشرحوها كما ذكر ذلك القاضى عياض فى هذا الفصل فصل زيارته قال وقال اسحق بن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل شأن من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلاة فى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطىء قدميه والعمود الذي كان يستند اليه ونزل جبريل بالوحى عليه فيه وبمن عمره وقصده من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك كله (قلت) وذلك ان لفظ زيارة قبره ليس المراد بها نظير المراد بزيارة قبر غيره يوصل اليه ويجلس عنده ويتمكن الزائر مما يفعله الزائرون للقبور عندها من سنة وبدعة وأما هو صلى الله عليه وسلم فلا سبيل لاحد ان يصل الا الى مسجده لا يدخل أحد بيته ولا يصل الى قبره بل دفنوه فى بيته بخلاف غيره فانهم دفنوه فى الصحراء كما فى الصحيحين عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عائشة ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره ان يتخذ مسجدا فدفن فى بيته لئلا يتخذ قبره مسجدا ولا وثنا ولا عيدا فان فى سنن أبي داود من حديث أحمد بن صالح عن عبد الله ابن نافع أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم لاتجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم وفي الموطا وغيره عنه أنه قال اللهم لاتجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وفي صحيح مسلم عنه أنه قال قبل ان يموت بخمس ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك فلما لعن من يتخذ القبور مساجد تحذيرا لامته من ذلك ونهاهم عن ذلك ونهاهم ان يتخذوا قبره عيدا دفن في حجرته لئلا يتمكن أحد من ذلك وكانت عائشة ساكنة فيها فلم يكن في حياتها أحد يدخل لذلك انما يدخلون اليها هي ولما توفيت لم يبق بها أحد ثم لما دخلت في المسجد سدت وبني الجدار البراني عليها فما بقي أحد يتمكن من زيارة قبره كالزيارة المعروفة عند قبر غيره سواء كانت سنية أو بدعية بل انما تصل الناس الى مسجده ولم يكن السلف يطلقون على هذا زيارة لقبره ولا يعرف عن احد من الصحابه لفظ زيارة قبره البتة ولم يتكلموا بذلك وكذلك عامة التابعين لايعرف هذا في كلامهم فان هذا المعنى ممتنع عندهم فلا يعبروا عن وجوده وهو قد نهى عن اتخاذ بيته وقبره عيدا وسأل الله تعالى ان لايجعل وثنا ونهى عن اتخاذ القبور مساجد فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ولهذا كره مالك وغيره ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان السلف ينطقون بهذا لم يكرهه مالك وقد باشر التابعين بالمدينة وهو أعلم الناس بمثل ذلك *

ولو كان في هذا حديث معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم لعرفه هؤلاء ولم يكرهه مالك وأمثاله من علماء المدينة الاخيار بلفظ تكلم به الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان رضي الله عنه يتحرى الفاظ الرسول في الحديث فكيف يكره النطق بلفظه لكن طائفة من العلماء سموا هذا زيارة لقبره وهم لايخالفون مالكا ومن معه في المعنى بل الذي يستحبه اولئك من الصلاة والسلام وطلب الوسيلة ونحو ذلك في مسجده يستحبه هؤلاء لكن هؤلاء سموا هذا زيارة لقبره واولئك كرهوا ان يسموا هذا زيارة لقبره وقد حدث من بعض المتأخرين في ذلك بدع لم يستحبها أحد من الائمة الاربعة كسؤاله الاستغفار وزاد بعض جهال العامة ما هو محرم أو كفر باجماع المسلمين كالسجود للحجرة والطواف بها وأمثال ذلك مما ليس هذا موضعه ومبدأ ذلك من الدين ظنوا ان هذا زيارة لقبره وظن هؤلاء ان الانبياء والصالحين تزار قبورهم لدعائهم الطلب

منهم واتخاذ قبورهم أوثانا . حتى قد يفضلون تلك البقعة على المساجد وان بني عليها مسجد فضلوه على المساجد التى بنيت لله وحتى قد يفضلون الحج الى قبر من يعظمونه على الحج الى البيت العتيق الى غير ذلك مما هو كفر وردة عن الاسلام باتفاق المسلمين . فالذى تضافرت به النقول عن السلف قاطبة وأطبقت عليه الامة قولا وعملا هو السفر الى مسجده المجاور لقبره والقيام بما أمر الله به من حقوقه فى مسجده كما يقام بذلك فى غير مسجده لكن مسجده أفضل المساجد بعد المسجد الحرام عند الجمهور * وقيل انه أفضل مطلقا كما نقل عن مالك وغيره ولم يتطابق السلف والخلف على اطلاق قبره ولا ورد بذلك حديث صحيح ولا نقل معروف عن أحد من الصحابه ولا كان الصحابة المقيمون بالمدينة من المهاجرين والانصار اذا دخلوا المسجد وخرجوا منه يجيؤن الى القبر ويقفون عنده ويزورونه فهذا لم يعرف عن أحد من الصحابه . وقد ذكر مالك وغيره ان هذا من البدع التى لم تنقل عن السلف وان هذا منهى عنه . وهذا الذى قاله مالك مما يعرفه أهل العلم الذين لهم عناية بهذا الشان يعرفون ان الصحابه لم يكونوا يزورون قبره لعلمهم بانه قد نهى عن ذلك ولو كان قبره يزار كما تزار القبور قبور أهل البقيع والشهداء شهداء أحد لكان الصحابه يفعلون ذلك اما بالدخول الى حجرته وإما بالوقوف عند قبره اذا دخلوا المسجد وهم لم يكونوا يفعلون لا هذا ولا هذا بل هذا من البدع كما بين ذلك أئمة العلم . وهذا كما ذكره القاضى عياض وهو الذى قال زيارة قبره سنة مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها وهو فى هذا الفصل ذكر عن مالك انه كره ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر عنه أيضا قال مالك فى المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء . وقال مالك فى المبسوط أيضا ولا باس لمن قدم من سفر ان يقف على قبر النبى صلى الله عليه وسلم يدعو له ولابى بكر وعمر قيل له فان ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك فى اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا فى الجمعة أو فى الايام المرة أو المرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغنى هذا عن أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الامه الا ما أصلح أولها . ولم يبلغنى عن أول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك . ويكره الا لمن جاء من سفر او أراده [illegible] المقيمين بالمدينة انهم كانوا

يمرون بالقبر عند دخول المسجد الا ان قدم من سفر مع ان الذي قصده السفر فيه نزاع مذكور في غير هذا الموضع . وقد ذكر القاضي عياض عن أبي الوليد الباجي أنه احتج لما كرهه مالك . فقال أهل المدينة مقيمون بها لم تقصدوها من أجل القبر والتسليم . وقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم لاتجعل قبرى وثنا يعبد . اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقوله لاتتخذوا قبرى عيدا . واذا كانت هذه الزيارة مما نهى عنها في الاحاديث فالصحابة أعلم بنهيه وأطوع له . فلهذا لم يكن بالمدينة منهم من يزور قبره باتفاق العلماء . وهذا الوقوف الذي يسميه غير مالك زيارة لقبره الذي بين مالك وغيره انه بدعة لم يفعلها السلف هي زيارة مقصود صاحبها الصلاة والسلام عليه كما بين ذلك في السؤال لمالك لكن لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لاتتخذوا قبرى عيدا وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني . وروى مثل ذلك في السلام عليه علم انه كره تخصيص تلك البقعة بالصلاة والسلام بل يصلى عليه ويسلم في جميع المواضع وذلك واصل اليه فاذا كان مثل هذه الزيارة للقبر بدعة منهيا عنها فكيف بمن يقصد مايقصده من قبور الانبياء والصالحين ليدعوهم ويستغيث بهم ليس قصده الدعاء لهم ومعلوم ان هذا أعظم في كونه بدعة وضلالة فالسلف والخلف انما تطابقوا على زيارة قبره بالمعنى المجمع عليه من قصد مسجده والصلاة فيه كما تقدم وهذا فرق بينه وبين سائر قبور الانبياء والصالحين فانه يشرع السفر الى عند قبره لمسجده الذي أسس على التقوى فهذا السفر مشروع باتفاق المسلمين والصلاة مقصورة فيه باتفاق المسلمين ومن قال ان هذا السفر لاتقصر فيه الصلاة فانه يستتاب فان تاب والا قتل وليس ذلك سفرا لمجرد الزيارة بل لابد ان يقصد اتيان المسجد والصلاة فيه وان لم يقصد الا القبر فهذا يندرج في كلام المجيب حيث قال أما من سافر لمجرد زيارة قبور الانبياء والصالحين فهل يجوز له قصر الصلاة على قولين معروفين فهو ذكر القولين فيمن سافر لمجرد قصد زيارة القبور . أما من سافر لقصد الصلاة في مسجده عند حجرته التي فيها قبره فهذا سفر مشروع مستحب باتفاق المسلمين . وقد تقدم قول مالك للسائل الذي سأله عمن نذر ان يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أراد مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فليأته وليصل فيه وان كان انما أراد القبر فلا يفعل للحديث الذي جاء لاتعمل المطي الا الى ثلاثة مساجد فالسائل سأله عمن نذر ان يأتي

الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فصل مالك في الجواب بين ان يريد القبر أو المسجد مع ان اللفظ انما هو نذر ان يأتي القبر فعلم ان لفظ أتيان القبر وزيارة القبر والسفر الى القبر ونحو ذلك يتناول من قصد المسجد وهذا مشروع ويتناول من لم يقصد الا القبر وهذا منهي عنه كما دلت عليه النصوص وبينه العلماء مالك وغيره فمن نقل عن السلف انهم استحبوا السفر لمجرد القبر دون المسجد بحيث لا يقصد المسافر المسجد ولا الصلاة فيه بل انما يقصد القبر كالصورة التي نهى عنها مالك . فهذا لا يوجد في كلام أحد من العلماء السلف استحباب ذلك فضلا عن اجماعهم عليه . وهذا الموضع يجب على المسلمين عامة وعلمائهم تحقيقه ومعرفة ماهو المشروع والمأمور به الذى هو عبادة لله وحده وطاعة له ولرسوله صلى الله عليه وسلم وبر وتقوى وقيام بحق الرسول وما هو شرك وبدعة وضلالة منهى عنها لئلا يلتبس هذا بهذا فان السفر الى مسجد المدينة مشروع باتفاق المسلمين . لكن انما الاعمال بالنيات . وانما لكل امرئ مانوى وقد تقدم عن مالك وغيره انه اذا نذر اتيان المدينة ان كان قصده الصلاة في المسجد والا لم يوف بنذره . وأما اذا نذر أتيان المسجد لزمه لانه انما يقصد الصلاة فلم يجعل السفر الى المدينة سفرا مأموزا به الا سفر من قصد الصلاة فى المسجد وهو الذى يؤمر به الناذر بخلاف غيره لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى وجعل من سافر الى المدينة أو الي بيت المقدس لغير العبادة الشرعية في المسجدين سفرا منهيا عنه لايجوز ان يفعله وان نذره . وهذا قول جمهور العلماء فمن سافر الى مدينة الرسول أو بيت المقدس لقصد زيارة ماهناك من القبور أو من آثار الانبياء والصالحين كان سفره محرما عند مالك والاكثرين . وقيل انه سفر مباح ليس بقربة كما قاله طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد وهو قول ابن عبد البر . وما علمنا أحدا من علماء المسلمين المجتهدين الذين تذكر أقوالهم فى مسائل الاجماع والنزاع ذكر ان ذلك مستحب فدعوى من ادعي ان السفر الى مجرد القبور مستحب عند جميع علماء المسلمين كذب ظاهر . وكذلك ان ادعى ان هذا قول الائمة الاربعة أو جمهور علماء المسلمين فهو كذب بلا ريب . وكذلك ان ادعى ان هذا قول عالم معروف من الائمة المجتهدين وان قال هذا قول المتأخرين أمكن ان يصدق فى ذلك وهو بعد ان تعرف صحة نقله نقل قولا شاذا مخالفا لاجماع السلف مخالفا النصوص الرسول

فكيف بقوله فسادا ان يكون قولا مبتدعا في الاسلام مخالفا للسنة والجماعة ولما سنه الرسول صلى الله عليه وسلم ولما أجمع عليه سلف الامة وأئمتها. والنقل عن علماء السلف يوافق ما قاله مالك فمن نقل عنهم ضد ذلك فقد كذب وأقل ما في الباب أن يحمل من طولب بصحة نقله والالفاظ المجملة والتي يقولها طائفة قد عرف مرادهم وعياض نفسه الذي ذكر ان زيارته سنة مجمع عليها قد بين الزيارة المشروعة في ذلك. وقد ذكر عياض في قوله لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ماهو ظاهر مذهب مالك ان السفر الى غيرها محرم فهو أيضا يقول ان السفر لمجرد زيارة القبور كما قاله مالك وسائر أصحابه مع ما ذكره من استحباب الزيارة الشرعية مع ماذكر من كراهة مالك ان يقول القائل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم والله أعلم *

﴿ ثم ان المعترض المالكي احتج في زيارة قبره صلى الله عليه وسلم بالقياس على زيارة الحي فقال المعارض المناقض ﴾

وروى مسلم في صحيحه في الذي سافر لزيارة أخ له في الله. ولفظ الحديث ان رجلا زار اخا له في قرية أخرى فارصد الله على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال اين تريد قال أريد اخالي في تلك القرية. قال هل لك عليه من نعمة تربها قال لا الا انى أحببته في الله. فقال انى رسول الله اليك بان الله أحبك كما أحببته فيه. (وفي موطأ مالك) عن معاذ بن جبل في حديث ذكر فيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أي عن الله وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتجالسين فيّ والمتزاورين فيّ والمتباذلين فيّ ﴿ قال ﴾ فقد علمت أيها الاخ بهذا فضيلة زيارة الاخوان. وما أعد الله بها للزائرين من الفضل والاحسان فكيف بزيارة من هو حي الدارين. وامام الثقلين. الذي جعل الله حرمته في حال مماته كحرمته في حال حياته. ومن شرفه الحق بما أعطاه من جميع صفاته. ومن هدانا ببركته الى الصراط المستقيم. وعصمنا به من الشيطان الرجيم. ومن هو آخذ بحجزنا ان نقتحم في نار الجحيم. ومن هو بالمؤمنين رؤف رحيم *

﴿ قال الشيخ ابن تيمية ﴾ والجواب اما زيارة الاخ الحي في الله كما في الحديث فهذا نظير زيارته في حياته يكون الانسان بذلك من أصحابه وهم خير القرون واما جعل زيارة القبر كزيارته حيا كما قاسه هذا المعترض فهذا قياس ماعلمت أحدا من علماء المسلمين قاسه ولا علمت أحدا منهم احتج في زيارة قبره بالقياس على زيارة الحي المحبوب في الله وهذا من أفسد القياس فانه

من المعلوم ان من زاره الحى حصل له بمشاهدته وسماع كلامه ومخاطبته وسؤاله وجوابه وغير ذلك مالا يحصل لمن لم يشاهده ولم يسمع كلامه وليس رؤية قبره أو رؤية ظاهر الجدار الذى بنى على بيته بمنزلة رؤيته ومشاهدته ومجالسته وسماع كلامه ولو كان هذا مثل هذا لكان كل من زار قبره مثل واحد من أصحابه ومعلوم ان هذا من أبطل الباطل وأيضا فالسفر اليه فى حياته اما ان يكون لما كانت الهجرة اليه واجبة كالسفر قبل الفتح فيكون المسافر اليه مسافرا للمقام عنده بالمدينة مهاجرا من المهاجرين اليه وهذا السفر انقطع بفتح مكة فقال صلى الله عليه وسلم لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية . ولهذا لما جاء صفوان بن أمية مهاجرا أمره ان يرجع الى مكة وكذلك سائر الطلقاء كانوا بمكة لم يهاجروا . واما ان يكون المسافر اليه وافدا اليه ليسلم ويتعلم منه مايبلغه قومه كالوفود الذين كانوا يفدون عليه لاسيما سنة تسع وعشر سنة الوفود . وقد أوصى فى مرضه بثلاث فقال أخرجوا النصارى من جزيرة العرب وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم . ومن الوفود وفد عبد القيس لما قدموا عليه ورجعوا الى قومهم بالبحرين لكن هؤلاء اسلموا قديما قبل فتح مكة وقالوا لانستطيع ان نأتيك الا فى شهر حرام لان بيننا وبينك هذا الحى من كفار مضروهم أهل نجد كأسد وغطفان وتميم وغيرهم فانهم لم يكونوا قد اسلموا بعد وكان السفر اليه فى حياته لتعلم الاسلام والدين ولمشاهدته وسماع كلامه وكان خيرا محضا ولم يكن أحد من الانبياء والصالحين عبد فى حياته بحضرته فانه كان ينهى من يفعل ماهو دون ذلك من المعاصى فكيف بالشرك كما نهى الذين سجدوا له ونهى الذين صلوا خلفه قياما وقال ان كدتم تفعلون فعل فارس والروم فلا تفعلوا رواه مسلم . وفى المسند باسناد صحيح عن أنس قال لم يكن شخص أحب اليهم من رسول صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك . وفى الصحيح ان جارية قالت عنده وفينا نبي يعلم مافى غد فقال النبى صلى الله عليه وسلم دعى هذا وقولى الذى كنت تقولين ومثل هذا كثير من نهيه عن المنكر بحضرته فكل من رآه فى حياته لم يتمكن ان يفعل بحضرته منكرا يقر عليه * ﴿ الى ان قال ﴾ ومعلوم انه لوكان حيا فى المسجد لكان قصده فى المسجد من أفضل العبادات وقصد القبر الذى اتخذ مسجدا مما نهى عنه ولعن أهل الكتاب على فعله . وأيضا فليس عند قبره مصلحة من مصالح الدين وقربة

الى رب العالمين الا وهي مشروعة في جميع البقاع فلا يتبين الا ان يكون صاحبها غير معظم للرسول صلى الله عليه وسلم التعظيم التام والمحبة التامة الا عند قبره بل هو مأمور بهذا في كل وقت . وزيارته في حياته مصلحة راجحة لا مفسدة فيها والسفر الى القبر بمجرده بالعكس مفسدة راجحة لا مصلحة فيها بخلاف السفر الى مسجده فانه مصلحة راجحة وهنا يفعل من حقوقه ما يفعل في سائر المساجد وهذا مما يتبين به كذب الحديث الذي يقال فيه من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي — وهذا الحديث معروف من رواية حفص بن سليمان الغاضري صاحب عاصم عن ليث ابن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي — وقد رواه عنه غير واحد وهو عندهم معروف من طريقه وهو عندهم ضعيف في الحديث الى الغاية حجة في القراءة قال يحيى بن معين حفص ليس بثقة . وقال البخاري تركوه ﴿ ثم سرد ﴾ الشيخ كلام الائمة فيه وقال وقد رواه الطبراني في المعجم من حديث الليث ابن أبي سليم عن زوجة جده عائشة عن ليث وهذا الليث وزوجة جده مجهولان ونفس المتن باطل فان الاعمال التي فرضها الله ورسوله لا يكون الرجل بها مثل الواحد من الصحابة بل في الصحيحين عنه انه قال لو انفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه فالجهاد والحج ونحوهما أفضل من زيارة قبره باتفاق المسلمين ولا يكون الرجل بها كمن سافر اليه في حياته ورآه كيف وذلك اما ان يكون مهاجراً اليه كما كانت الهجرة قبل الفتح أو من الوفود الذين كانوا يفدون اليه يتعلمون الاسلام ويبلغونه عنه الى قومهم وهذا عمل لا يمكن أحدا بعدهم ان يفعل مثلهم ومن شبه من زار قبر شخص بمن كان يزوره في حياته فهو مصاب في عقله ودينه . والزيارة الشرعيه لقبر الميت مقصودها الدعاء له والاستغفار كالصلاة على جنازته والدعاء المشروع المامور به في حق نبينا كالصلاة عليه والسلام عليه . وطلب الوسيلة له مشروع في جميع الامكنة لا يختص بقبره فليس عند قبره عمل صالح تمتاز به تلك البقعة بل كل عمل صالح يمكن فعله في سائر البقاع لكن مسجده أفضل من غيره فالعبادة فيه فضيلة بكونها في مسجده كما قال صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام والعبادات المشروعة فيه بعد دفنه مشروعة فيه قبل ان يدفن النبي صلى الله عليه وسلم في حجرته وقبل ان تدخل حجرته في المسجد ولم يتجدد بعد ذلك فيه عبادة غير

العبادات التي كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وغير ما شرعه هو لأمته ورغبهم فيه ودعاهم اليه وما شرع لزائر من صلاة وصيام ودعاء له وثناء عليه كل ذلك مشروع في مسجده في حياته وهي مشروعة في سائر المساجد بل وفي سائر البقاع التي تجوز فيها الصلاة وهو صلى الله عليه وسلم قد جعلت له ولامته الارض مسجداً وطهوراً فحيث ما ادركت أحداً الصلاة فليصل فانه مسجد كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ومن ظن ان زيارة القبر تختص بجنس من العبادة لم تكن مشروعة في المسجد وانما شرعت لاجل القبر فقد أخطأ لم يقل هذا أحد من الصحابة والتابعين وانما غلط في هذا بعض المتأخرين وغاية ماتقل عن بعض الصحابة كابن عمر أنه كان اذا قدم من سفر يقف عند القبر ويسلم وجنس السلام عليه مشروع في المسجد وغير المسجد قبل السفر وبعده واما كونه عند القبر فهذا كان يفعله ابن عمر اذا قدم من سفر وكذلك الذين استحبوه من العلماء استحبوه للصادر والوارد من المدينة واليها من أهلها وللوارد والصادر من المسجد من الغرباء مع ان أكثر الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك ولا فرق أكثر السلف بين الصادر والوارد بل كلهم ينهون عما نهي عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال أبو الوليد الباجي انما فرق بين أهل المدينة وغيرها لان الغرباء قصدوا لذلك وأهل المدينة مقيمون بها ولم يقصدوها من أجل القبر والتسليم قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيداً وهذا الذي ذكره من أدلة من سوى في النهي فان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تجعلوا ولا تتخذوا بيتي عيداً نهى لكل أمته أهل المدينة والقادمين اليها وكذلك نهيه عن اتخاذ القبور مساجد وخبره بان غضب الله اشتد على من فعل ذلك هو متناول للجميع وكذلك دعاؤه بان لا يتخذ قبره وثنا عام وما ذكره من ان الغرباء قصدوا لذلك تعليق على العلة ضد مقتضاها فان القصد لذلك منهي عنه كما صرح به مالك وجمهور أصحابه وكما نهى عنه واذا كان منهيا عنه أو ليس بقربة لم يشرع الاعانة عليه وابن عمر لم يكن يسافر الي المدينة لاجل القبر بل المدينة وطنه فكان يخرج منها لبعض الامور ثم يرجع الى وطنه فيأتي المسجد فيصلي فيه ويسلم فاما السفر لاجل القبور فلا يعرف عن أحد من الصحابة بل ابن عمر كان يقدم الى بيت المقدس ولا يزور قبر الخليل صلى

الله عليه وسلم وكذلك أبو بكر وعمر رضي الله عنه ومن معه من المهاجرين والأنصار قدموا الى بيت المقدس ولم يذهبوا الى قبر الخليل عليه السلام وكذلك سائر الصحابة الذين كانوا ببيت المقدس وسائر أهل الشام لم يعرف عن أحد منهم انه سافر الى قبر الخليل عليه السلام ولا غيره كما كانوا يسافرون الى المدينة لاجل القبر وما كان قربة للغرباء فهو قربة لأهل المدينة لم يكن قربة لغيرهم كاتخاذ بيته عيداً واتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً وكالصلاة الى الحجرة والتمسح بها والصاق البطن بها والطواف بها وغير ذلك مما يفعله جهال القادمين فان هذا باجماع المسلمين ينهى عنه الغرباء كما ينهى عنه أهل المدينة ينهون عنه صادرين وواردين باتفاق المسلمين ٠ وبالجملة فجنس الصلاة والسلام عليه والثناء عليه صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك مما استحبه بعض العلماء عند القبر للواردين والصادرين هو مشروع في مسجده وسائر المساجد وأما ما كان سؤالا له فهذا لم يستحبه أحد من السلف لا الائمة الاربعة ولا غيرهم ثم بعض من يستحب هذا من المتأخرين يدعوا به مع البعد فلا يختص هذا عندهم بالقبر وأمانفس بيته عندقبره فلا يمكن أحدا الوصول ولم يشرع هناك عمل يكون هناك منه في غيره ولو شرع لفتح باب الحجرة للامة بل قد قال لا تتخذوا بيتي عيداً وصلوا عليّ فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم صلوات الله وسلامه عليه وقد تقدم ما رواه سعيد بن منصور في سننه عن عبد العزيز الدراوردي عن سهيل بن أبي سهيل قال رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب فناداني فقال مالي رأيتك عند القبر فقلت سلمت على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا وصلوا عليّ حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني ما أنتم ومن بالاندلس الا سواء ٠ وكذلك سائر الصحابة الذين كانوا ببيت المقدس وغيرها من الشام مثل معاذ بن جبل وأبي عبيدة ابن الجراح وعبادة ابن الصامت وأبي الدرداء وغيرهم لم يعرف عن أحد منهم انه سافر لقبر من القبور التي بالشام لا قبر الخليل ولا غيره كما لم يكونوا يسافرون الى المدينة لاجل القبر وكذلك الصحابة الذين كانوا بالحجاز والعراق وسائر البلاد كما قد بسطنا هذا في غير هذا الموضع *

﴿ فان قيل ﴾ الزائر في الحياة انما أحبه الله لكونه يحبه في الله والمؤمنون يحبون الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم وكذلك يحبون سائر الانبياء والصالحين فاذا زاروهم أثيبوا على

هذه الصفة (فقال) أحب الرسول من أعظم واجبات الدين وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن يحب المرء لايحبه الا لله ومن كان يكره ان يرجع في الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار * وفي الحديث الصحيح عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين . رواه البخاري عن أبي هريرة . قال والذي نفسي بيده . وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن هشام قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر فقال يا رسول الله لانت أحب الي من كل شيء الا نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا والذي نفسي بيده حتى اكون أحب اليك من نفسك فقال عمر فانه الآن والله لانت أحب الي من نفسي قال الآن ياعمر وتصديق ذلك في القرآن قوله . النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم . وقوله قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين * وقال لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه . وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال مامن مؤمن الا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم . النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم . وذكر الحديث . وفي حديث آخر لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به لكن حبه وطاعته وتعزيره وتوقيره وسائر ماأمر الله به من حقوقه مأمور به في كل مكان لايختص بمكان دون مكان وليس من كان في المسجد عند القبر باولى بهذه الحقوق ووجوبها عليه ممن كان في موضع آخر ومعلوم ان مجرد زيارة قبره كالزيارة المعروفة للقبور غير مشروعة ولا ممكنة ولو كان في زيارة قبره عبادة زائدة للامة لفتح باب الحجرة ومكنوا من فعل تلك العبادة عند قبره وهم لم يمكنوا الا من الدخول الى مسجده والذي يشرع في مسجده يشرع في سائر المساجد لكن مسجده أفضل من سائرها غير المسجد الحرام على نزاع في ذلك وما يجده المسلم في قلبه من محبته والشوق اليه والانس بذكره وذكر أحواله فهو مشروع له في كل مكان وليس في مجرد زيارة

ظاهر الحجرة مالو بعث عنده لا يفعل بدون ذلك بل نهى عن أن يجعله ذلك المكان عيدا وأمر أن يصلى عليه حيث كان العبد ويسلم عليه فلا يخص بيته وقبره لا بصلاة عليه ولا تسليم عليه فكيف بما ليس كذلك . واذا خص قبره بذلك صار ذلك فى سائر الامكنة دون ماهو عند قبره ينقص حبه وتعظيمه وتعزيره وموالاته والثناء عليه عند غير قبره مما يفعل عند قبره كما يجده الناس فى قلوبهم اذا رأوا من يحبونه ويعظمونه يجدون فى قلوبهم عند قبره مودة له ورحمة ومحبة أعظم مما يكون بخلاف ذلك . والرسول صلى الله عليه وسلم هو الواسطة بينهم وبين الله فى كل مكان وزمان فلا يؤمرون بما يوجب نقص محبتهم وايمانهم فى عامة البقاع والأزمنة مع أن ذلك لو شرع لهم لاشتغلوا بحقوقهم عن حقه واشتغلوا بطلب الحوائج منه كما هو الواقع فيدخلون فى الشرك بالخالق وفى ترك حق المخلوق فينقص تحقيق الشهادتين شهادة أن لا اله الا الله وأن محمد رسول الله *

وأما ماشرعه لهم من الصلاة والسلام عليه فى كل مكان وان لا يتخذوا بيته عيدا ولا مسجدا ومنعهم من ان يدخلوا اليه ويزوروه كما تزار القبور فهذا يوجب كمال توحيدهم للرب تبارك وتعالى وكمال ايمانهم بالرسول صلى الله عليه وسلم ومحبته وتعظيمه حيث كانوا واهتمامهم بما أمروا به من طاعته فان طاعته هى مدار السعادة وهى الفارقة بين أولياء الله واعدائه واهل الجنة واهل النار . فاهل طاعته هم اولياء الله المتقون . وجنده المفلحون . وحزبه الغالبون . واهل مخالفته ومعصيته بخلاف ذلك والذين يقصدون الحج الى قبره وقبر غيره ويدعونهم ويتخذونهم اندادا من اهل معصيته ومخالفته لا من اهل طاعته وموافقته فهم في هذا الفعل من جنس اعدائه لا من جنس اوليائه وان ظنوا ان هذا من موالاته ومحبته كما يظن النصارى ان ماهم عليه من الغلو فى المسيح والشرك به من جنس محبته وموالاته وكذلك دعاؤهم للانبياء والموتى كابراهيم وموسى وغيرهما عليهم السلام . ويظنون ان هذا من محبتهم وموالاتهم وانما هو من جنس معاداتهم ولهذا يتبرؤن منهم يوم القيامة . وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم يتبرأ ممن عصاه وان كان قصده تعظيمه والغلو فيه . قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون فقد امر الله المؤمنين ان يتبرؤا من كل معبود غير الله ومن كل من عبده قال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا

إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ، وكذلك سائر الموتى ليس في مجرد رؤية قبورهم ما يوجب لهم زيادة المحبة الا لمن عرف أحوالهم بدون ذلك فيتذكر أحوالهم فيحبهم والرسول صلى الله عليه وسلم يذكر المسلمون أحواله ومحاسنه وفضائله وما من الله به عليه وما من به على أمته فبذلك يزداد حبهم له وتعظيمهم له لا بنفس رؤية القبر — ولهذا تجد العاكفين على قبور الانبياء والصالحين من أبعد الناس عن سيرتهم ومتابعتهم وانما قصد جمهورهم التأكل والترأس بهم فيذكرون فضائلهم ليحصل لهم بذلك رياسة أو مأكلة لا ليزدادوا هم حبا وخيرا . وفي مسند الامام أحمد وصحيح أبي حاتم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم احياء والذين يتخذون القبور مساجد . وما ذكره هذا من فضائله فبعض ما يستحقه صلى الله عليه وسلم والامر فوق ما ذكره اضعافا مضاعفة لكن هذا يوجب ايماننا به وطاعتنا له واتباع سنته والتأسي به والاقتداء به ومحبتنا له وتعظيمنا له وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه فان هذا هو طريق النجاة والسعادة وهو سبيل الحق ووسيلتهم الى الله تعالى ليس في هذا ما يوجب معصيته ومخالفة أمره والشرك بالله واتباع غير سبيل المؤمنين السابقين الاولين والتابعين لهم باحسان وهو صلى الله عليه وسلم قد قال . لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد . وقال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا . وقال لا تتخذوا قبري عيدا وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني . وقال خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة . وقال انه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجد واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة الى غير ذلك من الادلة التي تبين ان الحجاج الى القبور هم من المخالفين للرسول صلى الله عليه وسلم الخارجين عن شريعته وسنته لا من الموافقين له المطيعين له كما قد بسط في غير هذا الموضع *

﴿ هذا آخر ما نقلناه من كتاب شيخ الاسلام فيما يتعلق بالزيارة ﴾

وقد علم مما نقلناه ان شيخ الاسلام رحمه الله لم يحرم زيارة القبور على الوجه المشروع في شيء من كتبه ولم ينه عنها ولم يكرهها بل استحبها وحض عليها ومناسكه ومصنفاته طافحة بذكر

الاستحباب عن النبي صلى الله عليه وسلم وسائر القبور واستكثر زياراتها في موضع من المواضع ولا ذكر في ذلك خلافا الا نقلا غريبا ذكره في بعض كتبه عن بعض التابعين . وانما تكلم على مسألة شد الرحال وأعمال المطي الى مجرد زيارة القبور . وذكر في ذلك قولين للعلماء المتقدمين والمتأخرين (أحدهما) القول بإباحة ذلك كما يقوله بعض أصحاب الشافعي وأحمد (والثاني) انه منهي عنه كما نص عليه امام دار الهجرة مالك بن أنس ولم ينقل عن أحد من الائمة الثلاثة خلافه واليه ذهب جماعة من أصحاب الشافعي وأحمد هكذا ذكر الشيخ الخلاف في شد الرحال وأعمال المطي القبور ولم يذكره في الزيارة الخالية عن شد رحل وأعمال مطي والسفر الى زيارة القبور مسألة وزيارتها من غير سفر مسألة أخرى . ومن خلط هذه المسألة بهذه المسألة وجعلهما مسألة واحدة وحكم عليهما بحكم واحد وأخذ في التشنيع على من فرق بينهما وبالغ في التنفير عنه فقد حرم التوفيق وحاد عن سواء الطريق واحتج الشيخ لمن قال بمنع شد الرحال وأعمال المطي الى القبور بالحديث المشهور المتفق على صحته وهو لاتشدوا الرحال الحديث . وذكر وجه الاستدلال في الكتابين السابقين وكذا في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم بما لامزيد عليه

* فما نقله النبهاني الغافل الغبي عن السبكي وابن حجر وغيرهما من غلاة أسلافه ساقط عن درجة الاعتبار بل هو افتراء محض وبهتان صرف على الشيخ في هذه المسألة وغيرها والمسألة فرضية لا وقوع لها البتة فان كل من سافر الى المدينة من أجل آماله الصلاة في مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم ونيـة زيارة القبر فقط ان وقعت كان حكمها ماذكره الشيخ حسبما دل عليه الحـديث الصحيح فلا يرد ماذكره هذا الغبي في التنبيه الثامن من الهذيان وهو قوله اعلم انه لو كان حكم السفر لزيارة قبر النبي صلى الله عليـه وسلم التحريم كما زعمه ابن تيمية لامتنع الناس لذلك من زيارته عليه الصلاة والسلام ولصارت المدينة المنورة من أحقر المدن بل من أحقر القرى وكادت تكون خرابا بلقعا فان عمارتها انما هو لوجود قبره الشريف صلى الله عليه وسلم فيها فان زيارة المؤمنين لها وانتيابهم اياها وترددهم اليها ومجاورتهم فيها كل ذلك انما هو لاجله صلى الله عليـه وسلم ليكونـ وسيلتهم الى الله تعالى في سعادتهم لانه ثبت عنـدهم ثبوتا أوضح من الشمس انه صلى الله عليـه وسلم أقرب الوسائل وأجلها وأنجحها الى الله تعالى الى آخر ماهذا به في ذلك التنبيه *

﴿ [illegible] ﴾ الرجس أن خراب [illegible] الى الآن لم يعرف
أن عمارة المدن بأي شيء تكون ولا درى أسباب الخراب ما هي وظن أن زيارة القبور
هي سبب عمارة البلاد والاعراض عنها هو المستوجب لخرابها ولا بدع أن اعتقد الغلاة الضالون
هذا الاعتقاد الفاسد فمثل ذلك هو اللائق بهم المحتوم عليهم . (ويقال) له ان الشيخ لم
يحرم الزيارة ولا السفر اليها مطلقا حتى يرد ما ذكرت . وان الصلاة في المسجد النبوي اذا
كانت بتلك المنزلة فلا شك ان المسلمين لا يهملونها . وما ذكره من قلة زوار البيت المقدس
فكذب وعلى مقتضى تعليله يلزم ان يكون البيت المقدس خرابا لقلة زواره . ومن المعلوم ما بلغ
اليه من العمارة والمدنية . والرجل لا يستحي من الكذب والزور ومقصوده بيان انه كان رئيس
المحكمة الجزائية ليعلم الناس مبلغه من العلم والايمان قاتله الله ما أعظم حماقته ورعونته . ثم يقال
ان عمارة البلاد بالعلم والتقوى والايمان الكامل والعمل الصالح والسعي للدنيا والآخرة .
وأما زيارة القبور أي قبر كان انما هي للدعاء للميت والاستعباد به فهو شعبة من شعب الطرق
الاخروية *

﴿ وقد ذكر هذا الغبي أيضا في تضاعيف كلامه نقلا عن بعض اسلافه الغلاة ﴾ ان زيارة القبور
تعظيم وتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم واجب فلا يجوز اهماله *

﴿ قال الامام الحافظ ابن قدامة في الصارم المنكي ﴾ الكلام عليه من وجوه ﴿ أحدها ﴾
ان يقال هاتان المقدمتان ان أخذتا على اطلاقهما انتجتا أن زيارة قبره واجبة وهو انتاج لازم للمقدمتين
لزوما بينا فان الضرب الاول من الشكل الاول والحد الاوسط فيه محمول في الاولى موضوع
في الثانية فتكون النتيجة موضوع الاولى ومحمول الثانية وهي زيارة قبره واجبة ثم يلزم على
هذا لوازم . منها ان تارك زيارة قبره عاص آثم مستحق للعقوبة منتفي العدالة لا تصح شهادته
ولا تقبل روايته ولا فتواه . وفي هذا تفسيق جميع الصحابة الا من صح عنه منهم الزيارة ولا
ريب ان هذا شر من قول الرافضة الذين فسقوا جمهورهم بتركهم تولية علي بل هو من جنس
قول الخوارج الذين يكفرون بالذنب لان تارك هذه الزيارة عنده تارك لتعظيمه وتارك تعظيمه
كفر او ملزوم للكفر فان تعظيم الرسول من لوازم الايمان فعدمه مستلزم للكفر . وعلى هذا
فكل من لم يزر قبره فهو كافر لانه تارك لتعظيمه صلى الله عليه وسلم ولا ريب ان الروافض

والخوارج أوصلها إلى الجهل والكذب على الله ورسوله وعلى الأمة *

﴿ يوضحه الوجه الثاني ﴾ أن الخوارج إنما كفروا الأمة بمخالفة أمره ومعصيته وتمسكوا بنصوص متشابهة لم يردوها إلى المحكم وأما عباد القبور فكفروا بموافقة الرسول في نص مقصوده وجعلوا تجريد التوحيد كفرا وتنقصا . فأين المكفر بالذنب من المكفر بموافقة الرسول وتجريد التوحيد *

﴿ يوضحه الوجه الثالث ﴾ ان زيارة قبره لو كانت تعظيما له لكانت مما لا يتم الايمان الا بها ولكانت فرضا معينا على كل من استطاع اليها سبيلا من قرب أو بعد ولما أضاع السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان هذا الفرض وقام به الخلف الذين خلفوا من بعدهم ويزعمون انهم بذلك أولياء الرسول وحزبه القائمون بحقوقه وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا أهل طاعته والقيام بما جاء به علما ومعرفة وعملا وارشادا وجهادا الذين جردوا توحيد الخالق وعرفوا للرسول حقه ووافقوه في تنفيذ ماجاء به والدعوة اليه والذب عنه *

﴿ الوجه الرابع ﴾ انه اذا كانت زيارة قبره واجبة على الاعيان كانت الهجرة الى القبر آكد من الهجرة اليه في حياته فان الهجرة الى المدينة انقطعت بعد الفتح كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لاهجرة بعد الفتح . وعند عباد القبور ان الهجرة الى القبر فرض معين على من استطاع اليه سبيلا وليس يخاف ان هذا مراغمة صريحة لما جاء به الرسول . واحداث في دينه مالم يأذن به وكذب عليه وعلى الله . وهذا من أقبح التنقص *

﴿ وقد ذكر السبكي في موضع من كتابه شفاء السقام ﴾ انه رأى فتيا بخط شيخ الاسلام وفيها ولهذا كانت زيارة القبور على وجهين زيارة شرعية وزيارة بدعية فالزيارة الشرعية مقصودها السلام على الميت والدعاء له ان كان مؤمنا وتذكر الموت سواء كان الميت مؤمنا أم كافرا قال وقال بعد ذلك فلزيارة لقبر المؤمن نبيا كان أو غير نبي من جنس الصلاة على جنازته وأما الزيارة البدعية فمن جنس زيارة النصارى مقصودها الاشراك بالميت مثل طلب الحوائج منه أو به أو التمسح بقبره وتقبيله أو السجود له ونحو ذلك فهذا كله لم يأمر الله به ولا رسوله الله صلى الله عليه وسلم ولا استحبه أحد من ائمة المسلمين ولا أحد من السلف لا عند قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا غيره *

﴿ قال السبكي ﴾ بعد حكايته هذا الكلام عن الشيخ وتقسيمه لما ذكره وهو ان يكون التبرك به من غير اشراك به فرتبه ثلاثة أقسام أولها السلام والدعاء له . وقد سلم جوازه وانه شرعي والقسم الثاني التبرك به والدعاء عنده للزائر . قال وهذا القسم يظهر من فحوى كلام ابن تيمية انه يلحقه بالقسم الثالث ولا دليل له على ذلك بل نحن نقطع ببطلان كلامه فيه وان المعلوم من الدين وسير السلف الصالحين التبرك ببعض الموتى من الصالحين فكيف بالانبياء والمرسلين ومن ادعى ان قبور الانبياء وغيرهم من أموات المسلمين سواء فقد أتى أمرا عظيما نقطع ببطلانه وخطئه فيه . وفيه حط لرتبة النبي صلى الله عليه وسلم الى درجة من سواه من المؤمنين وذلك كفر بيقين فان من حط رتبة النبي صلى الله عليه وسلم عما يجب له فقد كفر فان قال ان هذا ليس بحط ولكنه منع من التعظيم فوق ما يجب له . قلت هذا جهل وسوء أدب وقد تقدم فى أول الباب الخامس الكلام فى ذلك . ونحن نقطع بان النبي صلى الله عليه وسلم يستحق من التعظيم أكثر من هذا المقدار في حياته وبعد موته ولا يرتاب من فى قلبه شيء من الايمان . هذا كله كلام المعترض *

﴿ فانظر ﴾ الى ماتضمنه من الغلو والجهل والتكفير بمجرد الهوى وقلة العلم أفلا يستحي من هذا مبلغ علمه ان يرمى أتباع الرسول وحزبه وأولياءه برأيه الذى يشهد به عليه كلامه لكن من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا *

﴿ الوجه الخامس ﴾ ان يقال لهذا المعترض وأشباهه من عباد القبور أتوجبون كل تعظيم للرسول صلى الله عليه وسلم أو نوعا خاصا من التعظيم فان أوجبتم كل تعظيم لزمكم ان توجبوا السجود لقبره وتقبيله واستلامه والطواف به لانه من تعظيمه * وقد أنكر صلى الله عليه وسلم على من عظمه بما لم يأذن به كتعظيم من سجد له . وقال لا تطرونى كما اطرت النصارى عيسى بن مريم فانما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله . ومعلوم ان مطريه انما قصد تعظيمه *

وقال صلى الله عليه وسلم لمن قال له يامحمد ياسيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا عليكم بقولكم ولا تستهدينكم الشيطان أنا محمد عبد الله ورسوله . ما أحب ان ترفعونى فوق منزلتى التى انزلني الله عز وجل فمن عظمه بما لا يحب فانما أتى بضد التعظيم وهذا نفس ماحرمه الرسول صلوات الله وسلامه عليه . ونهى عنه وحذر منه *

(وأيضا) فان الحلف به تعظيم له فقولوا يجب على الحالف ان يحلف به لانه تعظيم له وتعظيمه واجب وكذلك تسبيحه وتكبيره والتوكل عليه والذبح باسمه كل هذا تعظيم له ومعلوم ان ايجاب هذا مثل ايجاب الحج اليه بالزيارة على من استطاع اليه سبيلا ولا فرق بينهما . وان قلتم انما نوجب نوعا خاصا من التعظيم طولبتم بضابط هذا النوع وحده . والفرق بينه وبين التعظيم الذى لايجب ولا يجوز وبيان ان الزيارة من هذا النوع الواجب . والا كنتم متناقضين موجبين فى الدين مالم يوجبه الله وشارعين شرعا لم يأذن به الله *

﴿ الوجه السادس ﴾ أن يقال الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كلما خطر بالبال تعظيم له فأوجبوا له هذا التعظيم واحكموا على من قال لا يجب بأنه تارك لتعظيمه بل أحكموا على من قال لا تجب الصلاة عليه كلما ذكر ولا تجب الصلاة عليه فى الصلاة اولا تجب فى العمر الا مرة اولا تجب أصلا بانه تارك للتعظيم لان الصلاة عليه تعظيم له بلا ريب فهل كان ائمة الاسلام وعلماء الأمة نافين له لتعظيمه تاركين له بنفيهم الوجوب ام كانوا أسد تعظيما له منكم واعرف بحقوقه واحفظ لدينه ان يزاد فيه ماليس منه *

﴿ يوضحه الوجه السابع ﴾ ان الذين كرهوا من الفقهاء الصلاة عليه عند الذبح يكونون على قولكم تاركين لتعظيمه وذلك قادح في ايمانهم . وكذلك من كره او حرم الحلف به وقال لا تنعقد يمين الحالف به يكون على قولكم تاركا لتعظيمه لان الحلف به تعظيم له بلا ريب *

﴿ الوجه الثامن ﴾ أن القول بعدم وجوب زيارة قبره او بعدم استحبابها او بعدم جواز شد الرحال لا يقدح فى تعظيمه بوجه من الوجوه وهو بمنزله قول من قال من ائمه الاسلام لا تجب الصلاة عليه في التشهد الاخير . وبمنزله قول من قال منهم تكره الصلاة عليه عند الذبح . وبمنزله قول من قال لا تستحب الصلاة عليه فى التشهد الاول ولا عند السد في الاذان بل قول من نفى وجوب الزيارة او جواز شد الرحال الى القبر اولى أن تكون منافيا للتعظيم من قول من نفى وجوب الصلاة عليه او استحبابها في بعض المواضع لان الصلاة عليه مامور بها . وقد ضمن للمصلى عليه مرة أن يصلى عليه عشرا بل الصلاة عليه محض التعظيم له فنفى وجوبها او استحبابها فى موضع ليس بترك للتعظيم وليس انكار وجوب كل من الامرين قادحا فى تعظيمه بل ذلك عين تعظيمه *

﴿ يدل عليه الوجه التاسع ﴾ ان تعظيمه هو موافقته في محبة ما يحب وكراهة ما يكره والرضى بما يرضى به وفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه والمبادرة الى ما رغب فيه والبعد عما حذر منه وان لا يتقدم بين يديه ولا يقدم على قوله قول أحد سواه ولا يعارض ما جاء به بمعقول ثم يقدم المعقول عليه كما يقوله ائمة هذا المعترض الذين تلقى عنهم أصول دينه وقدم أرائهم وهواجس ظنونهم على كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم ينسب ورثة الرسول الواقفين مع أقواله المخالفين لما خالفها الى ترك التعظيم واى اخلال بتعظيم وأى تنقص فوق من عزل كلام الرسول صلى الله عليه وسلم عن افادة اليقين . وقدم عليه أراء الرجال وزعم أن العقل يعارض ما جاء به وان الواجب تقديم المعقول وأراء الرجال على قوله *

﴿ الوجه العاشر ﴾ أن ايجاب زيارة قبره واستحبابها وشد الرحال اليه لاجل تعظيمه يتضمن جعل القبر منسكا يحج اليه كما يحج الى البيت العتيق كما يفعله عباد القبور ولا سيما فانهم يأتون عنده بنظير ما يأتي به الحاج من الوقوف و لدعاء والتضرع وكثير منهم يطوف بالقبر ويستلمه ويقبله ويمسح عليه فلم يبق عليه من أعمال المناسك الا الحلق والنحر ورمى الجمار فايجاب الوسيلة الى هذا المحذور واستحبابها من أعظم الامور منافاة لما شرعه الله ورسوله . وقد آل الامر بكثير من الجهال الى النحر عند قبور من يشدون الرحال الى قبورهم وحلق رؤسهم عند قبورهم وتسمية زيارتها حجا ومناسك . وصنف فيه بعضهم كتابا سماه مناسك حج المشاهد وكان سبب هذا هو الغلو الذى يظنه من قل علمه تعظيما ولا ريب ان هذا اكره شيء الى الرسول قصداً ووسيلة

﴿ الوجه الحادى عشر ﴾ ان هذا الذى قصده عباد القبور من التعظيم هو بعينه السبب الذى لاجله حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخاذ القبور مساجد وايقاد السرج عليها ولعن فاعل ذلك ونهى عن الصلاة اليها وحرم اتخاذ قبره عيداً ودعا ربه أن لا يجعل قبره وثنا يعبد . ولاجله نهى فضلاء الامة وساداتها عن ذلك . ولاجله أمر عمر بتعفية قبر دانيال لما ظهر فى زمان الصحابه (ولاجله) منع مالك من نذر اتيان المدينة وأراد القبر أن يوفى بنذره . (ولاجله) كره الشافعى ان يعظم قبر مخلوق حتى يجعل مسجدا كما قال واكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً . ولاجله كره مالك أن يقول القائل زرت قبر النبى صلى الله عليه وسلم لما يوهم هذا اللفظ من أنه انما قصد المدينة لاجل زيارة القبر ولما فيه من تعظيم القبر باضافة الزيارة اليه

مع كونه أعظم القبور على الاطلاق وأجلها وأشرف قبر على وجه الارض فالمنع بتعظيمه أقرب الى المنع بتعظيم غيره من القبور فنهى مالك رحمه الله تعالى الذريعة حتى في اللفظ ومنع الناذر من اتيانه ولو كان اتيانه قربة عنده لاوجب الوفاء به فان من أصله ان كل طاعة تجب بالنذر سواء كان من جنسها واجب بالشرع اولم يكن ولهذا يوجب اتيان مسجد المدينة على من نذر أتيانه . وقد منع ناذر اتيان القبر من الوفاء بنذره فلو كان ذلك عنده قربة لالزمه الوفاء به ومن رد هذا النقل عنه وكذب الناقل فهو من جنس من افترى الكذب وكذب بالحق لما جاءه فان ناقله ممن له لسان صدق في الامة بالعلم والامانة والصدق والجلالة وهو القاضي ابو اسحق اسمعيل بن اسحق بن اسمعيل بن حماد بن زيد أحد الائمة الاعلام وكان نظير الشافعي واماما في سائر العلوم حتى قال المبرد اسمعيل القاضي أعلم مني بالتصريف وروى عن يحيي بن اكثم أنه رآه مقبلا فقال قد جاءت المدينة وقد ذكر هذا النقل عن مالك في أشهر كتبه عند أصحابه واجلها عندهم وهو المبسوط فمن كذبه فهو بمنزلة من كذب مالكا والشافعي وابا يوسف ونظرائهم ومن وصل الهوى بصاحبه الى هذا الحد فقد فضح نفسه وكفى خصمه مؤنته ومن جميع أقوال مالك وأجوبته وضم بعضها الى بعض ثم جمعها الى أقوال السلف وأجوبتهم قطع بمرادهم وعلم نصيحتهم للامة وتعظيمهم للرسول وحرصهم على اتباعه وموافقته في تجريد التوحيد وقطع أسباب الشرك وبهذا جعلهم الله ائمة وجعل لهم لسان صدق في الامة فلو ورد عنهم شئ خلاف هذا لكان من المتشابه الذى يرد الى المحكم من كلامهم وأصولهم فكيف ولم يصح عنهم حرف واحد يخالفه فتبين ان هذا التعظيم الذي قصده عباد القبور هو الذي كرهه أهل العلم وهو الذى حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى أمته عنه ولعن فاعله وأخبر بشدة غضب الله عليه حيث يقول اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ومعلوم قطعا انهم انما فعلوا ذلك تعظيما لهم ولقبورهم فعلم أن التعظيم للقبور مما يلعن الله فاعله ويشتد غضبه عليه *

﴿الوجه الثاني عشر﴾ ان هذا الذى يفعله عباد القبور من المقاصد والوسائل ليس بتعظيم فان التعظيم محله القلب واللسان والجوارح وهم أبعد الناس منه . فالتعظيم بالقلب ما يتبع اعتقاد كونه رسولا من تقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين ويصدق هذه المحبة أمران احدهما تجريد التوحيد فانه صلى الله عليه وسلم كان أحرص الخلق على تجريده حتى

قطع أسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات ونهى عن عبادة الله بالتقرب اليه بالنوافل من الصلوات فى الاوقات التى يسجد فيها عباد الشمس لها بل قبل ذلك الوقت بعد أن تصلى الصبح والعصر لئلا يتشبه الموحدون بهم فى وقت عبادتهم ونهى أن يقال ماشاء الله وشاء فلان ونهى أن يحلف بغير الله وأخبر أن ذلك شرك ونهى أن يصلى الى القبر ويتخذ مسجدا او عيدا او يوقد عليها سراج وذم من شرك بين اسمه واسم ربه تعالى فى لفظ واحد فقال له بئس الخطيب أنت بل مدار دينه على هذا الاصل الذى هو قطب رحى النجاة ولم يقرر أحد ماقرره صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله وهديه وسد الذرائع المنافية له فتعظيمه صلى الله عليه وسلم بموافقته على ذلك لا بمناقضته فيه (الثاني) تجريد متابعته وتحكيمه وحده فى الدقيق والجليل من أصول الدين وفروعه والرضا بحكمه والانقياد له والتسليم والاعراض عمن خالفه وعدم الالتفات اليه حتى يكون وحده الحاكم المتبع المقبول قوله كما كان ربه تعالى وحده المعبود المألوه المخوف المرجي المستغاث به المتوكل عليه الذى اليه الرغبة والرهبة واليه الوجهة والعمل الذى يؤمل وحده لكشف الشدائد وتفريج الكربات ومغفرة الذنوب الذى خلق الخلق وحده ورزقهم وحده وأحياهم وحده ويميتهم وحده ويغفر ويرحم ويهدى ويضل ويسعد ويشقى وحده وليس لغيره من الامر شيء كائنا من كان بل الامر كله لله وأقرب الخلق اليه وسيلة وأعظمهم عنده جاها وارفعهم لديه ذكرا وقدرا وأعمهم عنده شفاعة ليس له من الامر شيء ولا يعطى أحدا شيئا ولا يمنع أحدا شيئا ولا يملك لاحد ضرا ولا رشدا . وقد قال لاقرب الخلق اليه وهم ابنته وعمه وعمته . يافاطمة بنت محمد لا اغنى عنك من الله شيأ ياعباس عم رسول الله لا أغنى عنك من الله شيأ ياصفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيأ . فهذا هو التعظيم الحق المطابق لحال المعظم النافع للمعظم فى معاشه ومعاده الذى هو لازم ايمانه وملزومه . واما التعظيم باللسان فهو الثناء عليه بما هو أهله مما اثنى به على نفسه وأثنى به عليه ربه من غير غلو ولا تقصير فكما ان المقصر المفرط تارك لتعظيمه فالغالى المفرط كذلك وكل منهما شر من الآخر من وجه دون وجه وأولياؤه سلكوا بين ذلك قواما * واما التعظيم بالجوارح فهو العمل بطاعته والسعي فى اظهار دينه واعلاء كلماته ونصر ماجاء به وجهاد ما خالفه * وبالجملة فالتعظيم النافع هو تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر والموالاة والمعاداة والحب والبغض لاجله وفيه وتحكيمه وحده

والرد لما حكمه وأن لا يتحاكم من دونه بالطاغوت يكون التحاكم الى أقواله فقط وهما من قول الرسول والقرآن وما خالفهما رده او تأوله او اعراض عنه والله سبحانه يشهد وكفى بالله شهيدا وملائكته ورسله وأولياؤه ان عباد القبور وخصوم الموحدين ليسوا كذلك وهم يشهدون على أنفسهم بذلك وما كان لهم ان ينصروا دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم شاهدين على انفسهم بتقديم آراء شيوخهم وأقوال متبوعيهم على قوله . وانه لا يستفاد من كلامه يقين وانه اذا عارضه الرجال قدمت عليه وكان الحكم ما يحكم به *

أفلا يستحي من الله من العقلاء من هذا حاله في أصول دينه وفروعه أن يتستر بتعظيم القبر ليوهم الجهال انه معظم لرسوله الله صلى الله عليه وسلم ناصر له منتصر له ممن ترك تعظيمه وتنقصه ويأبى الله ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وما كانوا اولياءه ان أولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون * وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون انتهى *

وقد اكثر شيخ الاسلام قدس الله روحه من الرد على الغلاة القبوريين في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم وغيره من كتبه وما ذكرناه واف بالغرض على اختصاره والله أعلم *

(ثم ان النبهاني الغبي) ذكر قصة بلال التي ذكرها السبكي وهي ان بلالا رأى في منامه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول له ما هذه الجفوة يا بلال اما آن لك أن تزورني يا بلال فانتبه حزينا وجلا خائفا فركب راحلته وقصد المدينة فاتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه الى آخرها . وقد تكلم عليها الحافظ ابن قدامة في كتابه الصارم المنكي في الرد على السبكي وبين وضعها وكذبها بما لا مزيد عليه . وقال انها لو صحت لما أفادت الخصم شيأ الى آخر كلامه *

* (وذكر النبهاني الغبي أيضا) * الا كذوبة المشهورة المسندة لاحمد الرفاعي . فقال ان الزيارة وصلة مع الحبيب وقد وقع لبعض العارفين مخاطبته له صلى الله عليه وسلم ورده عليه ومن ذلك المعنى ما ذكره بعض العارفين عن القطب الرفاعي في حال زيارته للقبر الشريف من قوله *

في حالة البعد روحي كنت أرسلها * تقبل الارض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الاشباح قد حضرت * فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

قال فهذه القصة الغريبة من الخرافات فعليها نبني كلامنا *

﴿ أول الكلام ﴾ على هذه الخرافة في مقامين ، (المقام الاول) في تكذيب وقوع هذه القصة وافترائها على أحمد الرفاعي ، (المقام الثاني) في بيان عدم امكان رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وان من ادعى ذلك فهو كاذب *

(اما المقام الاول) وهو بيان كذب هذه القصة فمن وجوه كثيرة نذكر منها ما خطر بالبال (الاول) انه قد ترجم أحمد الرفاعي هذا جماعة من المؤرخين على اختلافهم في المذهب ولم يذكروا هذه القصة في ترجمته ولو كانت ثابتة لعدوها من أعظم مآثره وأكبر مفاخره لاسيما التاج السبكي فتعصبه للمتصوفة ولا سيما من هو على مذهبه ونحلته ومع ذلك لم يذكر هذه القصة في ترجمة أحمد الرفاعي لما ترجمه في طبقاته فانه قال *

﴿ أحمد بن علي بن أحمد بن يحيي بن حازم بن علي بن رفاعة ﴾ الشيخ الزاهد الكبير أحد أولياء الله العارفين والسادات المشمرين أهل الكرامات الباهرة أبو العباس بن أبي الحسن بن الرفاعي المغربي قدم أبوه الى العراق وسكن ببعض القرى وتزوج باخت الشيخ منصور الزاهد ورزق منها أولادا، منهم الشيخ أحمد هذا لكنه مات وأحمد حمل فلما ولد رباه وأدبه خاله منصور وكان مولده في المحرم سنة خمسمائة وتفقه على مذهب الشافعي وكان كتابه التنبيه ولو أردنا استيعاب فضائله لضاق الوقت ولكنا نورد ما فيه بلاغ ثم ذكر كلاما في محاسن اخلاقه الى ان قال وقال الشيخ أحمد سلكت كل طريق فما رأيت أقرب ولا أسهل ولا أصلح من الذل والافتقار والانكسار لتعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله والاقتداء بسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان يجمع الحطب ويحمله الى بيوت الارامل والمساكين وربما كان يملأ الماء لهم الى ان قال وكان لايجمع بين قميصين لافي شتاء ولا في صيف ولا يأكل الا بعد يومين أو ثلاثة أكلة . ثم قال وعن يعقوب وقد سئل عن أوراد سيدي أحمد . فقال كان يصلي أربع ركعات بالف قل هو الله أحد ويستغفر كل يوم مرة واستغفاره ان يقول لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين عملت سوء وظلمت نفسي واسرفت في أمري ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لي وتب عليّ انك أنت التواب الرحيم يا حي يا قيوم لا اله الا أنت * توفي يوم الخميس ثاني عشر جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ومناقبه أكثر من ان تحصى * وقد أفرد لها بعض

بالصلحاء كما يحكيها الرعى *
فلم ينقلوا قصة مد اليد التي هي من أعظم الخوارق وأعجبها لو صحت مع انه ذكر أعظم مفاخره وهي قصة الهرة التي كانت نائمة على كمه فقطع الكم وقصة البعوضة التي كانت على يده تمتص دمه وقصة الكلاب التي كانت تأكل التمر من القوصرة في دار الطعام وهم يتهارشون فوقف على الباب لئلا يدخل اليهم أحد يؤذيهم *

وذكر القاضي أحمد الشهير بابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان مانصه ﴿ أبو العباس أحمد ابن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد المعروف بابن الرفاعي ﴾ كان رجلا صالحاً فقيها شافعي المذهب أصله من العرب وسكن في البطائح بقرية يقال لها أم عبيدة وانضم اليه خلق عظيم من الفقراء وأحسنوا الاعتقاد فيه وتبعوه . والطائفة المعروفة بالرفاعية والبطائحية من الفقراء منسوبة اليه ولاتباعه أحوال عجيبة من أكل الحيات وهي حية والنزول في التنانير وهي تتضرم بالنار فيطفؤنها الى ان قال ولم يكن له عقب وانما العقب لاخيه وأولاده يتوارثون المشيخة والولاية على تلك الناحية الى الآن وأمورهم مشهورة مستفيضة فلاحاجة الى الاطالة فيها انتهى

(فلم يذكر) تلك القصة من مناقبه ولو صحت روايتها لكانت غرة وجه مناقبه وهكذا ذكر كل من ترجمه من الثقاة وهذه مما اختلقها له أصحابه بعد موته بمدة سنين كما ادعوا له الانتساب الى ابراهيم المرتضى بن موسى الكاظم رضي الله عنه ولا أصل له أيضا . قال في مختصر عمدة الطالب ان الشيخ أحمد رحمه الله لم يدع ذلك . وانما ادعاه البطن الثالث من ولده ويقولون هم أحمد بن علي بن الحسين بن المهدي بن أبي القاسم بن محمد بن الحسين ابن أحمد الاكبر بن موسى أبي شجه بن ابراهيم المذكور . قال أبو نصر البخاري لا يصح لابراهيم المرتضى عقب الا من موسى وجعفر ومن انتسب الى غيرهما فهو كاذب انتهى المقصود منه . (والمقصود) ان قصة مد اليد ونحوها من المزايا والمآثر لو صحت لكانت أحق بالذكر من جميع ما ذكروه فلما لم يذكروها علمنا انها من افك أفاك أثيم *

﴿ الوجه الثاني ﴾ ان أحسن من رواها الامام السيوطي وقد أسندها الى بعض المجاميع ولم يذكر لها سندا واهيا فضلا عن ان يكون صحيحا مع ان حاله في الرواية معلوم . فقال في كتابه تنوير الحلك في رؤية النبي والملك . وفي بعض المجاميع وذكر القصة والبيتين على وجه الاختصار

مع ان هذه القصة لو صحت لتوفرت الدواعي على نقلها لانها خارق عظيم وخارق عجيب فالشيء الذي تتوفر الدواعي على نقله ولم يذكره أحد من الثقات بل ذكره الدجالون الضالون المضلون فهو لاشك زور وبهتان وكذب من افك شيطان *

﴿ الوجه الثالث ﴾ ان الدجالين الذين رووا هذه القصة المكذوبة ادعوا ان من كان حاضرا هناك ورأوا اليد وسمعوا رد السلام نحو مائة ألف أو يزيدون. سبحانك هذا بهتان عظيم كيف يمكن ان يكون هناك هذا العدد الكثير وأي محل في المسجد يسعهم أو يسع عشر معشارهم ثم ان القبر قد أحاطت به الجدران فمن أي شباك خرجت اليد. ومن المعلوم اذا كان أمر عجيب وشيء غريب يتهاجم على رؤيته الرآؤن فلا يمكن الرؤية الا للقريب. وكذلك سماع رد السلام كيف أمكن للجميع . فانظر الى هذه الاكذوبة التي لا تروج حتى على ضعفاء العقول . ومع ذلك فقد تمسك بها قوم سلب الله منهم الحياء واتخذوها حبالة من حبائل مصائدهم. واغراهم الله على مثل هذه الدعاوي الكاذبة ليفضحهم بها في الدنيا والآخرة انتقاما لاهل الحق منهم

﴿ الوجه الرابع ﴾ ان كثيرا من أهل العلم والادب نسب البيتين الى غير أحمد الرفاعي (قال الشيخ) صلاح الدين الصفدي في تذكرته حكى ان ابن الفارض لما اجتمع بالشهاب السهروردي في مكة أنشده *

في حالة البعد روحي كنت أرسلها * تقبل الارض عني وهي نائبتي
وهذه نوبة الاشباح قد حضرت * فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

وكفى بما ذكره الشيخ صلاح الدين هذا شاهدا على بطلان ما ادعاه غلاة الرفاعية ومبتدعتهم فان هذا الشيخ كان اماما أديبا ناظما ناثرا ولد سنة ست وتسعين وستمائة وقد عقد له ابن السبكي ترجمة مجملة في طبقاته . وممن نقل ذلك الشهاب الخفاجي الشافعي في كتابه طراز المجالس وان البيتين من شعر ابن الفارض لما اجتمع بالسهروردي في مكة . (قال) وقد نسب هذا لغيره ولم يذكر الغير ولم يصرح باسمه *

﴿ الوجه الخامس ﴾ حسن الظن باحمد الرفاعي رحمه الله يقتضي عدم مخالفته للسنة النبوية والشريعة المحمديه . فقد كان على ماروى الثقاة بخلاف من يدعى الانتماء اليه من المبتدعة الغلاة وانه لم يزل على المنهج المستقيم والصراط القويم — فمن البعيد عنه الزيارة البدعية التي وردت عن

ابطال قصة طالبة ان لا يبدلا بزور الزيارة التي ذكرها الأئمة الأعلام وأساطين دين الإسلام وقدم بيان ذلك مفصلا مما نقلناه من كتاب الشيخ فكيف يسوغ لمن تأدب بالآداب النبوية أن يتجاسر في ذلك المقام ويطلب منه ما لم يطلبه غيره من أكابر الصحابة وأئمة أهل البيت وغيرهم ويقول له امدد يمينك كي تحظى بها شفتي فهل هذا الا قول أفاك أثيم أراد أن يروج زيف كلامه على الجهلة والعوام الطغام . فمن اليقين لدى العارفين ان هذه القصة كذب وزور لعن الله من وضعها وافتراها *

﴿ المقام الثاني في الكلام على رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بعد الموت ﴾

قد ذكرنا سابقا بعض الوجوه على القدح برواية مد اليد وقصدنا الاختصار في القول اذ الكلام عليه طويل جدا . وقد آن ان نتكلم على المقام الثاني وهو أيضا من بعض الوجوه السابقة . (فنقول) وبالله التوفيق ان رؤية النبي صلى الله عليه وسلم قد ادعاها قوم كثيرون بعد وفاته بزمن طويل * وقد ألف الجلال السيوطي رسالته المسماة بتنوير الحلك في رؤية النبي والملك لاجل تأييد هذا القول وحال السيوطي وتلونه معلوم حتى جعله بعض أهل العلم حاطب ليل . وبعد ان نقل عنه صاحب روح المعاني في هذه المسألة مانقل وكذا عن غيره قال في تفسيره

﴿ ثم انى أقول بعد هذا كله ﴾ ان مانسب الى بعض الكاملين من أرباب الاحوال من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وسؤاله والاخذ عنه لم نعلم وقوع مثله فى الصدر الاول وقد وقع اختلاف بين الصحابة رضى الله تعالى عنهم من حين توفي الى ماشاء الله تعالى فى مسائل دينية وأمور دنيوية وفيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله تعالى عنهم والى أبى بكر وعلى ينتهى أغلب سلاسل الصوفية الذين تنسب اليهم تلك الرؤية ولم يبلغنا ان أحدا منهم ادعي انه رأى فى اليقظة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عنه ما أخذ وكذا لم يبلغنا أنه صلى الله عليه وسلم ظهر لمتحير فى أمر من أولئك الصحابة الكرام فارشده وأزال تحيره . وقد صح عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال فى بعض الامور ليتنى كنت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ولم يصح عندنا أنه توسل الى السؤال منه صلى الله عليه وسلم بعد الوفاة . نظير مايحكى عن بعض أرباب الاحوال . وقد وقفت على اختلافهم فى حكم الجد مع الاخوة . فهل وقفت على ان أحدا منهم ظهر له الرسول صلى الله عليه وسلم فارشده الى ما هو الحق فيه وقد

فلتلك ذا أمرى فاطمة البتول رضى الله تعالى عنها من الحزن العظيم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وما جرى لها فى أمر فدك . فهل بلغك عنه عليه الصلاة والسلام ظهوره لها كما يظهر للصوفية قبل لوعتها وهون حزنها وبين الحال لها وقد سمعت بذهاب عائشة الى البصرة وما كان من وقعة الجمل . فهل سمعت تعرضه صلى الله عليه وسلم لها قبل الذهاب وصده إياها عن ذلك لئلا يقع أو تقوم الحجة عليها على اكمل وجه الى غير ذلك مما لايكاد يحصى كثرة . ﴿ والحاصل ﴾ انه لم يبلغنا ظهوره عليه الصلاة والسلام لاحد من أصحابه واهل بيته وهم هم مع احتياجهم الشديد لذلك وظهوره عند باب مسجد قبا . كما يحكيه بعض الشيعة افتراء محض وبهت بحت * وبالجملة عدم ظهوره لاولئك الكرام وظهوره لمن بعدهم مما يحتاج الى توجيه يقنع به ذووا الافهام ولايحسن منى ان أقول كل مايحكى عن الصوفية من ذلك كذب لا أصل له لكثرة حاكيه وجلالة مدعيه . وكذا لايحسن منى ان أقول انهم انما رأوا النبى صلى الله عليه وسلم مناما فظنوا ذلك لخفة النوم وقلة وقته يقظة . فقالوا رأينا يقظته لما فيه من البعد ولعل فى كلامهم مايأباه . وغاية ما أقول ان تلك الرؤية من خوارق العادة كسائر كرامات الاولياء ومعجزات الانبياء عليهم السلام . وكانت الخوارق فى الصدر الاول لقرب العهد بشمس الرسالة قليلة جدا وانى يرى النجم تحت الشعاع أو يظهر كوكب . وقد انتشر ضوء الشمس فى البقاع فيمكن ان يكون قد وقع ذلك لبعضهم على سبيل الندرة ولم تقتض المصلحة افشاء . ويمكن ان يقال انه لم يقع لحكمة الابتلاء أو لخوف الفتنة أو لان فى القوم من هو كالمرآة له صلى الله عليه وسلم أو ليهرع الناس الى كتاب الله تعالى وسنته صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يهمهم فيتسع باب الاجتهاد وتنشر الشريعة وتعظم الحجة التى يمكن ان يعقلها كل أحد او لنحو ذلك وربما يدعى انه عليه الصلاة والسلام ظهر ولكن كان مستترا فى ظهوره . كما روى ان بعض الصحابة احب ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء الى ميمونة فاخرجت له مرآته فنظر فيها فراى صورة رسول الله عليه الصلاة والسلام ولم ير صورة نفسه . فهذا كالظهور الذى يدعيه الصوفية الا انه بحجاب المرآة وليس من باب التخيل الذى قوى بالنظر الى مرآته عليه الصلاة والسلام . وملاحظة انه كثيرا ما ظهرت فيها صورته حسبما ظنه ابن خلدون . فان قبل قولى هذا وتوجيهى لذلك الامر فبها ونعمت . والا فالامر مشكل فاطلب لك مايحله . والله سبحانه الموفق للصواب . انتهى كلامه .

ورؤيتهم النبي وجهاً غير مقبول اذ لا يدل عليه كتاب ولا سنة صحيحة وليس الامر مشكلا اذا لم يقبل توجيهه كما زعمه لان غلط الحس كثير. فاذا صدقوا برؤيتهم يجب حينئذ ما اجاب شيخ الاسلام في كتابه الجواب الباهر. وقد ذكرناه سابقا ومنه فانه قد قال وكان الصحابة خير القرون وهم اعلم الناس بسنته واطوع الامة لامره وكانوا اذا دخلوا الى المسجد لا يذهب احد منهم الى قبره لا من داخل الحجرة ولا من خارجها. وكانت الحجرة في زمانه يدخل اليها من الباب اذ كانت عائشة فيها وبعد ذلك الى ان بنى الحائط الآخر وهم مع ذلك التمكن من الوصول الى قبره لا يدخلون اليه لا لسلام ولا لصلاة ولا لدعاء لانفسهم ولا لسؤال عن حديث اوعلم ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلاما وسلاما فيظنون انه هو كلمهم وأفتاهم وبين لهم الاحاديث او انه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج كما طمع الشيطان في غيرهم فاضلهم عند قبره وقبر غيره حتى ظنوا ان صاحب القبر يحدثهم ويفتيهم ويأمرهم وينهاهم في الظاهر وانه يخرج من القبر ويرونه خارجا من القبر ويظنون ان نفس ابدان الموتى خرجت من القبر تكلمهم وان روح الميت تجسدت لهم فرأوها كما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج يقظة لا مناما. فان الصحابة رضوان الله عليهم خير قرون هذه الامة التي هي خير أمة اخرجت للناس. وهم تلقوا الدين عن النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ففهموا من مقاصده وعاينوا من افعاله. وسمعوا منه شفاها مالم يحصل لمن بعدهم وهم قد فارقوا جميع أهل الارض وعادوهم وهجروا جميع الطوائف واديانهم وجاهدوا باموالهم وانفسهم الى آخر ماذكره هناك

﴿ثم انه﴾ يؤيد ماذكره الشيخ ان العرب في الجاهلية كثيراً ما كانوا يسمعون كلاما من اصنامهم (كما سمعوا من صنمهم المسمى بالجلسد) وهو صنم كان بحضرموت وفي كتاب أبي أحمد الحسن ابن عبد الله العسكري. قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرني عمي الحسين بن دريد قال أخبرني حاتم ابن قبيصة المهلبي عن هشام بن الكلبي عن أبي مسكين قال كان بحضرموت صنم يسمى الجلسد تعبده كنده وحضرموت وكانت سدنته بني شكامة بن شبيب بن السكون بن أشرث بن ثور بن مرتع وهو كنده. ثم الى أهل بيت منهم يقال لهم بنو علاق. وكان الذي يسدنه منهم يسمى الاخزر ابن ثابت وكان للجلسد حمى ترعاه سوامه وغنمه. وكانت هوا في الغنم اذا رعت حمى الجلسد حرمت على أربابها وكانوا يكلمون منه وكان كجثة الرجل العظيم وهو من صخرة بيضاء لها كالرأس

الجوف . وإذا تأمله الناظر رأى فيه كصورة وجه الانسان (قال الاخزر) واني كنت يوما عند الجلسد وقد ذبح له رجل من بني الامرى بن مهرة ذبحا اقتسمنا فيه كهمهمة الرعد فاصغينا فاذا قائل يقول . شمار أهل عدم . انه قضا حتم . ان بطش سهم . فقد فاز سهم . فقلنا ربنا وضاح وصاح فاعاد الصوت وهو يقول ناء نجم البراق . يا أخزر بن علاق هل أحسست جما عما . وعدداجما . يهوى من يمن وشام . الى ذات الاجام . نور أظل . وظلام أفل . وملك انتقل من محل الى محل . ثم سكت فلم ندر ما هو فقلنا هذا أمر كائن . فلما كان في العام المقبل . وقد راث علينا ما كنا نسمع من كلام الصنم وساءت ظنوننا . وقربنا قربانا ولطخنا بدمه وكذلك كنا نفعل . فاذا الصوت قد عاد علينا فتباشرنا . فقلنا عم صباحا ربنا لا مصد عنك ولا محيد تشارت الشؤن وساءت الظنون . فالعياذ من غضبك . والأياب الا صفحك . فاذا النداء من الصنم يقول قلبت البنات . وعزاها واللات . وعلياها ومناة . منعت الافق فلا مصعد وحرست فلا مقعد . وأبهمت فلا متلدد . وكان قد ناجم نجم . وهاجم الجم . وصامت زجم . وقابل رجم . وداع نطق . وحق سبق . وباطل زهق ثم سكت فتحدثت القبائل بهذا فى مخاليف اليمن . فانا لعلى أفان ذلك . اذا ضل رجل من كندة ابلا فاقبل الى الجاسد فنحر جزورا واستعار ثوبين من ثياب السدنة واكتراهما فلبسهما . وكذلك كانوا يفعلون . ثم قال أنشدك يارب ابكرا ضخما مدمومة دما مخلوقة بالافخاز . مخلوطة بالحاذ . أضللتها بين جماهير النخرة . حيث الشقيقة والصفره فاهد رب وارشد فلم يجب . قال الاخزر فانكسر لذلك . وقد كان فيما مضى يخبرنا بالاعاجيب . فلما جن علينا الليل بت مبيتى عنده فاذا هاتف يقول . لا شأن للجلسد ولا رئي لهدد . استقام الاود . وعبد الواحد الصمد . واكفى الحجر الاصلد . والرأس الاسود . قال فنهضت مذعوراً فاتيت الصنم فاذا هو منقلب على رأسه . وكان اوا جتمع فئام من الناس ما حلحلوه فوالذى نفسى بيده ما عرجت على أهل ولا مال حتى أتيت راحلتى وخرجت حتى أتيت صنعاء . فقلت هل من خائبة خبر . فقيل ظهر رجل بمكة يدعو الى خلع الاوثان . ويزعم أنه نبي فلم ازل أطوف في مخاليف اليمن حتى ظهر الاسلام . فأتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأسلمت . وفي اشعارهم *

فبات يجتاب شقارى كما * بيقر من يمشى الى الجلسد

والنقر منه يتعاطى الرجال فيها وأنه والبيت المنتخب المهدى ومنهم من قال انه لمدفون في الرفاع . ويروى كما كثير من يحيى الى الحلسه *

(وسموا أيضا كلاما من صنمهم المسمى بالضمار) وهو بكسر الضاد المعجمة وميم مخففة بعدها ألف ثم راء مهملة كان صنما لبني سليم ولما حضرت مرداسا الوفاة قال للعباس ولده أي بني أعبد ضمارا فانه ينفعك ويضرك فبينا عباس يوما عند ضمار اذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول *

من للقبائل من سليم كلها * أودى ضمار وعاش أهل المسجد

ان الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتد

أودى ضمار وكان يعبد مدة * قبل الكتاب الى النبي محمد

فحرق عباس ضمارا . ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم . وفي لفظ أن عباس بن مرداس كان في لقاح له نصف النهار اذ طلع عليه راكب على نعامة بيضاء وعليه ثياب بيض فقال له يا عباس الم تر أن السماء قد تعب أحراسها . وان الحرب قد حرقت أنفاسها . وأن الخيل وضعت أحلاسها وان الذي نزل عليه البر والتقوى صاحب الناقة القصوا فقال عباس فراعني ذلك فجئت وثنا لنا يقال له الضمار كنا نعبده . ونكلم من جوفه . فكنست ماحوله ثم تمسحت به . فاذا صائح يصيح من جوفه *

قل للقبائل من قريش كلها * هلك الضمار وفاز أهل المسجد

هلك الضمار وكان يعبد مدة * قبل الصلاة على النبي محمد

ان الذى ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتد

قال عباس فخرجت مع قوم بني حارثة الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة فدخلت المسجد فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم . فقال ياعباس كيف اسلامك فقصصت عليه القصة . فقال صدقت واسلمت انا وقومي . وما كفى مبتدعة الرفاعية وغلاتهم تلك الاكذوبة الظاهرة العوار البينة الفساد حتى اتخذوا لها يوم عيد ولا يأكلون قبله بسبعة أيام شيئا من اللحوم وبعد انقضائها يكون العيد فيهنئ بعضهم بعضا به ويسمونه عيد مد اليد . ولهم في ذلك رسائل ومصنفات . منها القواعد المرعية . في أصول الطريقة الرفاعية . وفيها قاعدة في الخلوة الاسبوعيه المحرمية . وفيها اشترط رجال هذه الطريقة العلية دخول الخلوة المحرمية في

كل سنة في اليوم الثاني عشر من محرم الحرام الى مساء اليوم السابع عشر . وقد اشترطوا ذلك على كل من انتسب الى هذه الطريقة . وقالوا يلزم المختلي ان يتخذ له فراشا خالصا لا تشاركه فيه النساء وان يديم الوضوء كلما حدث له ناقض جدده ولا يتكلم الا بنية ولا يكثر الكلام لغير ضرورة وليلازم بيته الا لعذر وينفرد . وليكن طعامه خاليا عن كل ذي روح * ثم ذكر مايشرع للسالك في تلك الايام من اوراد واذكار *

﴿ ومنها الفجر الحادي ﴾ في منقبة مد اليد . وفيها بيان مايشرع ليلة عيد الخلوة المحرمية من البدع والاهواء ولم ينزل الله بها من سلطان . ولم يتكلم بما حوته عالم من العلماء الاعلام . وكلها قد تلقوها عن اخوانهم الباطنية . والنحل الرافضية *

وليس هذا المقام مقام الرد عليهم وبيان ماانتسب من الضلال اليهم . وقد رد عليهم شيخ الاسلام في عدة مواضع وألف فيهم كتبا مفصلة . منها كتابه الذي سماه كشف حال المشائخ الاحمدية وبيان أحوالهم الشيطانية . نذكر منه ان شاء الله تعالى مايناسب مقامه *

﴿ وأظن ان ﴾ ما كتبه النبهاني الغبي في هذه المسألة انما هو ارضاء لشيخه شيخ الضلال ومقدمة الدجال . عدو المسلمين . وناصر المبتدعين . الذي كان قربه من ولي الامر من أعظم المصائب وأدهى النوائب . وقد روج بدع الرفاعية أي رواج . وعدل بالمسلمين عن سواء السبيل وأقوم منهاج هذا مع ماهو عليه من الفسق والفجور . والزيغ عن الحق في كل الامور . وما اكتفى بذلك حتى بث حزبه ومردته يصدون عن الحق في كل سبيل . وأقعدهم على صراط الله المستقيم للاغواء والتضليل . حتى استفحل أمرهم . وعم البر والبحر شرهم . فذكر النبهاني الجاهل هذه القضية التي هي احدى حبائل شيخه ليستجاب رضاه . فعليه وعلى شيخه مايستحقان .. . والردود المؤلفة في القدح على شيخه هذا كثيرة . وكلها مطبوعة ومشتهرة . منها كتاب المسامير . ومنها الفتح المبين . ومنها السيف الرباني . ومنها غير ذلك . ولكن الامر كما قيل *

﴿ من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت ايلام ﴾

﴿ ثم ان النبهاني أخذ يتكلم على فضل المدينة النبوية وذكر للشيخ البكري أربعين حديثا في فضلها والبكري هذا هو الذي رد عليه الشيخ في كتاب الاستغاثة وهو مجلد كبير . ثم ذكر الخلاف في مكة والمدينة أيهما أفضل الخ أقول ﴾

﴿وأقول﴾ فضل المدينة مما لا شك فيه والكتب مملوءة من ذلك. قال ابن خلدون ان الله سبحانه وتعالى فضل من الارض بقاعا اختصها بتشريفه وجعلها مواطن لعبادته يضاعف فيها الثواب وتنمو بها الاجور وأخبرنا بذلك على السن رسله وانبيائه لطفا بعباده وتسهيلا لطرق سعادتهم وكانت المساجد الثلاثة هي أفضل بقاع الارض حسبما ثبت في الصحيحين وهي مكة والمدينة وبيت المقدس أما بيت الحرام الذى بمكة فهو بيت ابرهيم صلوات الله وسلامه عليه أمره الله ببنائه وان يؤذن فى الناس بالحج اليه فبناه هو وابنه اسماعيل كما نصه القرآن وقام بما أمره الله فيه وسكن اسماعيل به مع هاجر ومن نزل معهم من جرهم الى ان قبضهما الله ودفنا بالحجر منه *

وبيت المقدس بناه داود وسليمان عليهما السلام أمرهما الله ببناء مسجده ونصب هياكله ودفن كثير من الانبياء من ولد اسحق عليه السلام حواليه *

(قال) والمدينة مهاجر نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه أمره الله تعالى بالهجرة اليها واقامة دين الاسلام بها فبنى مسجده الحرام بها وكان ملحده الشريف في تربتها *

(قال) فهذه المساجد الثلاثة قرة عين المسلمين ومهوى أفئدتهم وعظمة دينهم وفى الآثار من فضلها ومضاعفة الثواب فى مجاورتها والصلاة فيها كثير معروف *

(ثم انه أشار) الى شيء من الخبر عن أولية هذه المساجد الثلاثة وكيف تدرجت أحوالها الى ان كمل ظهورها فى العالم . وقد ذكر ياقوت الحموي ذلك بتفصيل اكثر على انه قد أفرد لذلك كتب مخصوصة مشهورة . فلا نتعب القلم بذكرها *

﴿وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية﴾ فى جواب سؤال ورده عن صحة أصول مذهب أهل المدينة ومنزلة مالك المنسوب اليه مذهبهم فى الامامة والديانة وضبط علوم الشريعة عند أئمة علماء الامصار وأهل الثقة والخبرة من سائر الاعصار *

﴿أجاب رضى الله عنه﴾ الحمد لله * مذهب أهل المدينة النبوية دار السنة ودار الهجرة ودار النصرة اذ فيها سن الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم سنن الاسلام وشرائعه واليها هاجر المهاجرون الى الله ورسوله وبها كان الانصار انصار الله الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم مذهبهم فى زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أصح مذاهب أهل المذاهب الاسلامية شرقا وغربا فى الاصول

والقرن الرابع وهذه الاعصار الثلاثة هي أعصار القرون المفضلة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح من وجوه خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وذكر ابن حبان بعد قرنه قرنين بلا نزاع . وفي بعض الاحاديث الشك في القرن الثالث بعد قرنه . وقد روى في بعضها بالجزم باثبات القرن الثالث بعد قرنه فتكون أربعة واعتمد على ذلك أبو حاتم البستي ونحوه من علماء أهل الحديث في طبقات هذه الامة بان هذه الزيادة ثابتة في الصحيح . ثم انه ذكر أحاديث الثلاثة والاحاديث التي فيها ذكر القرن الرابع . الى ان قال . وفي القرون التي اثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مذهب أهل المدينة وهذا هو سر المسألة وكان أصح مذاهب أهل المدائن فانهم كانوا يتأسون بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من سائر الامصار وكان غيرهم من أهل الامصار دونهم في العلم بالسنة النبوية واتباعها حتى انهم لا يفتقرون الى نوع من سياسة الملوك وان افتقار العلماء ومقاصيد العباد أكثر من افتقار أهل المدينة حيث كانوا أغنى من غيرهم عن ذلك كله بما كان عندهم من الآثار النبوية التي يفتقر الى العلم بها واتباعها كل أحد — ولهذا لم يذهب أحد من علماء المسلمين الى ان اجماع أهل مدينة من المدائن حجة يجب اتباعها غير المدينة لا في تلك الاعصار ولا فيما بعدها لا اجماع أهل مكة ولا الشام ولا العراق ولا غير ذلك من أمصار المسلمين * ومن حكى عن أبي حنيفة أو أحد من أصحابه ان اجماع أهل الكوفة حجة يجب اتباعها على كل مسلم فقد غلط على أبي حنيفة وأصحابه في ذلك *

(وأما المدنية) فقد تكلم الناس في اجماع أهلها واشتهر عن مالك وأصحابه ان اجماع أهلها حجة وان بقية الائمة ينازعونهم في ذلك والكلام انما هو في اجماعهم في تلك الاعصار المفضلة . وأما بعد ذلك فقد اتفق الناس على ان اجماع أهلها ليس بحجة اذ كان حينئذ في غيرها من العلماء ما لم يكن فيها لا سيما من حين ظهر بها الرفض فان أهلها مستمسكون بمذهبهم القديم منتسبين الى مذهب مالك الى أوائل المائة السادسة أو قبل ذلك أو بعد ذلك فانهم قدم اليهم من رافضة المشرق من أهل قاشان وغيرهم من أفسد مذهب كثير منهم لا سيما المنتسبون منهم الى العترة النبوية . وقدم عليهم بكتب أهل البدع المخالفة للكتاب والسنة وبذل لهم أموالا فكثرت البدعة بها من حينئذ . فاما الاعصار المفضلة فلم يكن فيها بالمدينة النبوية بدعة ظاهرة

النبوية ولا خرج منها بدعة فى أصول الدين كما خرج من سائر الامصار فان الامصار الكبار التى سكنها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج منها العلم والايمان خمسة الحرمان والعراقان والشامان . منها خرج القرآن والحديث والفقه والعبادة وما يتبع ذلك من أمور الاسلام * وخرج من هذه الامصار بدع أصولية غير المدينة النبوية . فالكوفة خرج منها التشيع والارجاء . وانتشر بعد ذلك فى غيرها . والبصرة خرج منها القدر والاعتزال الفاسد وانتشر بعد ذلك فى غيرها . والشام كان بها النصب والقدر . وأما التجهم فانما ظهر من ناحية خراسان وهو شر البدع ولان ظهور البدع بحسب البعد عن الدار النبوية . فلما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان ظهرت بدعة الحرورية وتقدم بعقوبتها الشيعة من الاصناف الثلاثة الغالية حيث حرقهم على بالنار والمفضلة حيث تقدم بجلدهم ثمانين . والسبائية حيث طلب ان يعاقب ابن سبا بالقتل أو بغيره فهرب منه ثم فى أواخر عصر الصحابة حدثت القدرية فى آخر عصر ابن عمر وابن عباس وجابر وأمثالهم من الصحابة وحدثت المرجئة قريبا من ذلك *

وأما الجهمية فانما حدثوا فى أواخر عصر التابعين بعد موت عمر بن عبد العزيز . وقد روى انه أنذر بهم وكان ظهور جهم بخراسان فى خلافة هشام بن عبد الملك وقد قتل المسلمون شيخهم الجعد بن درهم قبل ذلك ضحى به خالد بن عبد الله القسرى . وقال يا أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فانى مضح بالجعد بن درهم انه زعم انه لم يتخذ الله ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى عما يقول الجعد بن درهم علوا كبيراً . ثم نزل فذبحه . وقد روى ان ذلك بلغ الحسن البصرى وأمثاله من التابعين فشكروا ذلك *

﴿ وأما المدينة النبوية ﴾ فكانت سليمة من ظهور هذه البدع وان كان بها من هو مضمر لذلك كان عندهم مهانا مذموما اذ كان بها قوم من القدرية وغيرهم لكن كانوا مذمومين مقهورين بخلاف التشيع والارجاء بالكوفة والاعتزال وبدع النساك بالبصرة والنصب بالشام فانه كان ظاهرا وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الدجال لا يدخلها ويحكى ان عمرو بن عبيد وهو رأس المعتزلة ممن كان يساجي سفيان الثورى ولم يعلم سفيان به فقال عمرو لرجل من هذا فقال سفيان الثورى أو قال من أهل الكوفة قال ولو علمت بذلك لدعوته الى رأيي ولكن ظننته من هؤلاء المدنيين الذين يجيئونك من فوق *

ولم يزل العلم والايمان بها ظاهراً الى زمن أصحاب مالك وهم أهل القرن الرابع حيث أخذ ذلك القرن عن مالك وأهل طبقته كالثوري والاوزاعي والليث بن سعد وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وسفيان بن عيينة وأمثالهم وهؤلاء أخذوا عن طوائف من التابعين وأولئك أخذوا عمن أدركوا من الصحابة والكلام في اجماع أهل المدينة في تلك الاعصار .

﴿ والتحقيق في مسألة اجماع أهل المدينة ﴾ ان منه ماهو متفق عليه بين المسلمين ومنه ماهو قول جمهور أئمة المسلمين . ومنه مالا يقوم به الا بعضهم . وذلك ان اجماع أهل المدينة على أربع مراتب ﴿ الاولى ﴾ ما يجرى مجرى النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل نقلهم لمقدار الصاع والمد وكترك صدقة الخضراوات والاجناس فهذا مما هو حجة باتفاق العلماء . اما الشافعي وأحمد وأصحابهما فهذا حجة عندهم بلا نزاع كما هو حجة عند مالك وذلك مذهب أبي حنيفة وأصحابه . قال أبو يوسف رحمه الله وهو اجل أصحاب ابي حنيفة واول من لقب قاضي القضاة . لما اجتمع بمالك وسأله عن هذه المسائل واجابه مالك بنقل اهل المدينة المتواتر رجع ابو يوسف الى قوله وقال لو رأى صاحبي مثل ما رأيت لرجع مثل ما رجعت .

(فقد نقل) ابو يوسف ان مثل هذا النقل حجة عند صاحبه ابي حنيفة كما هو حجة عند غيره لكن ابو حنيفة لم يبلغه هذا النقل كما لم يبلغه ولم يبلغ غيره من الائمة كثير من الحديث فلا لوم عليهم في ترك مالم يبلغهم علمه . وكان رجوع ابي يوسف الى هذا النقل كرجوعه الى احاديث كثيرة اتبعها هو وصاحبه محمد وتركا قول شيخهما لعلمهما بأن شيخهما كان يقول ان هذه الاحاديث ايضا صحت لكن لم تبلغه . ومن ظن بأبي حنيفة او غيره من ائمة المسلمين انهم يتعمدون مخالفة الحديث الصحيح لقياس او غيره فقد اخطأ عليهم وتكلم اما بظن واما بهوى فهذا ابو حنيفة يعمل بحديث التوضى بالنبيذ بالسفر مخالفة للقياس . وبحديث القهقهة في الصلاة مع مخالفته للقياس لاعتقاده صحتهما وان كان ائمة الحديث لم يصححوه . قال وقد بينا هذا في رسالة رفع الملام . عن الائمة الاعلام . وبينا ان احدا من ائمة الاسلام لا يخالف حديثا صحيحا بغير عذر بل لهم نحو من عشرين عذرا مثل ان يكون أحدهم لم يبلغه الحديث أو بلغه من وجه لم يثق به أو لم يعتقد دلالته على الحكم أو اعتقد ان ذلك الدليل قد عارضه ماهو أقوى منه كالناسخ أو مايدل على الناسخ وأمثال ذلك . والاعذار يكون العالم في بعضها مصيبا فيكون

له أجران . ويكون في بعضها مخطئا بعد اجتهاده فيثاب على اجتهاده وخطؤه مغفور له لقوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا . وقد ثبت فى الصحيح ان الله استجاب هذا الدعاء وقال قد فعلت . ولان العلماء ورثة الانبياء *

وقد ذكر الله عن داود وسليمان انهما حكما فى قضية وانه فهمها أحدهما . ولم يعب الآخر بل اثنى على كل واحد منهما بانه آتاه حكما وعلما فقال وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما *

وهذه الحكومة تتضمن مسألتين تنازع فيهما العلماء . مسألة نفش الدواب فى الحرث بالليل وهو مضمون عند جمهور العلماء كمالك والشافعى وأحمد . وأبو حنيفة لم يجعله مضمونا والثانى ضمان بالمثل والقيمة وفى ذلك نزاع في مذهب الشافعى وأحمد وغيرهما والمأثور عن أ كثر السلف فى نحو ذلك يقتضى الضمان بالمثل اذا أمكن كما قضى به سليمان وكثير من الفقهاء لا يضمنون ذلك الا بالقيمة كالمعروف من مذهب أبى حنيفة والشافعى وأحمد *

والمقصود هنا ان عمل أهل المدينة الدى يجرى مجري النقل حجة باتفاق المسلمين قال مالك لابى يوسف لما سأله عن الصاع والمد وأمر أهل المدينة باحضار صيعانهم وذكروا له ان اسنادها على اسلافهم . أترى هؤلاء يا أبا يوسف يكذبون قال لا والله مايكذبون . فاذا حررت هذه الصيعان فوجدتها خمسة أرطال وثلث برطا لكم يا أهل العراق فقال رجعت الى قولك يا أبا عبد الله ولو رأى صاحبي مارأيت لرجع كما رجعت *

وسأله عن صدقة الخضراوات . فقال هذه مباقيل أهل المدينة لم يؤخذ منها صدقة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبى بكر ولا عمر رضى الله تعالى عنهما يعنى وهى تنبت فيها الخضراوات *

وسأله عن الاجناس فقال هذا جنس فلان وهذا جنس فلان . يذكر لبيان الصحابة فقال أبو يوسف في كل منهما قد رجعت يا أبا عبد الله ولو رأى صاحبي مارأيت لرجع كما رجعت *

(وأبو يوسف ومحمد) وافقا بقية الفقهاء فى انه ليس فى الخضراوات صدقة كمذهب مالك والشافعي وأحمد . وفي انه ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة كمذهب هؤلاء وان الوقف عنده لازم كمذهب هؤلاء *

(وانما قال) رطالكم يا أهل العراق لانه لما انقرضت الدولة الاموية وجاءت دولة ولد العباس قريبا فقام أخوه أبو جعفر الملقب بالمنصور فبنى بغداد فجعلها دار ملكه . وكان أبو جعفر يعلم ان أهل الحجاز حينئذ كانوا أغنى بدين الاسلام من أهل العراق *

(ويروى) انه قال ذلك لمالك أو غيره من علماء المدينة قال نظرت في هذا الامر فوجدت أهل العراق أهل كذب وتدليس أو نحو ذلك ووجدت أهل الشام انما هم أهل غزو وجهاد ووجدت هذا الامر فيكم *

(ويقال انه) قال لمالك وأنت أعلى أهل الحجاز أو كما قال . فطلب أبو جعفر علماء الحجاز ان يذهبوا الى العراق وينشروا العلم فيه فقدم عليهم هشام بن عروة ومحمد بن اسحق ويحيي بن سعيد الانصاري وربيعة بن أبي عبد الرحمن وحنظلة بن أبي شقيق الجمحي وعبد العزيز ابن أبي سلمة الماجشون وغير هؤلاء . وكان ابو يوسف يختلف في مجالس هؤلاء ويتعلم منهم الحديث واكثر ممن قدم الحجاز *

ولهذا يقال في اصحاب ابي حنيفة ابو يوسف اعلمهم بالحديث وزفر اطردهم للقياس * والحسن بن زياد اللؤلؤي اكثرهم تفريعاً * ومحمد اعلمهم بالعربية والحساب . وربما قيل اكثرهم تفريعاً *

(فلما صارت) العراق دار الملك واحتاج الناس الى تعريف اهلها بالسنة والشريعة غير المكيال الشرعي برطل اهل العراق وكان رطلهم بالحنطة الثقيلة والعدس اذ ذاك تسعين مثقالا مائة وثمانية وعشرون درهما واربعة اسباع الدرهم . فهذا هو المرتبة الاولى لاجماع اهل المدينة وهو حجة باتفاق المسلمين *

﴿ المرتبة الثانية ﴾ العمل القديم بالمدينة قبل مقتل عثمان بن عفان فهذا حجة في مذهب مالك وهو المنصوص عن الشافعي * قال في رواية يونس بن عبد الاعلى اذا رايت قدماء اهل المدينة على شيء فلا تتوقف في قلبك ريبا انه الحق وكذا ظاهر مذهب احمد ان ما سنه خلفاء الراشدون فهو حجة يجب اتباعها وقال احمد كل بيعة كانت في المدينة فهي خلافة النبوة * ومعلوم ان بيعة ابي بكر وعمر وعثمان كانت بالمدينة * وكذلك بيعة عليّ كانت بالمدينة . ثم خرج منها وبعد ذلك لم يعقد بالمدينة بيعة * وقد ثبت في الحديث الصحيح حديث العرباض بن سارية عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي

تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة . وكل ضلالة في النار وفي السنن من حديث سفينة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا . فالمحكي عن أبي حنيفة يقتضي ان قول الخلفاء الراشدين يخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم *

﴿ والمرتبة الثالثة ﴾ اذا تعارض في المسألة دليلان كحديثين وقياسين جهل ايهما ارجح واحدهما يعمل به أهل المدينه . فيه نزاع فمذهب مالك والشافعى انه يرجح بعمل أهل المدينة ومذهب ابي حنيفة انه لا يرجح بعمل أهل المدينه ولاصحاب أحمد وجهان . ﴿ أحدهما ﴾ وهو قول القاضي ابي يعلى وابن عقيل انه لا يرجح . ﴿ والثاني ﴾ وهو قول ابي الخطاب وغيره انه يرجح به . قيل هذا هو المنصوص عن احمد . ومن كلامه قال اذا رأى أهل المدينة حديثا وعملوا به فهو الغاية وكان يفتى على أهل المدينة ويقدمه على مذهب اهل العراق تقريرا كثيرا . وكان يدل المستفتي على مذاهب أهل الحديث ومذهب اهل المدينة ويدل المستفتي على اسحق وابي عبيدة وابي ثور ونحوهم من فقهاء اهل الحديث * ويدله على حلقة المدنيين حلقة ابي مصعب الزهرى ونحوه وابو مصعب هو آخر من مات من رواة ابو اصا عن مالك . مات بعد احمد بسنة سنة اثنين واربعين ومائتين . وكان احمد يكره ان يرد على اهل المدينة كما يرد على اهل الرأى . ويقول انهم اتبعوا الآثار فهذا مذهب جمهور الائمة يوافق مذهب مالك في الترجيح لاقوال اهل المدينة

﴿ واما المرتبة الرابعة ﴾ فهي العمل المتأخر بالمدينه . فهذا هل هو حجة شرعية يجب اتباعها ام لا . فالذى عليه ائمة الناس انه ليس بحجة شرعية هذا مذهب الشافعى واحمد وابي حنيفة وغيرهم وهو قول المحققين من اصحاب مالك كما ذكر ذلك الفاضل عبد الوهاب في كتابه أصول الفقه وغيره . ذكر ان هذا ليس اجماعا ولا حجة عند المحققين من أصحاب مالك . وربما جعله حجة بعض أهل الغرب من أصحابه . وليس معه للائمة نص ولا دليل بل هم أهل تقليد. قلت ولم ار في كلام مالك مايوجب جعل هذا حجة وهو في الموطأ انما يذكر الاصل المجمع عليه عندهم فهو يحكي مذهبهم . وتارة يقول الذى لم يزل عليه اهل العلم ببلدنا يصير الى الاجماع القديم وتارة لا يذكر ولو كان مالكا يعتقد ان العمل المتأخر حجة يجب على جميع الامة اتباعها وان خالفت النصوص لوجب عليه ان يلزم الناس بذلك حد الامكان . كما يجب عليه ان يلزمهم

اتباع الحديث والسنة الثابتة التي لا معارض لها . وبالاجماع *

﴿ وقد عرض ﴾ عليه الرشيد او غيره ان يحمل الناس على موطئه فامتنع من ذلك . وقال ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا في الامصار وانما جمعت علم اهل بلدي . او كما قال

﴿ واذا تبين ﴾ ان اجماع اهل المدينة تفاوت فيه مذاهب جمهور الائمة علم بذلك ان قولهم اصح اقوال اهل الامصار رواية ورأيا . وانه تارة يكون حجة قاطعة . وتارة حجة قوية . وتارة مرجحا للدليل . اذ ليست هذه الخاصية لشيء من امصار المسلمين . ومعلوم ان من كان بالمدينة من الصحابة هم خيار الصحابة اذ لم يخرج منها احد قبل الفتنة الا واقام بها من هو افضل منه فانه لما فتح الشام والعراق وغيرهما ارسل عمر ابن الخطاب الى الامصار من يعلمهم الكتاب والسنة فذهب الى العراق عبد الله بن مسعود وحذيفة ابن اليمان وعمار ابن ياسر . وعمران ابن حصين وسلمان الفارسي وغيرهم *

وذهب الى الشام معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت . وابو الدرداء . وبلال بن رباح وامثالهم . وبقي عنده مثل عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف ومثل ابي بن كعب ومحمد بن مسلمة وزيد ابن ثابت وغيرهم وكان ابن مسعود وهو اعلى من كان بالعراق من الصحابة يفتي بالفتيا . ثم يأتي المدينة فيسأل علماء اهل المدينة فيردونه عن قوله فيرجع كما جرى في مسألة امهات النساء لما ظن ابن مسعود ان الشرط فيها وفي الربيبة وانه اذا طلق امرأته قبل الدخول حلت أمها كما تحل ابنتها . فلما جاء الى المدينة وسأل عن ذلك اخبره علماء الصحابة ان الشرط في الربيبة دون الامهات فرجع الى قولهم وأمر الرجل بفراق امرأته بعد ما حلت * وكان اهل المدينة فيما يعملون . اما سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم * واما ان يرجعوا الى قضايا عمر بن الخطاب ويقال ان مالكا أخذ جل الموطا عن ربيعة وربيعة عن سعيد بن المسيب . وسعيد ابن المسيب عن عمر . وعمر محدث . وفي الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم ابعث فيكم لبعث فيكم عمر . وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي أحد فعمر . وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر . وكان عمر يشاور أكابر الصحابة كعلي وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن وهم أهل الشورى . ولهذا قال الشعبي انظروا ما قضى

بعمر فانه كان يشاوره ، ومعلوم ان ما كان يقضي أو يفتي به عمر يشاور هؤلاء ارجح مما يقضي او يفتي به ابن مسعود ونحوه رضي الله تعالى عنهم أجمعين . (وكان عمر) في مسائل الدين والاصول والفروع انما يتبع لما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يشاور عليا وغيره من أهل الشورى كما شاوره في المطلقة المعتدة الرجعية في المرض اذا مات زوجها هل ترث وأمثال ذلك . فلما قتل عثمان وحصلت الفتنة والفرقة وانتقل على الى العراق هو وطلحة والزبير لم يكن بالمدينة من هو مثل هؤلاء . ولكن كان بها من الصحابة مثل سعد بن ابي وقاص وابي ايوب ومحمد بن مسلمة وامثالهم من هو أجل ممن مع على من الصحابة فاعلم من كان بالكوفة من الصحابة على وابن مسعود وعلى كان بالمدينة اذ كان بها عمر وعثمان وابن مسعود وهو نائب عمر وعثمان . ومعلوم ان عليا مع هؤلاء أعظم علما وفضلا من جميع من معه من أهل العراق ولهذا كان الشافعي يناظر بعض أهل العراق في الفقه محتجا على المناظر بقول على وابن مسعود فصنف الشافعي كتاب اختلاف على وعبد الله يبين فيه ما تركه المناظر وغيره من أهل العلم من قولهما . (وجاء) بعده محمد بن نصر المروزى صنف فى ذلك اكثر مما صنف الشافعي (الى أن قال) ومما يوضح الامر فى ذلك ان سائر أمصار المسلمين غير الكوفة كانوا منقادين لعلم أهل المدينة لا يعدون أنفسهم اكفاءهم فى العلم كاهل الشام ومصر مثل الاوزاعى ومن قبله وبعده من الشاميين . ومثل الليث بن سعد ومن قبل ومن بعد من المصريين وان تعظيمهم لعمل أهل المدينة واتباعهم لمذاهبهم القديمة ظاهر بين — وكذلك علماء أهل البصرة كايوب وحماد بن زيد وعبد الرحمن بن مهدى وأمثالهم ولهذا ظهر مذهب أهل المدينة فى هذه الامصار فان أهل مصر صاروا ناصرة لقول أهل المدينة وهم أجلاء أصحاب مالك المصريين كابن وهب وابن القاسم واشهب وعبد الله بن الحكم والشاميون مثل الوليد بن مسلم ومروان ابن محمد وأمثالهم لهم روايات معروفة عن مالك . وأما أهل العراق كعبد الرحمن بن مهدي وحماد ابن زيد . ومثل اسمعيل بن اسحق القاضي وأمثالهم كانوا على مذهب مالك وكانوا قضاة القضاة واسمعيل ونحوه كانوا من أجل علماء الاسلام *

واما الكوفية) بعد الفتنة والفرقة يدعون مكافاة أهل المدينة . واما قبل الفتنة والفرقة فقد كانوا متبعين لاهل المدينة ومنقادين لهم لا يعرف بعد مقتل عثمان ان أحدا من أهل الكوفة او

غيرها يدعي ان أهل مدينته أعلم من اهل المدينة . فلما قتل عثمان وتفرقت الامة وصاروا شيعا ظهر من اهل الكوفة من يساوى علماء اهل الكوفة علماء اهل المدينة ووجه الشبه فى ذلك انه ضعف امر المدينة لخروج خلافة النبوة منها وقوى امر اهل العراق لحصول على فيها *

(لكن) مافيه الكلام من مسائل الفروع والاصول قد استقر فى خلافة عمر . ومعلوم ان قول اهل الكوفة مع سائر الامصار قبل الفرقة اولى من قولهم وحديثهم بعد الفرقة *

* (قال عبيدة السلمانى) قاضى على كرم الله وجهه رأيك مع عمر فى الجماعة احب الينا من رأيك وحدك فى الفرقة . ومعلوم انه كان بالكوفة من الفتنة والتفرق مادل عليه النص والاجماع لقول النبي صلى الله عليه وسلم . الفتنة من ههنا . الفتنة من ههنا . الفتنة من ههنا . من حيث يطلع قرن الشيطان وهذا الحديث قد ثبت عنه فى الصحيح من غير وجه *

(ومما يوضح الامر فى ذلك) ان العلم اما رواية واما رأى وأهل المدينة أصح أهل المدن رواية ورأيا . واما حديثهم فاصح الاحاديث . وقد اتفق اهل العلم بالحديث على ان اصح الاحاديث احاديث اهل المدينة . ثم احاديث اهل البصرة . (واما احاديث اهل الشام) فهى مورد ذلك فانه لم يكن من الاسناد المتصل وضبط الالفاظ مالهؤلاء . ولم يكن منهم قوم يعنى أهل المدينة ومكة والبصرة والشام من يعرف بالكذب لكن . منهم من يضبط . ومنهم من لا يضبط .

(واما اهل الكوفة) فلم يكن الكذب فى اهل بلدا كثر منهم فيهم . ففى زمن التابعين كان بها خلق كثير منهم معروفون بالكذب لا سيما الشيعة فانهم اكثر الطوائف كذبا باتفاق اهل العلم . ولاجل هذا يذكر عن مالك وغيره من اهل المدينة انهم لم يكونوا يحتجون بعامة احاديث اهل العراق لانهم قد علموا ان فيهم كذابين ولم يكونوا يميزون بين الصادق والكاذب فاما اذا علموا صدق الحديث فانهم يحتجون به كما روي مالك عن ايوب السختيانى وهو عراقي فقيل له ذلك فقال ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه او نحو هذا . وهذا القول هو القول القديم للشافعي حتي روى انه قيل له اذا روى سفيان عن منصور عن علقمة عن عبدالله حديثا لا يحتجبه فقال ان لم يكن له اصل بالحجاز والا فلا *

(ثم ان الشافعي) رجع عن ذلك . وقال لاحمد بن حنبل أنتم اعلم بالحديث منا فاذا صح الحديث فاخبرنى به حتى اذهب اليه شاميا كان او بصريا او كوفيا ولم يقل مكيا او مدنيا لانه كان يحتج

بهذا قال. واما علماء اهل الحديث كشعبة ويحيى بن سعيد واصحاب الصحيح والسنن فكانوا يميزون بين الثقات الحفاظ وغيرهم ممن بالكوفة والبصرة من الثقات الذين لاريب فيهم وان فيهم من هو افضل من كثير من اهل الحجاز. ولا يستريب عالم في مثل اصحاب عبد الله ابن مسعود كعلقمة والاسود وعبيدة السلماني والحارث التيمي وشريح القاضي. ثم مثل ابراهيم النخعي والحكم بن عتيبة وامثالهم من اوثق الناس واحفظهم. فلهذا صار علماء الاسلام متفقين على الاحتجاج بما صححه اهل العلم بالحديث من اي مصر كان (وصنف ابو داود) السجستاني مفاريد اهل الامصار يذكر فيه ما انفرد اهل كل مصر من المسلمين من اهل العلم بالسنة *

﴿ وأما الفقه والرأى ﴾ فقد علم ان أهل المدينة لم يكن فيهم من ابتدع بدعة في أصول الدين ولما حدث الكلام في الرأى في أوائل الدولة العباسية وفرع لهم ربيعة بن هرمز فروعا كما فرع عثمان الليثي وأمثاله بالبصرة. وأبو حنيفة وأمثاله بالكوفة.. وصار في الناس من يقبل ذلك وفيهم من يرد. وصار الرادون لذلك مثل هشام ابن عروة وأبي الزناد والزهري وابن عيينة وأمثالهم فان ردوا مارد وا من الرأى المحدث بالمدينة فهم للرأى المحدث بالعراق أشد رأيا فلم يكن اهل المدينة اكثر من اهل العراق فيما لا يحمد. وهم فوقهم فيما يحمدونه. وبهذا يظهر الرجحان — واما ماقال هشام بن عروة لم يزل امر بني اسرائيل معتدلا حتى نشأ فيهم المولدون ابناء سبايا الامم — فقالوا فيهم بالرأى فضلوا واضلوا. قال ابن عيينة فنظرنا في ذلك فوجدنا ما حدث من الرأى انما هو من المولدين ابناء سبايا الامم *

وذكر بعض من كان بالمدينة وبالبصرة وبالكوفة والذين بالمدينة احمد عند هذا ممن بالعراق من اهل المدينة. ولما قال مالك رضى الله تعالى عنه عن احدى الدولتين انهم كانوا اتبع للسنن من الدولة الاخرى. قال ذلك لاجل ما ظهر بمقارنيها من الحدثان لان اولئك اولى بالخلافة نسبا وقرنا *

وقد كان المنصور والمهدي والرشيد وهم سادات خلفاء بنى العباس يرجحون علماء الحجاز وقولهم على علماء اهل العراق كما كان خلفاء بنى امية يرجحون اهل الحجاز على علماء الشام ولما كان فيهم من لم يسلك هذا السبيل بل عدل الى الاراء المشرقية كثر الاحداث فيهم وضعفت الخلافة *

ثم ان بغداد انما صار فيها من العلم والايمان ورجحت على غيرها بعد موت مالك وامثاله من علماء اهل الحجاز وسكنها من احيى السنة واظهر حقائق الاسلام مثل احمد بن حنبل وابي عبيدة وامثالهما من فقهاء اهل الحديث . ومن ذلك الزمان ظهرت بها السنة من الاصول والفروع وكثر ذلك فيها وانتشر منها الى الامصار . وانتشر ايضا من ذلك الوقت من المشرق والمغرب فصار في المشرق مثل اسحق بن ابراهيم بن راهويه واصحابه واصحاب عبد الله بن المبارك . وصار الى المغرب من علم اهل المدينة ما نقل اليهم من علماء الحديث . فصار في بغداد وخراسان والمغرب من العلم ما يكون مثله اذ ذاك بالحجاز والبصرة ولم يكن بعد عصر مالك واصحابه من علماء الحجاز من يفضل على علماء العراق والمشرق والمغرب وهذا باب يطول تتبعه ولو استقصينا فضل علماء أهل المدينة وصحة أصولهم لطال الكلام *

« اذا تبين ذلك » فلا ريب عند احد ان مالكا رضي الله عنه اقوم الناس بمذهب اهل المدينة رواية ورايا فانه لم يكن في عصره ولا بعده اقوم بذلك منه كان له من المكانة عند اهل الاسلام الخاص منهم والعام مالا يخفى على من له بالعلم ادنى المام . وقد جمع الحافظ ابو بكر الخطيب اخبار الرواة عن مالك فبلغوا الفا وسبعمائة او نحوها * وهؤلاء الذين اتصل الى الخطيب حديثهم بعد قريب من ثلاثمائة سنة فكيف بمن انقطعت اخبارهم ولم يتصل الينا خبرهم فان الخطيب توفى سنة اثنين وسبعين واربعمائة وعصره وعصر ابن عبد البر والبيهقى والقاضى ابى يعلى وامثال هؤلاء واحد . ومالك توفى سنة تسع وسبعين ومائه . وتوفى أبو حنيفة سنة خمسين ومائة . وتوفى الشافعى سنة أربع ومائتين . وتوفى احمد بن حنبل سنة احدى وأربعين ومائتين . ولهذا قال الشافعى ما تحت اديم السماء كتاب اكثر صوابا بعد كتاب الله من موطأ مالك . وهو كما قال الشافعى رضي الله عنه *

(وهذا) لايعارض ماعليه ائمة الاسلام من انه ليس بعد القرآن كتاب اصح من صحيح البخاري ومسلم مع ان الائمة على ان البخارى اصح من مسلم . ومن رجح مسلما فانه رجحه بجمعه الفاظ الحديث فى مكان واحد فان ذلك ايسر على من يريد جمع الفاظ الحديث *

(واما من زعم) ان الاحاديث التى انفرد بها مسلم او الرجال الذين انفرد بهم اصح من الاحاديث التى انفرد بها البخارى ومن الرجال الذين انفرد بهم . فهذا غلط لايشك فيه عالم كما لايشك احد

ان البخارى اعلم من مسلم بالحديث والعلل والتاريخ وانه أفقه منه اذ البخارى وأبو داود افقه أهل الصحيح والسنن المشهورة . وان كان قد يتفق لبعض ما انفرد به مسلم ان يرجح على بعض ما انفرد به البخارى فهذا قليل والغالب بخلاف ذلك . فان الذي اتفق عليه أهل العلم أنه ليس بعد القرآن كتاب أصح من كتاب البخارى ومسلم . وانما كانا كذلك لانه جرد فيهما الحديث الصحيح المسند . ولم يكن القصد بتصنيفهما ذكر آثار الصحابة والتابعين ولا سائر الحديث من الحسن والمرسل وشبه ذلك . ولا ريب ان ما جرد فيه الحديث الصحيح المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أصح الكتب لانه أصح منقولا عن المعصوم من الكتب المصنفة . وأما الموطأ ونحوه فانه صنف على طريقة العلماء المصنفين اذ ذاك . فان الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يكتبون القرآن . وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد نهاهم ان يكتبوا عنه غير القرآن وقال من كتب عنى شيئا غير القرآن فليمحه . ثم نسخ ذلك عن جمهور العلماء حيث اذن فى الكتابة لعبد الله بن عمر . وقال اكتبوا لابي شاه . وكتب لعمرو بن حزم كتابا . قالوا وكان النهى أولا خوفا من اشتباه القرآن بغيره . ثم اذن لما امن ذلك . فكان الناس يكتبون من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مايكتبون . وكتبوا أيضا غيره ولم يكونوا يصنفون ذلك فى كتب مصنفة الى زمن تابعى التابعين . فصنف العلم . صنف ابن جريج شيئا في التفسير وشيئا في الاموات وصنف سعيد ابن أبي عروبة وحماد بن سلمة ومعمر وأمثاله هؤلاء يصنفون ما في الباب عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين . وهذه هى كانت كتب الفقه والعلم والاصول والفروع بعد القرآن . فصنف مالك الموطأ على هذه الطريقة . وصنف بعد عبد الله ابن المبارك وعبد الله بن وهب ووكيع بن الجراح وعبد الرحمن بن مهدى . وعبد الرزاق . وسعيد بن منصور . وغير هؤلاء فهذه الكتب التى كانوا يعدونها فى ذلك الزمان هى التي أشار اليها الشافعي رحمه الله تعالى . فقال ليس بعد القرآن كتابا كثر صوابا من موطأ مالك . فان حديثه أصح من حديث نظرائه . وكذلك الامام أحمد لما سئل عن حديث مالك ورأيه . وحديث غيره ورأيهم . رجح حديث مالك ورأيه على حديث أولئك ورأيهم . وهذا يصدق الحديث الذى رواه الترمذى وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يوشك ان يضرب الناس اكباد الابل فى طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة فقد روى عن غير واحد

كابن جريج وابن عيينة وغيرهما انهم قالوا هو مالك والذين نازعوا فى هذا لهم مأخذان (أحدهما) الطعن فى الحديث فزعم بعضهم ان فيه انقطاعا والثانى انه أراد غير مالك كالعمرى الزاهد ونحوه فيقال مادل عليه الحديث وانه مالك أمر متقرر لمن كان موجودا وبالتواتر لمن كان غائبا فانه لاريب انه لم يكن فى عصر مالك أحد ضرب اليه الناس اكباد الابل أكثر من مالك . وهذا يقرر بوجهين (أحدهما) بطلب تقديمه على مثل الثورى والاوزاعى والليث وأبى حنيفة . وهذا فيه نزاع ولا حاجة اليه فى هذا المقام (والثانى) ان يقال ان مالكا تأخر موته عن هؤلاء كلهم فانه توفى سنة تسع وسبعين ومائة وهؤلاء كلهم ماتوا قبل ذلك . فمعلوم انه بعد موت هؤلاء لم يكن في الامة أعلم من مالك فى ذلك العصر . وهذا لا ينازع فيه أحد من المسلمين . ولا رحل الى أحد من علماء المدينة ما رحل الى مالك لا قبله ولا بعده . رحل اليه من المشرق والمغرب . ورحل اليه الناس على اختلاف طبقاتهم من العلماء والزهاد والملوك والعامة وانتشر موطاه في الارض حتى لا يعرف فى ذلك العصر كتاب بعد القرآن كان أكثر انتشارا من الموطأ . وأخذ الموطأ عنه أهل الحجاز والشام والعراق . ومن أصغر من أخذ عنه الشافعى ومحمد بن الحسن وأمثالهما وكان محمد بن الحسن اذا حدث بالعراق عن مالك والحجازيين يمتلئ داره . واذا حدث عن أهل العراق يقل الناس لعلمهم بان علم مالك وأهل المدينة أصح وأثبت . وأجل من أخذ عنه الشافعى العلم اثنان مالك وابن عيينة * ومعلوم عند كل أحد ان مالكا أجل من ابن عيينة حتى انه كان يقول انى ومالك كما قال القائل *

*(وابن اللبون اذا مالز فى قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس)*

ومن زعم ان الذى ضربت اليه اكباد الابل فى طلب العلم هو العمرى الزاهد مع كونه كان رجلا صالحا زاهدا آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر لم يعرف ان الناس احتاجوا الى شئ من علمه ولا رحلوا اليه فيه وكان اذا أراد أمراً يستشير مالكا ويستفتيه كما نقل انه استشاره لما كتب اليه من العراق ان يتولى الخلافة فقال حتى أشاور مالكا فلما استشاره أشار عليه ان لايدخل فى ذلك . وأخبره ان هذا لا يتركه ولد العباس حتى تراق فيه دماء كثيرة . وذكر له ما ذكره عمر بن عبد العزيز لما قيل له ولى القاسم بن محمد ان بنى أمية لا يدعون هذا الامر حتى تراق فيه دماء كثيرة وهذه علوم التفسير والحديث والفتيا وغيرها من العلوم لم يعلم الناس

يجدوا عن العمري الزاهد منها ما يذكر فكيف يقرن هذا بمالك في العلم ورحلة الناس اليه ثم هذه كتب الصحيح التي أجل ما فيها كتاب البخاري أول ما يستفتح الباب بحديث مالك وان كان في الباب شيء من حديث مالك لا يقدم على حديثه غيره . ونحن نعلم ان الناس ضربوا أكباد الابل في طلب العلم فلم يجدوا عالما أعلم من مالك في وقته . والناس كلهم مع مالك (وأهل المدينة) اما موافق . واما منازع . فالموافق لهم عضد ونصير . والمنازع لهم معظم لهم مبجل لهم عارف بمقدارهم وما تجد من يستخف باقوالهم ومذاهبهم الا من ليس معدودا من أئمة العلم وذلك لعلمهم ان مالكا هو القائم بمذهب أهل المدينة وهو أظهر عند الخاصة والعامة من رجحان مذهب أهل المدينة على سائر الامصار فان موطأه مشحون . اما بحديث أهل المدينة واما بما اجتمع عليه أهل المدينة * اما قديما * واما حديثا * واما مسألة تنازع فيها أهل المدينة وغيرهم فيختار فيها قولا ويقول هذا أحسن ما سمعت . فاما بآثار معروفة عند علماء المدينة ولو قدر انه كان في الازمان المتقدمة من هو أتبع لمذهب أهل المدينة من مالك فقد انقطع ذلك * ولسنا ننكر ان من الناس من أنكر على مالك مخالفته أولا لاحاديثهم في بعض المسائل كما يذكر عن عبد العزيز الدراوردي انه قال له في مسألة تقدير المهر بنصاب السرقة تعرقت يا أباعبد الله أي صرت فيها الى قول أهل العراق الذين يقدرون أقل المهر بنصاب السرقة . لكن النصاب عند أبي حنيفة وأصحابه عشرة دراهم * واما مالك والشافعي وأحمد فالنصاب عندهم ثلاثة دراهم أو أربع دينار كما جاءت بذلك الاحاديث الصحيحة . فقال أولا ان مثل هذه الحكاية يدل على ضعف أقاويل أهل العراق عند أهل المدينة . وانهم كانوا يكرهون للرجل ان يوافقهم . وهذا مشهور عندهم يعيبون الرجل بذلك كما قال ابن عمر لما استفتاه عن دم البعوض . وكما قال ابن المسيب لربيعة لما سأله عن عقل أصابع المرأة . وأما ثانيا فمثل هذا في قول مالك قليل جدا وما من عالم الا وله ما يرد عليه وما أحسن ماقال ابن حويز منداد في مسألة بيع كتب الرأي والاجارة عليها لا فرق عندنا بين رأي صاحبنا مالك وغيره في هذا الحكم لكنه أقل خطأ من غيره *

﴿ وأما الحديث ﴾ فأكثره تجد مالكا قد قال به في احدى الروايتين . وانما ترك طائفة من أصحابه كمسألة رفع اليدين عند الركوع والرفع منه * وأهل المدينة رووا عن مالك الرفع . وافقوا

الحديث الذي رواه لكن ابن القاسم ونحوه من المصريين هم الذين قالوا بالرواية الاولى ومعلوم ان رواية ابن قاسم أصلها مسائل أسد بن فرات التي فرعها أهل العراق ثم سأل عنها أسد ابن القاسم فأجابه بالنقل عن مالك وتارة بالقياس على قوله ثم أصلحها في رواية سحنون فلهذا يقع في كلام ابن القاسم طائفة من الميل الى قول أهل العراق وان لم يكن ذلك من أصول أهل المدينة ثم اتفق انه لما انتشر مذهب مالك بالاندلس وكان يحيى من عامل الاندلس والولاة يستشيرونه فكانوا يأمرون القضاة ان لا يقضوا الا برواية عن مالك ثم رواية غيره ثم انتشرت رواية ابن القاسم عن مالك لاجل من عمل بها وقد تكون مرجوحة في المذهب وعمل أهل المدينة والسنة حتى صاروا يتركون رواية الموطأ الذي هو متواتر عن مالك ومازال يحدث به حتى مات لرواية ابن القاسم وان كان طائفة من أئمة المالكية أنكروا ذلك فمثل هذا ان كان فيه عيب فانما هو على من نقل ذلك لا على مالك ويمكن المتبع لمذهبه ان يتبع السنة في عامة الامور اذ قل من سنة الا وله قول يوافقها بخلاف كثير من مذهب أهل الكوفة فانهم كثيرا ما يخالفون السنة وان لم يتعمدوا ذلك ثم من تدبر أصول الاسلام وقواعد الشريعة وجد أصول مالك وأهل المدينة أصح الاصول والقواعد وقد ذكر ذلك الشافعي وأحمد وغيرهما حتى ان الشافعي لما ناظر محمد بن الحسن حين رجح محمد بصاحبه على صاحب الشافعي فقال له الشافعي بالانصاف أو بالمكابرة قال له بالانصاف فقال ناشدتك الله صاحبنا اعلم بكتاب الله أم صاحبكم فقال بل صاحبكم فقال صاحبنا أعلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أم صاحبكم فقال بل صاحبكم فقال صاحبنا اعلم باقوال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أم صاحبكم فقال صاحبكم فقال مابقي بيننا وبينكم الا القياس ونحن نقول بالقياس ولكن من كان بالاصول اعلم كان قياسه أصح وقالوا للامام أحمد من أعلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك أم سفيان فقال بل مالك فقيل له أيما أعلم بآثار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك ام سفيان فقال بل مالك فقيل له ايما أزهد مالك ام سفيان فقال هذه لكم ومعلوم ان سفيان الثورى اعلم اهل العراق ذلك الوقت بالفقه والحديث فان ابا حنيفة والثورى ومحمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى والحسن بن صالح بن جنى وشريك ابن عبد الله النخعى القاضي كانوا متقاربين في العصر وهم أئمة فقهاء الكوفة في ذلك العصر

وكان أبو يوسف يتفقه اولا على محمد بن عبد الرحمن ابن ابي ليلى القاضي ثم انه اجتمع بابي حنيفة فراى انه افقه منه فلزمه وصنف كتاب اختلاف أبي حنيفة وأبي ليلى واخذه عنه محمد بن الحسن ونقله الشافعي عن محمد بن الحسن وذكر فيه اختياره وهو المسمى بكتاب اختلاف العراقيين ومعلوم ان سفيان الثوري اعلم هذه الطبقة في الحديث مع تقدمه في الفقه والزهد والذين انكروا من اهل العراق وغيرهم ما انكروا من الراى المحدث بالكوفة لم ينكروا ذلك على سفيان الثوري بل سفيان عندهم امام العراق فتفضيل احمد لمذهب مالك على مذهب سفيان تفضيل له على مذهب اهل العراق وقد قال الامام احمد في علمه وعلم مالك بالكتاب والسنة والآثار ما تقدم مع ان احمد يقدم سفيان الثوري على هذه الطبقة كلها وهو يعظم سفيان غاية التعظيم ولكنه كان يعلم ان مذهب اهل المدينة وعلمائها أقرب الى الكتاب والسنة من مذهب أهل الكوفة وعلمائها وأحمد كان معتدلا عالما بالامور يعطي كل ذي حق حقه • ولهذا كان يحب الشافعي ويثني عليه ويدعو له ويذب عنه عند من يطعن في الشافعي أو من ينسبه الى بدعة ويذكر تعظيمه للسنة واتباعه لها ومعرفته باصول الفقه كالناسخ والمنسوخ والمجمل والمفسر ويتبت خبر الواحد ومناظرته عن مذهب أهل الحديث من خالفه بالرأي وغيره *

وكان الشافعي يقول سموني ببغداد ناصر الحديث • ومناقب الشافعي واجتهاده في اتباع الكتاب والسنة واجتهاده في الرد على من يخالف ذلك كثير جدا • وهو كان على مذهب أهل الحجاز وكان تفقه على طريقة المكيين أصحاب ابن جريج كمسلم بن خالد والزنجي • وسعيد بن سالم القداح • ثم رحل الى مالك وأخذ عنه الموطأ وكمل أصول أهل المدينة وكان اجل علما وفقها وقدرا من أهل مكة من عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى عهد مالك . ثم اتفقت له محنة ذهب فيها الى العراق فاجتمع بمحمد بن الحسن وكتب كتبه وناظره وعرف أصول أبي حنيفة وأصحابه وأخذ من الحديث ما اخذه على أهل العراق * ثم ذهب الى الحجاز . ثم قدم الى العراق مرة ثانية • وفيها صنف كتابه القديم المعروف بالحجة واجتمع به احمد بن حنبل في هذه القدمة بالعراق واجتمع به بمكة وجمع بينه وبين اسحق بن راهويه وتناظرا بحضور احمد رضى الله تعالى عنهم اجمعين • ولم يجتمع بابي يوسف ولا بالاوزاعي وغيرهما ومن ذكر ذلك في الرحلة المضافة اليه فو كاذب فان تلك الرحلة فيها من الاكاذيب عليه وعلى مالك وأبي يوسف ومحمد وغيرهم من

أهل العلم مالا يخفى على عالم وهي من جنس كذب القصاص . ولم يكن ابو يوسف ومحمد سميا في اذى الشافعي قط ولا كان حال مالك معه ماذكر في تلك الرحلة الكاذبة *

ثم رجع الشافعي الى مصر وصنف كتابه الجديد وهو فى خطابه وكتابه ينسب الى مذهب أهل الحجاز . فيقول قال بعض اصحابنا وهو يعنى اهل المدينة او بعض علماء أهل المدينة كمالك ويقول فى اثناء كلامه وخالفنا بعض المشرقيين . وكان الشافعي عند اصحاب مالك واحدا منهم ينسب الى اصحابهم . واختار سكنى مصر اذ ذاك لانهم كانوا على مذهب اهل المدينة ومن يشبههم من اهل مصر كالليث بن سعد وأمثاله *

وكان اهل الغرب . بعضهم على مذهب هؤلاء . وبعضهم على مذهب الاوزاعى وأهل الشام ومذهب أهل الشام ومصر والمدينة متقارب لكن اهل المدينة اجل عند الجميع *

﴿ ثم ان الشافعى رضى الله عنه ﴾ لما كان مجتهدا فى العلم ورأى من الاحاديث الصحيحة وغيرها من الادله مايجب عليه اتباعه وان خالف قول اصحاب المدنيين قام بما رآه واجبا عليه وصنف الاملاء على مسائل ابن القاسم واظهر خلاف مالك فيما خالفه فيه *

وقد احسن الشافعى فيما فعل وقام بما يجب عليه وان كان قد كره ذلك من كرهه وآذوه وجرت محنة مصريه معروفة والله يغفر لجميع المؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات

﴿ وابو يوسف ومحمد ﴾ هما اصحاب ابي حنيفة وهما مختصان به كاختصاص الشافعي بمالك ولعل خلافهما له يقارب خلاف الشافعي لمالك وكل ذلك اتباعا للدليل وقياما بالواجب والشافعي قرر سؤال اصحابه والكتاب والسنة وكان كثير الاتباع لما صح عنده من الحديث ولهذا كان عبد الله بن الحكم يقول لابنه يابنى الزم هذا الرجل فانه صاحب حجج فما بينك وبين ان يقول قال ابن القاسم . صحكت منك الا ان تخرج من مصر .

﴿ ان محمد ﴾ ولما ضرب الى العراق [illegible] ابن ابى داود . فقال قال ابن القاسم فقال [illegible] ابن القاسم فقلت رجل [illegible] يقول من مصر الى اقصى المغرب واظنه قال [illegible] قلت [illegible] رحم الله [illegible] وكان [illegible] طالب الحجة لقول اصحابك ولا تتبع فالتقليد انما [illegible] حيث [illegible] يتمل في كل مكان [illegible] ارحب على كل مجتهد [illegible] والله يخص هذا من العلم والفهم مالا يختص به هذا . وقد

يكون هذا هو المخصوص بمزيد العلم والتبرز في نوع من العلم او باب منه او مسألة . وهذا هو مخصوص بمثله في نوع آخر . لكن جملة مذاهب اهل المدينة النبوية راجحة في الجملة على مذاهب اهل المغرب والمشرق . وذلك يظهر بقواعد جامعة *

﴿ هذا آخر ما نقلناه من كلام شيخ الاسلام في ترجيح مذهب أهل المدينة ﴾

وبه يعلم ما كان عليه من الاعتقاد الصحيح والفطنة الزائدة والفهم الكثير فان كل من تكلم في فضل المدينة تكلم اجمالا ولم يبين الفضل بالدليل والسبب . وكتابه هذا كتاب جليل . وقد نقلنا منه ما نقلنا حرصا على حفظ فوائده . وقد بقي منه كلام طويل تكلم فيه على قواعد جامعة تفيد رجحان مذهب المدنيين فعليك به ان اردته . مقصودنا مما ذكرنا بيان افلاس النبهاني الجاهل من كل فضيلة وانه ينقل في كتابه ما يقصد به تعظيم حجم الكتاب من غير فهم لما ينقله ولا محاكمة بل انه يقلد غلاة شيوخه تقليد اعمى ومع ذلك يجعل نفسه من المتبعين . ويرمي شيخ الاسلام ومن هو على مسلكه بانهم من المبتدعين ولا بدع منه فانه ممن قال الله فيه ﴿وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في أصحاب السعير *

﴿ ثم ان النبهاني عقد فصلا في ذكر شيء مما لا ينبغي فعله للزائر ونقل أقوالا عن ابن حجر واضرابه ينقض بعضها بعضا وساق منها جملة من العبارات ﴾

انظر الى ما قاله ابن حجر في التحفة والزواجر مع ما ذكره في الجوهر المنظم تجد المناقضة ظاهرة قال في التحفة . وقد افتى جمع بهدم كل ما في قرافة مصر من الابنية حتى قبة امامنا الشافعي التي بناها بعض الملوك وينبغي لكل أحد هدم ذلك ما لم يخش منه مفسدة فيتعين الرفع للامام أخذا من كلام ابن الرفعة انتهى *

وقال في الزواجر ومن أعظم أسباب الشرك الصلاة عند القبور واتخاذها مسجدا . ويجب ازالة كل منكر عليها . ويجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور اذ هي أضر من مسجد الضرار لانها أسست على معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه نهى عن ذلك وأمر بهدم القبور ويجب ازالة كل قنديل او سراج على قبر ولا يصح وقفه او نذره . (وقال أيضا في الزواجر) ومن الكبائر اتخاذ القبور مساجد وايقاد السراج عليها واتخاذها أوثانا والطواف بها والصلاة اليها انتهى *

وقد نقض ذلك كله في كتابه الجوهر المنظم . وفاح كل ما منه في ذينك الكتابين . حتى قال بجواز السجود للقبور اذا غلب الحال على أهل الأحوال . وذكر فيه من الغلو ما فيه قرة لعيون الغلاة . ولولا خوف التطويل لنقلنا كلامه كله والكتاب متداول بين الناس ثم ان النبهاني عقد باباً آخر في مشروعية الاستغاثة به صلى الله تعالى عليه وسلم وضمنه أربعة فصول (أولها) ذكر فيه أحاديث وردت في استغاثة الناس به صلى الله عليه وسلم في حياته (وثانيها) في أحاديث الشفاعة يوم القيامة (وثالثها) في بعض ما قاله العلماء وأثبتوا به مشروعية الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم (ورابعها) في توضيح هذه المسألة من قبل مؤلف الكتاب *

أقول ومن الله المعونة وبيده أزمة التوفيق * ان الكلام على ما حواه كلامه من الكذب والزور والبطلان يطول جدا فضلا عما اشتملت عليه عبارته من الغلط وفساد التركيب وسوء التعبير فكتابه كله ظلمات بعضها فوق بعض فلو تكلمنا على ذلك كله لطال الكلام . وكلت عن رقمه الاقلام . فان النبهاني هذا هو من أعظم الغلاة المحادين لله ورسوله وكلامه كله باطل وجهل مركب وبهت لاهل الحق . وليس فيه جملة واحدة توافق الحق أصلا * فالحمد لله الذي خذل أعداء دينه وجعلهم عبرة لاوليائه وعباده المؤمنين . اما مشروعية الاستغاثة ففيها تفصيل اذ الاستغاثة بالشيء على ما ذكره بعض المحققين طلب الاغاثة والغوث منه كما ان الاستعانة طلب الاعانة منه فاذا كانت بنداء من المستغيث للمستغاث كان ذلك سؤالا منه وظاهر ان ذلك ليس توسلا به الى غيره اذ قد جرت العادة أن من توسل باحد عند غيره أن يقول لمستغاثه استغيثك على هذا الامر بفلان فيوجه السؤال اليه ويقصر أمر شكواه عليه . ولا يخاطب المستغاث به ويقول له ارجو منك او أريد منك واستغيث بك . ويقول أنه وسيلتي الى ربي وان كان كما يقول فما قدر المتوسل اليه حق قدره وقد رجا وتوكل والتجا الى غيره كيف واستعمال العرب يأبى عنه فان من يقول صار لي ضيق فاستغثت بصاحب القبر . فحصل الفرج يدل دلالة جلية على انه قد طلب الغوث منه ولم يفد كلامه أنه توسل به بل انما يراد هذا المعنى اذا قال توسلت او استغثت عند الله بفلان او يقول لمستغاثه استغثت اليك بفلان فيكون حينئذ مدخول الباء متوسلا به ولا يصح ارادة هذا المعنى اذا قلت استغثت بفلان وتريد التوسل به سيما اذا كنت داعيه وسائله بل قولك هذا . نص على ان مدخول الباء مستغاث وليس مستغاثا به والقرائن التي

يكفيه من الدعاء وقصد الرشاد والالتجاء شرود عدول ولا تعبد بما شرعت به ولا عدول لمثله لاستغاثة وتوجه القلب الى المسؤول بالسؤال والانابة محظورة على المسلمين لم يشرعها لاحد من أمته رسول رب العالمين ٭ وهل سمعتم ان أحداً في زمانه صلى الله عليه وسلم او ممن بعده في القرون المشهود لاهلها بالنجاة والصدق وهم أعلم منا بهذه المطالب وأحرص على نيل مثل تلك الرغائب استغاث بمن يزيل كربته التي لا يقدر على ازالتها الا الله ام كانوا يقصرون الاستغاثة على مالك الامور ولم يعبدوا الا اياه (ولقد) جرت عليهم أمور مهمة وشدائد مدلهمة في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته فهل سمعت عن أحد منهم أنه استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم او قالوا انا مستغيثون بك يارسول الله أم بلغك انهم لاذوا بقبره الشريف وهو سيد القبور حين ضاقت منهم الصدور (كلا) لا يمكن لهم ذلك وان الذى كان بعكس ما هنالك فلقد أثنى الله عليهم ورضى عنهم فقال عز من قائل اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم مبينا لنا ان هذه الاستغاثة أخص الدعاء وأجلى أحوال الالتجاء ٭ وهى من لوازم السائل المضطر الذى يضطر الى طلب الغوث من غيره فيخص نداءه لدى استغاثته بمزيد الاحسان فى سره وجهره ففى استغاثته بغيره تعالى عند كربته تعطيل لتوحيد معاملته ٭

٭﴿ فان قلت ﴾ ان للمستغاث بهم قدرة كسبية وتسببية فتنسب الاغاثة اليهم بهذا المعنى ٭

٭﴿ قلنا له ﴾ ان كلامنا فيمن يستغاث به عند الملم مالا يقدر عليه الا الله أو لسؤال مالا يعطيه ويمنعه الا الله . وأما فيما عدى ذلك مما يجرى فيه التعاون والتعاضد بين الناس واستغاثة بعضهم ببعض فهذا شيء لانقول به ونعد منعه جنونا كما نعد اباحة ماقبله شركا وضلالا ٭ وكون العبد له قدرة كسبية . لايخرج بها عن مشيئة رب البرية لايستغاث به فيما لا يقدر عليه الا الله ولا يستعان به ولا يتوكل عليه ولا يلتجأ فى ذلك اليه ٭ فلا يقال لاحد حى أو ميت ٭ قريب أو بعيد ٭ ارزقني أو أمتنى . أو أحى ميتى ٭ أو اشف مريضى الى غير ذلك مما هو من الافعال الخاصة بالواحد الاحد الفرد الصمد بل يقال لمن له قدرة كسبية قد جرت العادة بحصولها ممن أهله الله لها . اعني فى حمل متاعي أو غير ذلك . والقرآن ناطق بحظر الدعاء عن كل أحد لا من الاحياء ولا من الاموات سواء كانوا أنبياء أو صالحين أو غيرهم ٭ وسواء كان الدعاء بلفظ الاستغاثة أو بغيرها فان الامور الغير المقدرة للعباد لاتطلب الا من خالق القدر

ومبنى الشرع كيف والدعاء عبادة وهي مختصة به سبحانه كما أوجب الله علينا امتثال أوامره وزواجره فالقصر على ماتعبدنا فيه من محض الايمان . والعدول عنه عين المقت والخذلان *

﴿ وهذا ﴾ خلاصة ماذكروه من جعل الاستغاثة والاستشفاع بغير الله شركا ظاهرا لايغفر ومتعاطيه جاعل لله ندا فيذبح بأمر الله تعالى وشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لم يتب ويغفر *

﴿ وبالجملة ﴾ فالاستغاثة والاستعانة والتوكل أغصان دوحة التوحيد . المطلوب من العبيد *

﴿ بقي ههنا شيء ﴾ يورده المجيزون على هؤلاء المانعين . وهو انه لاشك ان من عبد غير الله شرك حلال الدم والمال وان الدعاء المختص بالله سبحانه عبادة بل هو مخ العبادة . ولكن لانسلم ان طلب الاغاثة ممن استغيث بهم شرك مطلقا . وانما يكون شركا لو كان المستغيث معتقدا انهم هم الفاعلون لذلك خلقا وايجادا فحينئذ يكون من الشرك الاعتقادي قطعا . أما من اعتقدهم الفاعلين كسبا وتسببا فليس بمسلم ولئن سلمنا فليس المقصود من طلب الاغاثة منهم وندائهم الا التوسل بهم وبجاههم وان كان اللفظ ظاهرا يدل على الطلب منهم وانهم المطلوبون بهذا النداء لكن مقصود المستغيث التشفع والتوسل بهم الى ربهم وهو صلى الله عليه وسلم من أشرف الوسائل الى الله سبحانه . وقد أمرنا سبحانه بتطلب مايتوسل به . فقال تعالى وابتغوا اليه الوسيلة فكيف تحظرونها بل تجعلونها شركا مخرجا عن الملة وليس فى قلوب المسلمين الا هذا المعنى . وان فى ذلك تكفير أكثر الناس . من غير ارتياب والتباس . وكيف تحكمون على اناس قد أظهروا شعائر الاسلام من أذان وصلاة . وصوم وحج وايتاء زكاة . يأتون بكلمة التوحيد . ويحبون الله ويحبون سيد المرسلين . ويتبلغون بالقبول التام ماجاء عنهما من أمور الدين . وغاية الامر انهم لرهبتهم من ربهم ومعرفتهم بعلو مرتبة نبيهم وما وعده الله سبحانه من ارضاءه فى أمته كما قال سبحانه ولسوف يعطيك ربك فترضى ولا يرضى صلى الله عليه وسلم الا بان يقف لامته فى مثل هذه التوسلات فينالوا الرغبات . وليس فى أقوالكم هذه الا تنقص بحق هذا النبي الذى أوجب الله علينا حبه أكثر من محبتنا لانفسنا . وفي مثل ذلك بشاعة فى القول . وشناعة بطريق الاول *

﴿ فالجواب عنه منهم ان قالوا ﴾ أما أول اعتراضكم وقولكم انه ليس مقصودهم الا التوسل

وان تكلموا بما يفيد غيره فانه يدل على ان الشرك لا يكون الا اعتقاديا وانه لا يكون كفر الا اذا طابق الاعتقاد. وهذا يقتضي سد أبواب الشرائع بأسرها ومحو الابواب التي ذكرها الفقهاء في الردة ومحقها كيف وان الله سبحانه يقول. ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم. وقال سبحانه أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم

﴿ وقد ذكر المفسرون ﴾ انهم قالوها على جهة المزح — وكذلك العلماء كفروا بالفاظ سهلة جداء وبافعال تدل على ماهو دون ذلك . ولو فتحنا هذا الباب لامكن لكل من تكلم بكلام يحكم على قائله بالردة ان يقول لم تحكمون بردتي فيذكر احتمالا ولو بعيداً يخرج به عما كفر فيه . ولما احتاج الى توبة ولا توجه عليه لوم أبداً ولساغ لكل أحد ان يتكلم بكل ما أراد فتنسد الابواب المتعلقة باحكام الالفاظ من حد قذف وكفارة يمين وظهار ولا نسدت أبواب العقود من نكاح وطلاق وغير ذلك من الفسوخ والمعاملات فلا يتعلق حكم من الاحكام باى لفظ كان الا اذا اعتقد المعنى وان أفيد بوضع الالفاظ *

﴿ وأما ماذكرتم ﴾ من انه أشرف الوسائل فهى كلمة حق أريد بها باطل كقولكم انه ذوالجاه العريض والمقام المنيع ونحن أولى بهذا المقام منكم لاتباعنا لاقواله وأفعاله *

واقتدائنا به صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله مقتفين لآثاره واقفين عند أخباره فهو صلى الله عليه وسلم نبينا وهادينا الى سبل الاسلام ومنقذنا برسالته من مهاوى أولئك الجفاة الطغام فلا نعمل الا بامره ونتلقى ذلك بالسمع والطاعة في حلوه ومرّه وقد أوجب علينا ان نتبع سبيل المؤمنين ونهانا عن الغلو في الدين فان غلونا فاننا اذا عن الصراط نا كبون ولئن عدلنا انا اذا لخاسرون *

وكيف يحسن طريق يؤدى الى الاشراك وانى يليق بالموحدين هذا الوجه المؤدي للارتباك . وهذا طريق سلفنا الصالح وهو الاعتقاد الصحيح الراجح هذا وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأرواحنا له الفداء لا يرضى بما يغضب الرب المتعال — وكيف لا وقد بعث بحماية التوحيد من هذه الاقوال والافعال * وقد قالت عائشة رضي الله تعالي عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطة فليس لنا وسيلة الى الله الا لدعاء المبني على اصول الذل والافتقار والثناء فهو الوسيلة التي أمرنا الله سبحانه بالتوسل به وجعله من

أفضل الوسائل وأحراها بالنجح عبادة مخصصة له مسدودة عن غيره أبواب الذرائع *

﴿ وقد اختلف العلماء ﴾ بعد ان اتفقوا على استحباب سؤال الله تعالى به وبأسمائه وبصفاته وأفعاله وبصالح أعمالنا التى حصلت لنا بمحض كرمه وافضاله فى جواز التوسل بالذوات المنيفة والاماكن والاوقات الشريفة * فعن العز بن عبد السلام ومن تابعه عدم الجواز الا بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث صح الحديث فيجوز ويكون ذلك خاصا به لعلو رتبته * وعن الحنابلة فى أصح القولين مكروه كراهة تحريم * ونقل الفقهاء الحنفية عن بشر بن الوليد انه قال سمعت أبا يوسف يقول قال أبو حنيفة لا ينبغى لاحد ان يدعو الله الا به * وفى جميع متونهم ان قول الداعي المتوسل بحق الانبياء والرسل وبحق البيت والمشعر الحرام مكروه كراهة تحريم * وقال القدورى المسألة بخلقه تعالى لاتجوز لانه لاحق للمخلوق على الخالق * وأما حديث أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا وبحق نبيك والانبياء من قبلى ففيها وهن وعلى تسليمها فالمراد بهذا الحق ما أوجبه الله تعالى على نفسه وذلك من أفعاله لان حق السائلين الاجابة . وحق المطيعين الاثابة . وحق الانبياء التقريب والتفضل بما يخص أولئك العصابة صلى الله تعالى عليهم وسلم وذلك كقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين . وقوله تعالى وعدا علينا حقا فى التوراة والأنجيل والقرآن . وقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة . وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا . وحق العباد على الله ان لايعذبهم *

﴿ والسؤال بالاعمال ﴾ لان المشى الى الطاعة امتثالا لامره عمل طاعة وذلك من أعظم الوسائل المأمور بها فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) ومن نظر الى الادعية الواردة فى الكتاب والسنة لم يجدها خارجة عما ذكرناه . قال الله تعالى فى دعاء المؤمنين (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا) وقوله تعالى (انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين) وقوله تعالى عن الحواريين (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) وكان ابن مسعود يقول اللهم انك أمرتنى وأطعتك ودعوتنى فاجبتك فاغفر لى ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذى جمعه العلماء لايخرج عن هذا النمط وخلاف ذلك يعد كالخروج عن جادة الصواب والشطط فاتبع أيها الناظر نبيك المصطفى تسلم من اللغط والغلط . هذا ما كان من تحرير مدعي المانعين وتقريره على وجه أبان عن لباب

لتخيصهم بتسطيره، ثم أخذ يذكر الجواب عما استدل به المجوزون فان أردت الوقوف عليه فارجع الى كتاب العقد الثمين *

﴿ فتبين مما نقلناه ﴾ ان الاستغاثة بمخلوق بما لا يقدر عليه الا الله تعالى مما لا يجوز فان الاستغاثة دعاء والدعاء عبادة بل مخ العبادة . وغير الله تعالى لا يعبد بل هو المخصوص بالعبادة فاذا أصاب الناس جدب وقحط فلا يقال يارسول الله ارفع عنا القحط والجدب . واذا نزل بالناس بلاء أو وباء فلا يقال يارسول الله أو ياجبريل أو يا ميكائيل ارفع عنا البلاء والوباء واذا مرض أحد فلا يقول يارسول الله شافني وعافني ولا غيره واذا احتاج أحد الى رزق فلا يقول يارسول الله ارزقني ولا غيره . واذا لم يكن لاحد ولد فلا يجوز له ان يقول يارسول الله اعطني ولدا واذا كان في شدة في بر أو بحر فلا يجوز ان يقول يارسول الله أدركني أو التجئ اليك أو استغيث بك او نحو ذلك بل كل ذلك شرك مخرج عن الدين لانه عبادة لغير الله . ونحن نوضح المسأله فقد زلت فيها اقدام فنبين اولا معنى العبادة . ثم نذكر ما هو من خصائص الالوهية ومن الله نستمد التوفيق *

﴿ اما العبادة ﴾ فهي في اللغة الذل والانقياد واصطلاحا اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة كالتوحيد فانه عبادة في نفسه والصلاة والزكاة والحج وصيام رمضان والوضوء وصلة الارحام وبر الوالدين والدعاء والذكر والقراءة وحب الله وخشية الله والانابة اليه واخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضاء بقضائه . والتوكل عليه والرجاء لرحمته . والخوف من عذابه . وغير ذلك مما رضيه واحبه فامر به وتعبد الناس فيه . قال العلامة عمر بن عبد الرحمن الفارسي في كشفه على الكشاف للزمخشري عند تفسير قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم وهو خطاب لمشركي اهل مكة ونقل عن علقمة ان كل خطاب بيا ايها الناس فهو مكي وبيا ايها الذين آمنوا فهو مدني فالمظنة تحرير الكلام فيه ان العبادة قد تطلق على اعمال الجوارح بشرط قصد القربة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فقيه واحد اشد على الشيطان من ألف عابد وهي على هذا غير الايمان بمعنى التصديق والنية والاخلاص بل مشروطة بها وقد تطلق على التحقق بالعبودية وتسليم ما امر السيد جل وعلا او نهى . وعلى هذا يساوق الكمال بالعبادات العلمية يصدق حينئذ على الايمان وهو عبادة في نفسه وشرط لسائر

العبادات انتهي *
وقال ابن القيم في شرح منازل السائرين مانصه . فالعبادة تجمع أصلين غاية الحب بغاية الذل والخضوع والعرب تقول طريق معبد اى مذلل والتعبد التذلل والخضوع فمن أحببته ولم تكن خاضعا له لم تكن عابدا له ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدا له حتى تكون محبا خاضعا ثم قال في مكان آخرمن شرحه هذا . مراتب العبودية واحكامها لكل واحد من القلب واللسان والجوارح فواجب القلب منه متفق على وجوبه . ومختلف فيه . فالمتفق على وجوبه كالاخلاص والتوكل والمحبة والصبر والانابة والخوف والرجاء والتصديق الحازم والنية للعبادة. وهذه قدر زائد على الاخلاص فان الاخلاص افراد المعبود عن غيره ونية العبادة لها مرتبتان (أحدهما) تمييز العبادة عن العادة (والثانية) تمييز مراتب العبادات بعضها عن بعض .والاقسام الثلاثة واجبة وكذلك الصدق والفرق بينه وبين الاخلاص ان للعبد مطلوبا وطلبا فالاخلاص توحيد مطلوبه والصدق توحيد الطلب . فالاخلاص ان لايكون المطلوب منقسما والصدق ان لايكون الطلب منقسما . فالصدق بذل الجهد . والاخلاص افراد المطلوب واتفقت الامة على وجوب هذه الاعمال على القلب من حيث الجملة . وكذلك النصح في العبودية ومدار الدين عليه وهو بذل الجهد في ايقاع العبودية على الوجه المحبوب للرب المرضى به. واصل هذا واجب وكماله مرتبة المقربين . وكذلك كل واحد من هذه الواجبات القلبية له طرفان واجب مستحق وهو مرتبة اصحاب اليمين وكمال مستحب وهو مرتبة المقربين . انتهي بعض ماقاله في بعض عبودية القلب . وعقبه بعبودية اللسان الواجب منها والمستحب . وعبودية الجوارح الواجب منها والمستحب ايضا . ومن اشتغل بالنظر الى أنواع العبادات هان عليه تمييزها والله الهادى الى سواء السبيل *
﴿ وبالجملة ﴾ فكل عبادة فهي مقصورة على الاله الواحد من اعمال القلوب والجوارح فكما لو صلى لغير الله او صام على وجه التقرب اليه كان كافرا مشركا عند جميع الناس فكذلك من تقرب اليه بالاعمال القلبية المذكورة من التوكل والانابة والخوف والرجاء وغير ذلك لكن لما كانت هذه الامور القلبية من التأله وكان الاولون يتألهون بها ويسمون من تأله بها الهاء وكان مرجع كل ذلك الى القلب [illegible] التي هي منبع التوحيد ومصدر هذا الدين والمرجع اليه في الشك واليقين [illegible] على الدوام .

والاله الباطل الذى لا يحوم أو حد حوله بهذا المقام كان ذلك هو الداعى للتخصيص والموجب للتعيين . وايضا فالكلام على من يحصل منه الشرك بما ذكر في قلبه ورسخ بسويدائه وان اتى من الاعمال الغير المختصة بالمسلمين واما هذه الاعمال الظاهرة الشرعية المختصة بهم فلا يتعاطاها احد الا من سواه ولم يرها تصلح الا لله ولم يعبدوا بها الا اياه فهذا هو الذى اوجب تخصيصهم لهذه الاعمال القلبية وبعض البدنية كالسجود وحلق الرأس عبودية . والا فجميع العبادات قلبيها وقوليها وبدنيها مختصة به سبحانه وتعالى لا تصلح الا له — قال المحقق السعد التفتازاني في شرحه للمقاصد مانصه اعلم ان حقيقة التوحيد اعتقاد عدم الشريك في الالوهية وخواصها ولا نزاع بين أهل الاسلام ان خلق الاجسام وتدبير العالم واستحقاق العبادة من الخواص . ثم قال في آخر هذا المبحث . وبالجملة فان التوحيد في الالوهية واجب شرعا وعقلا وفي استحقاق العبادة شرعا . وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا سبحانه وتعالى عما يشركون انتهى *

وقد أفرد شيخ الاسلام لتحقيق معنى العبادة رسالة مفيدة وهى رسالة العبودية فراجعها *

﴿ وأما الثانى أعنى ماهو من خصائص الالوهية ﴾ فاعلم ان توحيد الله تعالى بالتعظيم كما قاله العلامة القرافي في كتاب الفروق ثلاثة اقسام واجب اجماعا وغير واجب اجماعا ومختلف فيه هل يجب توحيد الله تعالى به ام لا *

﴿ القسم الاول ﴾ الذى يجب توحيد الله تعالى به من التعظيم بالاجماع فذلك كالصلوات على اختلاف انواعها والصوم على اختلاف رتبه في الفرض والنفل والنذر فلا يجوز ان يفعل شئ من ذلك لغير الله تعالى وكذلك الحج ونحو ذلك اى كالاستغاثة والاستعانة والالتجاء وكذلك الخلق والرزق والامانة والاحياء والبعث والنشر والسعادة والشقاء والهداية والاضلال والطاعة والمعصية والقبض والبسط فيجب على كل أحد أن يعتقد توحيد الله تعالى وتوحده بهذه الامور على سبيل الحقيقة وان أضيف شئ منها لغيره تعالى فانما ذلك على سبيل الربط العادى لا ان ذلك المشار اليه فعل شيأ حقيقة كقولنا قتله السم واحرقته النار وارواه الماء فليس شئ من ذلك يفعل شيأ مما ذكر حقيقة بل الله تعالى ربط هذه المسببات بهذه الاسباب كما شاء وأراد ولو شاء لم يربطها وهو الخالق لمسبباتها عندوجودها لا ان تلك الاسباب هى الموجدة وكذلك أخبار الله تعالى عن عيسى عليه السلام أنه كان يحيى الموتى ويبرئ الاكمه والابرص

معناه ان الله تعالى كان يحيي الموتى ويبرئ عند إرادة عيسى عليه السلام ذلك لا ان عيسى عليه السلام هو الفاعل لذلك حقيقة بل الله تعالى هو الخالق لذلك ومعجزة عيسى عليه السلام في ذلك ربط وقوع ذلك الاحياء وذلك الابراء بارادته . وان غيره يريد ذلك ولا يلزم ارادته ذلك فاللزوم بارادته هو معجزته عليه السلام — وكذلك جميع ما يظهر على أيدي الانبياء والاولياء من المعجزات والكرامات . الله تعالى هو خالقها — وكذلك يجب توحيده تعالى باستحقاق العبادة والالهية وعموم تعلق صفاته تعالى فيتعلق علمه بجميع المعلومات وارادته بجميع الكائنات . وبصره بجميع الموجودات الباقيات والفانيات وسمعه بجميع الاصوات . وخبره بجميع المخبرات فهذا ونحوه توحيد واجب بالاجماع من أهل الحق لا مشاركة لاحد فيه *

(ثم ذكر القسم الثاني) وهو المتفق على عدم التوحيد فيه والتوحد ومثل له بالوجود والعلم ونحوهما واطنب فيه . ثم ذكر القسم الثالث وهو الذي اختلف فيه هل يجب توحيد الله تعالى به ام لا . قال فهذا هو التعظيم بالقسم فهل يجوز أن يقسم بغير الله تعالى فلا يكون من التعظيم الذي وجب التوحيد فيه او لا يجوز فيكون من التعظيم الذى وجب التوحيد فيه وأطال الكلام فيه أيضا ومرادنا القسم الاول لان فيه قوله . وكذلك يجب توحيده تعالى باستحقاق العبادة . الخ وهذا هو المقصود بالنقل . ولا يخفى ما فى كلامه من المخالفة للنصوص بسبب القول باقوال الكلابية وليس هذا موضع مناقشته بما ذكر *

وحيث اتسع الكلام بحسب المقام ننقل ما قاله الفاضل ابن القيم فى كتابه الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى ما نصه *

ومن خصائص الالهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذى لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب العبادة كلها له وحده والتعظيم والاجلال والحسبة والدعاء والرجاء والامانة والتوبة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب كل ذلك يجب عقلا وشرعا وفطرة ان يكون له وحده ويمنع الغير التشبيه ممن لا شبيه له ولا مثل له ولا ند له وذلك أقبح التشبيه وابطله ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر سبحانه عباده سبحانه انه لا يغفره مع أنه كتب على نفسه الرحمة *

﴿ ومن خصائص الالهية ﴾ العبودية التى قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما وهما غاية الحب مع غاية الذل هذا تمام العبودية وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم فى هذين الاصلين

فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبهه به في خالص حقه وهذا من المحال أن تجيء به شريعة من الشرائع وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل * ولكن غيرت الشياطين فطر أكثر الخلق وعقولهم وأفسدتها عليهم واغتالتهم عنها . ومضى على الفطرة الاولى من سبقت له من الله تعالى الحسنى . فأرسل اليهم رسله صلى الله عليهم وسلم وأنزل كتبه بما يوافق فطرهم وعقولهم فازدادوا بذلك نورا على نور يهدي الله لنوره من يشاء . اذا عرفت هذا *

﴿ فمن خصائص الالوهية ﴾ السجود فمن سجد لغيره فقد شبه المخلوق به (ومنها) التوكل فمن توكل على غيره فقد شبهه به (ومنها) التوبة فمن تاب الى غيره فقد شبهه به . (ومنها) الحلف باسمه تعظيما واجلالا فمن حلف بغيره على هذا الوجه فقد شبهه به انتهى ما قاله *

﴿ والمقصود من ذلك كله ﴾ القيام بالقسط الذى هو التوحيد وهو عبادة الله وحده لا شريك له قال عز من قائل (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة تعبدون فهذا التوحيد أعظم العدل وأقومه . واصل الدين ومحكمه . وذلك بان يكون الدين كله لله قولا وعملا واعتقادا باخلاص هذه الكلمة الطيبة فى لفظها ومعناها . شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له . وأن محمدا عبده ورسوله . وروح هذه الكلمة افراد الرب جل ثناؤه وتقدست اسماؤه . ولا اله غيره . بالمحبة والاجلال والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك من التوكل والانابة والرغبة والرهبة فلا يحب سواه . وكلما يحب غيره فانما يحبه تبعا لمحبته وكونه وسيلة الى زيادة محبته ولا يخاف سواه ولا يرجو سواه . ولا يتوكل الا عليه . ولا يرغب الا اليه . ولا يرهب الا منه ولا يعمل عملا قد تعبد الناس به الا افرده به ولا يشرك غيره معه فيكون قد جمع جميع أنواع العبادات فيه قولا وعملا واعتقادا . وتحقق بما قال وهو كلمة لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون *

وبهذه الحقوق التى هي حق الله تعالى على جميع عباده وحكمه الذى اوجبه على سائر مخلوقه تميز المسلمون . واستسلم اليه المستسلمون *

﴿ ولما كان الدعاء ﴾ لا يصدر في الغالب الا ممن قام بقلبه كمال الذل والافتقار . لاسيما في حالة الانكسار والاضطرار كان كما ورد فى الحديث مخ العبادة ومن وفق له فقد اوتى الحسنى

وزيادة ، وهذا الذى ذكرته ملخص ما أشار اليه المعترض انتهى *

﴿ وبما ذكرنا من معنى الاستغاثة واختصاصها بالله تعالى ﴾ سقط ماذكره النبهانى وغيره من الغلاة الزائغين من ان الاستغاثة بالاصفياء جائزة . ولو كانت بالامور التى لايقدر عليها الا الله تعالى وهذا شرك محض وعبادة لغير الله تعالى وهو قول ليس عليه شبهة فضلا عن الدليل المقبول لدى أهل العلم ﴿ ثم انه ﴾ عقد فصلا ذكر فيه اربعين حديثا من أحاديث الشفاعة ولا كلام لنا فيها اذا طلبت منهم يوم القيامة . وأما فى الدنيا فانها تطلب من الله ان يشفع فيهم من يشفع وسيأتى بعض الكلام عليها ان شاء الله ﴿ ثم انه عقد فصلا آخر وهو الثالث ﴾ زعم انه ذكر ماقاله أئمة العلماء وأثبتوا به مشروعية الاستغاثة بغير الله تعالى . ونقل عبارة ابن حجر فى الجوهر المنظم المشتملة على الاعتراض على الشيخ ابن تيمية فى انكاره الاستغاثة بغير الله تعالى وان التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم حسن فى كل حال قبل خلقه وبعد خلقه فى الدنيا والآخرة (قال ابن حجر) فما يدل لطلب التوسل به صلى الله عليه وسلم ما أخرجه الحاكم وصححه انه صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث . وفيه استغاثة آدم به وذكر حديث الاعمى وحديث التوسل بالاعمال وحديث استسقاء الرجل بقبر النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ ثم ذكر كلام السبكي ﴾ الذى نقله ابن حجر بعينه قال وعبارة ابن حجر السابقة وان كانت كافية وافية فلا بأس بذكر بعض ماذكره السبكي وان تكرر بعضه مع ماتقدم عن ابن حجر لانه نقل كثيرا من عباراته وان لم ينسب بعضها اليه وساق كلام السبكي ونقل مثل ذلك عن أمثال هؤلاء الغلاة . (ثم قال) وقد يتوسل بذى الجاه الى من هو أعلى جاها منه والاستغاثة طلب الغوث والمستغيث يطلب من المستغاث به ان يحصل له الغوث من غيره وان كان ذلك الغير أعلى منه . فالتوجه والاستغاثه به صلى الله عليه وسلم وبغيره ليس لهما معنى فى قلوب المسلمين غير ذلك ولا يقصد بهما أحد منهم سواه فمن لم ينشرح صدره لذلك فليبك على نفسه . والمستغاث به فى الحقيقة هو الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم واسطة بينه وبين المستغيث فهو سبحانه مستغاث به والغوث منه خلقا وايجادا والنبي مستغاث والغوث منه سببا وكسبا . انتهى ماالخص من كلامه *

﴿ أقول وبالله التوفيق ﴾ أما مافى كلام هذا الجاهل الغبي من فساد التركيب وبشاعة التعبير فلسنا بصدد بيانه والكلام عليه يطول والغرض ابطال الدعوى ومعارضتها والكشف عن

حالها وحال ائمته السابقين من الامم المعارضين للرسل بارائهم واهوائهم . ثم نتكلم ان شاء الله بعد الكلام على هذه المقاله على جميع شبههم الفاسدة * قال العلامة الشيخ عبد اللطيف رحمه الله تعالى فى كتابه منهاج التأسيس فى الرد على ابن جرجيس بعد ان نقل عن العراقي مثل مانقلنا عن النبهانى ﴿ والجواب ﴾ عن هذه الشبهة من وجوه *

﴿ الاول ﴾ ان الله سبحانه انما خلق خلقه لعبادته الجامعة لمعرفته ومحبته والخضوع له وتعظيمه وخوفه ورجائه والتوكل عليه والانابة اليه والتضرع بين يديه . وهذه زبدة الرسالة الالهية . وحاصل الدعوة النبوية . وهو الحق الذى خلقت له السموات والارض وأنزل به الكتاب وهو الغاية المطلوبة والحكمة المقصودة من ايجاد المخلوقات وخلق سائر البريات . قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ودعا سبحانه عباده الى هذا المقصود . وافترض عليهم القيام به حسب ما أمر والبراءة من الشرك والتنديد المنافى لهذا الاصل الذي هو المراد من خلق سائر العبيد . قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء . وقال انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار . وقال ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق *

فالقول بجواز الاستغاثة بغير الله ودعاء الانبياء والصالحين وجعلهم وسائط بين العبد وبين الله . والتقرب اليهم بالنذور والنحر والتعظيم بالحلف وما أشبهه مناقضه ومنافاه لهذه الحكمة التى هى المقصودة بخلق السموات والارض وانزال الكتب وارسال الرسل وفتح لباب الشرك فى المحبة والخضوع والتعظيم ومشاقة ظاهرة لله ولرسله ولكل نبى كريم والنفوس مجبوله على صرف ذلك المذكور من العبادات . الى من أهله لكشف الشدائد وسد الفاقات . وقضاء الحاجات من الامور العامة التى لايقدر عليها الا فاطر الارض والسموات *

﴿ الوجه الثانى ﴾ ان هذا بعينه قول عباد الانبياء والصالحين من عهد قوم نوح الى ان بعث اليهم خاتم النبيين ولم يزيدوا على ماقال هؤلاء الغلاة فيما انتحلوه من الشرك الوخيم . والقول الذميم كما حكى الله عنهم ذلك فى كتابه الكريم . قال تعالى ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله *

وقال تعالى [illegible] الا ليقربونا الى الله زلفى *

(وقال تعالى) فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون *

(فهذه النصوص) المحكمة صريحة في ان المشركين لم يقصدوا الا الجاه والشفاعة والتوسل بمعنى جعلهم وسائط تقربهم الى الله وتقضي حوائجهم منه تعالى ، وقد أنكر القرآن هذا اشد الانكار . وأخبر ان أهله هم أصحاب النار . وان الله تعالى حرم عليهم الجنة دار أوليائه الابرار وجمهور هؤلاء المشركين لم يدعوا الاستقلال ولا الشركة في توحيد الربوبية . بل قد أقروا واعترفوا بان ذلك لله وحده كما حكى سبحانه اقرارهم واعترافهم بذلك في غير موضع من كتابه . (فحاصل) ماذكر من جواز الاستغاثة والدعاء والتعظيم بالنذر والحلف مع نفي الاستقلال وان الله يفعل لاجله هو عين دعوى المشركين . وتعليلهم وتشبههم لم يزيدوا عليه حرفاً واحداً الا انهم قالوا قربان وشفعاء ، والغلاة سموا ذلك توسلا ، فالعلة واحدة ، والحقيقة متحدة *

﴿ الوجه الثالث ﴾ ان الله سبحانه أمر عباده بدعائه ومسألته والاستغاثة به وانزال حاجتهم وفاقتهم وضرورتهم به . (قال تعالى) واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون . (وقال تعالى) وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين (وقال تعالى) أم من يجيب المضطر اذا دعاه الآية . وقال تعالى فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه . (وقال تعالى) يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن . (وقال تعالى) فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب وفي الحديث من لم يسأل الله يغضب عليه وفيه الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين . وحديث النزول كل ليلة الى السماء الدنيا يقول تعالى هل من سائل فاعطيه . هل من مستغفر فاغفر له هل من تائب فأتوب عليه . وعلى مذهب الغلاة وقولهم باستحباب الاستعانة بغير الله تعالى ، وجعل الوسائط بين العباد وبينه تعالى يهدم هذا الاصل الذي هو أصل الدين ، ويسد بابه ويشتغل بالانبياء والصالحين ويرغب اليهم في حاجات الطالبين والسائلين وضرورات المضطرين من خلق الله أجمعين *

﴿ الوجه الرابع ﴾ ان الله تعالى دعا عباده بربوبيته العامة الشاملة لكليات الممكنات وجزئياتها في الدنيا والآخرة وانفراده بالايجاد والتدبير والتأثير والتقدير والعطاء والمنع والخفض والرفع

والعز والذل والاحياء والاماتة والسعادة والشقاوة والهداية والنصرة والاعانة على اعدائه الى غير ذلك من أفعال الربوبية وآثارها المشاهدة المضطرة الى معرفته وعبادته الجامعة لمحبته والخضوع له وتعظيمه ودعائه وترك التعلق على غيره محبة وتعظيما واستغاثة * قال تعالى أم من خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأنبتنا به جنات . الى قوله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين (وقال تعالى) قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون الى قوله فانى تسحرون . (وقال تعالى) قل من يرزقكم من السماء والارض الى قوله أفلا تتقون . (فتأمل) هذه الآيات وما تضمنته من تقرير أفعال الربوبية التى لا يخرج عنها فرد من افراد الكائنات وأعرف ما سيقت له ودلت عليه من وجوب محبته تعالى وعبادته وحده لا شريك له وترك عبادة ما عبد من دونه من الانداد والآلهة والبراءة من ذلك *

﴿ وانظر ﴾ هل القوم المخاطبون بهذا زعموا الاستقلال لغير الكبير المتعال أم اقروا له سبحانه بالاستقلال والتدبير والتأثير وانما أتوا من جهة الواسطة والشفاعة والتوسل بدعاء غير الله وقصد سواه فيما يحتاجه العبد وما يهواه . وهذا صريح من تلك الحجج البينات . ونص هذه الآيات المحكمات . احتج سبحانه بما أقروا به من الربوبية والاستقلال على ابطال قصد غيره بالعبادة والدعاء والاستغاثة كما يفعله أهل الجهل والضلال . فاذا قيل تجوز الاستغاثة بالانبياء والصالحين ودعاؤهم والنذر لهم على انهم وسائط ووسائل بين الله وبين عباده وان الله يفعل لاجلهم . انهدمت القاعدة الايمانية . وانتقضت الاصول التوحيدية . وفتح باب الشرك الاعظم . وعادت الرغبات والرهبات . والمقاصد والتوجهات . الى سكان القبور والاموات ومن دعى مع الله من سائر المخلوقات . وهذه هى الغاية الشركية . والعبادة الوثنية . فنعوذ بالله من الضلال والشقاء والانحراف عن أسباب الفلاح والهدى .

﴿ الوجه الخامس ﴾ انه لا فلاح ولا صلاح ولا نجاح ولا نعيم ولا لذة للعبد الا بان يكون الله سبحانه هو الهه ومحبوبه ومستغاثه الذى اليه مفزعه عند الشدائد . واليه مرجعه فى عامة المطالب والمقاصد . والعبد به فاقة وضرورة وحاجة الا ان يكون الله هو معبوده ومستغاثه اليه انابته ومفزعه . ولو حصلت له كل الكائنات وتوجه الى جميع المخلوقات لم تسد فاقته ولا تدفع ضرورته . ولا يحصل نعيمه وفرحه ويزول همه وكربه وشقاؤه الا بربه الذى من وجده

وجد كل شئ ومن فاته فاته كل شئ وهو أحب اليه من كل شئ وفقده فاقة وضرورة وحاجات لا يشبهها شئ فتقاس به وانما تشبه من بعض الوجه حاجة الجسد الى طعامه وشرابه وقوته الذى تقوم بنيته به فان البدن لا يقوم الا بذلك وفقده غاية انعدام البدن وموته * وأما فقد محبة الله وعبادته ودعائه فعذاب وشقاء وجحيم فى الآخرة والاول لا ينفك بحال من الاحوال قال تعالى اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى الى قوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى * وقال تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب . (وفى حديث القدسي) حديث الاولياء يقول الله تعالى من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وما تقرب الىّ عبدى بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش الحديث *

﴿ وعلى القول ﴾ بجعل الوسائط والشفعاء بين العباد وبين الله تقلع أصول هذا الاصل العظيم الذى هو قطب رحى الايمان وينهدم أساسه الذى ركب عليه البنيان فاي فرح وأي نعيم وأي فاقة سدت وأي ضرورة دفعت وأى سعادة حصلت وأي أنس وأطمئنان اذا كان التوجه والدعاء والاستغاثة والذبح والنذر لغير الملك الحنان المنان . سبحان الله ما أجرأ هذا المعترض على الله وعلى رسله وعلى دينه وعلى عباده المؤمنين *

اللهم انا نبرأ اليك مما جاء هذا المفترى وما قاله فى دينك وكتابك . وعلى عبادك وأوليائك.
(قال تعالى) لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون . فصلاح السموات والارض بان يكون الله سبحانه هو الهها دون ما سواه ومستغاثها الذى تفزع اليه وتلجأ اليه فى مطالبها وحاجاتها . وقرر المتكلمون هنا تمانع وجود ربين مدبرين وانه لا صلاح للعالم الا بان يكون الله قيومه ومدبره * وقرر غيره من المحققين امتناع الصلاح بوجود آلهة تعبد وتقصد وترجى فالاول يرجع الى الربوبية . والثانى الى الالهية *

﴿ الوجه السادس ﴾ ان الشرع الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والسنة التى سنها فى قبور الانبياء والصالحين وعامة المؤمنين تنافي هذا القول الشنيع الذى افتراه هذا الجاهل وتبطله

ومعارضة لما سنه صلى الله عليه وسلم من عند القبور مما صحت به الاحاديث النبوية . وجرى عليه عمل علماء الامة من السلام عند زيارتها والدعاء لاصحابها . وسؤال الله العافية لهم من جنس ما شرعه من الصلاة على جنائزهم ونهى عن عبادة الله عند القبور والصلاة فيها واليها وخص قبور الانبياء والصالحين بلعن من اتخذها مساجد يعبد فيها تعالى ويدعى . وتواترت بذلك الاحاديث خرجها أصحاب الصحيحين وأهل السنن ومالك فى موطئه *

﴿ فمنها ﴾ قوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . وحديث ابن مسعود ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد . وحديث أبى هريرة رضى الله عنه قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . وحديث جابر بن عبد الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يموت بخمس يقول انى أبرأ الى الله ان يكون لى منكم خليل . فان الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا . الا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فانى أنهاكم عن ذلك . وحديث عائشة لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه فاذا اغتم بها كشفها . فقال وهو كذلك لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . قالت عائشة يحذر ماصنعوا ولولا ذلك لابرز قبره . ولكن خشى ان يتخذ مسجدا . وفى رواية لمسلم وصالحيهم *

وانما نهى عن الصلاة عندها واتخاذها مساجد لما يفضى اليه من دعائها والاستغاثة بها وقصدها للحوائج والمهمات والتقرب اليها بالنذور والنحر ونحو ذلك من القربات فجاء الغلاة فهتكوا ستر الشريعة واقتحموا الحمى وشاقوا الله ورسوله وقالوا تدعى ويستغاث بها وترجى . ومن شم رائحة العلم وعرف شيئا مما جاءت به الرسل عرف ان هذا الذى قاله الغلاة من جنس عبادة الاصنام والاوثان مناقض لما دلت عليه السنة والقرآن . ولا يستريب فى ذلك عاقل من نوع الانسان.

﴿ الوجه السابع ﴾ ان الله تعالى نهى عن الغلو ومجاوزة الحد فيما شرعه من حقوق أنبيائه وأوليائه قال تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق) وقال تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن

سورة [illegible]) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله * وعن ابن عباس في قوله تعالى (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) هذه أسماء رجال صالحين في قوم نوح فلما ماتوا أوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا لهم انصابا وصوروا تماثيلهم * فلما مات أولئك ونسي العلم عبدت وقال ابن القيم قال غير واحد من السلف عكفوا على قبورهم وصوروا تماثيلهم * فلما طال عليهم الامد عبدت * انتهى . (فانظر) الى ما آل اليه الغلو بالتصاوير والعكوف من غير دعاء ولا عبادة فكيف بالدعاء والاستغاثة والتوسل والقول بان الله تعالى يفعل لاجلهم هذا نفس الشرك والاول وسيلته التي حدث الشرك بسببها — وقد قطع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسيلة هذا الشرك وحمى الحمى وسد الذريعة حتى نهى عن الصلاة عندها واعتياد المجيء اليها بقوله في أشرف القبور لا تجعلوا قبري عيدا ولا بيوتكم قبورا . وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني * ونهى عن رفع القبور وبعث علي ابن أبي طالب ان لا يدع تمثالا الا طمسه ولا قبرا مشرفا الا سواه . ونهى عن تعظيمها بايقاد السرج كل هذا صيانة للتوحيد وحماية لجانبه فرحم الله امرأ آمن بالجنة والنار وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم امامه ومعلمه وقدوته ولم يلتفت عما جاء به ولم يبال بمن خالفه وسلك غير سبيله وحن الى ما كان عليه السلف الصالح وائمة الهدى في هذا الباب وفي غيره أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) (قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين)*

(الوجه الثامن) ان من أعرض عن الله وقصد غيره واعد ذلك الغير لحاجته وفاقته واستغاث به ونذر له ولاذ به فقد ساء الظن بربه * وأعظم الذنوب عند الله تعالى اساءة الظن به فان المسيء به الظن قد ظن به خلاف كما له المقدس فظن به ما يناقض اسماءه وصفاته ولهذا توعد سبحانه وتعالى الظانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم كما قال تعالى (عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا) وقال تعالى لمن انكر صفة من صفاته (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين) وقال تعالى عن خليله ابراهيم عليه الصلاة والسلام) اذ قال لقومه ماذا تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين) اى فما

ظنكم ان يجازيكم اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره وما ظننتم باسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتى أحوجكم ذلك الى عبودية غيره . فلو ظننتم به ما هو أهله من انه بكل شئ عليم . وعلى كل شئ قدير وانه غني عن كل ما سواه مفتقر اليه كل من عداه وأنه قائم بالقسط على خلقه وانه المنفرد بتدبير خلقه لا يشرك فيه غيره والعالم بتفاصيل الامور فلا يخفى عليه خافية من خلقه والكافي لهم وحده لا يحتاج الى معين . والرحمن بذاته فلا يحتاج فى رحمته الى من يستعطفه وهذا بخلاف الملوك وغيرهم . من الرؤساء فانهم يحتاجون الى من يعرفهم أحوال الرعية وحوائجهم الذي يعينهم على قضاء حوائجهم والى من يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة فاحتاجوا الى الوسائط ضرورة لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم * فاما القادر على كل شئ الغنى بذاته عن كل شئ العالم بكل شئ الرحمن الرحيم . الذي وسعت رحمته كل شئ فادخال الوسائط بينه وبين خلقه تنقص بحق ربوبيته والهيته وتوحيده وظن به ظن السوء . وهذا يستحيل ان يشرعه لعباده ويمتنع فى العقول والفطر وقبحه مستقر فى العقول السليمة فوق كل قبح . يوضح هذا ان العابد معظم لمعبوده متأله له خاضع ذليل له والرب تبارك وتعالى وحده هو الذى يستحق كمال التعظيم والاجلال والتأله والخضوع والذل وهذا فى خالص حقه . فمن اقبح الظلم ان يعطى حقه لغيره ويشرك بينه وبينه فيه ولا سيما اذا كان الذي جعل شريكه فى حقه هو عبده ومملوكه كما قال تعالى (ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم) اي اذا كان أحدكم يأنف ان يكون مملوكه شريكه في رزقه فكيف تجعلون لى من عبيدى شركاء فيما انا منفرد به وهو الالهية التى لا تنبغى لغيرى ولا تصلح لسواى . فمن زعم ذلك فما قدرنى حق قدرى . ولا عظمني حق تعظيمى . ولا افردني كما انا منفرد به وحدى دون خلقي فما قدر الله حق قدره من عبد معه غيره كما قال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) فما قدر من هذا شأنه وعظمته حق قدره من اشرك معه فى عبادته من ليس له شئ من ذلك البتة بل هو أعجز شئ . واضعفه فما قدر القوى العزيز حق قدره من اشرك معه الضعيف الذليل * وكذلك ما قدره حق قدره من قال انه لم يرسل الى خلقه رسولا ولا انزل كتابا بل نسبه الى ما لا يليق به ولا يحسن منه من اهمال خلقه وتركهم سدى . وخلقهم باطلا

عنها ولا قدره حق قدره من نفى حقائق أسمائه الحسنى وصفاته العليا من سمعه وبصره وإرادته واختياره وعلوه فوق خلقه وكلامه وتكليمه لمن شاء من خلقه بما يريد أو نفى عموم قدرته وتعلقها بأفعال عباده من طاعتهم ومعاصيهم فأخرجها عن قدرته ومشيئته وخلقه . وجعلهم يخلقون لأنفسهم ما يشاؤن بدون مشيئة الرب تبارك وتعالى فيكون في ملكه ما لا يشاء ويشاء ما لا يكون تعالى الله عز وجل عن قول أشباه المجوس علوا كبيرا . وكذلك ما قدره حق قدره من قال انه يعاقب عبده على ما لا يفعله العبد ولا له عليه قدرة ولا تأثير له فيها البتة بل هو نفس فعل الرب جل جلاله فيعاقب عبده على فعله وهو سبحانه وتعالى الذى جبر العبد عليه وجبره على الفعل أعظم من اكراه المخلوق المخلوق . فاذا كان من المستقر فى الفطر والعقول ان السيد لو اكره عبده على فعل والجأه اليه ثم عاقبه عليه لكان قبيحا . فاعدل العادلين . وأحكم الحاكمين . وأرحم الراحمين . كيف يجبر العبد على فعل لا يكون للعبد فيه صنع ولا تأثير ولا هو واقع بإرادته بل ولا هو فعله البتة ثم يعاقب عليه عقوبة الابد تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا . وقول هؤلاء شر من أقوال المجوس والطائفتان ما قدروا الله حق قدره وكذلك ما قدره من لم يصنه عن بئر ولا حش ولا مكان يرغب عن ذكره . بل جعله فى كل مكان وصانه عن عرشه ان يكون مستويا عليه . يصعد اليه الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وتعرج الملائكة والروح اليه وتنزل من عنده ويدبر الأمر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فصانه عن استوائه على سرير الملك . ثم جعله فى كل مكان بانف الانسان بل غيره من الحيوان ان يكون فيه . وما قدره حق قدره من نفى حقيقة محبته ورحمته ورأفته ورضاه وغضبه ومقته ولا من نفى حقيقة حكمته التى هى الغايات المحمودة المقصودة بفعله . ولا من نفى حقيقة فعله ولم يجعل له فعلا اختياريا يقوم به بل أفعاله منقولات منفصلة عنه فنفى حقيقة محبته واتيانه واستوائه على عرشه وتكليمه موسى صلى الله عليه وسلم من جانب الطور ومجيئه يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده بنفسه الى غير ذلك من أفعاله وأوصاف كماله التى نفوها وزعموا انهم بنفيها قدروا الله حق قدره وكذلك لم يقدره حق قدره من جعل له صاحبة وولدة وجعله يحل فى مخلوقاته وجعله عين هذا الوجود — وكذلك لم يقدره حق قدره من قال انه رفع أعداء رسله وأهل بيته وأهمل ذكرهم وجعل فيهم الملك والخلافة والعفو ووضع اولياء رسوله واهانهم

واذلهم وضرب عليهم الذلة اينما ثقفوا وهـذا يتضمن غاية القدح فى الرب تبارك وتعالى عن قول الرافضة علوا كبيرا وهذا القول مشتق من قول اليهود والنصارى فى رب العالمين انه أرسل ملكا ظالما فادعى النبوة لنفسه وكذب على الله تعالى ومكث زمناطويلايكذب عليه كل وقت . ويقول قال كذا وأمر بكذا ونهى عن كذا وينسخ شرائع أنبيائه ورسله ويستبيح دماء اتباعهم واموالهم وحريمهم ويقول الله تعالى اباح لي ذلك والرب تبارك وتعالى يظهره ويؤيده ويعليه ويقويه ويجيب دعواته ويمكنه ممن يخالفه ويقيم الادلة على صدقة ولا يعاديه احد الاظفر به فيصـدقه بقوله وفعله وتقريره ويحـدث ادلة تصدقه شيئا بعد شيء ومعلوم ان هـذا يتضمن اعظم القدح والطعن فى الرب سبحانه وتعالى * وعلمه وحكمتـه ورحمتـه وربوبيته تعالى عن قول الجاحدين علوا كبيرا *

فوازن بين قول هذا وقول اخوانه من الرافضة تجد القولين رضيعى لبان ثدى أم تقاسى باسحم داج عوض لا يتفرق — وكذلك لم يقدره حق قدره من قال انه يجوز ان يعذب أولياءه ومن لم يعصه طرفة عين ويدخلهم دار الجحيم وينعم أعداءه ومن لم يؤمن به طرفة عين ويدخلهـم دار النعيم وان كلا الامرين بالنسبة اليه سواء — وانما الخبر المحض جاء عنه بخلاف ذلك فمناه الخـبر لا لمخالفة حكمته وعدله — وقد انكر سبحانه وتعالى فى كتابه على من تجوز عليه ذلك غاية الانكار وجعل الحـكم به من أسوء الاحكام * وكذلك لم يقدره حق قدره من زعم انه لا يحيي الموتى ولا يبعث من فى القبور ولا يجمع خلقه ليوم تجازي فيه المحسن باحسانه والمسيء باساءته ويأخذ للمظلوم فيه حقه من ظالمه ويكرم المتحملين المشاق فى هذه الدار من أجله وفى مرضاته بافضل كرامته ويبين لخلقه الذى يختلفون فيه . وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين * وكذلك لم يقدره حق قدره من هان عليه أمره فعصاه ونهيه فارتكبه . وحقه فضيعه . وذكره فاهمله ، وغفل قلبـه عنه ، وكان هواه آثر عنده من طلب رضاه وطاعتـه المخلوق اهم عنده من طاعة فالله الفضلة من قلبه وقوله وعمله وسواه المقدم فى ذلك لانه المهم عنده يستخف بنظر الله اليه واطلاعه عليه وهو في قبضته . وناصيته بيده ويعظم نظر المخلوق اليه واطلاعهم عليه بكل قلبه وجوارحه يستحي من الناس ولا يستحي من الله عز وجل ويخشى الناس ولا يخشى الله عز وجل . ويعامل الخلق بأفضل مايقدر عليه وان عامل الله عز وجل عامله باهون ماعنده

وأحقره وان قام في خدمة الهه من البشر قام بالجد والاجتهاد وبذل النصيحة قد فرغ له قلبه وجوارحه وقدمه على كثير من مصالحه حتى اذا قام في حق ربه ان ساعده القدر قام قياما لايرضاه مثله لمخلوق من مخلوقاته وبدا له مالم يستح ان يواجه به مخلوقا لمثله فهل قدر الله حق قدره من هذا وصفه وهل قدره حق قدره من شارك بينه وبين عدوه في محض حقه من الاجلال والتعظيم والطاعة والذل والخضوع والخوف والرجاء. فلو جعل من أقرب الخلق اليه شريكا في ذلك لكان ذلك جزاءه وتوثبا على محض حقه واستهانة به وشريكا بينه وبين غيره فيما لاينبغي ولا يصلح الا له سبحانه وتعالى فكيف وانما شرك بينه وبين أبغض الخلق اليه وأهونهم عليه وأمقتهم عنده وهو عدو على الحقيقة فانه ما عبد من دون الله الا الشيطان كما قال تعالى (ألم أعهد اليكم يابني آدم ان لاتعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم) ولما عبد المشركون الملائكة بزعمهم وقعت عبادتهم في نفس الامر للشيطان وهم يظنون انهم يعبدون الملائكة كما قال تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون) فالشيطان يدعو المشرك الى عبادته ويوهمه انه ملك — وكذلك عباد الشمس والقمر والكواكب يزعمون انهم يعبدون روحانيات هذه الكواكب وهي التي تخاطبهم وتقضي لهم الحوائج ولهذا اذا طلعت الشمس قارنه الشيطان لعنه الله تعالى فيسجد لها الكفار فيقع سجودهم له — وكذلك عند غروبها — وكذلك من عبد المسيح وامه لم يعبدهما وانما عبد الشيطان فانه يزعم انه يعبد من أمره لعبادته وعبادة امه ورضيها لهم وامرهم بها * وهذا هو الشيطان الرجيم لعنه الله تعالى لاعبد الله ورسوله. ونزل هذا كله على قوله تعالى (ألم أعهد اليكم يابني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين) فما عبد أحد من بني آدم غير الله عز وجل كائنا من كان الا وقعت عبادته للشيطان فيستمتع العابد بالمعبود في حصول غرضه ويستمتع المعبود بالعابد في تعظيمه له واشراكه مع الله الذي هو غاية رضا الشيطان — ولهذا قال تعالى (ويوم نحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس) من اغوائهم واضلالهم (وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم) فهذه اشارة لطيفة الى السر الذي لاجله كان الشرك اكبر الكبائر عند الله تعالى وانه لايغفر

بغير التوبة منه وانه يوجب الخلود في النار وانه ليس تحريمه وقبحه بمجرد النهي عنه بل يستحيل على الله سبحانه وتعالى ان يشرع عبادة اله غيره كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله وكيف يظن المنفرد بالربوبية والالهية والعظمة والجلال ان يأذن في مشاركته في ذلك او يرضى به تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا انتهى . وانما سقنا هذا المبحث العظيم الذي يعقد عليه الخناصر ويعض عليه بالنواجذ لما فيه من الفوائد التي لا يستغني عنها من نصح نفسه وانما الغرض بيان ما في التوسل والاستغاثة بالاموات والغائبين من سوء الظن بالله رب العالمين .

﴿الوجه التاسع﴾ ان الله تعالى حرم القول عليه بغير علم وجعله أعظم من الشرك قال تعالى (قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) الآية فرتب المحرمات منتقلا من الادنى الى الاعلى وقال تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون) ومن عرف الشرك حق المعرفة يعلم ان من قال بجواز الاستغاثة والتوسل بالانبياء والصالحين والنذر لهم والحلف وما أشبهه من التعظيم له نصيب وافر من الكذب على الله وعلى رسوله ومن الصد عن سبيل الله وابتغاء العوج والله المستعان . وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون

﴿ ويذين ﴾ كذب الغلاة على الله وعلى رسوله وعلى عباده الصالحين بالكلام على ما ساقه هذا المعترض من الادله التي يزعم انها تدل على دعواه ونصر ما قاله وافتراه .

فاما قوله اعلم ان المجوزين للاستغاثة بالانبياء والصالحين مرادهم انها أسباب ووسائل بدعائهم وان الله يفعل لاجلهم لا انهم الفاعلون استقلالا من دون الله فان هذا كفر بالاتفاق فجواب هذا تقدم في الوجه الثاني — وذكرنا ان المشركين من عهد نوح الى عهد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم لم يقصدوا سوى هذا . ولم يدعوا لآلهتهم غيره وانهم ما رادوا حرفا واحدا على هذا العراقي وشيمته وهو يظن ان النزاع في دعواه الاستقلال وليس الامر كذلك . فان النزاع بين

الرسل وقومهم انما هو في توحيد العبادة فكل رسول أول مايقرع اسماع قومه بقوله ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره وكان المشركون من الجاهلية يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك فاثبتوا الشرك في العبادة واعتقدوا ان الهتهم مملوكة لا مستقلة وهذا ظاهر في القرآن والسنة لا يجهله من عرف ماالناس فيه من أمر دينهم وانما خفي ذلك على هذا المعترض لفرط جهله وكثافة فهمه . ولانه نشأ بين عباد القبور المتوسلين بها وبأهلها فظن ان هـذا هو الاسلام . والمسكين لم يعرف ربه وما يجب له من الحقوق على كافة الانام *

ولم يتخرج على امام يعتمد في بيان الشرائع والاحكام . مع عباد القبور في هـذه الازمان . اعتقدوا التدبير والتصريف لمن يعتقدونه فطائفة قالت يتصرف في الكون سبعة . وطائفة قالت يتصرف أربعة . وطائفة قالت يتصرف سبعون — واختلفوا في قطبهم الذي اليه يرجعون تعالى الله عما يقول الظالمون فأهل مصر يرون انه البدوي وأهل العراق يرجحون الشيخ عبد القادر والرافضة يرون ذلك للائمة من أهل البيت وهذا مشتهر عنهم لاينكره الا مكابر . وقد حكم المعترض الجاهل بان دعوى الاستقلال كفر بالاتفاق وعلى قول غلاة عباد القبور مصدر التصريف عنهم يستقلون به لان الوكيل يستقل بتدبير ما وكل اليه وحينئذ فاذا لم يعرف العبادة ومسأله النزاع كيف يجادل عن قوم جزم بكفرهم وحكى عليه الاتفاق . فالرجل مخلط لايدري ما يقول .

﴿ وأما قوله ولا يخطر ببال مسلم جاهل فضلا عن عالم الخ ﴾ فيقال اين العنقاء لتطلب . واين السمندل . ليجلب اذا صح الاسلام لم يرغب أهله الى دعاء غير الله من العباد والاوثان والاصنام .

(واما قوله) بل ليس هذا خاصا بنوع الاموات . فان الاحياء وغيرهم من الاسباب العادية كالقطع للسكين والشبع للاكل والري والدفء لواعتقد أحد أنها فاعلة ذلك بنفسها من غير استنادها الى الله يكفر اجماعا .

﴿ فيقال ﴾ اذا كان اسناد الفعل اليها استقلالا لايكفر فاعله اجماعا وهي من الاسباب العادية التي أودع الله تعالى فيها قوة فاعلة فكيف لايكفر من أسند مالا يقدر عليه الا الله من اغاثة اللهفات وتفريج الكربات واجابة الدعوات الى غير الله من الصالحين او غيرهم وزعم انهم وسائل . او ان الله وكل اليهم التدبير كرامة لهم هذا اولى بالكفر واحق به ممن قبله .

ويقال للزائغ انت لا ترضى تكفير أهل القبور لاحتمال العذر والشبهة وانه شرك أصغر ثياب من اخطأ فيه فكيف جزمت بكفر من أسند القطع للسكين من غير استناد الى الله . وما الفرق بين من عذرته وجزمت باثابته وبين من كفرته وجزمت بعقابه ليست احدى المسألتين باظهر من الاخرى وما يقال من الجواب فيما اثبته من الكفر يقال فيما نويته .

يوما بجزوى ويوما بالعقيق وبا لعذيب يوما ويوما بالخليصاء

اى مذهب وافق هواك تمذهبت به .

﴿ ويقال ﴾ جمهور العقلاء على الفرق بين الاسباب العادية وغيرها فالشبع والري والدفء أسباب عادية فاعلة . وانما يكفر من انكر خلق الله لهذه الاسباب . وقال بفعلها دون مدبر عليم حكيم . وهذا البحث يتعلق بتوحيد الربوبية . وأما جعل الاموات أسبابا يستغاث بها وندعى وترجى وتعظم على انها وسائط . فهذا دين عباد الاصنام يكفر فاعله بمجرد اعتقاده وفعله وان لم يعتقد الاستقلال كما نص عليه القرآن في غير موضع . فالغلاة معارضون للقرآن مصارمون لنصوصه *

﴿ وأما قوله ﴾ ان السبكي والقسطلاني والسمهودي وابن حجر في الجوهر المنظم قالوا والاستغاثة به صلى الله تعالى عليه وسلم وبغيره في معنى التوسل الى الله تعالى بجاهه الخ

﴿ فيقال مسألة ﴾ الاستغاثة به وبجاهه ليست هي مسأله النزاع ومراد أهل العلم ان يسأل الله بجاه عبده ورسوله لا ان يسأل الرسول نفسه فان هذا لا يطلق عليه توسل بل هو دعاء واستغاثه وان لفظ التوسل صار مشتركا . فعباد القبور يطلقون التوسل على الاستغاثة بغير الله ودعائه رغبا ورهبا والذبح والنذر والتعظيم بما لم يشرع في حق مخلوق وأهل العلم يطلقونه على المتابعة والاخذ بالسنة فيتوسلون الى الله بما شرعه لهم من العبادات وبما جاء به عبده ورسوله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا هو التوسل في عرف القرآن والسنه كما يأتيك مفصلا ان شاء الله تعالى . ومنهم من يطلقه على سؤال الله ودعائه بجاه نبيه أو بحق عبده الصالح أو بعباده الصالحين . وهذا هو الغالب عند الاطلاق في كلام المتأخرين كالسبكي والقسطلاني وابن حجر . ﴿ وبالجملة ﴾ فما نقله هنا عمن ذكر ليس من مسألة النزاع في شيء وان كابر الغلاة وزعموا انه قصدوا دعاء الانبياء والصالحين والاستغاثة بهم أنفسهم وان هذا يسمى توسلا فهذا عين الدعوى والدعوى يحتج لها لا بها

فبطل كلامه على كل تقدير *

﴿ وأما قوله ﴾ أو بأن يدعو الله كما في حال الحياة اذ هو غير ممتنع (فيقال) هذا جراءة على الله وعلى رسوله وتقدم اليه بما لم يشرعه ولم يأذن فيه . واعلم الخلق به أصحابه وأهل بيته وأئمة الدين من أمته لم يفعل أحد منهم ذلك البتة ولا نقله من يعتد به وهم أعلم الخلق به وبدينه وشرعه وما يجوز وما يمتنع فلا يخلو اما ان تسلم هذه المقامات وتجزم بأن الخروج عن هديهم من أفضح الجهالات وأضل الضلالات أو تسلم تلك المقدمات ويدعى ان الخلف الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون أحق بالصواب والعلم والمتابعة في تلك المسائل والمقالات وهذا اخلال بجملة الدين . وقدح في القرون المفضلة بنص سيد المرسلين . وكفى بهذا فضيحة وجهلا لو كانوا يعلمون *

﴿ وأما قوله ﴾ مع علمه بسؤال من سأله والمستغيث يطلب من المستغاث به ان يحصل له الغوث من غيره (فيقال) أما دعوى عموم العلم بسؤال السائلين لمن يستغيث به جهلة القبوريين فالاخذ به واطلاقه على غير الله كفر صريح باتفاق أهل العلم فان من زعم احاطة العلم وعمومه لغير الله أو عموم القدرة أو الرزق أو الخلق لغيره سبحانه يكفر كفرا واضحا كما ذكره شراح الاسماء وغيرهم من أهل العلم وما دعوى تخصيص ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فهي وان كانت من جنس ما قبلها في الرد والمنع وبطل مذهب عباد القبور ودعائهم لغير الله من الغائبين والاموات فان دعاء الغافل الذي لا يعلم بحال الداعي ولا يدريها ضلال مستبين قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون)

﴿ وأما قوله ﴾ والمستغيث يطلب من المستغاث به ان يحصل له الغوث من غيره ممن هو أعلى منه وليس لهذا في قلوب المسلمين غير ذلك الى آخره *

﴿ فيقال ﴾ هذا يدل على جهل هذا الجاهل باللغة والشرع فان الداعي السائل لغيره لا يسمى مغيثا والمغيث من يفعل الاغاثة ويحصل الغوث بفعله * قال شيخ الاسلام من زعم ان مسألته الله بجاه عبده تقتضي ان يسمى المدعو مغيثا . أو يكون ذلك استغاثة بالعبد فهذا جهل ونسبته الى اللغة أو الى أمة من الامم كذب [illegible] فان المغيث هو فاعل الاغاثة [illegible] لا من تطلب بجاهه وحقه ولم يقل أحد ان المتوسل بشيء [illegible] الاستغاثة به [illegible] الأئمة الذين [illegible] في أدعيتهم بأمور كقول

أحدهم نتوسل اليك بحق الشيخ فلان أو بحرمته أو باللوح والقلم أو بالكعبة في أدعيتهم يعلمون انهم لا يستغيثون بهذه الامور وان المستغيث بالشيء طالب منه سائل له والمتوسل به لا يدعي ولا يطلب منه ولا يسأل وانما يطلب به فكل أحد يفرق بين المدعو به والمدعو * وتقدم ذلك فقول هذا الزائغ . والنبي صلى الله عليه وسلم مستغاث والغوث منه تسببا وكسبا (فيقال) ثم هذا معتقد من يعبد الانبياء والصالحين ويستغيث بهم يقول هم سببي وواسطتي يحصلون لي بكسبهم والله هو الخالق ولا ادعى غير ذلك ولا نازع في الخلق والربوبية الا فرعون والذي حاج ابراهيم في ربه وجمهور المشركين على الاول كما تقدم تقريره فبطل تعليله *

﴿ وأما قوله ﴾ ولا يعارض ذلك خبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم الخ لان في سنده ابن لهيعة والكلام فيه مشهور (فيقال) ابن لهيعة خرج له البخاري ومسلم فجاوز القنطرة ولا يقدح فيما رواه ابن لهيعة الا جاهل بالصناعة والاصطلاح وهو قاضي مصر وعالمها ومسندها روى عن عطاء ابن أبي رباح والاعرج وعكرمة وخلق وعنه روى شعبة ابن الحجاج أمير المؤمنين في الحديث وعمرو بن الحارث والليث بن سعد وابن وهب وخلق ومن طعن في ابن لهيعة بقول بعض الناس فيه لزمه الطعن في كثير من الاكابر المحدثين كسعيد المقبري وسعيد بن اياس الجريري وسعيد بن عروبة واسمعيل بن أبان وأزهر بن سعد السمان البصري وأحمد بن صالح المصري وأبو اليمان وأمثالهم ممن خرج له البخاري وغيره من الائمة *

فدع عنك الكتابة لست منها * ولو سودت وجهك بالمداد

﴿ وأما قوله ﴾ وبفرض صحته فهو على حد قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقوله صلى الله عليه وسلم ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم *

﴿ وهذا ﴾ من نوادر جهل هؤلاء الضلال فان لفظ الاستغاثة طلب الغوث ممن هو بيده ان اصابته شدة ووقع في كرب والانجح والاولى لمن أصابه ذلك ان يستغيث بمن يجيب المضطر اذا دعاه الموصوف بانه غياث المستغيثين مجيب المضطرين أرحم الراحمين . فلفظ الاستغاثة يستعمل في مخ العبادة وما لا يقدر عليه الا الله عالم الغيب والشهادة . فكره صلى الله عليه وسلم اطلاقه عليه فيما يستطيعه ويقدر عليه حماية لحمى التوحيد وسدا لذريعة الشرك وان كان يجوز اطلاقه

فيما يقدر عليه المخلوق فحماية جانب التوحيد من مقاصد الرسول ومن قواعد هذه الشريعة المطهرة . فاين هذا من قوله ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى فان الرمي المنفي هو ايصال مارمي به الى أعين المشركين جملتهم . وهزيمتهم بذلك . والرمي المثبت مافعله النبي صلى الله عليه وسلم من رمي ماأخذ بكفه الشريفة من التراب واستقبال وجوه العدو به *

﴿ وأما قوله ﴾ وكثيراً ماتجيء السنة بنحو هذا من بيان حقيقة العلم ويجيء القرآن من اضافة الفعل الى مكتسبه كقوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحد الجنة بعمله مع قوله تعالى (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) فالامر ليس كما توهمه هذا الزائغ فان الباء في الحديث باء المعاوضة والمبادلة وفي الآية هي باء السببية لاباء المعاوضة والمنفي غير المثبت كما نص عليه أهل العلم وأهل التفسير . وكل فاضل وعارف بصير . نعوذ بالله من القول على الله وعلى كتابه بغير علم ولا سلطان منير .

﴿ وأما قوله ﴾ ان اطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث ولو تسببا أمر معلوم لاشك فيه لغة ولا شرعا ﴿ فقد ﴾ تقدم كلام شيخ الاسلام في نفي الاستغاثة عمن يسأل الله بجاهه وحقه وعمن يدعو لغيره . وان من قال ذلك قد كذب على سائر اللغات والامم . وأما من يسأل ويدعى وينادى كما يفعله عباد القبور بمن يدعونه فهذا يسمى استغاثة كما يسمى عبادة لغير الله وشركا بالله وهذا النوع ليس النزاع في اسمه وانما النزاع في جوازه وحله . وأما حديث الشفاعة فهو فيما يقدر عليه البشر من الدعاء كما يسأل الحي الحاضر ان يدعوا لله وان يستسقى *

﴿ وأما كلام الشيخ ابن تيمية ﴾ الذي نقله عن المصنفين في اسماء الله فهو حجة لنا على عباد القبور فانهم استغاثوا بغير الله فيما لايقدر عليه الا الله *

﴿ وقوله ﴾ وان حصلت من غيره تعالى فهو مجاز ﴿ جوابه ﴾ ان الاستعانة التي هي من جنس الاسباب العادية التي يقدر عليها المخلوق وفي وسعه . فهذه وان حصلت من العبد فهي حقيقة لامجاز ولا ننازع في هذا من عرف شيئاً من اللغة والعبد يفعل حقيقة فيأكل حقيقة ويشرب حقيقة ويهب حقيقة وينصر أخاه ظالما أو مظلوما حقيقة والله سبحانه خلق العبد وما يعمل وهذا معروف من عقائد أهل السنة والجماعة وانما ينفي الفعل حقيقة عن فاعله . ومن قام به . القدرية المجبرة الذين يزعمون ان العبد مجبور وانه لا اختيار له ولا مشيئة كما هو مبسوط في موضعه . والغلاة صفر اليدين من هذه المباحث المهمة *

﴿ وكذلك قوله ﴾ لا استحالة في ان يطلب منه ما هو الاثقل [illegible]
فالاول فيه التفريق لا يطلب منهم ما يستطيعه ويقدر عليه كالدعاء وسائر الاسباب العادية ونحو ذلك . واما ما لا يقدر عليه الا الله كهداية القلوب . ومغفرة الذنوب . والانقاذ من النار ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها الا الله الواحد القهار . فهذا انما يليق بمقام الربوبية قال تعالى (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) وقال (ومن يغفر الذنوب الا الله) وقال تعالى (افأنت تنقذ من في النار) وقال تعالى (ليس لك من الامر شيء) . وقال رجل أتوب الى الله ولا أتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله *

﴿ وأما قوله ﴾ وقد ذكر المجوزون ان جعل النبي صلى الله عليه وسلم متسببا لا مانع من ذلك شرعا وعقلا * ﴿ فيقال ﴾ هذه العبارة ركيكة التركيب والمجوزون للاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه الا الله هم خصومنا فلا حجة في كلامهم بل الشرع والعقل يرد مذهبهم ويبطله كما مر تقريره عن ابن القيم . واما الاسباب العادية فانها قد تجب . وقد تستحب . وقد تباح . وقد تكره وليس الكلام فيها . والمستغيث بغير الله فيما لا يقدر عليه الا الله لا ينجيه مجرد اعتقاده ان ذلك باذن الله . بل لا بد من اخلاص الدعاء والاستغاثة . ودعاء المستغيث من أجل العبادات فيجب اخلاصه لله . (وقول) الغلاة (ومن اقربا لكرامة وانها باذن الله) لم يجد بدا من اعترافه بجواز ذلك ﴿ فيقال ﴾ بل البد والسعة واليسر في القول بانه لا يستغاث بالمخلوق فيما يختص بالخالق . ولو كان المخلوق قد ثبت له من الكرامة ماثبت فالكرامة فعل الله لا فعل غيره . والمستغاث هو الله لا غيره . ولم يكن الصحابة يستغيثون ويسألون من ظهرت له كرامة أو حصلت له خارقة من الخوارق . فهذا الكلام الذى قاله الغلاة جهل مركب يليق بقائله . وكل اناء بالذى فيه ينضح *

﴿ وأما قوله ﴾ والاخبار النبوية قد عاضدته . والآثار قد ساعدته . فبالوقوف على مامر من كلا منا تعرف ان الاخبار النبوية قد عارضته وما عاضدته بل ابطلته والآثار السلفية قد ردته وما ساعدته *

﴿ وأما قوله ﴾ ومن جعل الله فيه قدرة كاسبة للفعل مع اعتقاده ان الله هو الخالق كيف يمتنع عليه طلب ذلك الشيء ﴿ فجوابه ﴾ ان الله لم يجعل للعباد قدرة على ما يختص به من الاغاثة المطلقة *

وما لا قدرة للاسباب العادية [illegible] من دون الناس [illegible] من الكلام [illegible] والاموات

لاقدرة لهم على الاسباب العادية ، وما يطلب من الحي الحاضر فما هنا ليس من ذلك القبيل

وما يستوي الاحياء ولا الاموات . وقد يجعل الله للعبد قدرة على بعض الاشياء ويمنع من

سؤاله وطلبه . وفي الحديث لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله . وليس على وجهه مزعة لحم

وفيه من سأل الناس وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة خدوشا أو خموشا في وجهه . فهذا

له قدرة ، وقد منع السائل الغني من سؤاله بل والسحرة جعل الله لهم قدرة على أنواع السحر

والشعبذة وسؤالهم ذلك من أكبر الكبائر فبطل قول هذا الزائغ ان من جعل الله له قدرة

لامانع من سؤاله وكون الله قد قرب انبياءه ورسله وأوجب على العباد برهم وتعظيمهم يقتضى

ذلك ان يستغاث بهم أو يطلب منهم مالا يقدر عليه أحد الا الله . والتعظيم اللائق بمناصبهم

ليس من هذا الجنس بل تعظيمهم محبتهم وطاعتهم وتعزيرهم وتوقيرهم والاقتداء بهديهم والاخذ

بما جاؤا به وعباد القبور تركوا هذا التعظيم الواجب وعظموهم بالاستغاثة والعبادة والذبح

والنذر من جنس تعظيم أهل الكتاب لانبيائهم ورهبانهم وأحبارهم . وهذا الزائغ من جهله

يدعو الناس الى طريقة الغلاة من أهل الكتاب ويعرض عما جاءت به الرسل ويصد عن السنة

والكتاب قال تعالى (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) *

﴿ وأما قوله ﴾ وقد خلق الله فيه قوة كاسبة . فان أراد القوة العادية البشرية الانسانية فليس

النزاع في هذا وان أراد ما يعتقده عباد القبور في معبوداتهم من الصالحين وغيرهم وان لهم

قدرة على اجابة المضطر واغاثة الملهوف وقضاء حوائج السائلين فهذا شرك في الربوبية لم يبلغه

شرك المشركين من أهل الجاهلية بل هو قول غلاة المشركين الذين يرون لآلهتهم تصرفا

وتدبيراً . وان اراد انهم يدعون ويسألون ويستغاث بهم والله يعطى لاجلهم . فهذا هو قول الجاهلية

من الاميين والكتابيين . وتقدمت الآيات الدالة على ذلك . وتقدم ما حكاه الشيخ من قول

النصارى ياوالدة الاله اشفعي لنا الى الاله . فهم طلبوا منها الشفاعة والجاه ليس الا . وهذا

من كفرهم وشركهم مع ما هم عليه من القول في عيسى وامه قاتلهم الله فان كان هذا الزائغ أراد

هذا الثاني فهو شرك غليظ وقد تقدم له التصريح بذلك وعبارته هنا توهم الاول وهو الغالب

على عباد القبور في هذه الازمان نسأل الله العفو والعافية *

(وأما [illegible] الأولياء) والصالحين في [illegible] ويتبركون في اتيانهم فهذا جهل عظيم وقول على الله بلا علم لم يرد به كتاب ولا سنة ولا قاله ولا فعله أحد يعتد به ويقتدى به من أهل العلم والايمان وقد مضت القرون الثلاثة المفضلة ولم يعهد عن أحد منهم أنه قال ذلك أو فعله وعنده أشرف القبور على الاطلاق ولم يعرف عن أحد منهم أنه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم أو دعاه ولا غيره من الصالحين وخبر العتبي سيأتي الكلام عليه وان فعل ذلك اعرابي ليس مما يقتدى به ويحتج بقوله وان كان بعض المتأخرين احتج بحكاية الاعرابي فهو احتجاج مدخول وقد نازعهم من هو أقدم منهم وأجل من الاكابر والفحول

(وأما قوله في قوله تعالى) فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فان قال قائل هذا في الحي وله قدرة قلنا لا يجوز نسبة الافعال الى أحد حي أو ميت على انه الفاعل استقلالا من دون الله (فهذا الكلام) أورده بناء على أن النزاع في دعوى الاستقلال وزعمه أنه اذا لم يعتقد الاستقلال فالاسباب العادية كغيرها ودعاء الاموات والغائبين يجوز عنده اذا لم يعتقد الاستقلال هذه دعواه كررها مرارا واحتج بها والدعوى تحتاج لدليل لا تصلح هي دليلا لا سيما هذه الدعوى الضالة الكاذبة الخاطئة والله سبحانه حكى استغاثة المخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه من نصره على عدوه وهذا جائز لا نزاع فيه واعتقاد الاستقلال من دون الله وان العبد يخلق أفعال نفسه هذه مسألة أخرى لم يقل بها الا قدرية النفاة والناس مختلفون في تكفيرهم بهذا القول . (وبالجملة) فالنزاع في غير هذه المسألة وانما هو في دعاء الاموات والغائبين وان لم يستقل بذلك المطلوب من دون الله .

(وأما قوله) وقد جعل الله الاغاثة في غيره فهو قول ركيك فاسد المعنى فان الله لم يجعل الاغاثة في غيره بل هو المغيث على الاطلاق وانما جعل لعباده عملا وكسبا في فرد جزئي مما يستطيعه العبد ويكون في قدرته وعبارة الزائغ في غاية البشاعة .

(وأما قوله) فلهذا نفى النبي صلى الله عليه وسلم الاغاثة كما تقدم حيث قال أنه لا يستغاث الا بالله فليس النفي لما ذكره الزائغ فان المخاطبين يعلمون أن الله خالق أفعال العباد وانما نفى الاستغاثة عنه حماية للتوحيد وصيانة لجانبه كما قال لمن قال له أنت سيدنا وابن سيدنا السيد الله انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ولو كان كما زعم الزائغ لنفى عن رسول الله صلى الله عليه

[illegible] وكل [illegible] لا [illegible] الا بعد ان يشاء الله تعالى (والله خلقكم وما تعملون)
والاسم قد تخاض فيما لا يدريه وما هو أجنبي عنه فانظر في الالفاظ النبوية وحررها وكل [illegible] الحي
والمقتول والنبي في الحديث الاستغاثة لا الاماتة وأظن المعترض لا يفرق بينهما *

﴿ الكلام على شبه الخصم وابطالها ﴾

(الشبهة الاولى) ما أورده ابن حجر في الجوهر المنظم والسبكي في كتابه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بمحمد صلى الله عليه وسلم الا ما غفرت لي قال الله يا آدم كيف عرفت محمدا ولم أخلقه . قال يارب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك فقال له الله صدقت يا آدم انه لأحب الخلق الي واذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك والمراد بحقه صلى الله عليه وسلم رتبته ومنزلته لديه تعالى أو الحق الذي جعله الله سبحانه وتعالى له على الخلق أو الحق الذي جعله الله تعالى بفضله له عليه الخ *

(الجواب) أن يقال هذا الحديث لا أصل له بل الثابت عند أهل العلم والمفسرين ان قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) نزل في توبة آدم وهذه الكلمات هي المفسرة بقوله تعالى (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وهذا مروي عن سعيد بن جبير ومجاهد وأبي العالية والربيع بن أنس والحسن وقتادة ومحمد بن كعب القرظي وخالد بن معدان وعطاء الخراساني وعبد الرحمن بن زيد وعن ابن عباس قال علم شأن الحج وعن عبيد بن عمير أنه قال قال آدم يارب خطيئتي التي أخطأت شيأ كتبته علي قبل أن تخلقني أو شيء ابتدعته من قبل نفسي . قال بل كتبته عليك قبل أن أخلقك قال فكما كتبته علي فاغفره لي قال فذلك قوله (فتلقى آدم من ربه كلمات) وعن ابن عباس قال آدم عليه السلام الم تخلقني بيدك قيل له بلى ونفخت في من روحك قيل له بلى وعطست فقلت يرحمك الله وسبقت رحمتك غضبك قيل بلى وكتبت علي أن أعمل هذا قيل له بلى قال أفرأيت ان تبت هل أنت راجعي الى الجنة قال نعم وكذا رواه العوفي وسعيد بن جبير وسعيد بن معبد ورواه الحاكم في مستدركه الى ابن عباس وروى ابن أبي حاتم حديثا مرفوعا شبيها بهذا وعن مجاهد

قال الكلمات اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الراحمين اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فتب على إنك أنت التواب الرحيم هذا ما عليه المفسرون لا ما قاله الغلاة فان كان بعض من لا بصيرة له قد ذكره فالحجة عما ثبت عن الصحابة وعن سلف الامة وأئمتها ولا يجوز تفسير القرآن بأقوال شاذة أو موضوعة لا تثبت عند أهل العلم والحديث وأئمة التصحيح والترجيح وأما ما روى ابن حميد الرازي الحكاية المنسوبة الى مالك رحمه الله مع ابي جعفر المنصور وفيها أنه سأل مالكا فقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وادعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام الى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فرد الحفاظ على ابن حميد هذه الحكاية وذكروا ان اسنادها مظلم منقطع مشتمل على من يتهم بالكذب وقالوا ابن حميد كثير المناكير ولم يسمع من مالك شيأ بل روايته عنه منقطعة . ومحمد بن حميد الرازي هذا تكلم فيه غير واحد من الائمة ونسبه بعضهم الى الكذب *

(الشبهة الثانية) أن رجلا ضريرا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله لي أن يعافيني فقال ان شئت دعوت وان شئت صبرت وهو خير لك الى ان قال فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء * اللهم انى أسألك واتوجه اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربى فى قضاء حاجتى لتقضي لي * اللهم شفعه فيّ . فقام وقد ابصر الخ *

(والجواب) ما ذكره بعض أهل الحديث حيث قال اعلم ان الجواب عنه يعلم من تأمل معناه فقوله اللهم انى أسألك أى أطلب منك وأتوجه اليك بنبيك محمد صرح باسمه مع ورود النهي عن ذلك تواضعا منه صلى الله عليه وسلم لكون التعليم من قبله وفى ذلك قصر السؤال الذى هو أصل الدعاء على الله الملك المتعال ولكنه توسل بالنبي أى بدعائه ولذا قال فى آخره . اللهم فشفعه فيّ اذ شفاعته لا تكون الا بالدعاء لربه قطعا ولو كان المراد التوسل بذاته فقط لم يكن لذلك التعقيب معنى اذ التوسل بقوله بنبيك كاف فى افادة هذا المعنى فقوله يا محمد انى توجهت بك الى ربى قال الطيبي الباء في بك للاستعانة وقوله انى توجهت بك بعد قولي اليك فيه معنى قوله من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه فيكون خطابا لحاضر معاين فى قلبه مرتبط بما توجه به

عنده ومن سؤال ربه بدعائه الذي هو عين شفاعته وذلك أي بالصيغة المأمور بها هذه الصيغة المشروعة المقيد كل ذلك ان هذا الداعي قد توسل بشفاعة نبيه في دعائه وكأنه استحضره وقت ندائه ومثل ذلك كثير في المقامات الخطابية والقرائن الاعتبارية قوله في حاجتي هذه لتقضي لي أي لتقضيها لي ربي بشفاعته أي في دعائه وذلك مشروع مأمور به فان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يطلبون منه الدعاء وكان يدعو لهم . وكذلك يجوز الآن ان تأتي رجلا صالحا فتطلب منه الدعاء لك بل يجوز للاعلى ان يطلب من الادنى الدعاء له كما طلب النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء من عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عمرته . بان قال لاتنسانا ياأخي من دعائك قال عمر رضي الله عنه مايسرني بها حمر النعم . قال المناوي سأل الله أولا ان يأذن لنبيه ان يشفع له ثم أقبل على النبي ملتمسا شفاعته له . ثم كر مقبلا على ربه ان يقبل شفاعته والباء في بنبيك للتعدية وفي بك للاستعانة وقوله اللهم فشفعه في أي أقبل شفاعته في حقي والعطف على مقدر أي اجعله شفيعا لي فشفعه . وكل هذه المعاني دالة على وجود شفاعته بذلك وهو دعائه صلى الله عليه وسلم بكشف عاهته وليس ذلك بمحظور غاية الامر انه توسل من غير دعاء بل هو نداء لحاضر والدعاء أخص من النداء اذ هو نداء عبادة شاملة للسؤال بما لايقدر عليه الا الله وانما المحظور السؤال بالذوات لامطلقا بل على معنى انهم وسائل لله بذواتهم . وأما كونهم وسائل بدعائهم فغير محظور . واذا اعتقد انهم وسائل لله بذواتهم فسأل منهم الشفاعة للتقرب اليهم فذلك عين ما كان عليه المشركون الاولون *

﴿ وأما ورود هذا الحديث ﴾ عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه في زمن عثمان ففي سنده مقال فكيف يتعارض به جميع كتب الله وسنة رسوله وعمل أصحابه وهل سمعت أحدا منهم جاء اليه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته الى قبره الشريف فطلب منه مالا يقدر عليه الا الله وهم حريصون على مثل هذه المثوبات لاسيما والنفوس مولعة بقضاء حوائجها تتشبث بكل ما تقدر عليه فلو صح عند أحدهم أدنى شيء من ذلك لرأيت أصحابه يتنالون قبره الشريف في حوائجهم زمرا زمرا ومثل ذلك تتوفر الدواعي على نقله ولا وسع الله طريقا لم يتسع للصحابة والتابعين وصلحاء علماء الدين *

﴿ الشبهة الثالثة ﴾ ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه توسل بالعباس رضي الله عنه في الاستسقاء

ولم ينكر عليه وكان حكمة توسله به دون النبي صلى الله عليه وسلم وقبره اظهار غاية التواضع لنفسه والرفعة لقرابته صلى الله عليه وسلم فني توسله بالعباس توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وزيادة الخ *

﴿ والجواب ﴾ ان المراد من التوسل الدعاء لهم يدل عليه ثبوت دعائه لهم بطلب السقيا كما جاءت به بقية الروايات . وهذا المعنى هو الذى عناه الفقهاء فى كتبهم ومرادهم التوجه الى الله بدعاء الصالحين بان يدعو لهم ولو كان التوسل بالذوات هو المطلوب والمدلول الذى أقاموا عليه الدليل وهم بمقتضى دليلهم لايخصون الاحياء بهذا التوسل ويستحبون التوسل بالذوات الشريفة ولو بندائهم ودعائهم كما مر تقريره من دليلهم وانه على معنى ان الشفعاء يدعون لهم . وقالوا الامانع من ذلك عقلا وشرعاً فانهم أحياء فى قبورهم لكان التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الامر المهم وهو عنده بالمدينة أولى . ولكان قولهم كما فى رواية البخارى ان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس وقال اللهم انا كنا اذا أجدبنا توسلنا اليك بنبيك فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون *

عبثا ضائعا بل مخلا بما يقولون ويدعون بل هو أقوى الادلة وأرجحها وأعلاها وأوثقها وأصحها وأصدقها لما ندعيه فان قول عمر * اللهم انا كنا اذ اجدبنا توسلنا الخ يدل دلالة ظاهرة على انقطاع ذلك الذي هو الدعاء بدليل قوله انا كنا . ولما كان العباس حيا طلبوه منه فلما مات فات فقصرهم له على الموجودين ولو كانوا مفضولين دليل ساطع وبرهان لامع على هذا المراد ولو كان المقصود الذوات كما يقولون لبقيت هذه التوسلات عندهم على حالها لم تتغير ولم تتبدل الى المفضولين بعد وجود الفاضلين سيما الانبياء والمرسلين . فتأمل فى هذا فانه أحسن مافي هذه الاوراق . حقيق بان يضرب عليه رواق الاتفاق . والله يهديك السبيل نعم المولى ونعم الوكيل *

وأما باقي الشبه التي أوردها النبهانى من كلام اسلافه الغلاة . فمنها مالا يمس مقصودنا . ومنها أحاديث لاتخلو عن ضعف أو كذب رأوا وغير ذلك مما يمنع العمل بموجبه كما ذكره من رد عليهم . ولو نظرت اليها بعين الايمان وجدت آثار الوضع لائحة عليها وأحوال الصحابة وأعمالهم تدل على انهم غير معترفين بما فيها ولو كان عندهم من ذلك أدنى رائحة لجاؤا الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فى جميع ماينوبهم على الرواحل وتركوا عند ذلك جميع المشاغل

﴿ ذكر شبه أخرى للمجوزين للاستغاثة وإبطالها ﴾

لم يزل خصوم أهل الحق في كل عصر يسعون في تأييد باطلهم ويستندون الى شبه هي أوهى من بيت العنكبوت وانها لمن أوهن البيوت . ويتشبثون لترويج باطلهم حتى بخيال القمر . وقد رأيت رسالة مختصرة صنفها العلامة أبو عبد الله الشيخ محمد رحمه الله سماها كشف الشبهات أودعها نبذة من ذلك وهي على اختصارها نافعة جدا لطالب الحق فأحببت ايرادي منها اتماما للفائدة قال رحمه الله *

﴿ اعلم ﴾ ان الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيا بهذا التوحيد الا جعل له أعداء كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) وقد يكون لاعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) اذا عرفت ذلك وعرفت ان الطريق الى الله تعالى لا بد له من أعداء اهل فصاحة وعلم وحجج . فالواجب عليك ان تعلم من دين الله ما يكون لك سلاحا تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال امامهم ومقدمهم لربك عز وجل لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم (ولكنك) اذا اقبلت على الله تعالى واصغيت الى حججه وبيناته فلا تخف ان كيد الشيطان كان ضعيفا والعامي من الموحدين يغلب الفا من خصومه بأذن الله كما قال تعالى (وان جندنا لهم الغالبون) فجند الله هم الغالبون بالحجة والبيان كما انهم الغالبون بالسيف والسنان وانما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح . وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين . فلا يأتي صاحب باطل بحجة الا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها كما قال تعالى (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) قال بعض المفسرين هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل الى يوم القيامة *

﴿ وأنا أذكر لك ﴾ أشياء مما ذكر الله تعالى في كتابه جوابا لكلام احتج به خصوم أهل الحق في زماننا هذا علينا (فنقول) ان جواب أهل الباطل من طريقين مجمل ومفصل (أما المجمل) فهو الامر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها . وذلك قوله تعالى (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه

منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الالباب) وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم *

﴿ مثال ذلك ﴾ اذا قال لك بعض الخصوم الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وان الشفاعة حق وان الانبياء عليهم السلام لهم جاه عند الله . أو ذكر كلاما للنبي صلى الله عليه وسلم يستدل به على شيء من باطله فاجبه بقولك ان الله تعالى ذكر ان الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه وان الله تعالى ذكر ان المشركين يقرون بالربوبية وانه كفرهم بتعلقهم على الملائكة والانبياء والاولياء مع انهم قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله فهذا أمر محكم بين لا يقدر أحد ان يغير معناه . وماذكرت لي أيها الخصم من الكتاب الكريم أو كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا أعرف معناه . ولكن أقطع ان كلام الله تعالى لا يتناقض وان كلام النبي صلى الله عليه وسلم لا يخالف كلام الله *

﴿ وهذا جواب سديد ﴾ ولكن لا يفهمه الا من وفقه الله تعالى فلا تستهونه فانه كما قال تعالى (وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم)

﴿ وأما الجواب المفصل ﴾ فان اعداء الحق لهم اعتراضات كثيرة يصدون بها الناس (منها) قولهم نحن لا نشرك بالله بل نشهد انه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر الا الله تعالى وحده لا شريك له . وان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن غيره . ولكن انا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله واطلب من الله بهم (فأجبه) ان الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مقرين بما ذكرت ومقرين ان أوثانهم لا تدبر شيئا وانما أرادوا الجاه والشفاعة واقرأ عليه ماذكر الله في كتابه ووضحه له فان قال ان هذه الآيات نزلت فيمن يعبد الاصنام فكيف تجعلون الصالحين أصناما . فأجبه بانه اذا أقر ان الكفار كانوا يشهدون بالربوبية كلها لله وانهم ما أرادوا ممن قصدوا الا الشفاعة . واذا أراد ان يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر فاذكر له ان الكفار منهم من كان يدعو الصالحين والاصنام . ومنهم من كان يدعو الاولياء الذين قال الله فيهم أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب . وقال تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا

كلام العلماء انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون . وإذا ذكر قوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون . (فقل له) أعرفت ان الله تعالى كفر من قصد الاصنام وكفر أيضا من قصد الصالحين وقاتلهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان قال ان الكفار يريدون منهم . وانا أشهد ان الله تعالى هو النافع الضار المدبر لا أريد الا منه والصالحون ليس لهم من الامر شئ ولكنى بقصدهم ارجو من الله تعالى شفاعتهم . فأجبه ان هذا قول الكفار سواء بسواء فاقرأ عليه قوله تعالى . ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى . وقوله تعالى هؤلاء شفعاؤنا عند الله *

﴿ واعلم ﴾ ان هذه الشبه الثلاث هى أكبر ما عندهم فاذا عرفت ان الله تعالى وضحها فى كتابه وفهمتها فهما جيدا فما بعدها أيسر منها *

﴿ فان قال ﴾ انا لا أعبد الا الله والالتجاء الى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة فقل له أنت تقر ان الله تعالى فرض عليك اخلاص العبادة وهو حقه عليك فاذا قال نعم فقل له بين لى هذا الذى فرض عليك وهو اخلاص العبادة لله وحده وهو حقه عليك فانه لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبينها له بقولك قال الله تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) اذا علمت بهذا هل هو عبادة فلا بد ان يقول نعم والدعاء مخ العبادة فقل له اذا أقررت انها عبادة ودعوت الله ليلا ونهارا خوفا وطمعا . ثم دعوت في تلك الحاجة نبيا أو غيره هل أشركت فى عبادة الله غيره اذ قال الله تعالى فصل لربك وانحر وأطعت الله ونحرت له فلا بد ان يقول نعم . (فقل له) اذا نحرت لمخلوق نبي أو جني أو غيرهما هل أشركت في هذه العبادة غير الله تعالى فلا بد ان يقر ويقول نعم *

﴿ وقل له أيضا ﴾ ان المشركين الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات والعزى وغير ذلك فلا بد ان يقول نعم (فقل له) وهل كانت عبادتهم اياهم الا فى الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك . والا فهم مقرون انهم عبيد لله تحت قهره وان الله تعالى هو الذى يدبر الامر ولكن دعوهم والتجؤا اليهم للجاه والشفاعة وهذا ظاهر جدا (فان قال) أتنكر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ منها (فقل له) لا أنكرها ولا أتبرأ

منها بل هو صلى الله تعالى عليه وسلم الشافع المشفع وارجو شفاعته لكن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى قل لله الشفاعة جميعا ولا تكون الا من بعد اذنه سبحانه كما قال عز وجل من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه . ولا يشفع لاحد الا من بعد أن يأذن الله فيه كما قال جل جلاله ولا يشفعون الا لمن ارتضى . وهو لا يرضى الا التوحيد . كما قال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دنيا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين *

فاذا كانت الشفاعة كلها لله ولا تكون الا بعد اذنه ولا يشفع النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه ولا يأذن الا لاهل التوحيد تبين ان الشفاعة كلها لله واطلبها منه وأقول اللهم لا تحرمني شفاعته اللهم شفعه فيّ وأمثال هذا *

﴿ فان قال ﴾ ان النبي صلى الله عليه وسلم أعطى الشفاعة وأنا أطلب مما أعطاه الله (فقل له) ان الله تعالى أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا . وقال فلا تدعوا مع الله أحدا وأيضا فان الشفاعة أعطيها غير النبي صلى الله عليه وسلم فقد صح ان الملائكة يشفعون والاولياء يشفعون . أتقول ان الله أعطاهم الشفاعة وأنا أطلبها منهم . (فان) قلت هذا رجعت الى عبادة الصالحين التي ذكرها الله تعالى في كتابه . (وان) قلت لا بطل قولك ان الله تعالى اعطاه الشفاعة وانا اطلب مما اعطاه الله *

﴿ فان قال ﴾ انا لا أشرك بالله شيئا حاشا وكلا والالتجاء الى الصالحين ليس بشرك (فقل له) اذا كنت تقر ان الله تعالى قد حرم الشرك أعظم من تحريمه الزنا . وتقر ان الله لا يغفره فما هذا الامر الذى عظمه الله وذكر انه لا يغفره فانه لا يدرى (فقل له) كيف يبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه . أم كيف يحرم الله عليك هذا ويذكر انه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه أتظن ان الله يحرمه ولا يبينه لنا (فان قال) الشرك عبادة الاصنام ونحن لا نعبد الاصنام (فقل) وما معنى عبادة الاصنام أتظن انهم كانوا يعتقدون ان تلك الاخشاب والاحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها فهذا يكذبه القرآن أو هو قصد خشبة أو حجر أو بنية أو غيره يدعون ذلك ويذبحون له يقولون انه يقربنا الى الله زلفى ويدفع عنا ببركته . (فقل) له صدقت وهذا هو فعلكم عند الاحجار . والبنايا التي على القبور وغيرها فهذا قد أقر ان فعلهم هذا هو عبادة الاصنام *

﴿ ويقال له ايضا ﴾ قولك الشرك عبادة الاصنام هل مرادك ان الشرك مخصوص بهذا وان الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل فى هذا فهذا يرده ماذكره الله تعالى في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة وعيسى والصالحين فلا بد ان يقر لك ان من أشرك فى عبادة الله أحدا من الصالحين فهو الشرك المطلوب فى القرآن وهذا هو المطلوب *

﴿ وسر المسألة ﴾ انه اذا قال لك انا لا أشرك بالله فقل له وما الشرك بالله فسره لى فان قال هو عبادة الاصنام فقل له وما معنى عبادة الاصنام فسرها لى فان فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب وان لم يعرفه فكيف يدعى شيأ وهو لا يعرفه وان فسر ذلك بغير معناه فبين له الآية الواضحة فى معني الشرك بالله وعبادة الاوثان مما يفعل فى هذا الزمان بعينه وان عبادة الله وحده لاشريك له هي التى ينكرون عليها ويصيحون كما صاح اخوانهم حيث قالوا أجعل الآلهة الها واحد ان هذا لشئ عجاب *

﴿ فاذا عرفت ﴾ ان هذا الذي يسميه خصوم الحق فى وقتنا الاعتقاد هو الشرك الذي أنزل فيه القرآن وقاتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الناس عليه فاعلم ان شرك الاولين أخف من شرك أهل عصرنا من وجهين ﴿ أحدهما ﴾ ان الاولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والاولياء اوثانا مع الله تعالى الا في الرخاء . وأما في الشدة فيخلصون لله الدين كما قال تعالى (واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا) وقال تعالى قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله او أتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف ماتدعون اليه ان شاء وتنسون ماتشركون) وقال تعالى (واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه) الى قوله (قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار) وقال تعالى (واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فمن فهم هذه المسأله التي أوضحها الله تعالى فى كتابه وهى ان المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعون الله ويدعون غيره فى الرخاء . واما فى الضر والشدة فلا يدعون الا الله تعالى وحده لا شريك له وينسون ساداتهم تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الاولين ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسأله فهما راسخا والله المستعان *

﴿ والامر الثاني ﴾ ان الاولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله . اما أنبياء . واما أولياء . واما

ملائكة ويدعون أشجارا وأحجارا مطيعة لله ليست عاصية . وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك ومن يعتقد في الصالحين ومن يعبد ما لا يعصي كالخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به *

﴿ اذا تحققت ﴾ ان الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصح عقولا وأخف شركا من هؤلاء . فاعلم ان لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا وهي من أعظم شبههم فاصغ سمعك لجوابها وهي أنهم يقولون ان الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون ان لا اله الا الله ويكذبون الرسول وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرا ﴿ ونحن ﴾ نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ونصلي ونصوم فكيف تجعلونا مثل أولئك *

﴿ فالجواب ﴾ انه لا خلاف بين العلماء كلهم ان الرجل اذا صدق رسول الله صلى عليه وسلم في شيء وكذبه في شيء انه كافر لم يدخل في الاسلام وكذلك اذ آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة او أقر بالتوحيد والصلاة وجحد الزكاة او أقر بهذا كله وجحد الصوم او أقر بهذا كله وجحد الحج *

ولما لم ينقد أناس في زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للحج انزل الله تعالى في حقهم (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنيّ عن العالمين) ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالاجماع وحل دمه وماله كما قال جل جلاله (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا) فاذا كان الله تعالى قد صرح في كتابه ان من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقا زالت هذه الشبهة عن قلبه *

﴿ ويقال ﴾ اذا كنت تقر ان من صدق الرسول في شيء وجحد وجوب الصلات انه كافر حلال الدم بالاجماع * وكذلك اذا أقر بكل شيء الا البعث . وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان لا يجحد هذا ولا تختلف المذاهب فيه . وقد نطق به القرآن كما قدمنا . فمعلوم ان التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج ﴿ فكيف ﴾ اذا جحد الانسان شيئا من هذه الامور كفر وان عمل بكل ما جاء به الرسول .

وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر سبحان الله ما أعجب هذا الجهل

﴿ ويقال أيضا ﴾ هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قاتلوا بني حنيفة وقد أسلموا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهم يشهدون ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويصلون ويؤذنون ﴿ فان قال ﴾ انهم يقولون ان مسيلمة نبي قلنا هـذا هو المطلوب اذا كان من رفع رجلا في رتبة النبي صلى الله عليه وسلم كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة فكيف بمن رفع وليا أو صحابيا او نبيا في مرتبة جبار السموات والارض سبحان الله ما أعظم شأنه كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون *

﴿ ويقال أيضا ﴾ ان الذين حرقهم علي بن أبي طالب كلهم يدعون الاسلام وهم من أصحاب علي وقد تعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في عليّ مثل الاعتقاد في الصلحاء . فكيف اجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم اتظنون ان الصحابة يكفرون المسلمين ام تظنون ان الاعتقاد في صلحاء العصر لا يضر . والاعتقاد في علي ابن ابي طالب يكفر *

﴿ ويقال أيضا ﴾ ان بني عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر أيام بني العباس كلهم كانوا يشهدون ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويدعون الاسلام ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون مانحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وان بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بايديهم من بلدان المسلمين *

﴿ ويقال أيضا ﴾ اذا كان الاولون لم يكفروا الا من جمع بين الشرك وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن وانكار البعث وغير ذلك فما معنى الباب الذي ذكره الفقهاء من كل مذهب وهو باب حكم المرتد وهو المسلم الذي يكفر بعد اسلامه . وذكروا أنواعا كثيرة كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله حتى انهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب *

﴿ ويقال أيضا ﴾ ان الذين قال تعالى فيهم يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم أما سمعت الله تعالى كفرهم بكلمة مع انهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحدون . وكذلك الذين قال الله تعالى فيهم قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم فهؤلاء الذين

اخبر الله تعالى عنهم انهم كفروا بعد ايمانهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قد قالوا كلمة ذكروا انهم قالوها على وجه المزح *

(فتأمل) هذه الشبهة وهي قولهم تكفرون المسلمين اناسا يشهدون ان لااله الا الله ويصلون ويصومون . (ثم تأمل) جوابها فانه من انفع مافي هذه الاوراق *

﴿ ومن الدليل على ذلك أيضا ﴾ ماحكى الله تعالى عن بني اسرائيل مع اسلامهم وعلمهم وصلاحهم انهم قالوا لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون . وقال ناس من الصحابة اجعل لنا ذات أنواط فحلف صلى الله عليه وسلم ان هذا نظير قول بني اسرائيل اجعل لنا الها . ولكن لخصوم الحق شبهة يدلون بها عند هذه القصة وهي انهم يقولون ان بني اسرائيل لم يكفروا وكذلك الذين قالوا اجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا *

﴿ فالجواب ﴾ ان نقول ان بني اسرائيل لم يفعلوا ذلك وكذلك الذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلاف ان بني اسرائيل لم يفعلوا ذلك ولو فعلوا ذلك لكفروا . وكذلك لاخلاف ان الذين نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم لولم يطيعوه . واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا وهذا هو المطلوب *

﴿ وهذه القصة ﴾ تفيد ان المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك وهو لايدري فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة ان قول الجاهل فهمنا التوحيد من أكبر الجهل ومن مكائد الشيطان وتفيد أيضا ان المسلم اذا تكلم بكلام كفر وهو لايدري فنبه على ذلك وتاب من ساعته انه لايكفر كما فعل بنو اسرائيل . والذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم * وتفيد أيضا انه لو لم يكفر فانه يغلظ عليه الكلام تغليظا شديدا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم *

﴿ ولخصوم الحق واعداء الدين شبهة اخرى ﴾ وهي انهم يقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم انكر على اسامة قتل من قال لا اله الا الله وقال أقتلته بعد ماقال لااله الا الله وكذلك قوله أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لااله الا الله الى أحاديث أخر في الكف عمن قالها ومراد هؤلاء الجهلة ان من قالها لايكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل *

﴿ فيقال لهم ﴾ من المعلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون لااله الا الله . وان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون ان

لااله الا الله وان محمدا رسول الله . ويصلون ويدعون الاسلام — وكذلك الذين حرقهم على ابن أبي طالب بالنار . وهؤلاء الجهلة يقرون ان من انكر البعث كفر وقتل ولو قال لااله الا الله . وان من جحد شيئا من أركان الاسلام كفر وقتل واو قالها . فكيف لاتنفعه اذا جحد فرعا من الفروع وتنفعه اذا جحد التوحيد الذي هو أساس دين الرسل ورأسه ولكن أعداء الله لم يفهموا معنى الاحاديث *

﴿ فاما احاديث اسامة ﴾ فانه قتل رجلا ادعى الاسلام بسبب انه ظن انه ما ادعى الاسلام الا خوفا على دمه وماله . والرجل اذا اظهر الاسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك . وانزل الله تعالى في ذلك يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا اى تثبتوا فالآية تدل على انه يجب الكف عنه والتثبت فاذا تبين منه بعد ذلك مايخالف الاسلام قتل لقوله فتبينوا ولو كان لايقتل اذا قالها لم يكن للتثبت معنى . وكذلك الاحاديث الاخر معناها ماذكرناه وان من اظهر التوحيد والاسلام وجب الكف عنه الا ان يتبين منه ماينافض ذلك *

﴿ والدليل على هذا ﴾ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى قال أقتلته بعدما قال لااله الا الله . وقال أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لااله الا الله . وهو الذي قال فى الخوارج أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلا حتى ان الصحابة رضي الله عنهم يحقرون أنفسهم عندهم . وقد تعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم كلمة لااله الا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الاسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة *

﴿ وكذلك ﴾ ماذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة رضى الله عنهم بنى حنيفة *

﴿ وكذلك ﴾ أراد صلى الله عليه وسلم ان يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل منهم انهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا * وكان الرجل كاذبا عليهم . وكل هذا يدل على ان مراد النبي صلى الله عليه وسلم بالاحاديث التى احتجوا بها ماذكرناه *

﴿ ولهم شبهة أخرى ﴾ وهي ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر ان الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم . ثم بنوح . ثم بابراهيم . ثم بموسى . ثم بعيسى فكلهم يعتذر حتى ينتهوا الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم قالوا فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركا *

﴿ والجواب ﴾ أن نقول سبحان من طبع على قلوب اعدائه فان الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها كما قال تعالى في قصة موسى فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه وكما يستغيث الانسان باصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق ونحن انكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الاولياء أو في غيبتهم في الاشياء التي لا يقدر عليها الا الله. اذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالانبياء يوم القيامة يريدون منهم ان يدعوا الله ان يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف — وهذا جائز في الدنيا والآخرة مثل ان تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك تقول له ادع الله لي كما كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه في حياته. وأما بعد موته فحاشا وكلا انهم لم يسألوا ذلك بل انكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف بدعائه نفسه. صلى الله عليه وسلم *

﴿ ولهم شبهة أخرى ﴾ وهي قصة ابراهيم عليه السلام لما القي في النار. اعترض له جبريل في الهواء. وقال له ألك حاجة. فقال ابرهيم عليه السلام أما اليك فلا * قالوا فلو كانت الاستغاثة شركا لم يعرضها على ابرهيم عليه السلام *

﴿ والجواب ﴾ ان هذا من جنس الشبهة الاولى فان جبريل عليه السلام عرض عليه ان ينفعه بامر يقدر عليه فانه كما قال الله تعالى فيه شديد القوى ذو مرة. فلو أذن له ان ياخذ نار ابراهيم عليه السلام وما حولها ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل ولو أمره الله تعالى ان يضع ابرهيم عليه السلام عنهم في مكان بعيد لفعل ولو أمره ان يرفعه الى السماء لفعل. وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلا محتاجا فيعرض عليه ان يقرضه أو يهبه شيئا يقضي به حاجته فيأبى ذلك المحتاج ان يأخذ ويصبر الى ان يأتيه الله برزق لا منة فيه لاحد. فاين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون *

﴿ هذا آخر ما قصدنا نقله من كتاب الشبهات ﴾ وقد خطر لي بيتان من الشعر في قصة ابرهيم عليه السلام نظمهما بعض الادباء العصريين وهما *

أصبحت ملة ابرهيم متبعا * لا أبتغي من سوى رب العلى بدلا
لو قال لي الروح جبرائيل هل لك من * حاج لقلت له أما اليك فلا

وهذا هو التوحيد الذي يزعم انه اتم انواعه وانه من العلوم الظاهرة وما هذا الا من الشطح كلام مفيد لقوى الضلال والاوهام . وقد سقط ما ذكره النبهاني من توضيح مسألة الاستغاثة فان كلامه هنا مجرد اعادة عبارة سابقة ليطول به حجم كتابه . نسأله تعالى ان يهدينا سبيلنا ويصلح لنا أحوالنا . بمنه وكرمه .

(ثم ان النبهاني الغبي) ذكر في آخر الفصل الرابع تتمة زعم انها اشتملت على كلام بعض أئمة أهل العلم والاولياء في زيارة قبور الصالحين والانتفاع بزيارتها وصفاء ارواحهم بعد مماتهم . ثم نقل عن ابن دحلان هذيانه الذي في كتابه تقريب الاصول لتسهيل الوصول وهو قوله قد صرح كثير من العارفين ان الولى بعد وفاته تتعلق روحه بمريديه فيحصل لهم ببركته انوار وفيوضات . قال وممن صرح بذلك قطب الارشاد سيدى عبدالله بن علوي الحداد فانه قال الولى يكون اعتناؤه بقرابته واللائذين به بعد موته اكثر من اعتنائه بهم في حياته لانه في حياته كان مشغولا بالتكليف وبعد موته طرح عنه الاعباء وتجرد . والحي فيه خصوصية وبشرية وربما غلبت احداهما الاخرى . وخصوصا في هذا الزمان فانها تغلب البشرية والميت ما فيه الا الخصوصية فقط (ثم بقي يهذى) الى أن قال وكان الشيخ ابو المواهب أيضا يقول من الاولياء من ينفع مريده الصادق بعد مماته اكثر مما ينفعه حال حياته ومن العباد من تولى الله تعالى تربيته بنفسه بغير واسطة . ومنهم من تولاه بواسطة بعض أوليائه ولو ميتا في قبره فيربى مريده وهو في قبره ويسمع مريده في صوته من القبر ولله عباد يتولى تربيتهم النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه من غير واسطة لكثرة صلاتهم عليه صلى الله عليه وسلم ﴿ثم نقل كلام الامام فخر الدين الرازى﴾ الذي ذكره في الفصل الثالث عشر من كتابه المطالب العالية في بيان كيفية الانتفاع بزيارة القبور والموتى وهو قوله ان الانسان اذا ذهب الى قبر انسان قوى النفس كامل الجواهر ووقف هناك ساعة وحصل تأثير في نفسه حين حصل من الزائر تعلق بزيارة تلك التربة فلايخفى ان لنفس ذلك الميت تعلقا بتلك التربة أيضا فحينئذ يحصل لنفس الزائر الحي ولنفس ذلك الانسان الميت تعلقا بتلك التربة وملاقاة بسبب اجتماعهما بتلك التربة أيضا فصار هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين متقابلتين بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منهما الى الاخرى فكل ما حصل في نفس هذا الزائر الحى من المعارف والبراهين والعلوم

الكسبية والاخلاق الفاضلة من الخشوع لله تعالى والرضا بقضاء الله تعالى ينعكس منه نور الى روح هذا الحي الزائر وبهذه الطريقة تصير تلك الزيارة سببا لحصول تلك المنفعة الكبرى والبهجة العظمى لروح هذا الزائر فهذا هو السبب والاصل في مشروعية الزيارة ولا يبعد ان يحصل منها اسرار اخرى ادق وأخفى مما ذكرنا وتمام الحقائق ليس الا عند الله تعالى انتهى كلام الرازى (ثم قال) قال الشيخ أبو المواهب قال بعض العارفين وللاولياء عند زيارة الاولياء وقائع كثيرة تدل على اعتناء المزور بالزائر وتوجهه اليه بالكلية على قدر توجهه وقابليته (قال النبهانى) انتهى ما نقلته من تقريب الاصول للسيد أحمد دحلان *

(أقول) انما نقلت كلام ابن دحلان الذى استدل به النبهانى على باطله من اوله الى آخره وان كان فيه تضييع المداد والقرطاس ويؤسف على ما يصرف مدة نقله على الانماس ليقف عليه المؤمن فيحمد الله على الايمان والاسلام ونجاته من ظلمات مثل هذه الاوهام واشناعتها وبشاعتها لدى ذوى العقول السليمة لا تحتاج الى اقامة دليل ولا برهان على ما حوته من بداهة البطلان وجميع من نقل عنه ذلك الهذيان كانوا من غلاة الشافعية فقط . ومن الاسف على مثل هذا المذهب ان دنسه هؤلاء الغلاة واضرابهم مع ما كان عليه الامام الشافعي من الاتباع للسنة * وقد صان الله تعالى السادة الحنفية والمالكية والحنابلة عن مثل هذه العقيدة الزائغة والقول الباطل . ومن المعلوم لديك ان النبهانى عقد بابا لزيارة القبور وبابا للسفر اليها وهذا بما هذى في كلا البابين وكانه نسى أن يذكر هذا الكلام فى موضعه فتداركه فى هذا المقام بأن له تعلقا به من حيث الاستمداد والاستفاضة اللذان ادعاهما فى زيارة قاتله الله ما أعظم جهله وغباوته *

ثم انا قد اسلفنا الكلام على الزيارة وبينا ما فيه الكفاية لمن كان له قلب سليم وقلنا ان الزيارة منها ما هو سنى وهو الذى كان يعلمه الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه من شأنها ومنها ما هو بدعي لم ينزل الله به من سلطان واطنبنا الكلام على كل ذلك وقلنا ما كتبه شيخ الاسلام فى الجواب الباهر وكتابه فى الرد على المعترض المالكى وهو الذى لم يسبقه أحد اليه ومنه يعلم ان ما كتبه ابن دحلان وما نقله عن الرازي كلام ساقط كل السقوط وليس عليه دليلا لا من كتاب ولا من سنة ولا من كلام السلف الصالح وكان الذى قال بقول الرازى من المتقدمين

والمتأخرين انما أخذوه عن الاشراقيين من فلاسفة اليونان ومن الاسف على مثل الرازي أن يتفوه بمثل مانقل عنه ومنزلته في العلم ما تعلم لكن الامام الذهبي قد بين حقيقته ومبلغه من علوم الدين وابن السبكي تأثر من شيخه الذهبي اذ بين حقيقته وأطال اللسان عليه في طبقاته في الكلام على ترجمة الرازي . وابن دحلان ليس مما يلام على جهله وغباوته ودعواه في العلم معلومة وعجبه وكبره مما يقتضي ما رأيت من جهله . والحاصل أنه لو لم يكن لنا دليل على بطلان ما نقله النبهاني عمن نقله سوى مخالفته للنقل الصحيح والعقل الصريح لكفانا ذلك فكيف والادلة على بطلانه كثيرة كما يعلم مما سبق *

(ثم ان النبهاني) نقل كلام ابن دحلان في كتابه خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام وعقد له بابا وجعله ثالث الابواب . وهو كلام ليس عليه اثارة من علم . ونقله النبهاني باسره فذكر الشبه التي تمسك بها الوهابية على زعمه . فقال ينبغي أولا ان نذكر الشبهات التي تمسك بها ابن عبد الوهاب في اضلال العباد . ثم نذكر الرد عليه ببيان ان كل ماتمسك به زور وافتراء وتلبيس على عوام الموحدين *

(قال فمن شبهاته) التي تمسك بها زعمه ان الناس مشركون في توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وبغيره من الانبياء والاولياء والصالحين وفي زيارتهم قبره صلى الله عليه وسلم وندائهم له بقولهم يارسول الله نسألك الشفاعة وزعم ان ذلك كله اشراك وحمل الآية القرآنية التي نزلت في المشركين على الخواص والعوام من المؤمنين كقوله تعالى فلا تدعوا مع الله أحدا وقوله تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقوله تعالى ولا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين . وقوله تعالى ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين . وقوله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير وقوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا * وامثال هذه الآيات كثيرة في القرآن كلها حملها على الموحدين الخ .

﴿أقول وبالله أستمد التوفيق﴾ ان النبهاني لم يزل يكرر مباحث كتابه وتسويده حتى عظم حجم كتابه وما أدري ماذا قصد بنقل كلام ابن دحلان فان الاستدلال به على باطله وهو لا يفيده ذلك فان الرجل ليس ممن يحتج بقوله بل ولا ممن يوثق به فانه مبتدع بل من الغلاة المشهورين وان كان نقله لكلامه ليبين للناس ان له أمثالا في الغلو والضلال فهذا مما لا يحتاج فقد قيل

﴿ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم﴾

وعلى كل حال فان مانقله النبهاني عن صاحبه مؤلف كتاب خلاصة الكلام وكتاب الدرر السنية في الرد على الوهابية كلام قد رددناه سابقا كما قد رد عليه من قبلي علماء وأفاضل محققون وقد انتشرت كتبهم منها كتاب صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان للعلامة المحدث الشيخ عبدالله بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عبد الرحيم السندي رحمه الله تعالى . وقد أجاد في رده عليه واظهر زيغه وعواره . فقد قال في خطبة كتابه * أما بعد فاني وقفت على الرسالة التي جمعها الشيخ احمد بن زيني دحلان وسماها الدرر السنية في الرد على الوهابية ورأيت مؤلفها يدعي في ديباجة رسالته الباطلة الساقطة الدنية الردية انه جمع فيها ماتمسك به أهل السنة في زيارة النبي صلى الله عليه وسلم والتوسل به من الدلائل والحجج القوية من الآيات والاحاديث النبوية فتعجبت منه التعجب الصراح كيف وليس في الباب حديث واحد حسن فضلا عن الصحاح فتأملت فيها تأمل الناقد البصير لكي أعلم به هل صدق في تلك الدعوى أم كذب كذب المجادل الضرير فوجدت دعواها عارية عن لباس الصدق والحق المبين محلاة بحلية الزور والكذب والباطل المهين فانه ليس فيها من الاحاديث الا ماأورده التقي السبكي في شفاء السقام . وهي دائرة بين الاحتمالات الثلاثة السقام . اما موضوعة عملتها أيدى الوضاع الاثام او ضعاف واهية رواها من وسم بمثل كثرة الغلط والخطأ والاوهام . او شئ يسير من الصحيح والحسن في زعمه قاصر عن افادة المرام . كما بين ذلك كله الامام ابو عبدالله محمد بن احمد بن عبد الهادي في كتابه الصارم المنكي . وليس فيها من الآيات والاحاديث الصحاح والحسان مايدل على المطلوب المحكي . وكان حقا على المؤلف تعاطي واحد مما يذكر لئلا يعد كلامه مما يهجر وينكر * أما إيراده لاحاديث صحيحة او حسنة دالة على المطلوب غير ما أورد في الشفاء او الاجابة عما تكلم به عليها صاحب الصارم وغيره من الائمة الاذكياء وان لم يفعل هذا ولا ذاك فليس لها فائدة .

ولا يؤول هذا الطول الى منفعة وفائدة ومن عجائب صنيعه أن الزيات مع زعمه انه من جملة الذين يستدل بالادلة الشرعية وهو منصب المجتهدين عن لي أن أنبه على ما وقع فيها من مساوى المفاهيم وزخارف الاقوال واراجيف الاستدلال لئلا يغتر بها من يقف عليها ممن لا خبرة له بحقائق علم السنة من المتون والرجال فبالله أستعين وأقول الى آخر ما قال *

(فاذا عرفت ما كان من الردود) على أقوال ابن دحلان فالتعرض لها فى مثل هذا المقام فضول ومع ذلك نشير اشارة اجمالية الى الرد عليها (فنقول) قوله فى شبهاته التي تمسك زعمه ان الناس مشركون فى توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم الخ لا اصل له بل ان له دلائل قطعية من الكتاب والسنة على ان العبادة مختصة بالله تعالى لا يشركه غيره لقوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) وقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم اذا استعنت فاستعن بالله الخ وبين أن ما لا يقدر عليه الا الله فطلبه منه مخ العبادة فمن صرفه لغيره فلا شك أنه عبد الغير ومن عبد الغير فقد اشرك على ما سبق فيما نقل عنه من كتاب الشبهات * ثم أنه لم يقل ان زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو قبور سائر الانبياء والصلحاء الزيارة المشروعة شرك بل ندبها واستحبها . نعم ان الزيارة المخالفة لما ورد فهى ليست بمقبولة كما انها كذلك عند المحققين من الائمة وقد سبق بيان ذلك فيما نقلناه عن شيخ الاسلام * وكذلك التوسل به بمعنى جعله وسيلة والطلب من الله تعالى ليس مما نوزع فيه . وقوله (وندائهم له الخ) قد أسلفنا لك فيما نقلناه من كتاب الشبهات ان الشفاعة تطلب من الله تعالى وتقدم تفصيله (وقوله) وحمل الآيات القرآنية التى نزلت فى المشركين على الخواص والعوام من المؤمنين الخ (فقد تقدم أيضا) بيان ذلك مفصلا فى كشف الشبهات * وحاصل ما أسلفناه أن من عبد غير الله شملته نصوص المشركين وان صام وان صلى فلا حاجة الى تكرير الكلام فى هذا المقام * وقد تكلم على هذه الاعتراضات على وجه البسط أيضا الشيخ عبد الله السندى فى رده على ابن دحلان فراجعه ان شئت فانه مفيد *

(ثم ان النبهانى) نقل كلام ابن دحلان بجملته وهو عين ما هذى به فى كتابه الدرر السنية وما فيها منقول عن الجوهر المنظم وشفاء السقام * وقد عرفت ما كان من الكتابين . وما كان من الرد عليهما فلا نتعب البنان برده * ثم قال بعد كلام طويل ان الذين اعتنوا بالرد على محمد

ابن عبد الوهاب خلائق لا يحصون من مشارق الارض ومغاربها من أرباب المذاهب الاربعة في كتب مبسوطة ومختصرة . (ثم ذكر) أحاديث الزيارة التي سبق الكلام عليها وبها ختم الباب (أقول) يجاب عن هذا الكلام من وجوه ﴿ الوجه الاول ﴾ ان كثيرا من العلماء المحققين انتصروا للشيخ وردوا على من رد عليه بكتب مفصلة مفيدة لا يسع المقام ذكرها *

﴿ الوجه الثاني ﴾ ان رد كثير من العلماء على الشيخ لا يقتضي بطلان ما كان عليه ولا حقية ما كان عليه خصومه انما معيار الحق شهادة الكتاب العزيز والسنة النبوية * واذا كان قوله وعمله موافقا للثقلين فلا مبالاة بمخالفة الغير كائنا من كان *

﴿ اذا رضيت عني كرام عشيرتي * فلا زال غضبانا على لئامها ﴾

﴿ الوجه الثالث ﴾ ان الامة لم تزل بين راد ومردود ولا يزالون مختلفين ولذلك خلقهم وكثير من علماء الصحابة والتابعين وتابعي التابعين قد خالفهم كثير من العلماء * هؤلاء المذاهب الاربعة كل واحد منهم له من المخالفين اكثر من الموافقين وكل منهم قد رد عليه خصومه بردود مفصلة . وهذا من المسلمات التي لا يسوغ النزاع فيها فالشيخ الدحلاني كأنه غض طرفه عما جرى بين أئمته وأتباعهم وما كان من خراب الديار بسبب تنازعهم . ورأى ما اعترض به خصوم ابن عبد الوهاب عليه لما أظهر زيغهم وزيفهم وباطلهم وضلالهم *

والحق بيد الشيخ الدحلاني فانه على جهله قد ادعى الرياسة على قوم لم يميزوا بين يمينهم وشمالهم وأطاعوه لموافقته لهم على ما ألفوه من الضلال والغي فاذا عامت أقوال هذا الرجل وتسر بها من تبصر تقطعت حبائل ابن دحلان . وأمثاله من حزب الشيطان . ثم انه ليس هو باول من رد عليه ولا أول من عودي وحسد . في البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخبر ورقة بن نوفل خبر ما رأى قال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ياليتني فيها جذعا ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم . قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي وان لم يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ولو أخذنا ما جرى على الائمة طال الكلام *

﴿ وقد ذكر الشيخ عبد اللطيف ﴾ في كتابه منهاج التأسيس . في الرد على ابن جرجيس . كلاما مفيدا يعلم منه السبب في معاداة الناس لجده الشيخ محمد ولا باس بذكره وانه يرد به على

الخصوم (قال عليه الرحمة) ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . وكان الناس قبل مبعثه على أديان متفرقة ونحل متباينة . وطرائق مختلفة . وضلال مستبين . كما فى صحيح مسلم من حديث عياض بن عمار عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله نظر الى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب فقام صلى الله عليه وسلم باعباء النبوة و لرسالة . وصدع بالانكار على كافة أهل الجهالة والضلالة . ودعى الناس الى معرفة الله تعالى وتوحيده . وأمرهم باخلاص الدين لله وتجريده . ولم يزل صلى الله تعالى عليه وسلم الى الله داعيا . والى سبيله هاديا . حتى أظهره الله على سائر فرق المشركين . الاميين منهم والكتابيين . واستنار الدين واستنار . وقهر الاسلام كل مشرك جبار . فأكمل الله للامة الدين . وأتم النعمة بما جاء به رسوله الامين . فدخل الناس فى دين الله أفواجا . وأشرقت الارض بنور النبوة واهتزت طربا وابتهاجا . ومحا الله آثار الاصنام والاوثان . وخمدت معابد الصلبان والنيران . ورفعت أعلام السنة والقرآن . حتى تركهم صلى الله عليه وسلم على البيضاء ليلها كنهارها . لايضل سالكها ولا يلتبس عليه مناهجها ومسالكها . ولم يزل خلفاؤه الراشدون . ومن بعدهم من تلك الاعصار الفاضلة والقرون . على هذا المنهج المنير متفقون . وبعروته مستمسكون . فاستمر الامر على ذلك . ومضى الصالحون على تلك المناهج الواضحة والمسالك . ثم نشأ فى الاسلام من لايعرف الجاهلية ولم يميز بين شعب الشرك والاصول الاسلاميه . فانتقضت من الدين عراه . وعز خلاصه وعظمت بالجهال محنته وبلواه . وآلت الرياسة الى الجهال والاغمار . وجاءت دوله غربة الدين واشتد الادبار . فوقع الشرك بالصالحين وغيرهم صرفا لم يشب . هرم عليه الكبير ونشأ الصغير وشب واستحكم الامر استحكاما لامزيد عليه . حتى حرم الاكثر كفر من أنكر ذلك وأشير به اليه وهذا من أعلام نبوة نبينا المصطفى . زاده الله تعالى صلاة وسلاما وشرفا . فقد روى الشيخان وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه . قلنا يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن . وجاء نحوه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه وفيه زيادة وباعا بباع وفيه حتى لو ان أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه وحتى لو ان أحدهم جامع أمه

في الطريق لفعلتموه . وفي الباب عن ابي هريرة رضي لله تعالى عنه وشداد بن أوس وعن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده . فصار الامر طبق ما أخبر به هذه الامة نبيها وظهر وجه الشبه بينهم وبينها . وانتهى الحال الى ان قيل بالاتحاد والحلول وكثرت في ذلك اشارات القوم والتقول . وصار هو مذهب الخاصة والخلاصة عند الاكثرين . ومن أنكره فهو عندهم ليس على شيء من العلم والدين . وعبدت الكواكب والنجوم . وصنف في ذلك مثل أبي معشر وصاحب السر المكتوم . وعظمت القبور وبنيت عليها المساجد . وعبدت تلك الضرائح والمشاهد ، وجعلت لها الاعياد الزمانية والمكانية . وصرفت لها العبادات المالية والبدنيه . ونحرت لها النحائر والقرابين وطاف بها الفوج بعد الفوج من الزائرين والسائلين . وحلقت لاربابها رؤس الوافدين . وهتف بدعائها ورجائها من حضر أو غاب من المعتقدين والمحبين . واعتمدوا عليها في المهمات من دون الله رب العالمين وانتهكت باعيادها وموالدها محظورات الشريعة والمحرمات . واستبيح فيها ما اتفق على تحريمه جميع الشرائع والنبوات . وكثر المكاء والتصدية بتلك الفجاج والعرصات . وبارزوا بتلك القبائح والمظالم فاطر الارض والسموات وصنف في استحبابه بعض شيوخهم كابن المفيد . وظنه الاكثر من دين الاسلام والتوحيد . ونسبوا الى من أنكره بالكفر الشديد . وقد ضمن الله تعالى لهذه الامة ان لا تجتمع على ضلالة . وان لا يزال فيها من يقوم لله تعالى قائما على أى وصف وحاله . وجاء الحديث بانه تعالى يبعث لهذه الامة على رأس كل قرن من يجدد لها أمر الدين . ويقوم من الحجة بالواضح المستبين . فمنهم من قص علينا نبؤه [illegible] ومنهم من انقطع عنا خبره وما تصل [illegible] أهل القرن الثاني [illegible] من [illegible] ووقف على ما قرره أهل العلم والاثر من [illegible] المجدد لما درس من أصول الملة والدين . السلفي الاول [illegible] أخر زمانه [illegible] ابن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وأحرق [illegible] الثراب [illegible] رحمه الله تعالى [illegible] ومائة وألف من سني الهجرة المحمدية [illegible] المواريخ [illegible] ساعدي جهده واجتهاده *

وأعلن بالنصح لله ولكتابه ولرسوله وسائر عباده [illegible] والدعوة [illegible] بالحكمة والموعظة [illegible]

والصنيع الذي رأينا ورويناه عن عباد القبور والصالحين . هو بعينه فعل الجاهلية الوثنيين . وهو الذي جاءت الرسل بمحوه وابطاله . وتكفير فاعله ورد باطله ومحاله . وقال ان حقيقة دين الاسلام وزبدة ما جاءت به الرسل الكرام . هو افراد الله تعالى بالقصد والعبادة واسلام الوجه له بالعمل والاراده . وترك التعلق على الاولياء من دونه والانداد . والبراءة من عبادة ماسواه من سائر المخلوقات والعباد . وهذا معنى كلمة الاخلاص والتوحيد . وهو الحكمة المقصودة بخلق جميع الكائنات والعبيد . وقرر رحمه الله ان مجرد الاتيان بلفظ الشهادة مع مخالفة ما دلت عليه الاصول المقررة ومع الشرك الاكبر في العبادة لا يدخل المكلف في الاسلام . اذ المقصود من الشهادتين حقيقة الاعمال التي لا يقوم الايمان بدونها كمحبة الله وحده والخضوع له والانابة اليه والتوكل عليه وافراده بالاستعانة والاستغاثة فيما لا يقدر عليه سواه وعدم الاشراك به فيما يستحقه من العبادات كالذبح والنذر والتقوى والخشية ونحو ذلك من الطاعات *

واستدل لذلك بنصوص قاطعة . وبراهين واضحة ساطعة . وحكى الاجماع على ذلك عن الائمة الفضلاء . والسادة النبلاء . من سائر أهل الفقه والفتوى . وذكر عبارة من حكى الاجماع من أهل المذاهب الاربعة وغيرهم . والف في ذلك التآليف . وقرر الحجة وصنف التصانيف . وقد عارضه من الغلاة المارقين . ومن الدعاة الى عبادة الاولياء والصالحين . أناس من أهل وقته فباؤا بغضب الله ومقته وأظهره الله عليهم بعد الامتحان . وحقت كلمة ربك على أهل الكفر والطغيان . وهذه سنة الله التي قد خلت من قبل . وحكمته التي يظهر بها ميزان الفضل والعدل وقد جمع أعداؤه شبهات في رد ما أبداه . وجحد ما قرره وأملاه . واستعانوا بملئهم من العجم والعرب . ونسبوه الى ما يستحيى من ذكره أهل العقل والادب . فضلا عن ذوي العلوم والرتب . وزعموا انه خارجي مخالف للسنة والجماعه . كما قاله اسلافهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه ساحر صاحب أفك وصناعه . انتهى ما قصدنا نقله من الكلام *

ثم ان النبهاني عقد بابا رابعا نقل فيه على زعمه أقوال علماء المذاهب الاربعة في الرد على ابن تيمية والكلام على بعض كتبه ومخالفته أهل السنة في بعض المسائل المهمة ومنها اعتقاد الجهة في جانب الله تعالى [illegible] (قال فمن عاصره) الامام صدر الدين ابن الوكيل المعروف بابن

من رجال الشافعي وقد ناظره *

(أقول وبمن الله المدد والاعانة) هذا الباب هو عمدة أبواب كتاب النبهاني وبيت قصيده ولاجل ذكره ألف كتابه فان الثلاثة بعضهم لشيخ الاسلام ابن تيمية مما لا شبهة فيه والنبهاني في هذا من حثالتهم وفضلاتهم فلا شك أنه من أشد الناس عداوة لهذا الامام لان غالب كتبه في الرد على المبتدعة وأهل الزيغ والضلال والالحاد (ثم أنه) ذكر ابن الوكيل قبل كل أحد من أعداء الشيخ لانه كان عريقا في البدع مبغضا للسنة النبوية وكان من غلاة الشافعية أيضا وقعت بينه وبين شيخ الاسلام قدس الله روحه مناظرات وقد أثار عليه فتنا كثيرة . وقد رأيت ان أذكر ما كان من المناظرة بين الشيخ وخصومه ليتبين للناظر أعداؤه من محبيه . ورأيت رسالة من جملة الرسائل الكبرى التي طبعت حديثا في مصر مشتملة على بيان مناظرته ورأيت فيها تحريفا كثيرا وتقصانا مع ان الشيخ ألف كتابا فيما عقد له من المجالس وما جرى له فيها فاحببت ان أذكر ما وجدته من ذلك ليكون المنصف على بصيرة من أمره . وكلام صاحب الواقعة أصح من غيره . ولذلك اتحفت أهل العلم بذكرها لما اشتملت عليه من الفوائد العزيزة والمسائل الكثيرة *

﴿ذكر المجالس التي انعقدت لمناظرة شيخ الاسلام ابن تيمية في عقيدته الواسطية﴾

(وهي من مصنفاته رضي الله تعالى عنه)

(قال بعد البسملة) الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين . وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا ظهير له ولا معين . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أرسله الى الخلق أجمعين . صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وعلى سائر عباد الله الصالحين *

(اما بعد) فقد سئلت غير مرة أن اكتب ما حضرني ذكره مما جرى في المجالس الثلاثة المعقودة للمناظرة في أمر الاعتقاد بمقتضى ما ورد من كتاب ذي السلطان من الديار المصرية الى نائبه أمير البلاد لما سعى اليه قوم من الجهمية والاتحادية والرافضة وغيرهم من ذوي الاحقاد فامر الامير بجمع القضاة الاربعة . قضاة المذاهب الاربعة وغيرهم من نوابهم والمفتين والمشايخ ممن له حرمة وبه اعتداد . وهم لا يدرون ما قصد بجمعهم في هذا الميعاد . وذلك يوم الاثنين ثامن رجب المبارك عام خمس وسبعمائة فقال لي هذا المجلس عقد لك فقد ورد مرسوم السلطان

بأن نسألك عن اعتقادك وعما كتبت به الى الديار المصرية من الكتب التي تدعو بها الناس الى الاعتقاد . وأظنه قال وان أجمع القضاة والفقهاء ويتباحثون في ذلك

(فقلت) أما الاعتقاد فلا يؤخذ عني ولا عمن هو أكبر مني بل يؤخذ عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وما أجمع عليه سلف الامة فما كان في القرآن وجب اعتقاده وكذلك ما ثبت في الاحاديث الصحيحة مثل صحيح البخاري ومسلم وأما الكتب فما كتبت الى أحد ابتداء أدعو به الى شيء من ذلك ولكني كتبت أجوبة أجبت بها من سألني من أهل الديار المصرية وغيرهم وكان قد بلغني انه زور علي كتاب الى الامير ركن الدين الجاشنكير استاذدي السلطان يتضمن ذكر عقيدة محرفة ولم أعلم بحقيقته لكن علمت انه مكذوب *

وكان يرد علي من مصر وغيرها من يسألني عن مسائل في الاعتقاد فاجيبه بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الامة فقال نريد ان تكتب لنا عقيدتك فقلت اكتبوا *

فامر الشيخ كمال الدين ان يكتب فكتب له جمل الاعتقاد في أبواب الصفات والقدر . ومسائل الايمان والوعيد والامامة والتفضيل . وهو ان اعتقاد أهل السنة والجماعة الايمان بما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسول من غير تحريف ولا تعطيل . ولا تكييف ولا تمثيل . وان القرآن كلام الله غير مخلوق . منه بدا واليه يعود . والايمان بان الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها . وانه ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . وانه أمر بالطاعة وأحبها ورضيها . ونهى عن المعصية وكرهها . والعبد فاعل حقيقة . والله خالق فعله وان الايمان والدين قول وعمل يزيد وينقص . وان لا نكفر أحدا من أهل القبلة بالذنوب ولا نخلد في النار من أهل الايمان أحدا وان الخلفاء بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي . وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة . ومن قدم علي على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والانصار . وذكرت هذا أو نحوه . فاني الآن قد بعد عهدي ولم أحفظ لفظ ما أمليته لكنه كتب اذ ذاك *

(ثم قلت) للامير والحاضرين أنا أعلم ان أقواما يكذبون علي كما قد كذبوا غير مرة وان أمليت الاعتقاد من حفظي ربما يقولون كتم بعضه أو داهن وداري فانا أحضر عقيدة مكتوبة من نحو سبع سنين قبل ان يجيء التتر الى الشام وقلت قبل حضورها كلاما قد بعد عهدي به وغضبت غضبا شديدا لكني أذكر اني قلت انا اعلم ان أقواما كذبوا علي وقالوا للسلطان اشياء

وتكلمت بكلام احتجت اليه ، مثل أن قلت من قام بالاسلام أوقات الحاجة غيري ، ومن الذي أوضح دلائله وبينه وجاهد أعداءه وأقامه لما مال ، حين تخلى عنه كل أحد ، ولا أحد ينطق بحجته ولا أحد يجاهد عنه ، وقمت مظهرا لحجته مجاهدا عنه مرغبا فيه *

(فاذا) هؤلاء يطمعون في الكلام فيَّ فكيف يصنعون بغيري ، ولو ان يهوديا طلب من السلطان الانصاف لوجب عليه ان ينصفه وأنا قد أعفو عن حق وقد لا أعفو بل أطلب الانصاف منه وان يحضر هؤلاء الذين يكذبون ليكافئوا على افترائهم ، وقلت كلاما أطول من هذا الجنس لكن بعد عهدي به *

فاشار الامير الى كاتب الدرج محي الدين ان يكتب في ذلك وقلت أيضا كل من خالفني في شئ مما كتبته فانا أعلم بمذهبه منه . وما أدري هل قلت هذا قبل حضورها أو بعده لكن قلت أيضا بعد حضورها وقرائتها ماذكرت فيها فصلا الا وفيه مخالف من المنتسبين الى القبلة ، وكل جملة فيها خلاف لطائفة من الطوائف ثم أرسلت من احضرها ومعه كراريس بخطي من المنزل . فحضرت العقيدة الواسطية وقلت لهم هذه كان سبب كتابتها انه قدم عليَّ من ارض واسط بعض قضاة نواحيها شيخ يقال رضى الدين الواسطى من اصحاب الشافعى قدم علينا حاجا وكان من اهل الخير والدين وشكا ما الناس فيه بتلك البلاد في دولة التتر من غلبة الجهل والظلم ودروس الدين والعلم وسألني ان اكتب له عقيدة تكون عمدة له ولاهل بيته فاستعفيت من ذلك وقلت قد كتب الناس عقائد متعددة فخذ بعض عقائد ائمة السنة فالح في السؤال وقال ما احب الاَّ عقيدة تكتبها انت فكتبت له هذه العقيدة وأنا قاعد بعد العصر وقد انتشرت بها نسخ كثيرة في مصر والعراق وغيرهما فاشار الامير بان أقرأها انا لرفع الريبة واعطاها لكاتبه الشيخ كمال الدين فقرأها على الحاضرين حرفا حرفا والجماعة الحاضرون يسمعونها ويورد المورد منهم ماشاء ويعارض فيما شاء والامير ايضا سأل عن مواضع فيها ، وقد علم الناس ما كان في نفوس طائفة من الحاضرين من الخلاف والهوى ما قد علم الناس بعضه وبعضه بسبب الاعتقاد وبعضه بغير ذلك ، ولا يمكن ذكر ماجري من الكلام والمناظرات في هذه المجالس فانه كثير لا ينضبط لكن اكتب ملخص ما حضرني من ذلك مع بعد العهد بذلك ومع انه كان يجرى رفع اصوات ولغط لا ينضبط *

﴿ وكان مما ﴾ اعترض عليه بعضهم لما ذكر في أولها : ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل . فقال ما المراد بالتحريف والتعطيل ومقصوده ان هذا ينفي التأويل الذي أثبته أهل التأويل الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره اما وجوبا واما جوازا . فقلت تحريف الكلم عن مواضعه كما ذمه الله تعالى في كتابه وهو ازالة اللفظ عما دل عليه من المعنى مثل تأويل بعض الجهمية لقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما ، اي جرحه بأظافير الحكمة تجريحا . ومثل تأويلات القرامطة والباطنية وغيرهم من الجهمية والرافضة والقدرية وغيرهم فسكت وفي نفسه ما فيها *

وذكرت في غير هـذا المجلس اني عدلت عن لفظ التأويل الى لفظ التحريف لان التحريف اسم جاء القرآن بذمه . وانا تحريت في هـذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة فبينت ما ذمه الله من التحريف ولم اذكر فيها لفظ التأويل بنفي ولا اثبات لانه لفظ له عدة معان كما بينته في موضعه من القواعد فان معنى لفظ التأويل في كتاب الله غير معنى لفظ التأويل في اصطلاح المتأخرين من أهل الاصول والفقه وغير معنى لفظ التأويل في اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف لان من المعاني التي قد تسمى تأويلا ما هو صحيح منقول عن بعض السلف فلم أنف ما تقوم به الحجة على صحته اذ ما قامت الحجة على صحته وهو منقول عن السلف فليس من التحريف

﴿ وقلت لهم أيضا ﴾ ذكرت في النفي التمثيل ولم اذكر التشبيه لان التمثيل نفاه الله بنص كتابه حيث قال ليس كمثله شيء وقال هل تعلم له سميا وكان أحب الي من لفظ ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله وان كان قد يعني بنفيه معنى صحيح كما قد يعنى به معنى فاسد . ولما ذكرت انهم لا ينفون عنه ما وصف به نفسه ويحرفون الكلم عن مواضعه ويلحدون في أسماء الله وآياته جعل بعض الحاضرين يتمعض من ذلك لاستشعاره ما في ذلك من الرد الظاهر عليه . ولـكن لم يتوجه له ما يقوله واراد ان يدور بالاسئلة التي أعدها فلم يتمكن لعلمه بالجواب .

﴿ ولما ذكرت آية الـكرسي ﴾ أظنه سال الامير عن قولنا لا يقرب به شيطان حتى يصبح وذكرت حديث أبي هريرة في الذى كان يسرق صدقة الفطر وذكرت ان البخارى رواه في صحيحه وأخذوا يذكرون نفي التشبيه والتجسيم ويطنبون في هذا ويعرضون لما ينسبه بعض الناس الينا من ذلك .

﴿ وقلت ﴾ قولي من غير تكييف ولا تمثيل ينفي كل باطل وانما اخترت هذين الاسمين لان التكييف مأثور نفيه عن السلف كما قال ربيعة ومالك وابن عيينة وغيرهم المقالة التي تلقاها العلماء بالقبول الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة فاتفق هؤلاء السلف على ان التكييف غير معلوم لنا فنفيت ذلك اتباعا لسلف الامة وهو ايضا منفي بالنص فان تأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف وحقيقة صفاته وهذا من التأويل الذي لا يعلمه الا الله كما قد قررت ذلك في قاعدة مفردة ذكرتها في التأويل والفرق بين علمنا بمعنى الكلام وبين علمنا بتأويله *

﴿ وكذلك ﴾ التمثيل منفيّ بالنص والاجماع القديم مع دلالة العقل على نفيه ومعنى التكييف اذ كنه البارى غير معلوم للبشر وذكرت في ضمن ذلك الخطأ الذي نقل انه مذهب السلف وهو اجراء الصفات وأحاديث الصفات على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها اذ الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات يحتذى فيه حذوه ويتبع فيه مثاله . فاذا كان اثبات الذات اثبات وجود لا اثبات تكييف — وكذلك اثبات الصفات اثبات وجود لا اثبات تكييف

﴿ وقال أحد كبار المخالفين ﴾ فحينئذ يجوز أن يقال هو جسم لا كالاجسام . فقلت له أنا وبعض الفضلاء الحاضرين انما قيل انه لو وصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم وليس في الكتاب والسنة ان الله جسم حتى يلزم هذا السؤال *

﴿ وأخذ بعض القضاة ﴾ المعروفين بالديانة يريد اظهار ان ينفى عنا مايقول وينسبه البعض الينا فجعل يريد المبالغة في نفي التشبيه والتجسيم فقلت ذكرت فيها في غير موضع من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل *

﴿ قلت في صدرها ﴾ ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصف به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل *

﴿ ثم قلت ﴾ وماوصف الرسول به ربه من الاحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الايمان بها كذلك الى أن قلت الى أمثال هذه الاحاديث التي يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أخبر به فان الفرقة الناجية أهل السنة يؤمنون بذلك . كما يؤمنون بما أخبر الله في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل . ومن غير تكييف ولا تمثيل . بل هم وسط في فرق

الأمة كما كانت الأمة هي الوسط في الأمم فهم وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية وبين أهل التمثيل المشبهة *

﴿ ولما رأى هذا الحاكم العدل ﴾ ممالأتهم وتعصبهم ورأى قلة العارف الناصر وخافهم قال أنت صنفت اعتقاد الامام أحمد فتقول هذا اعتقاد أحمد يعني والرجل يصنف على مذهبه فلا يعترض عليه فان هذا مذهب متبوع . وغرضه بذلك قطع مخاصمة الخصوم فقلت ما جمعت الا عقيدة السلف الصالح جميعهم ليس للامام احمد اختصاص بهذا . والامام أحمد انما هو مبلغ العلم الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ولو قال أحمد من تلقاء نفسه مالم يجئ به الرسول لم نقبله . وهذه عقيدة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم *

﴿ وقلت مرات ﴾ قد أمهلت كل من خالفني في شيء منها ثلاث سنين فان جاء بحرف واحد عن أحد من القرون الثلاثة التي أثنى عليها النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم يخالف ما ذكرناه فانا أرجع عن ذلك وعلى أن آتي بنقول جميع الطوائف عن القرون الثلاثة يوافق ماذكرناه من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والاشعرية وأهل الحديث والصوفية وغيرهم *

(وقلت أيضا في غير هذ المجلس) الامام أحمد رضي الله تعالى عنه لما انتهى اليه من السنة ونصوص رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر مما انتهى الى غيره وابتلى بالمحنة والرد على أهل البدع اكثر من غيره كان كلامه وعلمه في هذا الباب اكثر من غيره فصار اماما في السنة اظهر من غيره والا فالامر كما قاله بعض شيوخ المغاربة العلماء الصلحاء . قال المذهب لمالك والشافعي والظهور لاحمد بن حنبل . يعني ان الذي كان عليه أحمد عليه جميع أئمة الاسلام وان كان لبعضهم من الزيادة او البيان او اظهار الحق ودفع الباطل ما ليس لبعض *

(ولما جاء فيها) وما وصف به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ربه في الاحاديث الصحاح التي تلقاها أهل العلم بالقبول . (ولما جاء) حديث أبي سعيد المتفق عليه في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت ان الله يأمرك أن تبعث بعثا الى النار الحديث . سألهم الامير هل الحديث صحيح فقلت نعم هو في الصحيحين ولم يخالف في ذلك أحد واحتاج المنازع الى الاقرار به ووافق الجماعة على ذلك *

(وطلب الامير) الكلام في مسألة الحرف والصوت لان ذلك مطلوب منه فقلت هذا الذى يحكيه كثير من الناس عن الامام أحمد وأصحابه ان صوت القارئين ومداد المصاحف قديم ازلي كما نقله مجد الدين بن الخطيب وغيره كذب مفترى لم يقل ذلك أحمد ولا احد من علماء المسلمين لا من أصحاب أحمد ولا غيرهم . وأخرجت كراسا قد احضرته مع العقيدة فيه الفاظ أحمد مما ذكره الشيخ ابو بكر الخلال في كتاب السنة عن الامام أحمد وما جمعه صاحبه ابو بكر المروزى من كلام الامام أحمد وكلام أئمة زمانه وسائر أصحابه فان من قال لفظى بالقرآن مخلوق فهو جهمى . ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع *

(قلت) وهذا هو الذى نقله الاشعرى فى كتاب المقالات عن أهل السنة وأصحاب الحديث وقال انه يقول به قلت فكيف بمن يقول لفظى قديم فكيف بمن يقول صوتى غير مخلوق فكيف بمن يقول صوتى قديم ونصوص الامام أحمد فى الفرق بين تكلم الله فى صوت وبين صوت العبد كما نقله البخارى صاحب الصحيح فى كتاب خلق أفعال العباد وغيره من أئمة السنة

﴿ واحضرت جواب مسئلة ﴾ كنت سئلت عنها قديما فيمن حلف بالطلاق فى مسألة الحرف والصوت ومسالة الظاهر فى العرش فذكرت من الجواب القديم فى هذه المسألة وتفصيل القول فيها وان اطلاق القول ان القرآن هو الحرف والصوت اوليس بحرف ولا صوت كلاهما بدعة حدثت بعد المائة الثالثة *

(وقلت) هذا جوابي . وكانت هذه المسألة قد ارسل بها طائفة من المعاندين المتجهمة ممن كان بعضهم حاضرا فى المجلس فلما وصل اليهم الجواب اسكتهم وكانوا قد ظنوا انه ان اجبت بما فى ظنهم ان أهل السنة تقوله حصل مقصودهم من الشناعة وان اجبت بما يقولونه هم حصل مقصودهم من الموافقة . فلما اجيبوا بالفرقان الذى عليه أهل السنة وليس هو كما يقولونه هم ولا ما ينقلونه عن أهل السنة او قد يقوله بعض الجهال بهتوا لذلك . وفيه ان القرآن كله كلام الله حروفه ومعانيه ليس القرآن اسما لمجرد الحروف ولا لمجرد المعانى *

(وقلت فى ضمن الكلام لصدر الدين بن الوكيل)لبيان كثرة تناقضه وانه لا يستقر على مقالة واحدة وانما يسعى فى الفتن والتفريق بين المسلمين (عندي)عقيدة للشيخ ابى البيان فيها ان من قال ان حرفا من القرآن مخلوق فقد كفر . وقد كتبت عليها بخطك ان هذا مذهب

الشافعي وأئمة أصحابه وبأنه يدين الله بما فيها فاعترف بذلك . ولما تكلم الشيخ كمال الدين بن الزملكاني في ذلك . فقال ابن الوكيل هذا نص الشافعي وراجعه في ذلك مرارا . فلما اجتمعنا في المجلس الثاني ذكر لابن الوكيل . ان ابن درباس نقل في كتاب الانتصار عن الشافعي مثل ماقلت . فلما كان في المجلس الثالث اعاد ابن الوكيل الكلام في ذلك . فقال الشيخ كمال الدين لصدر الدين بن الوكيل قد قلت في ذلك المجلس الشيخ تقي الدين انه من قال ان حرفا من القرآن مخلوق فهو كافر فاعاده مرارا فغضب هنا الشيخ كمال الدين غضبا شديدا ورفع صوته وقال هذا يكفر أصحابنا المتكلمين الاشعرية الذين يقولون ان حروف القرآن مخلوقة مثل امام الحرمين وغيره . ومانصبر على تكفير أصحابنا . فانكر ابن الوكيل انه قال ذلك وقال ماقلت ذلك . وانما قلت ان من انكر حرفا من القرآن فقد كفر فرد ذلك عليه الحاضرون . وقالوا ما قلت الا كذا وكذا . وقالوا ما ينبغي لك ان تقول قولا وترجع عنه . وقال بعضهم ماقال هذا فلما حرفوا قال ما سمعناه قال هذا حتى قال نائب السلطان واحد يكذب وآخر يشهد والشيخ كمال الدين مغضب فالتفت الى قاضي القضاة نجم الدين الشافعي يستصرخه للانتصار على ابن الوكيل حيث كفر أصحابه . فقال القاضي نجم الدين . ما سمعت هذا فغضب الشيخ كمال الدين وقال كلاما لم اضبط لفظه الا ان معناه ان هذا غضاضة على الشافعي وعاد عليهم ان أئمتهم يكفرون ولا ينتصر لهم ولم اسمع من الشيخ كمال الدين ما قال في حق القاضي نجم الدين واستثبت غيري ممن حضر هل سمع منه في حقه شيأ فقالوا لا لكن القاضي اعتقد ان التعيير لاجله ولكونه قاضي المذهب ولم ينتصر لاصحابه . وان الشيخ كمال الدين قصده بذلك فغضب قاضي القضاة نجم الدين . وقال اشهدوا عليّ انى عزلت نفسي واخذ يذكر ما يستحق به التقديم والاستحقاق وعفته عن التكلم في اعراض الجماعة ويستشهد بنائب السلطان في ذلك . وقلت له كلاما مضمونه تعظيمه واستحقاقه لدوام المباشرة في هذه الحال *

﴿ ولما جاءت مسئلة القرآن ﴾ ومن الايمان به الايمان بان القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدا واليه يعود نازع بعضهم في كونه منه بدا واليه يعود وطلبوا تفسير ذلك . فقلت اما هذا القول فهو المأثور الثابت عن السلف مثل ما نقله عمرو بن دينار . قال أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون الله الخالق وما سواه مخلوق الا القرآن فانه كلام الله غير مخلوق منه بدا واليه يعود . وقد

جمع غير واحد ما في ذلك من الآثار عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والصحابة والتابعين كالحافظ أبي الفضل بن ناصر والحافظ أبي عبد الله المقدسي • واما معناه فان قولهم منه بدا أي هو المتكلم به وهو الذي أنزله من لدنه ليس هو كما تقوله الجهمية أنه خلق في الهواء او غيره وبدا من عند غيره • واما اليه يعود فانه يسرى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى في الصدور منه كلمة ولا في المصاحف منه حرف ووافق على ذلك غالب الحاضرين وسكت المنازعون *

وخاطبت بعضهم في غير هذا المجلس بأن اريته العقيدة التي جمعها الامام القادري وفيها أنه كلام الله خرج منه فتوقف في هذا اللفظ فقلت هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تقرب العباد الى الله بمثل ما خرج منه يعني القرآن • وقال خباب بن الارت يا هذا تقرب الى الله بما استطعت فلن يتقرب اليه بشيء أحب اليه مما خرج منه وقال ابو بكر الصديق لما قرأ قرآن مسيلمة الكذاب ان هذا الكلام لم يخرج من ال يعني رب (وجاء فيها) ومن الايمان به الايمان بان القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا واليه يعود وان الله تكلم به حقيقة وان هذا القرآن الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ولا يجوز اطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله او عبارة بل اذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله فان الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبتديا لا الى من قاله مبلغا موديا فتمعض بعضهم من اثبات كونه كلام الله حقيقة بعد تسليمه ان الله تعالى تكلم به حقيقة • (ثم) انه سلم ذلك لما بين له ان المجاز يصح نفيه وهذا لا يصح نفيه ولما بين له ان أقوال المتقدمين المأثورة عنهم وشعر الشعراء المضاف اليهم هو كلامهم حقيقة فلا يكون شبه القرآن باقل من ذلك • فوافق الجماعة كلهم على ما ذكر في مسألة القرآن وان الله متكلم حقيقة وان القرآن كلام الله حقيقة لا كلام غيره *

* ولما ذكر فيها * ان الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبتديا لا الى من قاله مبلغا مؤديا استحسنوا هذا الكلام وعظموه • وأخذ اكبر الخصوم يظهر تعظيم هذا الكلام كابن الوكيل وغيره وأظهر الفرح بهذا التلخيص • وقال انك قد ازلت عنا هذه الشبهة وشفيت الصدور ويذكر شيأ من هذا النمط *

﴿ ولما جاء ما ذكر ﴾ من الايمان باليوم الآخر وتفصيله ونظمه استحسنوا ذلك وعظموه وكذلك لما جاء ذكر الايمان بالقدر وانه على درجتين الى غير ذلك من القواعد الجليلة (وكذا لما جاء) ذكر الكلام في الفاسق الملي وفي الايمان لكن اعترضه على ذلك بما سأذكره (وكان ما اعترض به) المنازعون للمانذوين بعد انقضاء قراءة جميعها والبحث فيها عن أربعة أسئلة ﴿ الاول ﴾ قولنا ومن أصول الفرقة الناجية ان الايمان والدين قول وعمل يزيد وينقص قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح قالوا اذا قيل ان هذا من أصول الفرقة الناجية خرج عن الفرقة الناجية من لم يقل ذلك مثل أصحابنا المتكلمين الذين يقولون ان الايمان هو التصديق ومن يقول الايمان هو التصديق والاقرار واذا لم يكونوا من الناجين لزم أن يكونوا هالكين *

﴿ واما الاسئلة الثلاثة ﴾ وهي التي كانت عمدتهم فاوردوها وقد دخل فيما ذكرناه من الايمان بالله الايمان بما أخبر الله في كتابه وتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمع عليه سلف الامة من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه عليّ على خلقه وهو معهم أينما كانوا يعلم ماهم عاملون كما جمع بين ذلك قوله تعالى (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) وليس معنى قوله وهو معكم انه مختلط بالخلق فان هذا لا توجبه اللغة وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الامة وخلاف ما فطر الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع فى السماء وهو مع المسافر أينما كان وغير المسافر وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع اليهم الى غير ذلك من معانى ربوبيته وكل هذا الكلام الذى ذكره الله تعالى من أنه فوق العرش وانه معنا حق على حقيقته لا يحتاج الى تحريف ولكن يصان على الظنون الكاذبة *

﴿ السؤال الثانى ﴾ قال بعضهم نقر باللفظ الوارد مثل حديث العباس حديث الاوعال والله فوق العرش ولا نقول فوق السموات ولا نقول على العرش استوى ولا نقول مستو وأعادوا هذا المعنى مرارا ان اللفظ الذى ورد يقال اللفظ بعينه ولا يبدل بلفظ يرادفه ولا يفهم له معنى أصلا . ولا يقال انه يدل على صفة لله أصلا . ويبسط الكلام فى هذا في المجلس الثانى كما سنذكره ان شاء الله تعالى *

﴿السؤال الثالث﴾ قالوا التشبيه بالبشر فيه تشبيه كون الله في الجهة *

﴿السؤال الرابع﴾ قالوا وقولك حق على حقيقته . الحقيقة هي المعنى اللغوي ولا يفهم من الحقيقة اللغوية الا استواء الاجسام وفوقيته ولم تضع العرب ذلك الا لها فاثبات الحقيقة هو محض التجسيم ونفي التجسيم مع هذا تناقض ومصانعة (فاجبتهم عن الاسئلة) بان قولي اعتقاد الفرقة الناجية هي الفرقة التي وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بالنجاة حيث قال تفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي فهذا الاعتقاد هو المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وهم ومن اتبعهم . الفرقة الناجية فانه قد ثبت عن غير واحد من الصحابة أنه قال الايمان يزيد وينقص وكل ماذكرته في ذلك فانه مأثور عن الصحابة بالاسانيد الثابتة لفظه ومعناه . واذا خالفهم من بعدهم لم يضر في ذلك (قلت لهم) وليس كل من خالف في شئ من هذا الاعتقاد يجب ان يكون هالكا فان المنازع قد يكون مجتهداً مخطئا يغفر الله خطاه . وقد لايكون بلغه في ذلك من العلم ماتقوم عليه الحجة . وقد تكون له من الحسنات مايمحو الله به سيئاته واذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة لايجب ان يدخل فيها المتأول والقانت وذو الحسنات الماحية والمغفور له وغير ذلك . فهذا أولى بل موجب هذا الكلام ان من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد . ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيا . وقد لايكون ناجيا كما يقال من صمت نجا *

﴿وأما السؤال الثاني﴾ فاجبتهم أولا بان كل لفظ قلته فهو مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل لفظ فوق السموات ولفظ على العرش وفوق العرش (وقلت) اكتبوا الجواب فأخذ الكاتب في كتابته . ثم قال بعض الجماعة قد طال المجلس اليوم فيؤخر هذا الى مجلس آخر وتكتبون أنتم الجواب وتحضرونه في ذلك المجلس . فأشار بعض الموافقين بان يتم الكلام بكتابة الجواب لئلا تنتشر أسئلتهم واعتراضهم وكان الخصوم لهم غرض في تأخير كتابة الجواب ليستعدوا لانفسهم ويطالعوا ويحضروا من غاب من أصحابهم ويتأمل العقيدة فيما بينهم ليتمكنوا من الطعن والاعتراض فحصل الاتفاق ان يكون تمام الكلام يوم الجمعة وقمنا على ذلك وقد أظهر الله من قيام الحجة وبيان المحجة ما أعز به السنة والجماعة وأرغم به أهل البدعة والضلالة *

﴿ [illegible] ﴾ [illegible]
[illegible] ما أجبت به في مسائل كثيرة لا يعتقدها مثل المسألة الحرفية والاستواء والصفات الخبرية وغيرها *

﴿ قال عليه الرحمة فصل ﴾ فلما كان المجلس الثاني يوم الجمعة في ثاني عشر رجب وقد أحضروا أكثر شيوخهم ممن لم يكن حاضرا ذلك المجلس وأحضروا معهم زيادة صفي الدين الهندي وقالوا هذا أفضل الجماعة وشيخهم في علم الكلام وبحثوا فيما بينهم واتفقوا وتواطؤوا وحضروا بقوة واستعداد المخاطب الذي هو المسؤل والمجيب والمناظر . فلما اجتمعنا وقد أحضرت ما كتبته من الجواب عن أسئلتهم المتقدمة التي طلبوا تأخيره الى اليوم حمدت الله بخطبة الحاجة خطبة ابن مسعود رضي الله عنه . ثم قلت ان الله تعالى أمرنا بالجماعة والائتلاف ونهانا عن الفرقة والاختلاف وقال لنا في القرآن واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا . وقال ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء . وقال ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات وربنا واحد وكتابنا واحد ونبينا واحد . وأصول الدين لا تحتمل التفرق والاختلاف وأنا أقول ما يوجب الجماعة بين المسلمين وهو متفق عليه بين السلف فان وافق الجماعة فالحمد لله والا فمن خالفني بعد ذلك كشفت الاسرار وهتكت الاستار . وبينت المذاهب الفاسدة التي أفسدت الملل والدول . وأنا أذهب الى سلطان الوقت على البريد وأعرفه من الامور مالا أقوله في هذا المجلس . فان للسلم كلاما وللحرب كلاما (وقلت) لاشك ان الناس يتنازعون يقول هذا انا حنبلي . ويقول هذا أنا أشعرى . ويجري بينهم تفرق وفتن واختلاف على أمور لايعرفون حقيقتها . وأنا قد أحضرت مايبين اتفاق المذاهب فيما ذكرته . وأحضرت كتاب تبيين كذب المفتري فيما ينسب الى الشيخ أبي الحسن الاشعرى رضى الله عنه تاليف الحافظ أبي القاسم ابن عساكر رحمه الله (وقلت) لم يصنف في أخبار الاشعرى المحمودة كتاب مثل هذا . وقد ذكر فيه لفظه الذي ذكره في كتابه الابانة *

﴿ فلما ﴾ انتهيت الى ذكر المعتزلة سأل الامير عن معنى المعتزلة فقلت كان الناس في قديم الزمان قد اختلفوا في الفاسق الملي وهو من أول اختلاف حدث في الملة هل هو كافر أو مؤمن . فقالت الخوارج انه كافر . وقالت الجماعة انه مؤمن . وقالت طائفة نقول هو فاسق لامؤمن ولا كافر ننزله

منزلة بين المنزلتين وخلدوهم في النار واعتزلوا حلقة الحسن البصري وأصحابه رحمه الله تعالى فسموا معتزلة (وقال الشيخ الكبير) بجبة ورداء اليمن كما قلت ولكن أول مسألة اختلف فيها المسلمون مسألة الكلام وسمي المتكلمون متكلمين لأجل تكلمهم في ذلك وكان أول من قالها عمرو بن عبيد ثم خلفه بعد موته عطاء بن واصل *

﴿هكذا قال﴾ وذكر نحوا من هذا فغضبت عليه وقلت أخطأت وهذا كذب مخالف للاجماع وقلت له لا أدب ولا فضيلة. لا تأدبت معي في الخطاب. ولا أصبت في الجواب *

﴿قلت﴾ الناس اختلفوا في مسألة الكلام في خلافة المأمون وبعدها في أواخر المائة الثانية وأما المعتزلة فقد كانوا قبل ذلك بكثير من زمن عمرو بن عبيد بعد موت الحسن البصري في أوائل المائة الثانية ولم يكن أولئك قد تكلموا في مسألة الكلام ولا تنازعوا فيها وانما أول بدعتهم تكلمهم في مسائل الأسماء والاحكام والوعيد فقال هذا ذكره الشهرستاني في كتاب الملل والنحل فقلت الشهرستاني ذكره في اسم المتكلمين لم سموا متكلمين، لم يذكره في اسم المعتزلة والامير انما سال عن اسم المعتزلة وأنكر الحاضرون عليه وقالوا غلطت وقلت في ضمن كلام أنا أعلم كل بدعة حدثت في الاسلام وأول من ابتدعها وما كان سبب ابتداعها وأيضا فما ذكره الشهرستاني ليس بصحيح في اسم المتكلمين فان المتكلمين كانوا يسمون بهذا الاسم قبل منازعتهم في مسالة الكلام وكانوا يقولون عن واصل بن عطاء انه متكلم ويصفونه بالكلام ولم يكن الناس اختلفوا في مسألة الكلام وقلت أنا وغيري انما هو واصل بن عطاء أي لا عطاء بن واصل كما ذكره المعترض قلت وواصل لم يكن بعد موت عمرو بن عبيد وانما كان قرينه وقد روي ان واصلا تكلم مرة بكلام فقال عمرو بن عبيد لو بعث نبيا ما كان يتكلم باحسن من هذا وفصاحته مشهورة حتى قيل انه كان ألثغ وكان يحترز عن الراء حتى قيل له أمر الامير ان يحفر بئر فقال أوعز القائد ان يقلب قليب *

﴿ولما انتهى الكلام الى ما قاله الاشعري﴾ قال الشيخ المقدم فيهم لا ريب ان الامام أحمد امام عظيم القدر من اكبر أئمة الاسلام لكن قد انتسب اليه اناس ابتدعوا أشياء فقلت أما هذا فحق وليس هذا من خصائص أحمد بل ما من امام الا وقد انتسب اليه أقوام هو منهم بريئ قد انتسب الى مالك اناس مالك بريئ منهم وانتسب الى الشافعي أناس هو بريئ منهم وانتسب الى أبي

جملة أناس هو بريء منهم وقد انتسب الى موسى عليه السلام أناس هو منهم بريء وانتسب الى عيسى عليه السلام أناس هو منهم بريء وقد انتسب الى علي بن ابي طالب أناس هو بريء منهم ونبينا صلى الله عليه وسلم قد انتسب اليه من القرامطة والباطنية وغيرهم من أصناف الملحدة والمنافقين من هو بريء منهم وذكر في كلامه انه انتسب الى أحمد من الحشوية والمشبهة ونحو هذا الكلام *

فقلت المشبهة والمجسمة في غير أصحاب الامام أحمد أكثر منهم هو فيهم أصناف . الاكراد كلهم شافعية وفيهم من التشبيه والتجسيم مالا يوجد في صنف آخر وأهل جيلان فيهم شافعية وحنبلية قلت وأما الحنبلية المحضة فليس فيهم من ذلك ما في غيرهم وكان من تمام الجواب ان الكرامية المجسمة كلهم حنفية *

﴿ وتكلمت ﴾ على لفظ الحشوية ما أدري جوابا عن سؤال الامير اوغيره أو غير جواب فقلت هذا اللفظ اول من ابتدعه المعتزلة فانهم يسمون الجماعة والسواد الاعظم الحشو كما تسميهم الرافضة الجمهور . وحشو الناس هم عموم الناس وجمهورهم وهم غير الاعيان المتميزين يقولون هذا من حشو الناس كما يقال هذا من جمهورهم وأول من تكلم بهذا عمرو بن عبيد قال وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه حشويا فالمعتزلة سموا الجماعة حشوا كما تسميهم الرافضة الجمهور .

﴿ وقلت ﴾ لاأدرى في المجلس الاول أو الثاني أول من قال ان الله جسم هشام بن الحكم الرافضي ﴿ قلت ﴾ لهذا الشيخ من في أصحاب الامام أحمد رحمه الله حشوي بالمعنى الذي تريده الاثرم . ابو داود المروزي . الخلال . أبو بكر . عبد العزيز ابو الحسن التميمي . ابن حامد القاضي . ابو يعلى . ابو الخطاب . بن عقيل . ورفعت صوتي . وقلت سمهم . قل لي من هم . من هم . ﴿ أبكذب ﴾ ابن الخطيب وافترائه على الناس في مذاهبهم تبطل الشريعة وتندرس معالم الدين كما نقل هو وغيره عنهم انهم يقولون ان القرآن القديم هو أصوات القارئين ومداد الكاتبين وان الصوت والمداد قديم ازلي *

من قال هذا . وفي اي كتاب وجد هذا عنهم قل لي . وكما نقل عنهم ان الله لايرى في الآخرة باللزوم الذي ادعاه والمقدمة التي نقلها وأخذت أذكر مايستحقه هذا الشيخ من انه كبير الجماعة وشيخهم وان فيه من العقل والدين مايستحق ان يعامل بموجبه *

﴿ وأمرت ﴾ بقراءة العقيدة جميعها عليه فانه لم يكن حاضرا فى المجلس الاول وانما أحضروه فى الثاني انتصارا . وحدثنى الثقة عنه بعد خروجه من المجلس انه اجتمع به . وقال له اخبرنى عن هذا المجلس . فقال مالفلان ذنب ولا لى . فان الامير سأل عن شئ فاجابه عنه *
فظننته سأل عن شئ آخر . وقال قلت انتم مالكم على الرجل اعتراض فانه نصر ترك التأويل وأنتم تنصرون قول التأويل . وهما قولان للاشعرى . وقال أنا اختار قول ترك التأويل وأخرج وصيته التي أوصى بها وفيها قولى ترك التأويل *
﴿ قال الحاكي لى ﴾ فقلت له بلغني عنك انك قلت في آخر المجلس لما أشهد الجماعة على أنفسهم بالموافقة لاتكتبوا عنى نفيا ولا اثباتا فلم ذاك . ﴿ فقال ﴾ لوجهين ﴿ أحدهما ﴾ انى لم أحضر قراءة جميع العقيدة فى المجلس الاول . ﴿ والثاني ﴾ لان أصحابي طلبونى لينتصروا بى فما كان يليق ان اظهر مخالفتهم فسكت عن الطائفتين *
﴿ وأمرت ﴾ غير مرة ان يعاد قراءة العقيدة جميعها على هذا الشيخ فرأى بعض الجماعة ان ذلك تطويل وانه لايقرأ عليه الا الموضع الذى لهم عليه سؤال وأعظموه لفظ الحقيقة فقرأوه عليه فذكر هو بحثا حسنا يتعلق بدلاله اللفظ فحسنته ومدحته عليه وقلت لاريب ان الله حي حقيقة عليم حقيقة سميع حقيقة بصير حقيقة وهذا متفق عليه بين أهل السنه والصفاتيه من جميع الطوائف ولو نازع بعض أهل البدع فى بعض ذلك فلا ريب ان الله موجود والمخلوق موجود ولفظ الوجود سواء كان مقولا عليهما بطريق (الاشتراك) الاشتراك اللفظى او بطريق التواطؤ المتضمن للاشتراك لفظا ومعنى او بالتشكيك الذي هو نوع من التواطؤ فعلى كل قول فالله موجود حقيقة والمخلوق موجود حقيقة ولا يلزم من اطلاق الاسم على الخالق والمخلوق بطريق الحقيقة محذور ولم ار ارجح فى ذلك المقام قولا من هذه الثلاثه على الآخر لان غرضي تحصل على كل مقصودى وكان مقصودى تقرير ماذكرته على قول جميع الطوائف وان أبين اتفاق السلف ومن تبعهم على ماذكرت . وان اعيان المذاهب الاربعة والاشعرى واكابر أصحابه على ماذكرته فانه قبل المجلس الثانى اجتمع بى من أكابر علماء الشافعية والمنتسبين الى الاشعرية والحنفية وغيرهم من عظم خوفهم من هذا المجلس وخافوا انتصار الخصوم فيه وخافوا على نفوسهم ايضا من تفرق الكلمة فلو اظهرت الحجة التى انتصر بها

ماذكرته ولم يكن من أئمة اصحابهم من يوافقها صارت فرقة وتعصب عليهم ان يظهروا فى المجالس العامة الخروج عن اقوال طوائفهم بما فى ذلك من تمكن اعدائهم من اعتراضهم . فاذا كان من ائمة مذهبهم من يقول ذلك وقامت عليه الحجة وبان انه مذهب السلف امكنهم اظهار القول به ما يعتقدونه فى الباطن من انه الحق حتى قال بعض الاكابر من الحنفية وقد اجتمع بي لو قلت هذا مذهب احمد وتثبت ذلك لانقطع النزاع ومقصوده انه يحصل دفع الخصوم عنك بانه مذهب متبوع ويستريح المنتصر والمنازع من اظهار الموافقة . فقلت لا والله ليس لاحمد بن حنبل فى هذا اختصاص . وانما هذا اعتقاد سلف الامة وائمة اهل الحديث . وقلت ايضا هذا اعتقاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل لفظ ذكرته فانا اذكر به آية او حديثا او اجماعا سلفيا . واذكر من ينقل الاجماع عن السلف من جميع طوائف المسلمين والفقهاء الاربعة والمتكلمين واهل الحديث والصوفية وقلت لمن خاطبنى من أكابر الشافعية لا تبين ان ماذكرته هو قول السلف وقول أئمة أصحاب الشافعي وأذكر قول الاشعرى وأئمة اصحابه التى ترد على هؤلاء الخصوم ولينتصرن كل شافعي وكل من قال بقول الاشعري الموافق لمذهب السلف وأبين ان القول المحكي عنه فى تأويل الصفات الخبرية قول لا أصل له فى كلامه . وانما هو قول طائفة من اصحابه فللاشعرية قولان ليس للاشعري قولان *

﴿ فلما ذكرت فى المجلس ﴾ ان جميع اسماء الله التى سمي بها المخلوق كلفظ الوجود الذى هو مقول بالحقيقة على الواجب والممكن على الاقوال الثلاثة تنازع كبيران هل هو مقول بالاشتراك او بالتواطؤ . فقال احدهما هو متواطئ . وقال الآخر هو مشترك لتلازم التركيب . وقال هذا قد ذكر فخر الدين ان هذا النزاع مبنى على ان وجوده هل هو عين ماهيته املا . فمن قال وجود كل شئ عين ماهيته قال انه مقول بالاشتراك * ومن قال ان وجوده قدر زائد على ماهيته قال انه مقول بالتواطؤ فاخذ الاول يرجح قول من يقول ان الوجود زائد على الماهية لينصر انه مقول بالتواطؤ . وقال الثانى مذهب الاشعري واهل السنة ان وجوده عين ماهيته فانكر الاول ذلك وقلت اما متكلموا اهل السنة فعندهم ان وجود كل شئ عين ماهيته * واما القول الآخر فهو قول المعتزلة ان وجود كل شئ قدر زائد على ماهيته . وكل منهما اصاب من وجه . فان الصواب ان هذه الاسماء مقولة بالتواطؤ كما قد قررته فى غير هذا الموضع واجبت عن شبهة التركيب بالجوابين

المعروفين . وانما بناء ذلك على كون وجود الشيء عين ماهيته او ليس عينه فهو من الغلط المضاف الى ابن الخطيب . فانا وان قلنا ان وجود الشيء عين ماهيته لا يجب ان يكون الاسم مقولا عليه وعلى نظيره بالاشتراك اللفظي فقط كما في جميع اسماء الاجناس فان اسم السواد مقول على هذا السواد وهذا السواد بالتواطؤ . وليس هذا السواد عين هذا السواد اذ الاسم دال على القدر المشترك بينهما والمطلق الكلي لكنه لا يوجد مطلقا بشرط الاطلاق الا في الذهن ولا يلزم من ذلك نفي القدر المشترك بين الاعيان الموجودة في الخارج فانه على ذلك تنتفي الاسماء المتواطئة وهي جمهور الاسماء في الغالب . وهي اسماء الاجناس اللغوية وهو الاسم المطلق على الشيء وعلى كل ما اشبهه سواء كان اسم عين او اسم صفة جامدا اومشتقا . وسواء كان جنسا منطقيا اوفقهيا او لم يكن بل اسم الجنس في اللغة يدخل فيه الاجناس والاصناف والانواع ونحو ذلك . وكلها أسماء متواطئة وأعيان مسمياتها فى الخارج متميزة *

﴿ وطلب بعضهم ﴾ اعادة قراءة الاحاديث المذكورة فى العقيدة ليطعن فى ذلك فى بعضها فعرفت مقصوده . فقلت كانك قد استعددت في حديث الاوعال حديث العباس ابن عبد المطلب وكانوا قد تعبوا حتى ظفروا بما تكلم به زكى الدين عبد العظيم من قول البخارى فى تاريخه عبد الله بن عمرة لا يعرف له سماع من الاحنف . فقلت هذا الحديث مع أنه رواه أهل السنن كابى داود وابن ماجه والترمذى وغيرهم فهو مروى من طريقين مشهورين فالقدح في أحدهما لا يقدح في الآخر * فقال أليس مداره على ابن عمرة . وقلت قال البخارى لا يعرف له سماع من الاحنف . فقلت قد رواه امام الائمة ابن خزيمة فى كتاب التوحيد الذى اشترط فيه أنه لا يحتج فيه الا بما نقله العدل عن العدل موصولا الى النبي صلى الله عليه وسلم . قلت والاثبات مقدم على النفى والبخارى انما نفى معرفة سماعه من الاحنف لم ينف معرفة الناس بهذا . فاذا عرف غيره ما ثبت به الاسناد كانت معرفته واثباته مقدماً على نفى غيره وعدم معرفته ووافق الجماعة على ذلك . وأخذ بعض الجماعة يذكر من المدح مالا يليق ان أحكيه وأخذوا يناظرون في أشياء لم تكن فى العقيدة ولكن انما تعلقوا بما أجبت به فى مسائل وله تعلق بما قد يفهمونه من العقيدة *

﴿ فاحضر بعض اكابرهم ﴾ كتاب الاسماء والصفات للبيهقى رحمه الله تعالى فقال هذا فيه تأويل الوجه عن السلف . فقلت لعلك تعنى قوله تعالى (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه .

فقال نعم قد قال مجاهد والشافعي وغيرهما . وليست هذه الآية من آيات الصفات ومن عدها في الصفات فقد غلط كما فعل طائفة فإن سياق الكلام يدل على المراد حيث قال (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) والمشرق والمغرب الجهات والوجه هو الجهة يقال أي وجه تريد أي أي جهة وأنا أريد هذا الوجه أي هذه الجهة كما قال تعالى (ولكل وجهة هو موليها) ولهذا قال (فأينما تولوا فثم وجه الله) أي تستقبلوا وتتوجهوا انتهى *

﴿ هذا ما وجدناه ﴾ منقولا عمن نقل من خط المصنف شيخ الاسلام تقي الدين قدس الله روحه وغرضنا من نقله أن يتبين للناظر في هذا الكتاب ان من ينقل عنهم الغبي النبهاني من مطاعن الشيخ كصدر الدين ابن الوكيل وابن الزملكاني وصفي الدين الهندي والعز بن جماعة والسبكي ونحوهم من غلاة الشافعية كلهم كانوا خصوما الداء للشيخ فلا يلتفت الى قدحهم وجرحهم والشيخ قد كابد منهم ما كابد وهؤلاء واضرابهم الذين شيدوا اركان البدع ونفثوا سم ضلالهم في أفواه متبعيهم قاتلهم الله أجمعين . على ان ما ذكر في هذه المناظرة تنفع في مباحث كثيرة تأتي ان شاء الله وبها يرتدع الخصم الالد (قال النبهاني) ومنهم الامام ابو حيان وكان صديقا . له فلما اطلع على بدعه رفضه رفضا بتا وحذر الناس منه *

﴿ أقول ﴾ نعم قال الشيخ ابو حيان من المثنين على ابن تيمية بالثناء الحسن الجميل وله شعر جيد في مدحه نذكره في مناقبه المنقوله عن الشيخ مرعي الحنبلي وما ذكره من الرفض لم نعلمه ممن يوثق به * نعم ذكر الامام الذهبي أنه بعد ان مدحه دار بينهما كلام فجرى ذكر سيبويه فاغلظ الشيخ ابن تيمية القول في سيبويه فناظره أبو حيان بسببه ثم عاد زاما له وصير ذلك ذنبالا يغفر — ويقال ان ابن تيمية قال له ما كان سيبويه نبي النحو ولا معصوما بل أخطأ في الكتاب في ثمانين موضعا ما تفهمها أنت فكان ذلك سبب مقاطعته اياه — وذكره في تفسيره البحر بكل سوء وكذا في مختصره النهر انتهى . فمن الممكن أن يقع بين العلماء مثل ذلك ولكن من المعلوم ان طعن ابن حيان انما كان بعد تخطئة ابن تيمية له والحط على سيبويه — وما ذكره النبهاني الجاهل ان رفضه كان بعد ان اطلع على بدعه قول ساقط والسبب الذى كان من أجله المنافرة قد ذكره أهل العلم . وأى بدعة تنسب للشيخ تقي الدين حتى يهجره بسببها ابو حيان النحوى وما ذهب اليه من الاختيارات كلها مبرهنة بالكتاب والسنة كما في كتاب الاختيارات ولكن

النبهاني الغامض الغافل عن ذلك هيبة تطار البهائم أن من مدح وذم فقد كذب مرتين • على أن مدح المتأخر معلوم حاله • والرجل ليس من أهل الجرح والتعديل حتى يعول عليه *

﴿ قال النبهاني ﴾ ومنهم الامام عز الدين بن جماعه رد عليه وشنع عليه كثيرا (جوابه) ان العز هذا كان من أعظم خصوم الشيخ وحسدته وكانت أقواله في الشيخ تقي الدين وبهتانه عليه من أنكى سلاح ابن حجر المكى في الطعن على أهل التوحيد وأعداء الغلاة وقد عقد ابن السبكى ترجمة له في طبقاته فلا نتعب القلم بها *

﴿ قال النبهاني ﴾ ومنهم الامام كمال الدين الزملكاني الشافعي المتوفى سنة سبعة وعشرين وسبعمائة ثم نقل ترجمته عن تاريخ ابن الوردى والثناء عليه ثم نقل عن كتاب كشف الظنون كتاب الدرة المضيه في الرد على ابن تيميه قال وقد ناظره في مسائله التى شذ بها عن المذاهب الاربعة (ثم قال) ومن اشنعها مسئلة منعه شد الرحل واعمال المطى لزيارة القبور ومنعه الاستغاثة بغير الله ثم أورد له أبياتا التجا فيها بغير الله الى آخر ما قال *

(جوابه) ان كمال الدين هذا قد سبق ذكره في مجالس المناظرة وانه أحد خصوم الشيخ تقى الدين ومثله لا يرجى منه أن يثنى عليه ومع ذلك فقد اثنى عليه كل الثناء وسيأتى بيانه عند الكلام على مناقب الشيخ عليه الرحمه • ثم ان الرد على بعض مسائل ابن تيمية لا يقتضي الجرح فيه فمن المعلوم ما ألف من الردود على العلماء والمجتهدين • هؤلاء الأئمة الاربعة كم ردوا عليهم وكم خالفهم من مخالف حتى ان أصحاب الائمة يردون على أئمتهم ولم يقل أحد أن كل من يرد عليه كلامه يكون من المبتدعين والسالكين غير سبيل المؤمنين كما يزعمه هذا الغبي واضرابه من غلاة الشافعية *

(قال النبهاني) ومنهم الامام الكبير الشهير تقي الدين السبكي ثم نقل عنه عبارته التى في كتاب شفاء الاسقام المشتملة على القدح في شيخ الاسلام ابن تيمية ومنها قوله وحسبك ان انكار ابن تيمية للاستغاثة والتوسل قول لم يقله عالم قبله وصار بين أهل الاسلام مثله الى آخر ماقال مما هو على هذا المنوال *

﴿ أقول في الجواب ﴾ عن هذا الهذيان والكلام العارى عن الدليل والبرهان ان السبكي هذا شيخ أعداء ابن تيمية وعميدهم وعليه يعتمد الطاعنون شقيهم وسعيدهم والمناظرات التي كانت

بين السبكي وبين الشيخ فملأت الدفاتر وشغلت منها المحابر وما هذا به السبكي في حق الشيخ كله قد رد عليه وعاد وباله اليه وما كتبه في مسألة الطلاق من الاعتراض قد رد عليه شيخ الاسلام بمجلدات ورأى ابن السبكي منها مجلدا وشفاء السقام رد عليه الشيخ ابو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي . ورد السبكي على الشيخ في المسألتين السابقتين لم يزل يفتخر على أهل الحق نظما ونثراً ومن نظمه في ذلك ما قاله في أبياته المشهورة *

لو كان حيا يرى قولي ويسمعه ... رددت ما قال رداً غير مشتبه

كما رددت عليه في الطلاق وفي ... ترك الزيارة اقفو اثر سبسبه

وبعده لا أرى للرد فائدة ... هذا وجوهره مما أضن به

والرد يحسن في حالين واحدة ... لقطع خصم قوى في تغلبه

وحالة لانتفاع الناس حيث به ... هدى وزيغ لبيهم في تكسبه

وما أحسن مارد عليه الامام ابو المظفر الحنبلي معارضا لابياته هذه *

وقلت من بعد هذا قول ذي حسد ... أخطا الهدى وتجارى في تنكبه

* لو كان حيا يرى قولي ويسمعه * رددت ما قال رداً غير مشتبه *

* كما رددت عليه في الطلاق وفي * ترك الزيارة اقفو اثر سبسبه *

فضحت نفسك في هذا المقال ولم ... تشعر وعجت عن المرعى واخصبه

عرفتنا ان ما قد قلت ليس لوجـ ... ـه الله بل للمرا أقبح بمنصبه

اذ لو أردت بيان الحق فهت به ... في محضر الخصم اما في مغيبه

ماذاك صدك بل خوف الجواب كما ... أجبت قبل بسهم من مصوبه

ذا شأن من يجرد صارما ذكرا ... ماضي الغرارين غضبا من مجربه

لكن اذا الاسد الضرغام غاب عن الـ ... ـعرين تسمع فيه ضج ثعلبه

كذا الجبان خلا في البر صاح الا ... مبارز وتغالى في توثبه

ولو سمعت جواب الرد رحت فتى ... من أعظم الخلق عن جرم واتوبه

وقد كفاني أبو العباس كلفته ... كذا أرحت لساني غير متعبه

ووافقته سراة الناس عن كثب ... من أهل مذهبه أو غير مذهبه

من أهل بغداد والآيات شاهدة   لهم والحق مصباح يبين به
عيب الذي قال مافيه الخلاف من ا   يقاع الثلاث ولو أفتى باغربه
وقلت تنكح زوجا غيره وتكا   حا مع الخلف باق في تذبذبه
وكيف تنكح من لم تبن عصمتها   بلا خلاف لشخص مع تجنبه
وفي الزيارة لم تنصف رددت على   مالم يقله ولم تحرر لسببه
رداً ملخصه أشياء أذكرها   اما حديث ضعيف عند مطلبه
اما صحيح ولكن لادليل به   على مرادك بل هدم لمنصبه
اما بمجمل لفظ قول خصمك من   أقوى المقال به قسرا وأصوبه
اما بلا علم لي والجهل غايته   أيعذر الشخص فيما لاأحاط به
فاي رد لعمرى قد رددت وما   ذا قلت اذ قلت اقف أثر سبسبه
ان كان عندك في شد الرحال الى ا   قبور نقل فعارضه بموكبه
ليعرف الحق من كان أخا نظر   خال عن العلم ناء عن تعصبه
اني وذلك كالعنقاء في عدم   وكالسمندل يحكى مع تغيبه
ما أنت الا كما قد قيل في مثل   خالف لتعرف مشهور لضربه
فشيخنا بصريح الحق حجته   ونقد نقلك زيف في تقلبه
فمن أحق بحق القول ان ظهر الا   نصاف مرتفعا من فوق مرقبه
﴿ وقلت مابعده للرد فائدة * هذا وجوهره مما أضن به ﴾
ماذا الكلام وما معناه قله لنا   امدح أم هجوا عرب عن معربه
ماذلك الجوهر المضنون ويحك هل   تعني به الشيخ أو ردا لمذهبه
فان يك ماذا الطعن فيه او الا   جواب عن قوله نور بغيهبه
﴿ والرد يحسن في حالين واحدة * لقطع خصم قوى في تغلبه ﴾
﴿ وحالة لانتفاع الناس حيث به * هدى وربح لديهم في تكسبه ﴾
كتم العلوم حرام لايجوز لذى   علم يضن بعلم عند طلبه
والرد في الحالة الاولى مضى هدرا   فاستدرك الحال الاخرى قبل مذهبه

هل ورد ان استطعت السبيل اذا ... واقع به الناس كي تحظى بأوبه

حاشا وكلا وانى بالسبيل الى ... رد الصواب وقد وافى تكتبه

قل كي ترى سننا تستن في سنن اا ... يهدى تنكس جهلا عن توثبه

ورهطه وتريك الحق اظهر من ... شمس الضحى وهلالا وسط غيهبه

(وقال الامام أبو عبد الله محمد بن جمال الدين الشافعي رحمه الله من جملة قصيدته التي عارض السبكي بها)

وما رددت عليه في الطلاق فما ... حققت نقلا ولا عقلا ظفرت به

بل فاسد القصد اعمى الذهن منك كما ... هي عادة الله فيمن شان مذهبه

نزلت حول حماه كي تنازله ... فما علوت عليه بل علوت به

وقد اجابك فانظر في الجواب ترى ... سيفا تجول المنايا عند مضربه

أخذت منه علوما فانتصرت بها ... على سواه وكانت من مهذبه

وحزتها مجملات من مفصلة ... ففصل الآن ما اجملت تحظ به

وهكذا كل من سارت ركائبه ... يقفو خطاه فسائل من مجربه

وان تبجحت بالردين لست له ... كفوا ولا أهل هذا المصر فانتبه

كم بحر علم أتاه عاد ساقية ... وكم جهول أتاه صار منتبه

وما نرى لكم في الخلق فائدة ... غير التنعم في النعماء من شبه

أين الثريا مكانا في ترفعها ... من الثرى قال هذا كل منتبه

من ذا يقيس تقي الجلد من درزا ... لدنيا وأمراضها يوما باجربه

لو كان عندك انصاف ومكرمة ... وجود معرفة أو ذهن منتبه

لكنت تقفو وراه قفو مجتهد ... علما ودنيا وأمرا تفلحن به

لو وفق الله أهل الارض قاطبة ... الى الصواب لساروا خلف مذهبه

وما نسبتم اليه عند ذكركم ... ترك الزيارة أمر لايقول به

فقد أجابكم عن ذا باجوبة ... أزال فيها صدى الاشكال والشبه

وقد تبين هذا في مناسكه ... لكل ذي فطنة في القول معربه

رميتموه ببهتان يشان به | والله ينصفه ممن رماه به
وفى الجواب أمور من تدبرها | سقى الانام بها من صفو مشربه
ولم يكن مانعا نفس الزيارة بل | شد الرحال اليها فادر واتبه
تمسكا بصحيح النقل متبعا | خير القرون أولى التحقيق والنبه
مع الائمة أهل الحق كلهم | قالوا كما قال قول غير مشتبه
وقد عامت يقينا حين وافقه | أهل العراق على فتياه فافت به
هذا وقد قلت فيما قلت مرتجلا | فيما تقدم قولا غير منجبه
﴿ لو كان حيا يرى قولى ويسمعه * رددت ماقال ردا غير مشتبه ﴾
فابرز وود ترى والله أجوبه | مثل الصواعق يردى من تمر به
عقلا ونقلا وآيات مفصلة | من كل أروع شهم القلب منتبه
ماضى الجنان كحد السيف فكرته | يرلك نثرا ونظما فى تأدبه
وقاد ذهن اذا جالت قريحته | يكاد يخشى عليه من تلهبه
يقابلون الذى تأتى بمشتبه | من الكلام ولا يخشون ذا النبه
فنزل القوم فى أعلى منازلهم | فليس ذو منصب يحمى بمنصبه
وانظر الى من طغى فى الارض من امم | ولا تكن سالكا فى اثر سبسبه
ان الاله يجازى كل ذى عمل | بمثل احسانه أو قبح مكسبه
هذا جوابك ياهذا موازنة | بحرا وقافيه فى النظم والسبه
والحمد لله حمدا لانفاد له | جار على مرما تقصى وأطيبه
ثم الصلاة على خير الورى شرفا | محمد المصطفى الهادى بمذهبه
وآله والصحاب الغر كلهم | ما أشرق الجو من أنوار كوكبه

وكلا القصيدتين مشهورتان وقد رأيت مالقى السبكى من الويل والعطب بسبب مجاورته حده في الجهل والحسد وما أحسن ماوصف به الحافظ أبو عبد الله بن قدامه كتاب، شفاء السقام وترجم مؤلفه السبكى .

(أما وصف الكتاب) فهو هذا * قال الحافظ أما بعد فانى وقفت على الكتاب الذى ألفه بعض

قضاة الشافعية فى الرد على شيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية في مسألة شد الرحال واعمال المطى الى القبور وذكر انه قد سماه شن الغارة على من أنكر سفر الزيارة . ثم زعم انه اختار ان يسميه شفاء السقام في زيارة خير الانام فوجدت كتابه مشتملا على تصحيح الاحاديث الضعيفه والموضوعة وتقوية الآثار الواهية والمكذوبة وعلى تضعيف الاحاديث الصحيحة الثابتة . والآثار القوية المقبولة وتحريفها عن مواضعها . وصرفها عن ظاهرها . بالتأويلات المستنكرة المردودة *

(ثم أخذ يصف المؤلف ويترجم أحواله فقال)

ورأيت مؤلف هذا الكتاب المذكور رجلا مماريا معجبا برأيه متبعا لهواه ذاهبا فى كثير مما يعتقده الى الاقوال الشاذة والاراء الساقطة . صار فى أشياء مما يعتمده الى الشبه المخيلة والحجج الداحضة وربما خرق الاجماع فى مواضع لم يسبق اليها ولم يوافقه أحد من الائمة عليها . وهو فى الجملة لون غريب وبناء عجيب . تارة يسلك فيما ينصره ويقويه مسلك المجتهدين فيكون مخطئا فى ذلك الاجتهاد . ومرة يزعم فيما يقوله ويدعيه انه من جملة المقلدين فيكون من قلده مخطئا في ذلك الاعتقاد . نسأل الله سبحانه ان يلهما رشدنا . ويرزقنا الهداية والسداد هذا مع انه ان ذكر حديثا مرفوعا . أوأثرا موقوفا وهو غير ثابت قبله اذا كان موافقا لهواه وان كان ثابتا رده اما بتأويل أو غيره اذا كان مخالفا لهواه . وان نقل عن بعض الائمة الاعلام كمالك وغيره ما يوافق رأيه قبله وان كان مطعونا فيه غير صحيح عنه . وان كان مما يخالف رأيه رده ولم يقبله وان كان صحيحا ثابتا . وان حكى شيأ مما يتعلق بالكلام على الحديث وأحوال الرواة عن أحد من أئمة الجرح والتعديل كالامام أحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازى وأبي حاتم البستى وأبي جعفر العقيلى وأبى أحمد بن عدى وأبي عبد الله الحاكم صاحب المستدرك وأبي بكر البيهقى وغيرهم من الحفاظ . وكان مخالفا لما ذهب اليه لم يقبل قوله ورده عليه وناقشه فيه وان كان ذلك الامام قد أصاب فى ذلك القول ووافقه غيره من الائمة عليه . وان كان موافقا لما صار اليه تلقاه بالقبول واحتج به واعتمد عليه . وان كان ذلك الامام قد خولف فى ذلك ولم يتابعه غيره من الائمة عليه . وهذا هو عين الجور والظلم وعدم القيام بالقسط نسأل الله التوفيق والعون به من الخذلان واتباع الهوى . هذا مع انه حمله عجابه برايه وغلبه اتباع هواه

على ان نسب سوء الفهم والغلط في النقل الى جماعة من العلماء الاعلام المعتمد عليهم في حكاية مذاهب الفقهاء واختلافهم وتحقيق معرفة الاحكام . حتى زعم ان ما نقله الشيخ أبو زكريا النووي في شرح مسلم عن الشيخ أبي محمد الجويني من النهي عن شد الرحال واعمال المطي الى غير المساجد الثلاثة كالذهاب الى قبور الانبياء والصالحين والى المواضع الفاضلة ونحو ذلك هو مما غلط فيه على الشيخ أبي محمد . وان ذلك وقع منه على سبيل السهو والغفلة . قال ولو قاله يعني الشيخ أبا محمد أو غيره ممن يقبل كلامه الغلط لحكمنا بغلطه وانه لم يفهم مقصود الحديث . فانظر الى كلام هذا المعترض المتضمن لرد النقل الصحيح بالرأى الفاسد واجمع بينه وبين ما حكاه شيخ الاسلام من الافتراء العظيم . والافك المبين . والكذب الصراح . وهو مانقله عنه من انه جعل زيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقبور سائر الانبياء عليهم السلام معصية بالاجماع مقطوعا بها — هكذا ذكر المعترض عن بعض قضاة الشافعية عن الشيخ انه قال هذا القول الذى لا يشك عاقل من أصحابه وغير أصحابه انه كذب مفترى لم يقله قط ولا يوجد في شئ من كتبه ولا دل كلامه عليه . بل كتبه كلها ومناسكه وفتاويه وأقواله وافعاله تشهد ببطلان هذا النقل عنه . ومن له أدنى علم وبصيرة يقطع بان هذا مفتعل مختلق على الشيخ وانه لم يقله قط . وقد قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) وهذا المعترض يعلم ان ما نقله هذا القاضى المشهور بما لا أحب حكايته عنه في هذا المقام عن شيخ الاسلام من هذا الكلام كذب مفترى لا يرتاب في ذلك . ولكنه يطمف ويداهن ويقول بلسانه ما ليس في قلبه قال ولقد أخبرني الثقة انه ألف هذا الكتاب لما كان بمصر قبل ان يلي القضاء بالشام بمدة كبيرة ليتقرب به الى القاضي الذي حكى عنه هذا الكذب ويحظي لديه فخاب امله ولم ينفق عنده وقد كان هذا القاضى الذى جمع المعترض أعنى السبكي كتابه هذا لاجله من أعداء الشيخ المشهورين وقد زعم هذا المعترض أيضا مع هذا الامر الفظيع الذى ارتكبه من التكذيب بالصدق والتصديق بالكذب ان الفتاوى المشهورة التى أجاب بها علماء أهل بغداد موافقة للشيخ مختلقة موضوعة وضعها بعض الشياطين . هكذا زعم مع علم الخاص والعام بان هذه الفتاوى مما شاع خبره وذاع واشتهر أمرها وانتشر . وهى صحيحة ثابتة متواترة عمن أفتى بها من العلماء . وقد رأيت

انا وغيري خطوطهم بها . فانظر الى تكذيب هذا المعترض بما لم يحط به علما . وجرائته على انكار ما اشتهر وتواتر . وكيف يحل لمن ينتسب الى شئ من الدين ان ينسب أمرا مقطوعا بكذبه الى من لم يقله . ويقدح في أمر مشاهد مقطوع بصحته . ويزعم انه مختلق من بعض الشياطين . هذه عثرة لا تقال وله مثلها كثيرا . ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور . قال فلما وقفت على هذا الكتاب المذكور . وهو شفاء السقام . أحببت ان أنبه على ما وقع فيه من الامور المنكرة والاشياء المردودة وخلط الحق بالباطل لئلا يغتر بذلك بعض من يقف عليه ممن لا خبرة له بحقائق الدين . مع ان كثيرا مما فيه من الوهم والخطا يعرفه خلق من المبتدئين في العلم بادنى تامل ولله الحمد . ولو نوقش مؤلف هذا الكتاب على جميع ما اشتمل عليه من الظلم والعدوان والخطأ والخبط والتخليط والغلو والتشنيع والتلبيس لطال الخطاب ولبلغ الجواب مجلدات . ولكن التنبيه على القليل مرشد الى معرفة الكثير لمن له أدنى فهم والله المستعان انتهى *

* وقال الحافظ أبو عبد الله أيضا * في موضع آخر من كتابه الصارم المنكي . وقد سمعت أخا شيخ الاسلام يذكر هذا النص الذى حكاه القاضي اسمعيل في المبسوط عن مالك لهذا المعترض بحضرة بعض ولاة الامر . فغضب المعترض وهو السبكي غضبا شديدا ولم يجبه با كثر من قوله هذا كذب على مالك . فانظر الى جراءة هذا المعترض واقدامه على تكذيب مالم يحط بعلمه بغير برهان ولا حجة بل بمجرد الهوى والتخرص . وليس هذا ببدع منه فانه قد عرف منه مثل ذلك في غير موضع . وهو من أشد الناس مخالفة لمالك في هذه المواضع التى لا يعرف لاحد من كبار الائمة انه خالف مالكا فيها بل قد حمله فرط غلوه ومتابعته هواه على نسبة أمور عظيمة لا أحب ذكرها . الى من قال بقول مالك في هذه المواضع التى لا يعرف عن امام متبوع مخالفته فيها . نعوذ بالله من الخذلان . ومن عجب ان هذا المعترض صحح الحكاية المنقوله عن مالك مع أبي جعفر المنصور لان فيها ما يتابع هواه . مع انها غير صحيحة بل هى باطلة موضوعة وكذب هذا النقل الثابت الذى ذكره القاضى اسمعيل في المبسوط لشدة مخالفته لهواه ومقصده وما ذهب اليه . واعرض عما ذكره أيضا في المبسوط من قول مالك لا أرى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضى لانه يخالف هواه وتمسك

بما فى كتاب (الموازنة) لمتابعته هواه فى ظنه . وهكذا عادته ودأبه يكذب النصوص الثابتة أو يعرض عنها ، ويقبل الاشياء الواهية التي لم تثبت والامور المجملة الخفية ويتمسك بها بكلتا يديه . وليس هذا شأن من يقصد الحق . وايضاح لدين للخلق ، نسأل الله تعالى التوفيق

﴿ وذكر هذا الامام الحافظ فى أثناء كتابه كثيرا من أحوال السبكى التى لا ترضى الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم . فلا بدع من هذا المبتدع بل القبورى وهو النبهانى ان يحتج على ترويج مقاصده بالسبكي وأمثاله من اسلافه غلاة الشافعية . بل الفرقة الزائغة الحلولية اعداء الحق وأهله . وخصوم الدين ومن أخذ به *

﴿ قال النبهاني ﴾ ورأيت للامام السبكي عبارة موجودة الآن بخط يده فى المكتبة الخالدية فى القدس ، وقد أرسلت فاستكتبتها وهذه صورتها بحروفها ﴿ قال رحمه الله تعالى ﴾ فى سنة احدى وخمسين وسبعمائة وقفت على كتاب العقل والنقل لابن تيمية فوجدت فيه مواضع أنكرتها وكتبت على بعضها حواشي فتحركت أنوف خلق له ففكرت فى انتشار أصحاب هذا الرجل وما يخشى من انتشار بدعته وعدم من يقاومهم فكتبت ليلة السبت عاشر شوال سنة أحد وخمسين وسبعمائة رقعة الى سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأل الله فيها ذلك ﴿ وفى آخرها ﴾ ان كنت مصيبا فى اعتقادى فقونى وان كنت مخطئا فاهدني ، ثم أصبحت ورفعتها للشيخ نور الدين السخاوي ليحملها فانه عزم على الحج وكان ذلك قبل الظهر ، فلما كان الظهر جاءني شخص فاخبرني عن ابن تيمية بخبر يوجب سوطي فيه وكنت سمعت عنه من شخص مسألة من نحو أربعين سنة فلم أصدقها فلما تابعها هذا وقع في قلبي صحة ذلك ﴿ ثم جاء ﴾ آخر وآخر وآخر بمثل ذلك ، ثم نظمت ﴿ قصيدة أرسلتها مع الشيخ نور الدين أيضا ﴿ فلما ﴾ أكملت نظمها فى ليلة الاثنين ثاني عشر الشهر المذكور ، وقع فى قلبي ان الله تعالى ما هيأ لى تلك الاخبار فى ذلك اليوم الا هداية وجوابا عما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانظر هذه القضية ما أعجبها ، وفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ *

وها أنا أذكر نص ما كتبته فى تلك الورقة وما نظمته ان شاء الله والمرجو من الله ارسالهما ووصولهما الى النبى صلى الله عليه وسلم ونجحهما ان شاء الله اما الورقة فنص ما فيها *

بسم الله الرحمن الرحيم الى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يارسول الله اني عبد ضعيف

عاجز مسكين وجميع ماحصل لى من خير الدنيا والآخرة انت كنت سببه وانت وسيلتي الى الله سبحانه وانى نشأت على دين الاسلام سالما عن الشبه والبدع والاهوية والاغراض والميل الى جانب من الجوانب لا أعرف غير أشهد ان لااله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله. ثم اشتغلت بالقرآن . ثم بالفقه على مذهب الشافعى لااعرف غير ذلك ولم اسمع ولم يدخل فى قلبي شئ غير ذلك لا من العقائد ولا من غيرها. ثم اشتغلت بنحو وأصول وفرائض . ثم بعلم الحديث ذا تصويب فيه اليك . ثم نظرت فى شئ من العلوم العقلية واشتغلت بعلم الكلام على طريقة الاشعرى لانها المشهورة فى بلادنا الى رأيت عليها أهلي وقومى وبقيت أراها طريقة وسطى بين الحشو والاعتزال ولا زلت على تلك حتى جاوزت عشرين سنة من عمرى وأنا بالديار المصرية فشاع عندنا خبر ابن تيمية وما يتفق له بدمشق وكان بها اذ ذاك علماء يقاومونه وفي مصر القاهرة علماء وأكابر فاحضروه واتفق له ما اتفق بسبب العقائد . ثم كتبت كلامه فى التوسل والاستغاثة وتكلم معه من هو أكبر منى ورأيته واجتمعت به كثيرا . ثم عاد الى الشام . ثم بلغنا كلامه فى الطلاق وان من علق الطلاق على قصد اليمين . ثم حنث لايقع عليه طلاق ورددت عليه فى ذلك . ثم بلغنا كلامه فى السفر الى زيارتك ومنعه إياه ورددت عليه فى ذلك ثم توفى وله أصحاب كثيرون يشيعون رأيه وينشرون تصانيفه وجئت الى دمشق كما يقال نائب شرعتك ومن لي برضاك بذلك فانا أقل عبيدك مسكت عن الكلام فى العقائد من الجانبين لاني فى نفسى ان عقولنا تضعف عن ادراك صفات الحق جل جلاله وأرى البقاء على الفطرة السليمة والاكتفاء بالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وان لا ننبه العوام لشئ آخر ومن كان عالما ينظر عما يبسره له والمعصوم من عصم الله لكن الطلاق والزيارة انا شديد الانكار لقول ابن تيمية فيهما طاهر [illegible] وان [illegible] لا يعجبنى [illegible] تحريك قلوب العوام فيهما

(قال النبهاني) انتهت [illegible] الامام السبكي [illegible] وهي مكتوبة بخطه بلا نقط وهكذا جاءتني [illegible] موجودة [illegible]

* أقول [illegible] ما ذكره النبهاني بجملته من [illegible] الباطل فى هذا [illegible] لجهل الوخيم

والضلال القديم والنبهاني هذا رجل كذاب لا يؤمن على نقله ولا يصدق بروايته فانه من الغلاة والجهلة الغواة ولكنه قد يصدق الكذوب فان صحت روايته هذه عن السبكي كفاه خزيا ذلك وهو الذي يناسب ما كان عليه من الغلو والابتداع الظاهر وهذه المقاله عن السبكي قادحة في عدالته مسقطة له عن درجة أهل العلم موصلة له الى طبقة العوام السفلى ومن العجيب انه قال في أول مقالته ففكرت فى انتشار أصحاب هذا الرجل وما يخشى من انتشار بدعته الخ فنسب البدعة الى الشيخ ابن تيمية حافظ الامة مع شهرة حاله فى التعصب على السنة فعبر عنه بالمبتدع وجعل نفسه هو المتبع وفى المثل السائر . رمتنى القرعى بدائها وأنسلت وهكذا يكون الوقاحة وعدم الحياء من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . وفى الحديث ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت وهذا هو الهوى المتبع وأعجاب المرء بنفسه الذى ورد في الخبر . وليت النبهاني المثبور كان عنده شيء من البصيرة والفهم فلم ينقل هذه المقاله الشنعاء عن السبكي حتي . أفضحه بها وقد توفاه الله تعالى منذ مآت من السنين ولكن أبى الله الا ان يفضح من ينقص خيار الامة وسلفها بكشف عورات جهالاتهم

* ثم ان ماحكاه عن السبكي من المقاله الفضيعة مختلة المبني والمعنى يرد على كل كلمة من كلماتها ايرادات ومواخذات لو بسطنا الكلام فيها لاستوجب ان يفرد له كتاب مفصل . والوقت يضيق عن الاشتغال بمثل ذلك فكان من الواجب علينا ان نتكلم عليها اجمالا ونذكر مايرد على محصلها ومقصدها ولولا سوء الادب لاجبنا مقالاته تلك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرنا له ماتعدى به طوره وتجاوز حده ولكن نعوذ بالله من التجاسر على مقام النبوة والتفوه بما لم يقله كما انا نلجأ اليه ان يعصمنا من سوء الادب *

* ثم ان الكلام * على مافصده السبكي فى مقالته من وجوه * الوجه الاول * ان كتاب العقل والنقل ويسمى أيضا بيان موافقة صريح المعقول . لصحيح المنقول . ويسمى أيضا قسطاس الانصاف والعدل . فى رد تعارض العقل والنقل . من مصنفات الآية الظاهرة . والحجة الباهرة واسطة العصر . ان نادرة الدهر بحر العلوم وصدر القروم الناسك العابد والورع الزاهد شيخ الاسلام تقى الدين ابى العباس احمد بن تيمية رحمه الله * الفه في الجواب عن سؤال مورد الدهر هو اذ تعارضت الادلة السمعية والعقلية او السمع والعقل او العقل والنقل او الظواهر النقلية

والقواطع العقلية أو نحو ذلك من العبارات فهل يجمع بينهما وهو محال لانه جمع بين النقيضين واما ان يرادا جميعا * واما ان يقدم السمع وهو محال لان العقل أصل النقل فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحا في العقل الذي هو أصل النقل . والقدح في أصل الشيء قدح فيه فكان تقديم النقل قدحا في النقل والعقل جميعا . فيجب تقديم العقل * ثم النقل اما ان يتأول . واما ان يفوض . واما اذا تعارضا تعارض الضدين امتنع الجواب عنهما ولم يمتنع ارتفاعهما فذكر في الجواب تسعة عشر وجها مفصلة أتم تفصيل في بيان ان صريح المعقول لايخالف صحيح المنقول *

وفيه الذب عن الشريعة الغراء وانها وافية بكل مايستوجب سعادة الدارين ليس لها حاجة الى اكمالها بالقواعد التي وضعها علماء الكلام من أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . وان جميع ماجاءت به الشريعة الغراء مما يوافق ما تقتضيه العقول السليمة . وان نصوصها لا تؤول لاجل تطبيقها على مااخترعوه من الآراء الفاسدة . والاقوال الكاسدة . وبسط الكلام كل البسط في كل وجه من تلك الوجوه هذا موضوع الكتاب وهو كتاب جليل ليس له نظير في بابه . ومن النعم العظمى على الامة ظهور هذا الكتاب في هذا العصر وانتشاره بين الناس وما أحسن ماقال فيه الشيخ ابن القيم في منظومته الشافية الكافية . وقد عقد فصلا في ذكر مؤلفات شيخ الاسلام *

وأقرأ كتاب العقل والنقل الذي * مافي الوجود له نظير ثان

فجزى الله تعالى عن المسلمين كل خير من سعى في طبعه ونشره . ومثل هذا الكتاب كيف يشتكى منه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من له أدنى بصيرة في العلم وأقل نظر في معرفة الشريعة اللهم الا اذا كان السبكي ممن ختم الله على قلبه فلم نفهمه وتصدى للرد عليه والاستئذان من الرسول عليه السلام لاجل ذلك وماذا بعد الحق الا الضلال *

﴿ الوجه الثاني ﴾ ان الله تعالى اكمل لدين للمسلمين قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فأصبحت الشريعة الغراء ليلها كنهارها لم تغادر شيئا من الاحكام ولا من بيان الحلال والحرام وبسط الكلام عليها الائمة ومجتهدوا الامة ولم يبق حاجة الى مراجعة النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته بل ان عمر رضي الله تعالى عنه يوافق على كتابة الكتاب في مرضه وقد طلب دواة وقرطاسا والحديث مشهور قال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأكملت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فاذا أشكل أمر على أحد راجع أهل الذكر ان كان ممن لايعلم أو فتش على

لتضمنهم الكتب الشرعية وصرحوا بما دلت عليه وتصفحه من غير حاجة الى كتابة شئ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابته عند قبره وقال عز اسمه يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا *

﴿ ذكر المفسرون ﴾ ان الخطاب عام للمؤمنين مطلقا والشئ خاص بأمر الدين بدليل مابعده والمعنى فان تنازعتم أيها المؤمنون أنتم وأولوا الامر منكم فى أمر من أمور الدين فردوه الى الله أى فراجعوا فيه الى كتابه والرسول أي الى سنته ولا شك ان هذا انما يلائم حمل أولى الامر على الامراء دون العلماء لان للناس والعامة منازعة الامراء فى بعض الامور وليس لهم منازعة العلماء اذ المراد بهم المجتهدون والناس ممن سواهم لا ينازعونهم فى أحكامهم . وجعل بعضهم الخطاب فيه لاولى الامر على الالتفات ليصح ارادة العلماء لان للمجتهدين ان ينازع بعضهم بعضا مجادلة ومحاجة . فيكون المراد أمرهم بالتمسك بما يقتضيه الدليل . وبعضهم قال يراد الاعم مع أنه يجوز ان يكون الخطاب للمؤمنين وتكون المنازعة بينهم وبين أولى الامر باعتبار بعض الافراد وهم الامراء . والمقصود ان الله تعالى أمر المؤمنين عند التنازع ان يراجعوا الكتاب والسنة لا ان يكتبوا كتابا لقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتلقى الجواب بمحض الاوهام كما فعله السبكى . وتمام الكلام على الآية يطلب من محله *

﴿ الوجه الثالث ﴾ ان الصحابة الكرام اختلفوا بعد وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الخلافة اختلافا كثيراً وهو مذكور فى محله فلم يستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبره ولم يكتبوا له ان الانصار يا رسول الله يقولون منا أمير ومنكم أمير وان بعضهم يريد أبا بكر . ومنهم من طلب عليا . ومنهم ومنهم . ثم انهم اختلفوا بعد ذلك فى مسائل علمية ولم يستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبره ولم يجئ أحد منهم يسأله ماذا حكم الجد مع الاخوة وان فاطمة جاءت الى أبى بكر تطلب ارث أبيها منه فاورد لها خبر نحن معاشر الانبياء لا نورث فلم ترض بقوله وقامت وهى عليه غضبا ولم تستفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبره ولا كتبت اليه مافعل معها أبو بكر . وخرج على عثمان أهل مصر وغيرهم فلم يستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى قبره عما كان من عثمان ولا ان عثمان شكى عليهم كما فعل السبكى .

وقع عليا ومعاوية تنازعا الامر وجرى بين الفريقين ماجرى ولم يتقاعد عن أحد منهما سوى
الـكي من الشكوى والاستئذان . ومثل هذه المسائل مما لا يحيط بالعلم *
﴿ الوجه الرابع ﴾ ان من اشتبه عليه أمر ولم يعلم هل هو خير أم شر ليفعل أو يجتنبه يستخير
الله تعالى فان الاستخارة مما درج عليه السلف وجرى على منهاجهم الخلف وقد تكلموا عليها
في فصول *
﴿ منها في الامور ﴾ التي هي محل الاستخارة . فقالوا ما من شأنه ان يراد ينقسم أولا الى ثلاثة
أقسام (الاول) مايعلم كونه خيرا قطعا كالواجب المضيق (الثاني) مايعلم كونه شرا قطعا كالمحرم المجمع
على تحريمه (الثالث) مالا يعلم على القطع خيريته ولا شريته في وقت مخصوص كالواجب الموسع
والمندوب كذلك والمندوب المضيق الذي يعارضه مندوب آخر في ذلك الوقت من غير ظهور
رجحان لاحدهما والمباحات كلها . ولما كان معناها طلب خير الامرين من الفعل في وقت معين
أو تركه فيه لم يكن الاولان محلين لها اذ أولهما خير قطعا فلا رخصة في تركه . وثانيهما شر قطعا
فلا رخصة في فعله فليس محلا لها الا الثالث فما يوهم العموم في بعض الاخبار كالامور في خبر
جابر الآتي عام مخصص . أو ان أل فيه للعهد *
﴿ ومنها في سرد بعض أحاديثها ﴾ روى البخاري في باب ماجاء من التطوع مثنى مثنى من
صحيحه عن جابر بن عبد الله . قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور
كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة
ثم ليقل اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر
ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان الامر خير لي في ديني ومعاشي
وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي . ثم بارك لي فيه وان كنت تعلم
ان هذا الامر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه
عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به قال ويسمى حاجته (وروي) في
كتاب الدعوات عن جابر أيضا . قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور
كلها كسورة من القرآن اذا هم أحدكم بالامر فليركع ثم يقول . اللهم انى أستخيرك وساق
الدعاء . وقال في آخره أيضا ويسمى حاجته *

﴿ وروي ﴾ في كتاب التوحيد من الصحيح عنه ايضا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه الاستخارة في الامور كلها كما يعلمهم السورة من القرآن يقول اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم اني أستخيرك بعلمك الى قوله وأنت علام الغيوب ولم يقل العظيم اللهم فان كنت تعلم هذا الامر . ثم يسميه بعينه خيرا لي في عاجل أمري وآجله قال أو في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه . اللهم وان كنت تعلم انه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفني عنه وقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به *

﴿ وروى ﴾ الطبراني في المعجم الصغير عن ابن مسعود قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذا أراد أحدكم أمرا فليقل اللهم اني أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب . اللهم ان كان في هذا الامر خير في ديني ودنياي وعاقبة امري فاقدره لي وان كان غير ذلك خيرا لي فسهل لي الخير حيث كان . واصرف عني الشر حيث كان ورضني بقضائك *

(وروى) في الكبير عنه أيضا قال علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستخارة قال اذا أراد أحدكم أمراً فليقل اللهم اني أستخيرك بعلمك ولم يقل العظيم وقال وان كان هذا الذي أريد خيراً في ديني وعاقبة أمري فيسره لي . وان كان غير ذلك خيرا فاقدر لي الخير حيث كان يقوم ثم يعزم *

(وروى) الحافظ نور الدين أبو الحسن على بن ابي بكر في كتابه موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان . عن ابي ايوب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكتم الخطبة ثم توضأ فاحسن وضوءك ثم صل ما كتب الله لك . ثم احمد ربك ومجده . ثم قل اللهم انك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب . فان رايت لي فلانة تسميها باسمها خيرا لي في ديني ودنياي وآخرتي فاقدرها وان كانت غيرها خيرا لي منها في ديني ودنياي وآخرتي فاقضها لي ذلك *

(وروى فيه ايضا) عن ابي سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول اذا اراد احدكم امرا فليقل اللهم انى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب * اللهم ان كان كذا وكذا خير الى فى دينى ومعيشتي وعاقبة امرى فاقدره لى ويسره لى واعني عليه وان كان كذا وكذا الامر الذى تريد شرا لى فى ديني ومعيشتى وعاقبة امرى فاصرفه عنى ثم اقدر لي الخير اينما كان ولا حول ولا قوة الا بالله *

(وروى فيه ايضا) عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد احدكم امرا فليقل اللهم انى استخيرك بعلمك . واستقدرك بقدرتك . واسألك من فضلك فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب . اللهم ان كان كذا وكذا خيراً لى فى دينى وخيرا لى في معيشتي وخيرا لى فى عاقبة امري فاقدره لى وبارك لى فيه . وان كان غير ذلك خيرا فاقدر لى الخير حيث كان ورضني بقدرك *

(وروى الحافظ السخاوى) في كتاب الابتهاج . باذكار المسافر الحاج . ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لانس رضى الله عنه اذا هممت بامر فاستخر ربك فيه سبع مرات . ثم انظر الى الذى سبق الى قلبك فان الخيرة فيه . وعزاه السيوطي الى الديلمى فى مسند الفردوس *

(ومنها في بيان كيفية صلاتها) المذكور فى كثير من الكتب ان من اراد الاستخارة يصلى ركعتين من غير الفريضة . ثم يدعوه وهو المصرح به فى حديث جابر . وقال الحافظ بن حجر في فتح البارى . قال النووى فى الاذكار لو دعا بدعاء الاستخاره عقب راتبة الظهر مثلا أوغيرها من الراتبة والمطلقة سواء اقتصر على ركعتين أو أكثر أجزأ . كذا أطلق وفيه نظر . ويظهر ان محله ان نوى تلك الصلاه بعينها وصلاه الاستخاره معا بخلاف ما اذا لم ينو وتفارق تحيه المسجد لان المراد بها شغل البقعه بالصلاه . والمراد بصلاة الاستخارة ان يقع الدعاء عقبها الى آخر ما قال اهـ *

ثم ان ظاهر ما فى حديث أبى ايوب ثم صل ما كتب الله لك ان الركعة الواحدة يحصل بها المقصود وكلام الفقهاء على هذه المسأله مفصل فى كتب الفقه *

(ومنها) اذا فرغ المستخير من الدعاء فليمض كما قال النووى لما انشرح له صدره قال لمشى فان لم ينشرح صدره لشئ فالذى اظهر انه يكرر الاستخاره بصلاتها ودعائها حتى

ينشرح صدره لشيء وان زاد على السبع والتقييد بها في خبر أنس اذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر الى الذي يسبق الى قلبك فان الخير فيه لعله جرى على الغالب اذ انشراح الصدر لا يتأخر عن السبع على ان الخبر اسناده غريب . ووقع للشافعي انه استخار في أمر سنة والكلام في هذا الباب طويل . والمقصود ان السبكي ابتدع ما لم يسبق اليه أحد وترك الامر المسنون وهو الاستخارة ان كان ما تصدى اليه من مواضعها *

﴿ الوجه الخامس ﴾ ان السبكي زعم انه حصل له الاذن بالرد على كتاب العقل والنقل وانه أمر بذلك أمراً معنويا كما استنبطه هو بفكره الثاقب ورأيه الصائب فلم لم يمتثله واين رده الذي رد به على هذا الكتاب وليته ألفه ليمزق بسهام الاقلام ويكون مثلة بين الانام فان الذي مبلغه من العلم ما سمعت كيف يرد على شيء لا يفهمه ولا يعرفه . ثم ان ولده تاج الدين ذكر في طبقاته ترجمة والده ونسب اليه كل فضيلة وعزا اليه كل منقبة جليلة وذكر مصنفاته واختياراته وكلماته وهذياناته ولم يذكر في كتبه هذا الرد فعلم انه بهتان مبين وانه لم يمتثل أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على زعمه *

﴿ الوجه السادس ﴾ ان حديث عرض الاعمال في أيام مخصوصة على ما سبق بيانه في كلام شيخ الاسلام تقي الدين لا يقتضي كتابة شيء الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في قبره بل ان أعمال أمته تعرض عليه فان رأى خيرا سره وان رأى غير ذلك احتسب ولم يقل أحد ان له قدرة على تغيير ما لا يرضى الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم وحياته البرزخية ليست الحياة المتعارفة والا لاقتضت لوازمها وانى له ذلك فكيف يعرض عليه مثل تلك الامور وما ذلك الا عثرة من السبكي لا تقال ولا يصدر مثلها حتى عن ضعفاء العقول من الجهال فبطل كلامه وزال مقصده ومرامه *

﴿ الوجه السابع ﴾ ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم عند النبهاني واسلافه الغلاة ما كان وما يكون بل يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فما فائدة أعلامه بما اعلمه به السبكي من انه رجل شافعي المذهب اشعري العقيده الى آخر ما هذى به فانه اذا علم ما كان وما يكون ومنه أعمال السبكي وأفعاله فلاجل أي شيء يخبره به لا يقال ان ذلك كاخبار امرأة عمران بما وضعت وهو الذي حكاه سبحانه بقوله (واذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا

فتقبل مني انك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى واني سميتها مريم واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا (المحراب) الآية فلو ان الله عالم بما كان فلم أخبرته امرأة عمران بما أخبرته (أجابوا) ان الخبر تارة يقصد به افادة المخاطب الحكم اذا كان غير عارف به وتارة يقصد به افادة لازم من لوازمه المتصلة في علم الثاني ولازم خبر امرأة عمران هو التحزن والتحسر على خيبتها وانعكاس أملها . وحمل السبكي كلامه على ذلك مما لا وجه له *

﴿ وهذا الذي ذكرناه ﴾ من ان الغلاة يعتقدون في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما ذكرناه هو مما لم يمكنهم انكاره كيف والنبهاني على ما أسلفناه يقول ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم موجود في كل مكان وكل زمان . وقد تكلمت يوما مع أحد غلاة الرفاعية الزنادقة ومشركيهم اذ استغاث بالرفاعي قبل الشروع في ذكرهم فقلت له هل يسمع الآن نداءك الرفاعي وهو في قبره في أم عبيده ويمدك قال نعم قلت فاذا اتفق مثلك في بلاد كثيرة ومواضع متعددة الوف مؤلفة وان كانوا في أقطار شاسعة فهل يسمعهم أحمد الرفاعي ويمدهم ويغيثهم قال نعم قلت هذا هو الغلو الذي نهى الله عنه في كتابه الكريم قال ليس هذا من الغلو بل هو مقتضي الدين الم تسمع حديث الاولياء وهو قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري وما زال عبدي يتقرب اليه بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها الحديث فظن هذا الغبي الجاهل ان معناه ما يعتقده اخوانه أهل الزيغ والالحاد من أن العبد اذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتي يصفى من الكدورات انه يصير في معنى الحق تعالى الله عن ذلك وانه يفني عن نفسه جملة حتى يشهد ان الله تعالى هو الذاكر لنفسه المحب لنفسه وان هذه الاسباب والرسوم تصير عدما صرفا في شهوده وان لم تعدم في الخارج *

﴿ أقول ﴾ قد زلت أقدام أقوام في معنى هذا الحديث واستشكل كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره ﴿ والجواب ﴾ على ماذكره العسقلاني في شرحه من أوجه ﴿ أحدها انه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت سمعه وبصره في ايثاره أمري فهو يحب طاعتي ويؤثر

يحب كما يحب هذه الجوارح ﴿ ثانيها ﴾ ان المعنى كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه الا الى ما يرضيني ولا يرى ببصره الا ما أمرته به ﴿ ثالثها ﴾ اجعل له مقاصده كانه ينالها بسمعه وبصره الخ ﴿ رابعها ﴾ كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه ﴿ خامسها ﴾ قال الفاكهاني وسبقه الى معناه ابن هبيرة هو فيما يظهر لي انه على حذف مضاف والتقدير كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع الا ما يحل استماعه وحافظ بصره كذلك الخ ﴿ سادسها ﴾ قال الفاكهاني يحتمل معنى آخر أدق من الذي قبله وهو ان يكون معنى سمعه مسموعه لان المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلان أملي بمعنى مأمولي والمعنى أنه لا يسمع الا ذكري ولا يلتذ الا بتلاوة كلامي ولا يأنس الا بمناجاتي ولا ينظر الا لعجائب ملكوتي ولا يمد يده الا فيما فيه رضاي ورجله كذلك انتهى * وقد ذكرت هذه المسألة في موضع آخر *

﴿ والمقصود ﴾ ان الغلاة يعتقدون ان الولي يعلم كما يعلم الله ويبصر كما يبصر الله ويسمع كما يسمع الله فكيف بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو سيد الاولياء والاصفياء . فلا بد انهم يعتقدون فوق اعتقادهم في الولي . فاذا كان الامر على ما ذكر فلا وجه لما كتبه الى النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وان كان السبكي ﴾ لا يعتقد ذلك الذي ذكرناه من الصفات التي لا تثبت الا للخالق دون المخلوق فما وجه كتابة تلك المقاله ونظم القصيدة وارسالها مع الشيخ نور الدين السخاوي فعلى كلا الوجهين ان السبكي قد أخطأ فيما فعله وأبان به جهله وغيه وضلاله *

﴿ هذا ﴾ حال السبكي الذى أعده النبهانى المسكين سلاحا في ميدان الطعن بشيخ الاسلام وجرحه . والحمد لله الذى جعل أعداء أهل الحق في كل عصر وزمان من اجهل الناس وأضلهم واغواهم . ومن العجائب ان السبكي مع هذه الاحوال التى سمعتها قد جعله ابن حجر المكي من المجتهدين الاجتهاد المطلق وانه مما لم يخالف أحد في وصوله الى هذه المرتبة وانه امام أهل التحقيق والتدقيق وانه ليس له نظير ولا قرين في كل فن الى غير ذلك من الاوصاف الجليلة فاذا جرى ذكر تقي الدين ابن تيمية وأصحابه من أهل الحديث الحفاظ المتقنين شتمهم بكل ما خطر له وذمهم بكل ما يقع في تصوره فانظر الى هذا التعصب وعدم الانصاف وهذا أحد الاسباب التى أوجبت انحطاط الاسلام الى ما نرى واعظمها تطاول السفهاء واناطة الامر الى غير أهله . وعنده يترقب الخراب العام *

﴿ وابن السبكي ﴾ الذي جرى مجرى أبيه في قدحه في مناقب الاولين والآخرين الا وانتها والله شنا سنه ان الحقائق تخفى وما درى هذا المسكين ان الامر كما قيل *

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

وفي المثل السائر كل فتاة بأبيها معجبة . والمقصود ان قدح مثل السبكي بمثل الشيخ ابن تيمية كصرير باب . وطنين ذباب . ولولا التقى لقلنا لا يضر السحاب . نبح الكلاب *

﴿ قال النبهاني ﴾ ومنهم الحافظ ابن حجر العسقلاني . وذكر من فضله وغزارة علمه ما هو غني عن البيان ونقل عنه عبارة ذكرها في فتح الباري عند الكلام على حديث لا تشد الرحال الخ وهي قوله في مسألة تحريم شد الرحل والسفر الى زيارة القبور . (وهي من أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية الخ . ثم نقل عنه ما قاله في تقريظه على كتاب الرد الوافر مما ليس فيه مطعن ولا مغمز لثالب *

﴿ جوابه ﴾ ان الحافظ ابن حجر العسقلاني موالاته ومحبته للشيخ ابن تيمية مما لا ينكره الا جاهل . وقد تلقى العلم عن تلامذة الشيخ وأصحابه وانتفع بكتبه وقرا كثيرا منها درسا وهذا هو اللائق به وبأمثاله من أهل الفضل والعلم . وقد قيل انما يعرف ذا الفضل ذووه — والعبارة التي نقلها النبهاني عنه وهو قوله عن منعه من سفر الزيارة وهي من ابشع المسائل المنقولة عن إبن تيمية الخ أي طعن فيها وقدح في عدلة ابن تيمية . ومن المعلوم ما كان من الردود على كل من الائمة ولم يخل ذلك بشرفهم ولا خفض من منزلتهم . وقد قال غير واحد من أهل العلم ان مسألة التزوج بالبنت من الزنا من أبشع المسائل المنقولة عن الشافعي وان مسألة تزوج المغربي بالمشرق او بالعكس ثم ولدت الزوجة ولدا يلحق بالاب وان لم يجتمع الزوجان قط من أبشع المسائل المنقولة عن أبي حنيفة وان جواز التيمم بالثلج من أبشع المسائل المنقولة عن الامام مالك وهكذا الى ما لا يسعه المقام وأي امام من الائمة لم ينسب اليه أقوال شاذة — هذا اذا قلنا ان مسألة المنع من سفر الزيارة من الشواذ مع ان الامر ليس كما ذكروا كيف والادلة القطعية قائمة على ما قاله وقد سبقه اليه الائمة المقتدى بهم وقد سبق بيان ذلك مفصلا فيما نقلناه عن الشيخ من الكتابين وما نقله النبهاني من كلام الحافظ العسقلاني على الرد الوافر هو رد عليه لانه ليس فيه الا الثناء والمدح وتبرئته عما يوجب اللوم والقدح ولم ينقل العبارة بعينها لان ذلك مناقض

لمرتبته الفاضلة وتجانب الارومة من التلبيس والتدليس قاتله الله ما أجهله وما أعمى قلبه عن نعتها بعينيها
الدين ما ذكرناه انه كان من أخلص الناس مودة لشيخ الاسلام (قال) العلامة المحدث السيد
صفي الدين الحنفي البخاري نزيل نابلس عليه الرحمة في كتابه القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي
الدين بن تيمية الحنبلي صورة تقريظ للامام الحافظ في عصره بل حافظ الدنيا العلامة شهاب
الدين ابو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني قدس الله سره على الرد الوافر لابن ناصر
الدين الدمشقي الشافعي رحمه الله تعالى ولفظه *

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . وقفت على هذا التأليف النافع * والمجموع الذي هو للمقاصد التي جمع لها جامع . فتحققت سعة اطلاع الامام الذي صنفه وتضلعه من العلوم النافعة بما عظمه بين العلماء وشرفه . وشهرة امامة الشيخ تقي الدين ابن تيمية أشهر من الشمس . وتلقيبه بشيخ الاسلام باق الى الآن على الالسنة الزكية ويستمر غدا كما كان بالامس . ولا ينكر ذلك الا من جهل مقداره وتجنب الانصاف . فما أكثر غلط من تعاطى ذلك وأكثر عثاره . فالله تعالى هو المسؤل ان يقينا شرور نفوسنا . وحصائد ألسنتنا بمنه وفضله *

(ولو لم يكن) من فضل هذا الرجل الا مانبه عليه الحافظ الشهير علم الدين البرزالي في تاريخه انه لم يوجد في الاسلام من اجتمع في جنازته لما مات ما اجتمع في جنازة الشيخ تقي الدين لكفى . وأشار الى أن جنازة الامام أحمد كانت حافلة جدا شهدها مؤن الوف لكن لو كان بدمشق من الخلائق نظير ما كان ببغداد بل اضعاف ذلك لما تأخر أحد منهم من شهود جنازته . وأيضا فجميع من كان ببغداد الا الاقل كانوا يعتقدون امامة الامام أحمد وكان أمير بغداد وخليفة الوقت إذ ذاك في غاية المحبة له والتعظيم بخلاف ابن تيمية وكان أمير البلد حين مات غائبا . وكان أكثر من في البلد من الفقهاء قد تعصبوا عليه حتى مات محبوسا بالقلعة ومع هذا فلم يتخلف منهم عن حضور جنازته والترحم والتأسف عليه الا ثلاثة أنفس تأخروا خشية على أنفسهم من العامة . ومع حضور هذا الجمع العظيم فلم يكن لذلك باعث الا اعتقاد امامته وبركته لا بجمع سلطان ولا غيره . وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أنتم شهداء الله في الارض . ولقد قام على الشيخ تقي الدين جماعة من العلماء مرارا بسبب أشياء أنكروها

عليه من الأصول والفروع وعقدت له بسبب ذلك عدة مجالس بالقاهرة وبدمشق ولا يحفظ عن أحد منهم انه أفتى بزندقته ولا حكم بسفك دمه مع شدة التعصب عليه حينئذ من أهل الدولة حتى حبس بالقاهرة ثم بالاسكندرية ومع ذلك فكلهم يعترف بسعة علمه وزهده ووصفه بالسخاء والشجاعة وغير ذلك من قيامه فى نصرة الاسلام . والدعاء الى الله تعالى فى السر والعلانية . فكيف لا ينكر على من أطلق انه كافر بل من أطلق على من سماه شيخ الاسلام الكفر . وليس فى تسميته بذلك ما يقتضى ذلك فانه شيخ مشايخ الاسلام فى عصره بلا ريب . والمسائل التى أنكرت عليه ما كان يقولها بالتشهى . ولا يصر على القول بها بعد قيام الدليل عليه عنادا ، وهذه تصانيفه طافحة بالرد على من يقول بالتجسيم والتبرى منه . ومع ذلك فهو بشر يخطئ ويصيب فالذى أصاب فيه وهو الاكثر يستفاد منه ويترحم عليه بسببه والذي أخطأ فيه لا يقلد فيه بل هو معذور لان علماء الشريعة شهدوا له بان أدوات الاجتهاد اجتمعت فيه حتي كان أشد المتعصبين عليه العاملين في ايصال الشر اليه . وهو الشيخ كمال الدين الزملكاني شهد له بذلك . وكذلك الشيخ صدر الدين بن الوكيل الذى لم يثبت لمناظرته غيره ومن أعجب العجب ان هذا الرجل كان من أعظم الناس قياما على أهل البدع من الروافض والحلولية والاتحادية . وتصانيفه فى ذلك كثيرة شهيرة . وفتاويه فيهم لا تدخل تحت الحصر فياقرة أعينهم اذا سمعوا تكفيره . ويا سرورهم اذا رأوا من يكفره من أهل العلم . فالواجب على من تلبس بالعلم وكان له عقل ان يتأمل كلام الرجل من تصانيفه المشهورة أو من ألسنة من يوثق به من أهل النقل فيفرد من ذلك ما ينكر . فليحذر منه على قصد النصح ويثنى عليه بفضائله فيما أصاب من ذلك كدأب غيره من العلماء الانجاب *

ولو لم يكن للشيخ تقى الدين من المناقب الا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزيه صاحب التصانيف النافعة السارّة التى انتفع بها الموافق والمخالف لكان غاية فى الدلالة على عظم منزلته فكيف وقد شهد له بالتقدم فى العلوم والتميز فى المنطوق والمفهوم أئمة عصره من الشافعية وغيرهم فضلا عن الحنابلة . فالذي يطلق عليه مع هذه الاشياء الكفر أو على من سماه شيخ الاسلام لا يلتفت اليه ولا يعول فى هذا المقام عليه بل يجب ردعه عن ذلك الى ان يراجع الحق ويذعن للصواب والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل .

قال وكتبه أحمد بن علي بن محمد بن حجر الشافعي عفا الله عنه وذلك في اليوم التاسع من شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وثمانمائة حامدا الله ومصليا على محمد ومسلما . هذا آخر كلامه *

﴿ فانظر أيها المنصف الى كلام هذا الامام ﴾ في الذب عن شيخ الاسلام هل تراه منتصرا له أم طاعنا عليه . وهل تجده مادحا له أم موجها سهام الذم بين يديه وانظر الى تحريف النبهاني الذي سبق به تحريف أسلافه اليهود فقد نقل منه ما ظن بزعمه انه ينفعه وترك ما هو نصحي في قه كل ذلك لاجل ترويج ضلاله وهواه وباطله . فبالله عليك أيها الواقف على مثل هذه الاحوال هل يليق ان يولى هذا الرجل الحكم على أموال الناس واعراضهم ودمائهم . وهو يخون جهلا واتباعا لهواه هذه الخيانة التي لم تخف على أحد من طلبة العلم فضلا عن أكابر العلماء . ومحققي الفضلاء . فياخسارة لمن تولى الحكم عليه هذا الغبي الجاهل . وعبث كما أداه اليه هواه في المحافل *

﴿ قال النبهاني ﴾ ومنهم السيد صفي الدين الحنفي البخاري نزيل نابلس الف كتابا مستقلا سماه القول الجلي . في ترجمة الشيخ تقي الدين بن تيمية الحنبلي . ذكر فيه مناقبه وكلام العلماء في الثناء عليه . الى ان قال . قال صفي الدين في كتابه المذكور . قد نص على انه أي ابن تيمية بلغ رتبة الاجتهاد جمع من العلماء ولم يتفرد بمسألة منكرة قط . وان كان قد خالف الائمة الاربعة في مسائل فقد وافق فيها بعض الصحابة أو التابعين . ومن أشنع ما وقع له مسألة تحريم السفر الى زيارة القبور . وقد قال به قبله أبو عبد الله بن بطة الحنبلي في الابانة الصغري . ثم قال صفي الدين في موضع آخر من كتابه (فان قلت) ما نقلته في هذا الجزء يدل على براءة الشيخ مما نسب اليه . فما بال علي القاري والتقي الحصني وابن حجر الهيتمي وغيرهم ينسبونه الى أمور فظيعة (قلت) اعلم وفقك الله تعالى ان ابن تيمية رحمه الله تعالى كان رجلا مشهورا بالعلم والفضل وحفظ السنة . وكان مبالغا في مذهب الاثبات وكان يكره التأويل أشد الكراهة وكان يرد على الصوفية ما ذكروه في كتبهم من وحدة الوجود وما شا كلها على عادة أهل الحديث والفقهاء والمتكلمين فرد على الشيخ محي الدين ابن العربي والشيخ عمر بن الفارض . وعبد الحق بن سبعين واضرابهم . وكان قد خالف الائمة الاربعة في بعض الفروع كمسألة الزيارة والطلاق وكان يناظر عليهما فقام عليه ناس وحسدوه وابغضوه وأشاعوا عنه مالم يقله من التشبية والتجسيم

وغير ذلك . فحمل ذلك على بعض أهل العلم من الحنفية والشافعية وغيرهم ولم يطالعوا تحقيق ذلك من كتبه المشهورة واعتمدوا على السماع فوقع منهم ما قد وقع وقد يقع مثل هذا لغير واحد من أهل العلم والفضل (ثم قال) وقد أنكروا على الشيخ أشياء لا بأس بذكر الجواب عنها والاعتذار (فأقول) قالوا يقول بحرمة السفر الى زيارة القبور . وقد خالف في ذلك الاجماع قال صفي الدين قلت وهو مخطئ في ذلك أشد الخطأ ولكن لا يلزم من القول به التفسيق فضلا عن التكفير لانه صدر ذلك عن شبهة ولو كان ذلك الدليل خطأ عندنا . (انتهى) كلام صفي الدين البخاري ومثله العلماء الذين أثنوا على ابن تيمية ذكروا خطأه الفاحش في مسائله التي خالف فيها الاجماع . (انتهى) كلام النبهاني *

﴿ والجواب ﴾ ان كلام النبهاني هذا على نمط ما قبله فان السيد صفي الدين الحنفي عليه الرحمة الف كتابه القول (الجلي في ترجمة . الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي) وذكر فيه أقوال أساطين العلماء الذين أثنوا عليه وذب عنه . وأجاب عما نسب اليه من الاختيارات بما لا مزيد عليه وقال في خطبة كتابه . (وبعد) فهذا جزء لطيف في ترجمة شيخ الاسلام . وبركة الانام علم الزهاد . واوحد العباد . سيد الحفاظ . وفارس المعاني والالفاظ . تقي الدين أبي العباس وذكر نسبه الى ان قال ابن تيمية الحراني نزيل دمشق رحمه الله لخصته مما اجتمع عندي من كلام الفقهاء والمحدثين رجاء للثواب ونفعا للاحباب *

﴿ فانظر أيها المنصف ﴾ كيف ساغ للنبهاني الجهول ان يذكر السيد صفي الدين هذا من جملة من رد على الشيخ ابن تيمية وينقل عنه مايهدم بنيانه . وهل ذلك الا من جملة أحكام منصبه التي يحكم بها بغير ما أنزل الله قاتله الله تعالى . ما أشغفه بالباطل واتباع الهوى . والعبارة التي نقلها محرفة غير منقولة بتمامها وكتاب السيد صفي الدين بين الايدي فلا نتعب البنان بنقل كلامه في هذا المقام . وقد أسلفنا مرارا ان رد بعض العلماء على بعض لا يستوجب القدح على من رد عليه ولا تبديعه ولا تفسيقه بوجه * هذا فخر الدين الرازي قد حشي تفسيره من الرد على الامام أبي حنيفة رحمه الله وملأه من الهذيان عليه فاي قدح لحق الامام أبا حنيفة من ذلك . واعترض بعض علماء المالكية على الامام الشافعي بما لا مزيد عليه فأي نقص لحقه منه . وهكذا مما لا يسع المقام بيانه هذا لو سلمنا ان السيد صفي الدين قد رد على الشيخ فكيف والامر بخلاف ذلك

﴿ قال النبهاني ﴾ ومنهم الحافظ عماد الدين بن كثير الشافعي ثم نقل من كتاب السيد صفي الدين ما ذكره من عبارته المشتملة على الثناء على الحافظ ابن القيم الى ان قال ثم أوذي بسبب فتواه بقول الشيخ ابن تيمية في مسألة الطلاق ومع انه خالف الائمة الاربعة في ذلك فلم ينفرد به كما هو مبين في موضعه وهو وان كان خطأ فاحشا فلا يوجب التفسيق انتهى *

﴿ والجواب ﴾ ما حكيناه سابقا فان ما نقله من الكلام هو أيضا على نسق ما قبله فان النبهاني ينقل ما ذكره السيد صفي الدين من أقوال العلماء الذابة عن الشيخ فيعكس النبهاني القضية ويحمل تلك الاقوال زيادة عليه . ثم ذكر كلام البلقيني والامام السيوطي والكزبري والشيخ على القاري والخفاجي وابن اسحق المالكي والزرقاني والصفدي والمناوي في الرد على الشيخ بزعمه مع ان غالب من ذكر كانوا من المثنين عليه والموالين له وكلامهم الذي نقله عنهم يشهد لما قلناه . ولو سلم ان في كلام بعضهم غض على الشيخ استوجبه التعصب والتقليد للاشياخ وعدم الانصاف فلا نتعب البنان بنقل عباراتهم والكلام عليها *

﴿ قال النبهاني ﴾ ومنهم صاحبنا العالم العامل الفاضل الكامل الشيخ مصطفى بن احمد الشطي الحنبلي الدمشقي قال الف حفظه الله رسالة مخصوصة سماها (النقول الشرعية * في الرد على الوهابية) وختمها بخاتمة في تأييد مذهب سادتنا الصوفية وطبعها ونشرها فمما قاله في المقالة الاولى . منها التي تكلم فيها على الاجتهاد لاشك ان من ادعى ذلك في هذا الزمان عليه امارة البهتان كما يقع دعوى ذلك من فرقة شاذة نسبت نفسها للحنابلة الى ان قال وقد ينكرون دعوى الاجتهاد ويحتجون بعبارة شيخ الاسلام ابن تيمية فقط مع ان الامام المذكور قد خرج من مذهب الحنبلي في عدة مسائل تفرد بها وتهيأ بخصوصها للاجتهاد المطلق الا انها لم تدون على كونها مذهبا له كما دونت فروع مسائل المذاهب الاربعة *

(ثم ذكر) بعض تلك المسائل الى ان قال وذكر في المقالة الرابعة من هذه الرسالة جواز التوسل والاستغاثة والاستشفاع بالانبياء والاولياء والصالحين حال حياتهم وبعد مماتهم . وأقام الدليل على ذلك من الكتاب والسنة الى آخر قوله *

﴿ والجواب ﴾ ان النبهاني كالغريق يتشبث بالحشيش حيث استدل بكل قول سمعه ووافق هواه ولو كان صادرا من الاطفال والصبيان وقصده ان يعظم حجم كتابه ليهول به على أمثاله

من تلامذته . ومن الشيخ مصطفى هذا الذي ذكره حتى يصحح قوله في باب الجرح والتعديل أيظن انه بنسبة ايانه الى مذاهب الحنابلة او الشافعية يقبل قوله ويوثق بنقله قول يلزم ان من ينتمى الى الشافعي كلهم كالسبكي وابن حجر المكي ونحوهما من الغلاة لا والتحقيق فيهم أئمة هادون مهديون وأفاضل منصفون . وهكذا أصحاب كل مذهب والناس معادن *

﴿ وما كل مخضوب البنان بثينة * ولا كل مصقول الحديد يمانى ﴾

هذا مع ان ما نقله عن صاحبه فلا حجة فيه لما هو بصدده أما مسألة انقطاع الاجتهاد التى ذكرها فقد تكلمنا عليها أول الكتاب بما لا مزيد عليه * وأما ما نقله عن شيخ الاسلام فهو حق وقد شهد له بالاجتهاد المطلق اكابر العلماء . وأما قوله بالاستغاثة والتوسل فقد مر الكلام على بطلانها مفصلا . وأما ثناؤه على الصوفية فلم يبين الثناء منه كان على أى قسم منهم . فاما من كان منهم على منهج الجنيد واضرابه فهم أهل للثناء . وأما من كان يقول منهم بوحدة الوجود ويتكلم بما يصادم الشريعة فمدحهم والثناء عليهم مما يأباه العلماء الربانيون فما نقله عن صاحبه لا يفيده فيما هو بصدده من ذكر كلام الرادين على شيخ الاسلام . وقد ذكرنا انه ليس فى كلامه ما يرد عليه وكتاب النقول الشرعية قد رد عليه علماء أهل السنة فلا نناقشه على ما ذكر من السقط *

(قال النبهانى) ومنهم الامام شهاب الدين احمد بن حجر الهيتمى المكى وهو أشدهم ردا على ابن تيمية محاماة عن الدين . وشفقة على المسلمين من ان يسرى اليهم شئ من غلطاته الفاحشة . ولا سيما فيما يتعلق بسيد المرسلين . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين . ومن نظر بعين الانصاف شهد لهذا الامام ابن حجر بالولاية وانه ربما يكون قد اطلعه الله على ما سيحصل فى المستقبل من الاضرار العظيمة التى ترتبت على أقوال ابن تيمية . من فرقته الوهابية . التى هو أصل اعتقادها وأساس فسادها ولا يخفى ما حصل منها من الاضرار العظيمة فى حق المسلمين والاسلام . ولا سيما فى الحرمين الشريفين وجزيرة العرب فمن المحتمل احتمالا قريبا ان يكون الحق سبحانه وتعالى قد اطلع الامام ابن حجر على ذلك على سبيل الكرامة وهو أهل لذلك فانه رضى الله عنه كان من أكابر العلماء العاملين والأئمة الهادين المهديين وهذا علمه وكتبه النافعة التى خدم بها الامة المحمدية . خدمة لم يشاركه فيها سواه من عصره الى الآن قد ملأت الدنيا . وانتفع بها

الناس والعلم في جميع بلاد الاسلام ومن كان كذلك لا يستبعد عليه ان يكون الله تعالى قد أكرمه باطلاعه على بعض المغيبات . ومنها ما حدث من فرقة الوهابية اتباع ابن تيمية من المضار العظيمة على الشريعة المحمدية . والملة الاسلامية . ولذلك كان رضي الله عنه اشد ائمة المسلمين انكارا لبدع ابن تيمية وردا عليه باشد العبارات شفقة على المسلمين . وحماية عن هذا الدين المبين وله في ذلك عبارات كثيرة في كتبه ولا سيما في الفتاوى الحديثية . ولم ار حاجة الى نقلها هنا فمن شاءها فليراجعها *

﴿ أقول ﴾ انا قد أسلفنا عن النبهاني هذا المفتري على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم انه قد اتصف بصفات الخزي والسوء وعدم الادب والحياء من الله ومن الناس فلا يستحي من كذب ولا يبالي بخزي . وأما مساويه فهي كما قال القائل *

﴿ مساو لو قسمن على الغواني * لما أمهرن الا بالطلاق ﴾

وهو والامر لله تعالى لا يدري ولا يدري انه لا يدري فلا ينجع فيه كلام ولا يؤثر فيه سهام الملام . بل هو كما قال المتنبي *

﴿ من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت ايلام ﴾

ولم يزل يبدي ويعيد بباطله . ويكرر كلامه مرة بعد أخرى . وينقل المسائل التي قد تكرر الرد عليها من العلماء الاعلام . ومزقوها بسهام الملام . ولم يؤثر فيه كل ذلك حتى كانه لم يسمع من بما قيل فيها وطعن عليها بل يعتقدها وحي منزل من الله عز وجل . فهو ممن قال الله تعالى فيه ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يهبط من خشية الله *

﴿ وقد ذكر ﴾ في هذا الكلام كلاما لابن حجر المكي عامله الله بعدله في قدح ابن تيمية وسبه وشتمه . وقال انه كان أشدهم ردا عليه . والاحرى به ان يقول انه كان أشد الناس عداوة للذين آمنوا . فانه قد ملأ كتبه بشتم عباد الله الصالحين . أهل الحديث النبوي وخدام السنة المطهرة والشريعة الغراء . وقد انتدب للرد عليه بعض أهل العلم من عصرنا وقبله وبينوا اسقطاته . وغلطاته وكذبه . وافترائه . وخيانته في النقل وتحريفه للكلم عن مواضعه وغير ذلك من الامور التي لا يقدم عليها من يؤمن بالله واليوم الآخر ومزقوا بسهام أقلامهم جميع ما حاكه من نسج الاباطيل وزخرف

الاقاويل مما لا مزيد عليه كما قدروا على اسلافه الملاعين ذلك وكتبهم مشهورة متداولة بين الايدي . وفيها الكفاية لمن أخذت الهداية بيده . ومن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (وجنت الى النهاني) ميت القلب بايد الطمع جامد القريحة يرى كلام شيوعيه واسلافه كالشريعة المنزلة والدين المتبع ولا شك ان ذلك مما كان عليه أهل الجاهلية في شرح مسائل العلامة أبي عبد الله الشيخ محمد التي أبطلها الاسلام . ومنها الاقتداء بفسقة أهل العلم وجهالهم وعبادهم وقد حذرهم الله تعالى من ذلك بقوله *

(يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) وقال تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) الى آيات اخر تنادي ببطلان الاقتداء بالفسقة وأهل الضلالة والغي . وذلك من سنن أهل الجاهلية . وطرائقهم المعوجة الردية

* قال ومنها الاحتجاج بما كان عليه القرون السالفة من غير تحكيم العقل والاخذ بالدليل الصحيح . وقد أبطل الله ذلك بقوله (قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم) الآية *

وقال تعالى (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ماهذا الا سحر مفترى . وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين) وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن يكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون) *

وقال عز ذكره (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون) فقال الملأ الذين كذبوا من قومه ماهذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ماسمعنا بهذا في آبائنا الاولين * ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين *

وفي آية أخرى (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق) *

فعللوا امتناعهم واحتجاجهم على عدم قبول ما جاءت به الرسل انه لم يكن عليه اسلافهم ولا عرفوه منهم فانظر الى سوء مداركهم وجمود قرائحهم ولو كانت لهم أعين يبصرون بها وآذان يسمعون بها . لعرفوا الحق بدليله . وانقادوا لليقين من غير تمايلة . وهكذا اخلافهم ووراثهم قد تشابهت قلوبهم اه *

(والنبهاني) من هؤلاء القوم الذين تكلم عليهم فى شرح المسائل وهو مع جهله بكل علم ألف كتابا ذكر فيه مباحث كانه لم يسمع ردها ولا علم بباطلها وملأه من الهذيان والزور والبهتان فكان ممن قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير *

ومع ذلك فنحن نتكلم على مانقله هنا عن ابن حجر . ونجيب عنه بجوابين مجمل ومفصل *

(اما الجواب المجمل) فهو ان ما نقل عن ابن حجر لا يضر شيخ الاسلام فانه عدو له ومن خصومه الالداء كما يدل على ذلك ما كان منه من الشتم والسب واللعن وغير ذلك مما لا ينبغي ان يذكر بعضه في حق أعداء الله كاليهود وغيرهم من أعداء الدين . وذلك خارج عن قوانين المناظرة المقصود منها اظهار الصواب . والحامل له على ذلك تعصبه للسبكى فان كثيرا من الشافعية لهم حظ وافر مما كان عليه أهل الجاهلية من انتصار بعضهم لبعض ولو ظلما — ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من تعزى بعزاء الجاهلية فاعضوه بهن أبيه ولا تكنوا ﴿وفى شرح المسائل﴾ التى أبطلها الاسلام مانصه . ومن خصال الجاهلية انهم لايقبلون من الحق الا ما تقول به طائفتهم . قال تعالى (واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) *

﴿ ومعنى نؤمن بما أنزل علينا ﴾ اى نستمر على الايمان بالتوراة وما فى حكمها مما انزل فى تقرير حكمها ﴿ ومرادهم ﴾ بضمير المتكلم ﴿ اما انبياء ﴾ بنى اسرائيل وهو الظاهر وفيه ايماء الى ان عدم ايمانهم بالقرآن كان بغيا وحسدا على نزوله على من ليس منهم . ﴿ واما انفسهم ﴾ ومعنى الانزال عليهم تكليفهم بما فى المنزل من الاحكام وزموا على هذه المقالة لما فيها من التعريض بشأن القرآن ودسائس اليهود مشهورة اولانهم تأولوا الامر المطلق العام ونزلوه على خاص هو الايمان بما انزل عليهم كما هو ديدنهم فى تأويل الكتاب بغير المراد منه . ﴿ ويكفرون بما وراءه وهو الحق ﴾ اي هم مقارنون لحقيقته أى عالمون بها ﴿ مصدقا لما معهم ﴾

لان كتب الله يصدق بعضها بعضا فالتصديق لازم لا ينفك. وقد قررنا تضمن الكفر لا بما كلا مستقلا عليه. ولهذا تضمنت رد قولهم (نؤمن بما أنزل علينا) حيث ان من لم يصدق بما وافق التوراة لم يصدق بها (قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) أمر للنبي صلى الله عليه وسلم ان يقول ذلك تبكيتا لهم حيث قتلوا الانبياء مع ادعاء الايمان بالتوراة وهي لا تسوغه

* قال ومنها التعصب للمذهب والاقرار بالحق للتوصل الى دفعه. قال تعالى وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم به عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم *

﴿قال﴾ الحسن والسدى تواطأ اثنا عشر رجلا من أحبار يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد واكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا فى كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذاك وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك أصحابه فى دينهم. وقالوا انهم أهل كتاب وهم أعلم به فيرجعون عن دينهم الى دينكم انتهى *

وما كان عليه ابن حجر المكى من الغلو فى القبور والقول باقوال المتصوفة الكاذبة وترويج بدعهم المعلومة أمر لا يسعه الانكار وكتبه طافحة بمثل هذه الاكاذيب وشيخ الاسلام قد بين أحكام الله تعالى فى هذه الفئة الزائغة. وذكر ما وردت به الشريعة من القول الحق الذي يذعن له كل من يسمعه ويصغي اليه. وذلك من المسلم حتى لدى خصومه فمن جملة ما كتبه ابو الحسن السبكى الى الحافظ الذهبي أحد من أخذ على شيخ الاسلام فى حق الشيخ تقى الدين مانصه *

واما قول سيدي فى الشيخ فالمملوك متحقق كبر قدره وزخارة بحره وتوسعه فى العلوم الشرعية والعقلية. وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذى يتجاوز الوصف. والمملوك يقول ذلك دآئما وقدره في نفسى أكبر من ذلك واجل مع ماجمع الله له من الورع والزهادة والديانة ونصرة الحق والقيام فيه لالغرض سواه وجريه على سنن السلف وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى وغرابة مثله فى هذا الزمان بل من أزمان انتهى *

﴿ والمقصود ﴾ ان كل ما اعترض به ابن حجر على شيخ الاسلام مردود عليه فان منه ماهو افتراء ومنه ماهو مؤيد بالحجج والدلائل القطعية . ومنه مالم يتفرد به بل قال بقوله جمع من المجتهدين وان ما كان من تهور ابن حجر ليس من الدين في شيء . وانما لمزيد حسده وغيه واتباعه هواه فكلامه الذي نقله الغبي النبهاني وغيره كله مردود عليه *

﴿ وأما الجواب المفصل فنقول ﴾ اما قول ابن حجر فيه ماقال فذلك قول النبهاني هو أشدهم ردا على ابن تيمية محاماة عن الدين وشفقة على المسلمين الخ . فقد صدق في جملة من هاتين الجملتين وكذب في الاخرى اما ماصدق فيها فقوله عن ابن حجر انه أشد الناس ردا عليه والأمر كما قال والسبب في ذلك ماذكرناه سابقا من الحب للبدع والكراهة للسنن النبوية فان من نظر الى كتب الشيخ ابن تيمية . وجدها دينا خالصا وكلاما أشبه شيء بالذهب المصطفى وعلم منها حرصه رحمه الله على السنة والمحاماة للشريعة والحط على أعداء الدين وخصماء السنة ومزيد حبه للرسول صلى الله عليه وسلم ومن راجع بعض فصول كتابه الصارم المسلول تبين له ماقلناه *

﴿ كل ذلك ﴾ بخلاف ما كان عليه ابن حجر فتراه في كثير من كتبه يروج البدع ويدافع عنها ويذب عن أهلها ويخاصم اتباع السنن ويعادي أهل الحديث أشد المداوة . وينسب اليهم كل ما خطر على باله وجرى على لسان قلمه من الافك والزور والبهتان انظر الى ماذكره في فتاواه الحديثية بل البدعية تجدها مشحونة من العدوان على ابن تيمية وقبل ان تنشر كتب شيخ الاسلام تقي الدين ربما كان يظن من يظن انه صادق في منقوله فلما انتشرت وتداولتها الايدي تبين لكل ذي عينين ان ابن حجر كذب وافترى ولم يتوثق به أحد بعد ذلك وسقط من درجة الاعتبار بالكلية الا لدى من أعمى الله عين بصيرته من الاغبياء *

وبذلك يظهر كذب النبهاني في الجملة الاخرى وهي ان انكاره كان شفقة على الدين الخ بل لو أنصف لقال ان انكاره كان من بغضه للدين فانه شوق الناس على البدع والاهواء وحذرهم من كتب السنة ومحبة أهلها والمحامين لها ولذلك ترى من اغتر باقواله الكاسدة في ظلمات من الجهل والغي والعمى لاينجع فيهم كلام ولا تمضي فيهم سهام الملام * وأما من طالع كتب السنة ولا سيما كتب شيخ الاسلام تراه قد انكشفت عن بصيرته غشاوة التعصب واتبع ما اقتضاه

الدليل وهكذا الفرق بين أهل البدع والسنة ترى أهل البدعة يعرضون النصوص والدلائل الى ما تهواه أنفسهم وأهل السنة يدعون الى ما تقوده اليهم الدليل ويتركون له ما تهواه أنفسهم وهذا بحمد الله بين ٠

﴿وأما قوله ومن نظر بعين الانصاف شهد لهذا الامام ابن حجر بالولاية وانه ربما يكون قد أطلعه الله على ما يحصل في المستقبل من الاضرار العظيمة لجوابه من وجوه (أما أولا) فيقال ان الولاية والكرامة انما تكون لصلحاء الامة أهل التقوى والورع والكرامة لا تكون لمثل ابن حجر من الكذابين المفترين المتناقضين في أقوالهم المضطربين في دينهم ٠ وما أحسن ما في كتاب انباء الابناء بأحسن الانباء . يا بني من رأيتموه يطير في الهواء او يمشي على وجه الماء . وقد خالف شيئا من الشريعة الغراء . فذاك من أولياء الشيطان . لا من أولياء الرحمن فاياكم وإياه واشتغلوا عنه بتقوى الله ٠ وقال شيخ الاسلام في كتابه الفرقان ٠ بين أولياء الرحمن ٠ وأولياء الشيطان ومن حين بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم جعله الفارق بين أولياء الله وأعدائه فلا يكون ولى الله الا من آمن به واتبعه ظاهراً وباطنا ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه فليس من أولياء الله بل من خالفه كان من أعداء الله واولياء الشيطان ٠ وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ٠ قال الحسن البصري ادعى قوم انهم يحبون الله فانزل الله هذه الآية محنة لهم وقد بين الله فيها ان من اتبع الرسول فان الله يحبه ومن ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول فليس من اولياء الله تعالى وان كان كثير من الناس يظنون في انفسهم او غيرهم انهم من اولياء الله ولا يكونون من اولياء الله فان اليهود والنصارى يدعون انهم اولياء الله وانه لا يدخل الجنة الا من كان منهم بل يدعون انهم أبناء الله واحباؤه الى قوله واليه المصير ٠ وقال تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون وكان مشركوا العرب يدعون انهم أهل الله لسكناهم مكة ومجاورتهم البيت وكانوا يستكبرون به على غيرهم كما قال تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم الى قوله سامرا تهجرون ٠ وقال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الى قوله لا يعلمون ٠ فبين سبحانه وتعالى ان المشركين ليسوا أولياءه ولا أولياء بيته انما أولياؤه المتقون ٠ وثبت في الصحيحين عن عمرو بن العاص قال سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول جهاراً غير سر ان آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء انما وليي الله وصالح المؤمنين. وهذا موافق لقوله تعالى وان تظاهرا عليه الى قوله ظهيرا. وصالح المؤمنين المتقون أولياء الله. ويدخل في ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة وكانوا ألفا وأربعمائة كلهم في الجنة كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ومثل هذا الحديث الآخر ان أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا كما ان من الكفار من يدعي انه ولي الله وليس وليا لله بل عدوا له وكذلك من المنافقين الذين يظهرون الاسلام ويقرون في الظاهر بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وانه مرسل الى جميع الانس بل الى الثقلين الانس والجن ويعتقدون في البواطن ما يناقض ذلك مثل ان لا يقروا في الباطن انه رسول الله انما كان ملكا مطاعا ساس الناس برأيه من جنس غيره من الملوك أو يقول انه رسول الله الى الاميين دون أهل الكتاب كما يقول كثير من اليهود والنصارى أو يقول انه مرسل الى عامة الخلق وأن لله أولياء خاصة لم يرسل اليهم ولا يحتاجون اليه او ان لهم طريقا الى الله من غير جهته كما كان الخضر مع موسى أو انهم يأخذون عن الله كلما يحتاجون اليه وينفعون به من غير واسطة أو أنه مرسل بالشرائع الظاهرة وهم موافقون له فيها * وأما الحقائق الباطنية فلم يرسل بها ولم يكن يعرفها أوهم أعرف منه أو يعرفونها بمثل مايعرفها هو من غير طريقته. وقد يقول بعض هؤلاء ان أهل الصفة كانوا مستغنين عنه ولم يرسل اليهم الى آخر ما ذكره من التفصيل الذى لا تجده في غيره *

﴿ ومنه يعلم ان ابن حجر ﴾ المكي ليس منهم في شئ. فانه كان ممن يجوز الالتجاء الى غير الله تعالى والاستغاثة بالانبياء والصالحين والاستعانة بهم والتوسل وغير ذلك مما أسلفنا حكمه وبينا اختلاف أهل العلم في ايمانه واسلامه هذا ماعدا ماذكره في تضاعيف كلامه ولاسيما في كتابه الجوهر المنظم وما عدا ما اقترف من الاثم في شتم خيار الامة وسبهم ولعنهم والافتراء عليهم فان هذه الامور متى اتصف بها شخص كان حكمه معلوما فكيف يجعل من الاولياء ويثبت له كرامات وخوارق. نعم انه يليق ان يكون لدى النبهاني من الاولياء. وان الشياطين بعضهم أولياء بعض *

﴿ وأما ثانيا ﴾ فلان الاضرار التي ادعاها لموافقي ابن تيمية لم يبين انها ماهي. ونحن نعلم ان كل

ما يخالف الكتاب والسنة لوجوده شرع محض ومن وافق ابن تيمية في أقواله انما هي عن المنكرات التي كانت بين الناس مما لم يكن مثلها في الجاهلية الاولى وأمر بالمعروف الذي يحبه الله ورسوله كل ذلك معلوم لدى العقلاء فلم لم يطلع الله ابن حجر اذا كان وليا وصاحب كرامة على ما حدث في الاسلام من الزيغ والاعوجاج والمنكرات الكثيرة في أخص بلاد الاسلام وأشرفها وما صادم الدين المبين من القواعد والاحكام التي يعرفها النبهاني ولا يحتاج الى ان ينبه عليها فانها اختلطت بلحمه وعظمه وعليها مدار معاشه وانتعاشه أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين *

﴿ وأما ثالثا ﴾ فان قوله ان الاضرار التي ترتبت على أقوال ابن تيمية من فرقته الوهابية الخ ليس له محصل ولا حاصل فنحن نطالبه ببيان تلك الاضرار التي ادعاها انها ترتبت على اقوال ابن تيمية مع ان اقواله هي عن الكتاب والسنة. وما يترتب على الكتاب والسنة يترتب على الاقوال المأخوذة عنها . والله سبحانه هو الذي أمر بجهاد المشركين ومحوهم من الارض افيقال ان ذلك من المضار . (وفي الكتاب) والسنة من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ماهو معلوم لدى كل ذي بصر . (افيقال) ان ما يترتب على ذلك هو ضرر (والكتاب) والسنة اوجبا ازالة البدع والاهواء وابطالها وان اضر باهلها افيقال ان ما يترتب على ذلك يعد من الضرر . (والكتاب) والسنة نهيا عن جميع الكبائر والمحرمات المفصلة في غير هذا الموضع فهل لو حظ ما يترتب على ذلك من الضرر على من يتعاطاه . فقول النبهاني هذا ساقط ليس له وجه *

﴿ واما رابعا ﴾ فان الذين اطلق عليهم اسم الوهابية اطلاقا غلطا هم أهل نجد وهم حنابلة من خيار أهل السنة وهم من اتباع الامام أحمد في الفروع لا من اتباع ابن تيمية — واما في العقائد والاصول فهم ليسوا بمقلدين لاحد فيها وهم لم يبتدعوا شيأ في الدين يكونون به فرقة أخرى ولم يتخذوا مع الله آلهة أخرى كما اتخذه الغلاة *

﴿ واما خامسا ﴾ فاي مضار ترتبت على موافقي ابن تيمة وهم الذين فعلوا ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم وامتثلوا أمره في الطاعة لولي الامر ويعتقدون ان مخالفته من خصال الجاهلية في شرح المسائل ان مخالفة ولي الامر وعدم الانقياد له من فضائل الجاهلية وبعضهم يجعله

وبالغ النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وأمرهم بالصبر على جور الولاة والسمع والطاعة والنصيحة لهم وغلظ في ذلك وأبدى وأعاد وهذه الثلاث هي التي ورد فيها ما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم رضي لكم ثلاثا أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأن تعتصموا بحبل الله جميعا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم . وروى البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كره من أميره شيأ فليصبر فانه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية . وروى أيضا عن جنادة ابن ابي أمية . قال دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض . فقلنا اصلحك الله حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم قال دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعنا . فقال فيما أخذ علينا ان بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الامر أهله الا ان تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان والاحاديث الصحيحة في هذا الباب كثيرة ولم يقع خلل في دين الناس او دنياهم الا من الاخلال بهذه الوصية انتهى *

وما كان من الحروب في نجد بين رؤسائهم أي ذنب لهم فيه وهم لم يبدؤا أحدا بحرب ولا ضرب حتى يبدأ الغير به فحينئذ يدافعون عن أنفسهم ودفع الصائل مأمور به فلم يحصل منهم ضرر على الشريعة بل هم اكثر المسلمين محاماة عليها كما سبق *

﴿ واما سادسا ﴾ ان ما ينقل عن أهل نجد مما فعلوه بالحرمين لا أصل له كما لا يخفى على من طالع كتب تواريخهم . وفي كتاب منهاج التأسيس في الرد على ابن جرجيس وتتمته نبذة من ذلك وجزيرة العرب تشمل الحرمين بل هما الجزيرة بلسان الشرع فلا وجه لعطف الجزيرة على الحرمين *

﴿ واما قوله ﴾ ولذلك كان رضي الله عنه أشد أئمة المسلين انكارا لبدع ابن تيمية الخ فجوابه انا قد ذكرنا سابقا ان ما كان منه من التهور والتجاوز على ابن تيمية اتباعا لهواه وابن تيمية من أعظم الناس اتباعا للسنة واكثرهم ردا للبدع وقول النبهاني شبيه بقول اخوانه المشركين ففي كتاب شرح المسائل التي أبطلها الاسلام من خصال الجاهلية تسميتهم اتباع الاسلام شركا قال تعالى (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة . ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون

ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) أخرج ابن اسحق بسنده حين اجتمعت الاحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام قالوا أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم. فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس او ذاك تريد منا يا محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن نعبد غير الله أو نأمر بعبادة غيره ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني فأنزل الله تعالى الآية انتهى *

وأظن ان النبهاني لا يفرق بين البدعة والسنة ولا ما يطلق عليه كل واحدة منهما بل لا يعرف الايمان من ضده ولذلك سمى ابن تيمية مبتدعا وسمى نفسه واضرابه مؤمنا ومن أهل السنة وقل له منشداً *

نزلوا بمكة فى قبائل هاشم   ونزلت بالبيداء أبعد منزل

﴿ وقل له ﴾

أيها المدعي لسلمى انتسابا   لست منها ولا قلامة ظفر

ولا بد من الكلام على البدعة حتى يعلم بعد معرفتها من المبتدع الذى أطلقه على شيخ الاسلام

﴿ كلام مفيد فى تعريف البدعة ﴾

﴿ اعلم ﴾ ان البدعة لغة المحدثة مطلقاً واصطلاحاً اذا قوبلت بالسنة يراد بها المحدثة فى الدين . اما بزيادة او نقصان وهي السيئة التى ليس لها أصل ظاهر من الكتاب والسنة او سند صحيح استنبطه علماء الامة . فاما ما كانت حسنة ناشئة عن هذه الاصول فهي قد تكون مباحة كالمواظبة على اكل اب الحنطة مثلا . وقد تكون مستحبة كبناء المنارة وتصنيف الكتب وقد تكون واجبة كنظم الدلائل لرد كيد الملاحدة وشبه الفرق الضالة وقد وقع من ذلك عن الصحابة شيء كثير كما وقع لابى بكر وعمر ولزيد بن ثابت فى جمع القرآن فان عمر أشار به على أبى بكر خوفا من اندراس القرآن بموت الصحابة رضوان الله عليهم لما كثر فيهم القتل يوم اليمامة وغيره فتوقف أبو بكر لكونه صورة بدعة . ثم شرح الله صدره لفعله لانه ظهر له أن يرجع الى الدين وانه غير خارج عنه ولما دعا زيد بن ثابت وأمره بالجمع قال له كيف تفعل شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال والله انه حق وكما وقع لعمر في جمع الناس لصلاة التراويح فى المسجد

مع تركه صلى الله عليه وسلم لذلك بعد ان كان فعله ليالي . وقال ليست البدعة هي الا ما كان حادثا بدعة باعتبار معناها اللغوي فليس فيها رد لما مضى وزيادة في الدين بل هي من الدين لانه صلى الله عليه وسلم علل الترك بخشية الافتراض وقد زال بوفاته صلى الله عليه وسلم ومنشأ الذم ما قاد الى شئ من مخالفة السنة ودعا الى الضلالة *

ثم قال الفاضل التوريدي والقول الفصل الموضح لما تقدم هو ان البدعة لها معنيان (أحدهما) لغوي وهو المحدث مطلقا سواء من العادات أو العبادات (وثانيهما) شرعي وهو الزيادة في الدين أو النقصان منه من غير اذن من الشارع لا قولا ولا فعلا ولا صريحا ولا اشارة فالبدعة التي هي ضلالة كما في الحديث هي بحسب معناها الشرعي فيقتصر بها على غير العادات من العبادات التي هي لا صول الشريعة من الكتاب والسنة والاذن من الشارع بخالفات . فالمنارة عون لاعلام وقت الصلاة . وتصنيف الكتب عون للتعليم . ونظم الدلائل لرد الشبه ذب عن الدين فكل ذلك مأذون فيه لان البدعة الحسنة مالم يحتج اليه الاوائل واحتاج اليه الاواخر وعند الاستقراء لا توجد هذه البدعة في العبادات البدنية المحضة كالصوم والصلاة والذكر والقراءة بل لا تكون البدعة فيها الا سيئة *

قال صاحب مجالس الابرار ماملخصه لان عدم وقوع الفعل في الصدر الاول اما لعدم الحاجة اليها أو لوجود مانع أو لعدم تنبه أو لتكاسل أو لكراهة أو لعدم مشروعية والاولان منتفيان في العبادات البدنية المحضة لان الحاجة في التقرب الى الله تعالى لا تنقطع وبعد ظهور الاسلام لم يكن منها مانع ولا يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم عدم التنبه أو التكاسل فذاك اسوء الظن المؤدي الى الكفر . فلم يبق الا كونها سيئة غير مشروعة *

وكذلك يقال لكل من أتى في العبادات البدنية المحضة بصفة لم تكن في زمن الصحابة اذ لو كان وصف العبادة في الفعل المبتدع يقتضي كونه بدعة حسنة لما وجد في العبادات ماهو بدعة مكروهة . ولما جعل الفقهاء مثل صلاة الرغائب والجماعة فيها ومثل أنواع النغمات الواقعة في الخطب وفي الاذان وقراءة القرآن في الركوع مثلا والجهر بالذكر امام الجنازة من البدع المنكرة فمن قال بحسنها قيل له ماثبت حسنه بالادلة الشرعية فهو اما غير بدعة فيبقى عموم العام في حديث كل بدعة ضلالة . وحديث كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد على حاله . او يكون مخصوصا

من هذا العام والعام المخصوص دليل فيما عدا ما خص منه في المعنى المخصوص فيما أحدث أيضا احتاج الى دليل يصلح للتخصيص من كتاب أو سنة أو اجماع مختص بأهل الاجتهاد ولا نظر للعوام ولعادة أكثر البلاد فيه . فمن أحدث شيئاً يتقرب به الى الله تعالى من قول أو فعل فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله *

﴿ وفيها ﴾ ان كل بدعة في العبادات البدنية المحضة لا تكون الا سيئة (والحاصل) كل ما أحدث ينظر في سببه فان كان لداعي الحاجة بعد ان لم يكن كنظم الدلائل لرد الشبه التي لم يكن في عصر الصحابة أو كان وقد ترك لعارض زال بموت النبي صلى الله عليه وسلم كجمع القرآن فان المانع منه كون الوحي لا يزال ينزل فيغير الله ما يشاء وقد زال كان حسنا والا فاحداثه بصرف العبادات البدنية القولية والفعلية تغيير لدين الله تعالى مثلا الاذان في الجمعة سنة وقبل صلاة العيد بدعة ومع ذلك فانه يدخل في عموم قوله تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا وقوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعى الى الله فيقول القائل هذا زيادة عمل صالح لا يضر لانه يقال له هكذا تتغير شرائع الرسل فان الزيادة لو جازت لجاز ان يصلى الفجر أربعا والظهر ستا . ويقال هذا عمل صالح زيادته لا تضر *

لكن أهل السنة يتبعون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الفعل والترك فان الله تعالى قد بين لنا الشرائع وأتم لنا الدين . فهذا هو من غير زيادة أو نقص فالزيادة عليه كالنقصان فنعبده بما شرع . ولا نعبده بالبدع . فعقولنا عن مثل ذلك قاصرة وآراؤنا اذا كاسدة خاسرة . والعقول لا تهتدى الى الاسرار الالهية . فيما شرعه من الاحكام الدينية . أوما ترى كيف نوديت الى الصلاة دائما . ونهيت عنها في الاوقات الخمسة . وذلك ينتهي الى قدر ثلث النهار فينبغي لك ان تكون حريصا على التفتيش عن أحوال الصحابة وأعمالهم فهم السواد الاعظم . ومنهم يعرف الحسن من القبيح والمرجوح من الرجيح . واذا وقع أمر ينظر فيه الى قواعد المجتهدين الذين هم السلف لمن خلف . فان وافق أصولهم قبله المتبع بقلبه . والا فلينبذه وراء ظهره وليتبصر في جلية أمره . ولا تغرنك عوائد الناس فانها السموم القاتلة والداء العضال . وعين المشاقة المؤدية الى الضلال . وقد كان هشام بن عروة يقول لا تسألوا الناس اليوم عما أحدثوه فانهم قد أعدوا له جوابا . لكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها واخرج

أورد عن حذيفة رضي الله عنه ، قال كل عبادة لم يتعبدها الصحابة فلا تتعبدوها ، وأخرج البيهقي ان ابن عباس قال أبغض الامور الى الله تعالى البدع *

(فمن البدع الدينية) وهي ما خالفت شيأ من ذلك صريحا أو التزاما وقد ينتهي الى ما يوجب التحريم تارة والكراهة أخرى . والى ما يظن انه طاعة وقربة (فمن الاول) الانتماء الى جماعة يزعمون التصوف ويخالفون ما كان عليه مشائخ الطريق من الزهد والورع وسائر الكمالات المشهورة عنهم بل كثير من أولئك اباحية لا يحرمون حراما لتلبيس الشيطان عليهم أحوالهم القبيحة الشنيعة . فهم باسم الفسق أو الكفر أحق منهم باسم التصوف أو الفقر (ومنه) ما عمت به البلوى من تزيين الشيطان للعامة تخليق حائط أو عمود أو تعظيم نحو عين أو حجر أو شجرة لرجاء شفاء . أو قضاء حاجة . وقبائحهم في هذا ظاهرة غنية عن الايضاح والبيان . وقد صح ان الصحابة رضي الله تعالى عنهم مروا بشجرة سدر قبل حنين كان المشركون يعظمونها وينوطون بها أسلحتهم أي يعلقونها بها . فقالوا يارسول الله اجعل لنا ذوات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة . قال انكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم . (ومن الثاني) ومنشاه ان الشارع يخص عبادة بزمن أو مكان أو شخص أو حال فيعممونها جهلا وظنا انها طاعة مطلقا نحو صوم يوم الشك أو التشريق والوصال . ومنه التعريف بغير عرفة . (ومنه) صلاة ليلة الرغائب أول جمعة في رجب وليلة النصف من شعبان فهما بدعتان مذمومتان *

﴿ قال السويدي ﴾ ومن أعظم البدع الغلو في تعظيم القبور فلقد اتخذوها في هذا الزمان معابد يعتقدون ان الصلاة عندها أفضل من الصلاة في جميع بيوت الله وهم وان لم يصرحوا ولكن طبعت قلوبهم على ذلك فتراهم يقصدونها من الاماكن البعيدة وربما ان تكون بحذائهم مساجد مهجورة فيعطلونها . واذا لحقوا على الصلاة فيها ولو في أوقات الكراهة كانت أفضل عندهم من الصلاة في الاوقات الفضيلة في المساجد وتلك المساجد التي بحذاء القبور ليست مقصودة لكونها بيوتا لله بل لكونها حضرات لمن انتسبت اليه من أهل تلك القبور . يدلك على ذلك كله انهم لا يسمونها الا حضرات . فاذا قلت لاحدهم أين صليت قال لك صليت في حضرة الشيخ فلان . وليس مقصودهم به الا التقرب به وبحضرته وكلما أكثر الرجل التردد

بهذه الفرقة الوهابية خذلها الله تعالى وعاملها بالعدل يوم التناد انتهى .

الى القبور ولو كانت مشتملة على أنواع المنكرات من ستور الحرير والديباج والترصيع بالفضة والعقيان فضلا عن غيرها كان مشهورا بين الناس بالديانات . معمور الاوقات . مقربا عند أصحاب تلك الحضرات . ولقد امتلأت قلوب العوام من رجائهم ومخافتهم . فتراهم اذا عضلت عليهم الامور أوصى بعضهم بعضا بقصد أصحاب القبور — وكذلك اذا وقع على أحدهم يمين بالله حلف به من غير أدنى وجل أو حذر . واذا قيل له احلف بفلان عند قبره خصوصا اذا أمره بالغسل لهذا اليمين ليكون ذلك من أقوى العبادات . خاف خوفا يظهر على جميع جوارحه . فلو سلمنا انه أدخل الى قبره ارتعدت فرائصه وانحلت قواه . وربما ان أحدهم لكثرة أوهامه وشدة خوفه تبطل حواسه فيزدادون كفرا . وتضحك عليهم الشياطين جهراً وترى كثيرا منهم يعلقون مرضاهم عليهم فيأخذون المريض وهو في غاية شدته فيدخلونه على قبره والسعيد عندهم من يدخلونه داخل شباكه ويتعلق بستر قبره . والرذية العظمى انهم في حالتي السراء والضراء يتلاعب ابليس بهم . فان مات مريضهم قالوا ما قبلنا الشيخ فلان يعنون به صاحب القبر . وان صادف القدر فعوفي سيما اذا وافق مطلوبهم ذلك الوقت فرحوا بما عندهم من الكفر فارسلوا القرابين ومعها شموع العسل موقدة من بيوتهم . اظهارا القدرة صاحب القبر وتنبيها على فضيلته . وكثيرا ما ينشرون الرايات له على طريقة أهل الجهل من الاعراب من ان يفعل شيأ عظيما نشرت له راية بيضاء . وقد رأت من لم يفعل ذلك ولكنه ينصب راية بيضاء على سطح داره ثلاثة أيام يصيح كل يوم وقت المغرب باعلى صوته الراية البيضاء المبنية لفلان بيض الله وجهه (قال وبالجملة) فأكثر البدع الخبيثة نشأت من هنالك حتى انى رأيت بدمشق الشام أناسا ينذرون للشيخ عبد القادر الجيلي قنديلا يعلقونه في رؤس المنابر ويستقبلون به جهة بغداد ويبقى موقدا الى الصباح وهم يعتقدون ان ذلك من أتم القربات اليه كأنهم يقولون بلسان حالهم أينما توقدوا فثم عبد القادر *

فيالله العجب ما هذه الخرافات . وأين دين الله الذى قدمات . بال الشيطان في عقولهم وأضلهم عن سبيلهم . ولا ترى أحدا ينهى وينكر عن امثال ذلك . وأعظم مما هنالك (ومن أقبح المنكرات) ما يستعملها جميع الناس عند وضع الاناث ولا سيما في شدة الطلق فانهن يستغثن بعلى بن أبي طالب . وكلما اشتد الطلق صاحت النساء باعلى أصواتهن داعيات ومستغيثات به

ليخرج منهم ما [illegible] . ومن [illegible] ونظائرهم إذا أقسموا في هذا الحال العظيم . والخطب الجسيم . وكثير منهم يزعمون أنه الموكل بالارحام . والموكل اليه في هذه الاحوال العظام *

﴿ ومن البدع المنكرة ﴾ ان كثيرا من أهل الهند وأهل الاناكي القاصية يرسلون الهدايا العظيمة . والاموال الكثيرة اما لاجراء النذورات لاجل المجاورين عند قبورهم فانهم عندهم أفضل خلق الله . ومن جاور عندهم فكانما ابتاع منهم قطعة من الجنان . واما لعمل قبابهم بصفائح الذهب العقيان . وبعضهم يرسل هدايا عظيمة ليرسل له السدنة اعلاما ينشرونها على فلكهم اذا وقعوا في شدتهم فيكون اسمه المكتوب في تلك الاعلام المرسلة اليهم كشافا لكربتهم نفاعا لهم بانجاح بغيتهم . قال وأكثر نساء بغداد اذا كن صحيحات من وضعهن يخبزن خبزا تسمينه عباس المستعجل يزعمن ان العباس بن على ابن أبي طالب هو المتكفل بهذه الامور العظام *

﴿ ومن ذلك عند الناس شيء كثير ﴾ من أحجار وآبار . وصخور وأشجار . يزعمون منها شفاء الامراض وقضاء الحاجات . وتفريج الكربات . ولو بسطت الكلام في ذلك مما يستعمله الرجال والنساء . أو يختص بالنساء . من أشياء يعلقنها عليهن . وبين خواصها وتأثيراتها في أزواجهن ويسمينها باسماء لو رجعت الجاهلية الاولى لعجزت عن أقل القليل من هذه الجهالات وسوء الاعتقادات لاحتمل مجلدات . والويل كل الويل لمن أنكر ذلك . أو تكلم بادنى شيء ينجي من تلكم المهالك *

﴿ ومن أسخف البدع ﴾ انك تسمع وقت خسوف القمر من الضرب بالطسوس والنحاس شيأ عظيما . ولا تكاد تسمع برجل دخل بيتا من بيوت الله للصلاة فيه أو صلى في بيته أو استغفر أو تاب أو تصدق . فبالله نستعين على زمان أميتت فيه السنن واستأنس بالبدع . اللهم واذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين أمين *

﴿ ومن البدع المنكرة ﴾ ما يستعمله المتصوفة من اذكار اشتملت على الدفوف والطبلات والغناء وأنواع الرقص . ويسمونه حالا . وتراهم يعملون ذلك ومغنيهم ينشدهم من الشعر المشتمل على مالا يرضي الله تعالى ويحضره الفسقة والمرد والنساء فيحصل من ذلك ما تظهر به

حملة الفسق والفساد . وربي الشيخ او شكت له بوجهه الفلتة وظفر بدراهم اخذها من أطيب المكاسب . وأقرب القربات لا كثر الله من أمثالهم وأعظم الناس الا في هذا العصر على الدين والدولة مبتدعة الرفاعية . فلا تجد بدعة الا ومنهم مصدرها وعنهم موردها ومأخذها . فذكرهم عبارة عن رقص وغناء والتجاء الى غير الله وعبادة مشايخهم . واعمالهم عبارة عن مسك الحيات والعقارب ونحو ذلك قال ابن خلدون في كتابه العبر قد كثر الزغل في أصحاب الشيخ أحمد وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذ التتار العراق من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيات وهذا لا يعرفه الشيخ ولا صلحاء أصحابه فنعوذ بالله من الشيطان الرجيم انتهى *

(وشيخ الاسلام) ابن تيمية قد أطنب في بيان ضلالاتهم وجهالاتهم وحيلهم وما يخدعون به الجهال وغير ذلك من أفعالهم واعمالهم ولهم معه حوادث ومجالس فمن أراد الوقوف على ذلك فعليه بمراجعة كتابه الذى الفه في بيان أحوالهم وسماه كشف حال المشائخ الاحمديه وبيان أحوالهم الشيطانية . ولولا طول الكلام لاتحفنا القراء بذكر شيء منه *

(والحاصل) انه لو أراد الانسان ان يفصل منكرات القبور وتكيات الصوفية ومنكرات الحيطان والآبار والصخور والاحجار والتماثيل وكذا منكرات المساجد والحمامات والطرقات والاسواق والبوادى والامصار فضلا عن الدخول فى منكرات المجالس والملابس والبيع والشراء وما ابتدعوه فيها وجعلوه كالسنة المأمور بها لضاق عنه نطاق التحرير وعجز عن ضبطه من تصدى للتسطير . وعسى الله سبحانه وتعالى ان يرسل في هذه الامة من يجدد لها أمر الدين . ويتبع سبيل المؤمنين *

﴿ والمقصود ﴾ ان النبهاني لم يعرف معنى البدعة ولا محل اطلاقها فلذلك جعل شيخ الاسلام مبتدعا وجعل نفسه متبعا مع قوله بوحدة الوجود ونداء غير الله فى الحاجات والضرورات وصرف عمره باحكام العدلية وقوانينها واعتقاده بالوهية النبي صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك من الامور التى لو اعتقد أحد أمراً واحداً منها كفى في اخراجه عن الدين المبين وزيغه عن اتباع غير سبيل المؤمنين . وما أحقه بقول القائل من الاكابر والاماثل *

﴿ مساو لو قسمن على الغوانى * لما أمهرن الا بالطلاق ﴾

وأنه شيخ الاسلام وعلم الاعلام فيما له من نصرة الدين أمر معلوم . وجهاده في الله حق جهاده لا ينكره ذوو الفهوم . وقول النبهاني هذا كما حكى الله عن اخوانه الجاهلين في شرح المسائل من خصالهم الايمان بالجبت والطاغوت وتفضيل المشركين على المسلمين . قال تعالى ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا *

قالوا نزلت هذه الآية في حيي بن أخطب . وكعب بن الاشرف في جمع من يهود وذلك أنهم خرجوا الى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب على أبي سفيان فأحسن مثواه ونزلت اليهود في دور قريش . فقال أهل مكة انكم أهل كتاب ومحمد صلى الله عليه وسلم صاحب كتاب فلا يؤمن هذا ان يكون مكرا منكم فان أردت ان نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل . ثم قال كعب يا أهل مكة ليجيء منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزق أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ذلك فلما فرغوا قال أبو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم فأينا أهدى طريقا وأقرب الى الحق نحن أم محمد قال كعب اعرضوا على دينكم . فقال أبو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم اللبن ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم . ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم ودين القديم . ودين محمد الحديث . فقال كعب أنتم والله أهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله في ذلك الآية . والجبت في الاصل اسم صنم فاستعمل في كل معبود غير الله والطاغوت يطلق على كل باطل من معبود او غيره ومعني الايمان بهما اما التصديق بانهما آلهة واشراكهما بالعبادة مع الله تعالى واما طاعتهما وموافقتهما على ماهما عليه من الباطل وأما القدر المشترك بين المعنيين كالتعظيم مثلا . والمتبادر المعني الاول أي انهم يصدقون بالوهية هذين الباطلين ويشركونهما في العبادة مع الاله الحق ويسجدون لهما اهـ

﴿ قال النبهاني ﴾ فقد ثبت وتحقق وظهر ظهور الشمس في رابعة النهار ان علماء المذاهب الاربعة قد اتفقوا على رد بدعة ابن تيمية . ومنهم من طعن بصحة نقله كما طعن بكمال عقله فضلا عن شدة تشنيعهم عليه في خطئه الفاحش في تلك المسائل التي شذ بها في الدين وخالف بها اجماع

المسلمين ولا سيما في حق شيخ الاسلام . اه

﴿ الجواب عنه ﴾ انه قد ثبت وتحقق لدى كل منصف ان علماء المذاهب الاربعة اثنوا عليه واعترفوا بفضله والفوا في مناقبه كتبا مفصلة . ومن شذ منهم وطعن عليه ألقم الحجر ورد عليه كلامه وان اعتراضه كان لجهل او غرض او تعصب او نحو ذلك . وتبين ان ابن تيمية لم يبتدع شيئا في الدين . وما اختار شيئا الا واقام عليه الدلائل الصحيحة والبراهين . ومن طعن بصحة نقله فهو عدو له مبين . ولم يسلم أحد من لسان الخلق حتى رب العالمين وسيد الاولين والآخرين وغزارة علمه من سعة عقله . وكمال فضله . وما ذهب اليه من المسائل هو الحق الحقيق بالقبول وحديث الاجماع على خلافها كذب عند علماء المنقول والمعقول *

﴿ قال الحافظ ﴾ الذهبي مارأيت اشد استحضارا للمتون وعزوها منه . كانت السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة . وقال حافظ الاسلام الحبر النبيل استاذ أئمة الجرح والتعديل شيخ المحدثين جمال الدين ابو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزى الشافعي في ابن تيمية مارأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه وما رأيت احدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا اتبع لهما منه وناهيك بهذا الكلام من الحافظين العدلين المستوعبين ابي الحجاج المزى وأبي عبد الله الذهبي (وقال الشيخ) لامام بقية المجتهدين تقي الدين بن دقيق العيد الشافعي لما اجتمع به وسمع كلامه كنت أظن ان الله تعالى مابقي يخلق مثلك (وقال أيضا) رأيت رجلا العلوم كلها بين عينيه يأخذ منها ما يريد ويدع ما يريد (وقال الحافظ) عماد الدين بن كثير الشافعي . وبالجملة كان رحمه الله تعالى من كبار العلماء وممن يخطئ ويصيب ولكن خطؤه بالنسبة الى صوابه كنقطة في بحر لجي . وخطؤه أيضا مغفور له لما صح في صحيح البخاري اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله اجران . واذا اجتهد فاخطأ فله أجر *

﴿ قال السيد صفي الدين ﴾ الحنفي في ترجمة ابن تيمية قد نص على انه بلغ رتبة الاجتهاد جمع من العلماء (منهم) الامام أبو عبد الله الذهبي والحافظ بن حجر والحافظ السيوطي في طبقات الحفاظ (ولم يتفرد) بمسألة منكرة تعلم وان كان قد خالف الائمة الاربعة في مسائل فقد وافق فيها بعض الصحابة او التابعين الخ انتهى *

﴿ وسنفرد له ﴾ ان شاء الله فصلا مفصلا في ذكر مناقبه . (وبهذا أيضا) تبين الجاد النبهاني

ورووه وتكذيبه واتباعه الهوى . وقد يجادل بغير علم — وذلك كما كان عليه أهل الجاهلية (وفي شرح المسائل) الجدال بغير علم كما ترى كثيرا من أهل الجهل يجادلون أهل العلم عند نهيهم عما أتوه من البدع والضلالات وهي خصلة جاهلية نهانا الله تعالى عن التخلق بها . قال تعالى يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون . ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون * أخرج ابن اسحاق وابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما . قال اجتمعت نصارى نجران واحبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا عنده . فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا . وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فانزل الله تعالى فيهم هذه الآية المنادية على جهلهم وغباوتهم انتهى . فوازن بين النبهاني وبين اخوانه تجد الفريقين كما قال القائل

﴿ رضيعي لبان ثدي أم تقاسما * باسحم داج عوض لا نتفرق ﴾

﴿ وأما قوله ﴾ ولا سيما فيما يتعلق بسيد المرسلين الخ فانه يدل على ان ابن تيمية مخل بحقوق النبي صلى الله عليه وسلم وبه صرح مرارا حيث قال ان ابن تيمية حيث لم يجوز الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا دعاءه ولا الالتجاء اليه ولا شد الرحل الى زيارة قبره فاعلم ان حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتعظيمه باتباع شريعته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه وحبه وتعظيمه بما ذكره الخصم هو من قبيل تعظيم النصارى لعيسى وغلوهم في الانبياء والرسل عليهم السلام . قال تعالى يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد والغلو في المخلوق هو أعظم أسباب عبادة الاصنام والصالحين كما كان في قوم نوح من عبادة نسر وسواع ويغوث ويعوق ونحوهم وكما كان من عبادة النصارى للمسيح عليه السلام وهذا هو القول على الله بغير الحق والمقصود ان مراعاة حقوق النبي صلى الله عليه وسلم انما تكون بالمحافظة على شريعته لا بما يقول النبهاني الغبي . ومن المعلوم ما كان عليه ابن تيمية من اتباع السنن والمحافظة على الشريعة الغراء ومزيد الادب مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انه عقد فصلا في كتابه الصارم المسلول لبذل الاموال وسفك الدماء في تعزير رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوقيره .

وفصلا آخر في فرض الله علينا تعزيره وتوقيره . وفصلا آخر في ان قيام المدحة والتعظيم والثناء عليه صلى الله عليه وسلم قيام الدين كله وفصلا آخر في ان شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم يتعين قتله . وفصلا آخر في ان الله تعالى أوجب لنبيه صلى الله عليه وسلم حقوقاً زائدة على القلب واللسان والجوارح وان سبه سب لجميع المسلمين . وطعن في دينهم . وفصلا آخر في ان التعظيم والمحبة للرسول صلى الله عليه وسلم لازم للايمان . وفصلا آخر في بيان حكم الطعن في نسبه أو خلقه أو أمانته أو وفائه أو صدقه * وذكر فصولا أخرى مهمة كلها تدل على ماانطوى عليه من مزيد حبه وأدبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه قال نقلا عن القاضي عياض جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم اوعابه أو الحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به شبهة بشيء على طريق السب له والازراء عليه أو البغض منه والعيب له فهو ساب له . والحكم فيه حكم الساب يقتل ولا نستثن فصلا من فصول هذا الباب عن هذا المقصد ولا نمترفيه تصريحا كان أو تلويحا — وكذلك من لعنه أو تمنى مضرة له أو دعا عليه أو نسب اليه مالا يليق بمنصبه على طريق الذم أو عيبه في جهة العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزورا وغيره بشيء مما يجري من البلاء والمحنة عليه أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهود لديه . قال وهذا كله اجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن أصحابه وهلم جرا . وقال ابن القاسم عن مالك من سب النبي صلى الله عليه وسلم قتل ولم يستتب قال ابن القاسم أو شتمه أو عابه أو تنقصه فانه يقتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره . وكذلك قال مالك في رواية المدنيين عنه من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو شتمه أو عابه أو تنقصه قتل مسلما كان أو كافرا ولا يستتاب . وروى ابن وهب . عن . مالك من قال ان رداء النبي صلى الله عليه وسلم وسخ وأراد به عيبه قتل وروى بعض المالكية اجماع العلماء على من دعا على نبي من الانبياء بالويل أو بشيء من المكروه انه يقتل بلا استتابة * وذكر القاضي عياض أجوبة جماعة من فقهاء المالكية المشاهير بالقتل بلا استتابة في قضايا متعددة أفتى في كل قضية بعضهم وفصلها انتهى ماقصدنا نقله من كتاب الصارم المسلول . وهو كتاب جليل يدل دلالة صريحة على ماكان عليه مؤلفه من المحبة بالاتباع وبه يسقط كل ماهذى به النبهاني من الباطل والزور *

﴿قال النبهاني﴾ ويقوي عندي عدم اعتبار نقل ابن تيمية في بعض ما ينقله ما قاله في حق الحافظ العراقي الكبير، وها أنا أنقله تتميما للفائدة وتقوية للحجة وإن لم يكن مما نحن فيه. أقول إنه اطلعت على جزء لطيف تأليف الحافظ العراقي شيخ الحافظ ابن حجر والإمام السبكي تكلم فيه أكل الدجاج والحبوب والتوسعة على العيال يوم عاشوراء رد به على الإمام ابن تيمية في منعه ذلك * ثم أنه أورد الرسالة بتمامها *

﴿جوابه﴾ ان ماذكرناه سابقا بل ورأى أيضاً من ثناء أهل العلم وأكابر المحدثين وعدهم له من أكابر الحفاظ يستوجب سقوط ماذكره النبهاني من عدم اعتبار نقله وهو الثقة الصدوق شهد له بذلك أحباؤه وخصومه ولم يخالف في ذلك أحد حتى ان علماء الحديث قالوا كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فهو ليس بحديث فانظر الى هذه المنزلة العظيمة والدرجة العليا من الصدق وما نقله عن العراقي ان صح نقله فهو دليل على جهله وعدم معرفته باحكام الدين فان تخصيص يوم عاشوراء بشيء من الامور الدينية والدنيوية مما لا أصل له كما هو عليه أئمة المذاهب وفقهاؤها . والاحاديث التي أوردها منها ماهو موضوع . ومنها مالا يدل على الغرض المقصود وتفصيل الكلام فيها يخرجنا عن موضوع الكتاب *

ولقد تكثر النبهاني من ذكر خصوم الشيخ والطاعنين فيه مع ان الاعتماد على الكثرة والسواد الاعظم والاحتجاج على بطلان الشيء بقلة أهله من الجهل بمكان قال تعالى وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وانهم الا يخرصون ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين . فالكثرة على خلاف الحق . لا تستوجب العدول عن اتباعه لمن كان له بصيرة وقلب . فالحق أحق بالاتباع وان قل أنصاره كما قال تعالى قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم . فأخبر الله عن أهل الحق انهم قليلون غير ان القلة لا تضرهم فان من له بصيرة نظر الى الدليل وأخذ بما اقتضاه البرهان وان قل العارفون به والمنقادون له . ومن أخذ بما عليه الاكثر وما ألفته العامة من غير نظر الى دليل فهو مخطيء سالك غير سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل *

﴿قال النبهاني﴾ الكلام على بعض كتب ابن تيمية وتفليس ابليس لابن الجوزي *

«وقال» ومن كتب ابن تيمية «كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» وهو أربعة مجلدات متوسطة وهو في غاية الفصاحة لو خلا من الغرض لبدعته التي انفرد بها وشذ عن المسلمين من منعه الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم كسائر الانبياء والصالحين وكتعرضه لاكابر أولياء الله بالتكفير والتشنيع فضلاً عن التبديع كسيدي محي الدين ابن العربي وسيدي عمر ابن الفارض وغيرهما ممن ذكر بعضهم في كتابه الفرقان، وشنع عليهم وكفرهم وجعلهم أولياء الشيطان وهذا دأبه عفا الله عنه في كتبه ولذلك قل الله النفع بها كما جرت عادته تعالى فيمن يتعرض لاوليائه بالسوء اذ قد ورد في الحديث القدسي من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب. وأي أذية اعظم من تكفيرهم واخراجهم من دائرة الاسلام بالكلية *

« اقول جوابه » ان كتب شيخ الاسلام جميعها من الكتب التى انعم الله تعالى بها على الامة وهي على اختلاف انواعها وفنونها ليس لها نظير في بابها . وقد ذكرها الحافظ ابن القيم في الكافية الشافية وحث على مطالعتها فقال *

فاقرأ تصانيف الامام حقيقة ... شيخ الوجود العالم الربانى
اعنى ابا العباس احمد ذاك ا ... لبحر المحيط بسائر الخلجان
واقرأ كتاب العقل والنقل الذي ... مافى الوجود له نظير ثان
وكذاك منهاج له فى رده ... قول الروافض شيعة الشيطان
وكذاك أهل الاعتزال فانه ... أرداهم فى حفرة الجبان
وكذلك التأسيس أصبح نقضه ... أعجوبة للعالم الرباني
وكذاك أجوبة له مصرية ... في ست أسفار كتبن سمان
وكذا جواب النصارى فيه ما ... يشفى الصدور وانه سفران
وكذاك شرح عقيدة للاصبها ... نى شارح المحصول شرح بيان
فيها النبوات التى اثباتها ... فى غاية التقرير والتبيان
والله مالاولى الكلام نظيره ... أبداً وكتبهم بكل مكان
وكذا حدوث العالم العلوي والا ... سفلى فيه فى أتم بيان
وكذا قواعد الاستقامة انها ... سفران فيما بيننا ضخمان

وقرأت أكثرها عليه فزادني | والله في علم وفي إيمان
هذا ولو حدثت نفسي انه | قبلي يموت لكان غير الشان
وكذاك توحيد الفلاسفة الالى | توحيدهم هو غاية الكفران
سفر لطيف فيه نقض أصولهم | بحقيقة المعقول والبرهان
وكذاك تسعينية فيها له | رد على من قال بالنفساني
تسعون وجهاً بينت بطلانه | أعني كلام النفس ذا الوحدان
وكذا قواعده الكبار فانها | اوفى من المائتين في الحسبان
لم يتسع نظمي لها فأسوقها | فأشرت بعض إشارة لبيان
وكذا رسائله الى البلدان والا | أطراف والاصحاب والاخوان
هي في الورى مبثوثة معلومة | تباع بالغالي من [illegible]
وكذا فتاواه فأخبرني الذي | أضحى عليها دائم [illegible]
بلغ الذي الفاه منها عدة الا | يام من [illegible]
سفر يقابل كل يوم والذي | قد فاتني منها [illegible]
هذا وليس يقصر التفسير عن | عشر كبار [illegible]
وكذا المفاريد التي في كل مسـ | [illegible]
ما بين عشر او تزيد بضعفها | هي كالـ[illegible]
وله المقامات الشهيرة في الورى | قد قامها لله [illegible]
نصر الاله ودينه وكتابه | ورسوله بالسيف والبرهان
أبدى فضائحهم وبين جهلهم | وأرى تناقضهم [illegible]
واصارهم والله تحت نعال أهـ | ـل الحق [illegible]
واصارهم تحت الحضيض وطالما | كانوا هم الاعلام في [illegible]
ومن العجائب أنه بسلاحهم | أرداهم تحت الحضيض [illegible]
كانت نواصينا بايديهم فما | مالهم الا [illegible]
فغدت نواصيهم بأيدينا فلا | [illegible]

وغدت ملوكهم مماليكا لأنـ … صار الرسول بمنه الرحمن
وأتت جنودهم التي صالوا بها … منقادة لعساكر الايمان
يدري بهذا من له خبر بما … قد قاله في ربه الفئتان
والفدم يوحشنا وليس هنا لكم … فحضوره ومغيبه سيان

﴿ وقلت في شرح هذه الابيات ﴾ اعلم ان الناظم لم يذكر كتبه مرتبة أعني كتب كل فن على حدة لعدم مساعدة النظم على ذلك ونحن نشرحها حسبما ذكرها فنقول ﴿ قوله ﴾ واقرأ كتاب العقل والنقل الخ * هذا كتاب ألفه في بيان ان الشريعة كافية بنصوصها ولا حاجة بها الى ما أحدث من القواعد الكلامية المأخوذة من الحكمة اليونانية وان الدليل النقلي يفيد اليقين وهذا الكتاب متداول بين الايدي ونسخه كثيرة في الهند وبلاد العرب والفرس وتوجد منه نسخة كاملة لا نقص فيها في خزانة كتب راغب باشا في دار السلطنة المحروسة *

﴿ قوله ﴾ وكذاك منهاج له في رده الخ هذا الكتاب أيضا من كتب الشيخ المهمة وهو أحسن كتاب الف في الرد على الروافض مشتمل على فنون كثيرة وعلم غزير نسخه أيضا كثيرة في البلاد وكثير من خزائن الكتب الاسلامية مشتملة عليه *

﴿ قوله ﴾ وكذلك التأسيس أصبح نقضه الخ . اشارة الى كتاب نقض اساس التأسيس وهو في الرد على اساس التقديس للامام فخر الدين الرازي اشتمل في مسائل مهمة في علم الكلام ونسخة في خزانة كتب الملك العادل في دمشق الشام وهو في ست اسفار على ما بلغني *

﴿ قوله ﴾ (وكذاك قواعده تدمرية الخ) هي أيضا فتاوى مشتملة على مسائل مهمة في [illegible] اسفار *

﴿ قوله ﴾ (وكذا الجواب الصحيح للذي الخ) يريد به الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ولم يؤلف في الرد على النصارى في كتاب مثل كتابه هذا وقد [illegible] بعض الفضلاء المصرية ما نصه (الجواب الصحيح والدين الصحيح) اذا اطلع الانسان [illegible] عن عوامل التقليدات ومحض فطرته وتأمل في جواهر الاشياء [illegible] ان الحقيقة واحدة والامنية لكل [illegible] لقوله تعالى وما امرنا الا

ولتحدة كلمتهم بالنصر وغير ذلك من الآيات الدالة على تمام رغبة القصد لجمعهم في التوحيد وقد
اتفقت كلمتهم على التوحيد والنهي عن التفرق والاختلاف كما قال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه
ولكن أبى الانسان الناقص بأصل فطرته القاصر عن فهم حكمة ربه البالغة الا أن يجعل ما هو أصلا
في الاتفاق سببا في الافتراق . وما هو أصل السعادة سببا في الشقاء . فبعث الله النبيين مبشرين
ومنذرين لجمع الكلمة وتوحيد الامة فتغلبت قوة الشر وطبيعة النقص على هذا الخير المحض
والكمال المطلق فمزقت هذه الجامعة الانسانية . والوحدة الدينية . فتعددت فيهم المذاهب
والنحل والآراء والملل وقامت بينهم حروب الاقلام وتلتها معارك السنان . واشتغل كل فريق
بالرد والاعتراض وانتصر لكل جماعات وافراد . وهكذا كثر القيل والقال . والمشاغبة والجدال
وذهبت الحقيقة تحت أستار المغالبة واحتجبت بحجاب المراء والمخاصمة وما أتى فريق لكشف
تلك الشبهات بجلاء بل بعدوا عن الحقيقة بعد الارض من السماء الى ان انبرى في القرون
الوسطى لنصرة الحق لذاته شيخ الاسلام وقدوة الانام تقي الدين احمد بن تيمية فكتب كتابه
الموسوم بالجواب الصحيح سلك فيه مسلك العدل والانصاف وأظهر الحق وأبطل الباطل
وترفع عن المجادلة والمشاغبة * وتنزه عن المشاتمة والمغالبة . فما نحى أحد منحاه . ولا سلك طريقته
وهداه * وكان الباعث لتأليف هذا الكتاب الذى أوضح فيه الحقيقة لاولى الالباب . كتابا
ورد من مدينة قبرص الفه ولص الراهب أسقف صيدا الانطاكي . جمع فيه جميع الاحتجاجات
لدين النصاري التي يحتج بها علماؤهم وفضلاء ملتهم . وكان مافى ذلك الكتاب هو عمدتهم التى
يعتمد عليها علماؤهم فى كل زمان ومكان . وهو محصور فى ستة مطالب هى دعائم الديانة المسيحية
وأصول مذاهبهم الملية . وقد أجابهم على كل دعوى بما فيه لذوى البصيرة مقنع ثم ذكر مشتملات
الكتاب . ثم قال فجاء هذا الامام الجليل واطرح الآراء المذهبية وترك التعصبات الدينية
وأظهر الحقيقة في ذاتها وأبان كنهها لطالبها بما هيأتها فأخذ أولا فى تفنيد تلك المطالب على
طريقة أهل الجدل وقلب هذه الادلة الموهومة فجعلها منتجة ضد مطلوبها فكانت عليه لا له
ثم استقام في الاستدلال ونهج منهج الاعتدال . وأرجع كل هذه الاختلافات الى الاتفاق
والمخاصمات الى الوفاق وأبان ان أصل الاديان واحد . وان مايترائى من الاختلافات نشأ من حب

الرئاسة والنبوات حسب الازمنة والامكنة وقد اطلع على هذا الكتاب بعض فضلى المجمع العلمى المنعقد فى بعض البلاد الافرنجية فقدروه قدره واثنوا على مؤلفه خيرا * وقالوا لو جمع مؤلفه كتابا آخر فى محاسن دين الاسلام لدخل الناس فيه أفواجا وبالجملة فهذا الكتاب جدير بالمطالعة والاقتناء يحتاجه المسلم فى اسلامه والنصرانى لنصرانيته وكل معترف بدين أو كتاب الخ *

﴿ قوله ﴾ وكذلك شرح عقيدة للاصفهانى الخ أى من جملة مصنفاته كتاب شرح عقيدة الاصفهانى وهو كتاب جليل القدر مشتمل على مطالب مهمة لا سيما مباحث النبوات وحدوث العالم العلوى والسفلى *

﴿ قوله ﴾ وكذا قواعد الاستقامه الخ * وهو من أفود كتبه وهو مفصل يبلغ سفرين توجد نسخة فى بلاد العرب ودمشق وفي بعض بلاد الهند *

﴿ قوله ﴾ وكذلك توحيد الفلاسفة الالى الخ يريد به الرد على الفلاسفة وهو عدة أسفار يقال ان من نسخه فى بعض خزائن كتب دار السلطنة لكن الناظم يقول هو سفر لطيف الخ وهو أدرى به من غيره *

﴿ قوله ﴾ وكذلك تسعينية الخ هذا الكتاب كثير وهو فى الرد على من يقول بالكلام النفسى من تسعين وجها . وهو بين الايدى *

﴿ قوله ﴾ وكذا قواعده الكبار الخ هى على منهج قواعد القرافى وغيره الا انها أكثر فائدة ونسخته فى البلاد العربية *

﴿ قوله ﴾ وكذا رسائله الى البلدان الخ وقوله وكذا فتاواه الخ أما رسائله المختصرة وكتبه فلا يحيط بها الاحصاء وفتاواه كما قال الناظم بلغت نحو ثلاثين سفرا *

﴿ قوله ﴾ هذا وليس يقصر التفسير عن الخ هو لم يفسر القرآن مرتبا ولكنه كتب على كثير من سوره ومواضعه المشكلة فله على الاستعاذة وعلى البسملة وكلامه فى الجهر بها وكتب على قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين . وكتب على قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا . وعلى قوله تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا . وعلى قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم وعلى قوله تعالي الا من سفه نفسه . وعلى آية الكرسى . وعلى قوله تعالى ليس كمثله شئ . وعلى قوله تعالى

شهد الله أنه لا إله إلا هو الخ . وعلى قوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله . وعلى سورة المائدة وعلى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة الآية . وعلى قوله تعالى واذ أخذ ربك . وعلى سورة يوسف . وعلى سورة النور . وعلى سورة القلم . وأنها أول سورة نزلت وعلى سورة لم يكن والكافرون وتبت والمعوذتين . وكتب على سورة الاخلاص وغير ذلك ه

﴿ قوله وكذا القواعد التي في كل مسألة ﴾ الخ منها الاعتراضات المصرية . على الفتوى الحموية . وشرح بضعة عشر مسألة من الاربعين للرازى . وجواب ما أورده كمال الدين الشريشي وشرح كتاب الغزنوي في أصول الدين . والرد على المنطق . وكتاب الزواجر . وقاعدة فى القضايا الوهمية . وقاعدة فى قياس مالا يتناها وجواب الرسالة الصفدية وجوابه عن قول بعض الفلاسفة ان معجزات الانبياء عليهم السلام قوى نفسانيه . والرد على ابن سينا فى اثبات المعاد وشرح رسالة ابن عبدوس فى كلام الامام أحمد فى الاصول وثبوت النبوات عقلا ونقلا والمعجزات والكرامات . وقاعدة في الكليات . والرسالة القبرصية . ورسالته الى أهل طبرستان وجلان فى خلق الروح والنور . والرسالة البعلبكيه والرسالة الازهريه القادرية البغداديه . وأجوبة القرآن والنطق . وجواب من حلف بالطلاق الثلاث . ورسالة فى أن القرآن حرف وصوت وكتاب في اثبات الصفات والعلو والاستواء . المراكشية فى صفات الكمال والضابط . جواب فى الاستواء وابطال تأويله بالاستيلاء . جواب من قال لا يمكن الجمع بين اثبات الصفات على ظاهرها مع نفى التشبيه . أجوبة كون جهة السموات كرية . رسالة فى سبب قصد القلوب العلو . جواب كون الشيء فى جهة العلو مع كونه ليس بجوهر ولا عرض هل هو معقول أو مستحيل . جواب هل الاستواء والنزول حقيقة . وهل لازم المذهب مذهب . مسالة أهل الاربيليه . شرح حديث النزول . واختلافه باختلاف وقته . وباختلاف البلدان والمطالع . بيان حل أشكال ابن حزم الوارد على الحديث . قاعدة فى قرب الرب من عابديه . الكلام على نقض المرشد . المسائل الاسكندرانيه . فى الرد على الحلوليه والاتحاديه رسالة فيما تضمنه فصوص الحكم . جواب في لقاء الله عز وجل . جواب في رؤيا النساء ربهن فى الجنة . الرسالة المدنية . فى اثبات الصفات النقلية الهلاوونيه . جواب سؤال ورد على لسان ملك التتار . قواعد فى الرد على القدرية والجبرية . جواب فى خلق الله الخلق وانشاء الايام لعلة

أولا . شرح حديث حج آدم موسى . تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجادل . التاسعينية
في اختلاف العقائد . كتاب الايمان . شرح حديث جبريل في الايمان والاسلام . رسالة في
عصمة الانبياء عليهم السلام فيما يبلغونه عن ربهم . مسألة في العقل والروح . مسألة في المقبورين
هل يسألهم منكر ونكير أم لا . مسألة هل يعذب الجسد مع الروح في القبر أم لا . الرد على أهل
الكسروان وهم من الروافض . فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على غيرهما . رسالة في
معاوية ابن أبي سفيان . تفضيل صالحي الناس . على سائر الاجناس . رسالة مختصرة في كفر
النصيرية . رسالة في جواز قتال الرافضة . الرد على تقي الدين السبكي في مسألة بقاء الجنة والنار
وفي فنائهما . هذه كلها في أصول الدين *

﴿ ومن مؤلفاته في أصول الفقه ﴾ . قاعدة غالبها أقوال الفقهاء . قاعدة كل حمد وذم من
الاقوال والافعال لا يكون الا بالكتاب والسنة . رسالة في شمول النصوص للاحكام . قاعدة
في الاجماع وانه ثلاثة أقسام . جواب في الاجماع والخبر المتواتر . قاعدة في كيفية الاستدلال
على الاحكام بالنص والاجماع . والرد على من قال ان الدلالة اللفظية لا تفيد اليقين . قاعدة فيما
نص من تعارض النص والاجماع . مؤاخذة على ابن حزم في الاجماع . قاعدة في تقرير القياس
قاعدة في الاجتهاد والتقليد في الاحكام . رفع الملام عن الائمة الاعلام . قاعدة في الاستحسان
وفي وصف العموم والاطلاق والاطلاق . قاعدة في ان المخطئ في الاجتهاد لا يأثم . رسالة في
انه هل القاضي يجب عليه تقليد مذهب معين . جواب في ترك التقليد . رسالة فيمن يقول مذهبي
مذهب النبي صلى الله عليه وسلم وليس أنا محتاج الى تقليد الاربعة . جواب من تفقه في مذهب
ووجد حديثا صحيحا هل يعمل به أم لا . جواب تقليد الحنفي الشافعي في المطر والوتر . رسالة في
الفتح على الامام في الصلاة . تفضيل قواعد مالك وأهل المدينة تفضيل الائمة الاربعة وماامتاز
به كل واحد منهم . قاعدة في تفضيل الامام أحمد . جواب هل كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل
الرسالة نبيا . جواب هل كان النبي صلى الله عليه وسلم متعبدا بشرع من قبله . قواعد ان النهي
يقتضي المضادة *

﴿ ومن مؤلفاته في الفقه ﴾ شرح المحرر في مذهب الامام أحمد شرح العمدة لموفق الدين
جواب مسائل وردت من أصبهان . جواب مسائل وردت من الصلت . جواب مسائل

وردت من بغداد . جواب سبعة مسائل وردت من الرحبة . جواب مسائل وردت من طرابلس . قاعدة في المياه والمائعات وأحكامها . جواب أربعين مسألة وردت من الرحبة . الدرة المضية في فتاوى ابن تيمية الرداية الطرابلسية . قاعدة في حديث القلتين وعدم رفعه . قواعد في الاستجمار وتطهير الارض بالشمس والريح . جواز الاستجمار مع وجود الماء . نواقض الوضوء . قواعد في عدم نقضه بلمس النساء . رسالة في ان التسمية على الوضوء خطأ . القول بجواز المسح على الخفين . جواز المسح على الخفين المتخرقين والجوربين واللفائف وفيمن لا يعطى أجرة الحمام تحريم دخول النساء بلا مئزر في الحمام . والاغتسال وذم الوسواس . جواز طواف الحائض تيسير العبادات لارباب الضرورات . بالتيمم والجمع بين الصلاتين للعذر . كراهية التلفظ بالنية وتحريم الجهر بها في الاذكار . كراهية تقديم بسط السجادة للمصلى قبل مجيئه . الكلم الطيب في الركعتين اللتين تصلى قبل الجمعة وفي الصلاة بعد أذان الجمعة . القنوت في الصبح والوتر . تارك المثاني وكفره . الجمع بين الصلاتين في السفر والحضر . أهل البدع هل يصلى خلفهم صلاة بعض أهل المذاهب خلف بعض . الصلوات المبتدعة . تحريم السماع تحريم الشبابة . تحريم اللعب بالشطرنج . تحريم الحشيشة المغيبة والحد عليها وتنجيسها . النهي عن المشاركة في أعياد النصارى واليهود وايقاد النيران في الميلاد ونصف شعبان وما يفعل في عاشوراء *

قاعدة في مقدار الكفارة باليمين . وفي أن المطلقة ثلاثا لا تحل الا بنكاح زوج ثان . بيان الحلال والحرام في الطلاق . جواب من حلف لا يفعل شيأ على المذاهب الاربعة ثم طلق ثلاثا في الحيض . الفرق المبين بين الطلاق واليمين . لمعة المختطف . في الفرق بين الطلاق والحلف . كتاب التحقيق في الفرق بين أهل الايمان والتطليق . الطلاق البدعى لا يقع . مسائل الفرق بين الطلاق البدعي ونحو ذلك . مناسك الحج في حجة النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة المكية في شراء السلاح بتبوك وشرب السويق بالعقبة واكل التمر بالروضة وما يلبس المحرم وزيارة الخليل عليه السلام عقب الحج وزيارة البيت المقدس مطلقا . جميع ايمان المسلمين مكفره . بيان الدليل . على ابطال التحليل . الرسالة التدمريه . جبل لبنان كامثاله من الجبال ليس فيه رجال الغيب والابدال *

﴿ ومن كتبه في أنواع شتى ﴾ الكلام على الفتوة المصطلحة وليس لها أصل متصل بعلى

رضى الله عنه . كشف حال لاحمديه . وبيان أحوالهم الشيطانية . ما يقوله أهل بيت الشيخ عدى . النجوم هل لها تأثير عند القران والمقابلة وهل يقبل قول المنجمين فيه وذمه لاهله تحريم أقسام المعزمين بالعزائم المعجمة وصرع الصحيح وصفة الخواتم . ابطال الكيميا ولو صحت . كتاب السياسة الشرعية . كتاب التصوف . كتاب الاستقامة . كتاب تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية . كتاب المحنة المصرية . كتاب الفرقان . بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن . الرد على الاخنائى فى مسألة الزيارة . طهارة بول ما يؤكل لحمه . الصارم المسلول على منتقص الرسول . كتاب اقتضاء الصراط المستقيم . جواب أهل الايمان . فى التفاضل بين آيات القرآن . الرد على البكرى فى مسألة الاستغاثة . التحرير فى مسألة حفير سفر في مسألة القسمة كتبها اعتراضا على النحوي فى حادثة حكم فيها . الفرقان بين الحق والبطلان كتاب الوسيلة . التحفة العراقية . فى الاعمال القلبية . وله غير ذلك مما يطول ذكره . وجميعها مفصلة ما بين سفر وسفرين وا كثر مع سلاسة عبارة و ذكر دليل ودفع ايراد . وكل منها فريد فى بابه حرى بالتقريظ ولو تكلمنا على كل واحد منها بما يليق به من الثناء والمدح لاستوجب ذلك أفراد مؤلف مفصل *

﴿ وأما انتقاد النبهانى ﴾ (كتاب الجواب الصحيح ان الكتاب فى غاية النفاسة لو خلا من التعرض لبدعه التى انفرد بها عن المسلمين الخ) (فجوابه) ان ما انتقده هو من محاسن الكتاب وأجل فصوله فان الاستغاثة بالمخلوق والاستعانة به والالتجاء به هو الذى كان من غلو أهل الكتاب وهو مذهب النصارى فان عبادة المسيح وأمه عبارة عن ذلك فلو لم يبطل هذا القول لما ساغ له الرد عليهم . وكذلك الرد على القائلين بالحلول والاتحاد فانه لو لم يرد عليهم ويبطل دعواهم ويخرجهم عن الملة لما ساغ له ابطال قول النصارى في دعواهم حلول الاله فى المسيح او الاتحاد به او نحو ذلك . فان لقائل ان يقول حينئذ ان من المسلمين من يقول باشنع من هذا القول وهو دعوي الحلول والاتحاد التى أبطلها الشيخ وغيره من العلماء الربانيين المتبعين لما جاء به الشرع المبين . (ولعلنا) نبسط الكلام على ذلك فيما يناسب المقام . ونذكر كلام من رد عليهم وأبطل دعواهم ونفصل القول فيهم تفصيلا . هذا الذي نقمه النبهانى الزائغ وانتقد به كلام الشيخ من أوضح مايدل على زيغه واتباعه لهواه . وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله

العزيز الحميد . ومثل ما حكى الله عن أعدائه أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا . ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ان الله على كل شيء قدير . وما أحسن ما قال القائل *

ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

وقال آخر

تعد ذنوبي عند قوم كثيرة * ولا ذنب لي الا العلا والفواضل

واذا لم يعرف النبهاني واضرابه من الغلاة قدر كتب شيخ الاسلام وتمنى عدم وجودها وفقدها من العالم لانها تبطل ما ذهب اليه من الاقوال الفاسدة . وتهدم بنيان أشياخه قال تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم . ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير . وأهل الحق وذوو البصائر اذا ظفروا بكتاب من كتبه تراهم كأنهم ظفروا بكنز من كنوز العلم . (وقد رأيت كتابا) كتب على ظهر ترجمة شيخ الاسلام وبيان مناقبه وهي الدرر البهيه . في ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية للحافظ الشيخ شمس الدين بن عبد الهادي المقدسي . وذلك الكتاب أرسله بعض أفاضل العراق المعاصرين لشيخ الاسلام . وكان من أكابر الشافعية وهو العلامه الشيخ عبد الله بن حامد . (وكتابه هذا)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ من أصغر العباد عبد الله بن حامد . الى الشيخ الامام العالم العامل قدوة الافاضل والمحافل . المحامي عن دين الله . والذاب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المعتصم بحبل الله . الشيخ المكرم المبجل . أبي عبد الله أسبغ الله عليه نعمه . وأيد باصابة الصواب لسانه وقلمه . وجمع له بين السعادتين . ورفع درجته في الدارين بمنه ورحمته السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . (اما بعد) فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ثم وافاني كتابك وانا اليك بالاشواق . ولم أزل سائلا ومستخبرا الصادر والوارد عن الانباء التي طاب مسموعها وسر ما يسر منها . وما تأخر كتابي عنك هذه المدة مللا ولا خللا بالمودة ولا تهاونا بحقوق الاخاء . حاش لله ان يشوب الاخوة في الله جفاء ولا ازال اتعلل بعد وفاة الشيخ الامام امام الدنيا رضي الله تعالى عنه بالاسترواح الى اخبار تلامذته واخوانه وأقاربه وعشيرته والخصيصين به لما في نفسي من المحبة الضرورية التي لا يدفعها شيء على الخصوص لما أطلعت على مباحثه

والمعضلات التي تزلزل أركان المطالب ولا يبحث في مسائلها بحقيقة المتقدمين ولا يفتش في مطالبها اقدام المتقدمين من المتكلمين *

﴿ وكنت ﴾ قبل وقوفي على مباحث امام الدنيا رحمه الله قد طالعت مصنفات المتقدمين ووقفت على مقالات المتأخرين من أهل الاسلام فرأيت فيها الزخارف والاباطيل والشكوك التي يأنف المسلم الضعيف في الاسلام ان يخطر بباله فضلا عن القوي في الدين فكان يتعب قلبي ويحزنني ما يصير اليه الاعاظم من المقالات السخيفة والاراء الضعيفة التي لا يعتقد جوازها آحاد الامة وكنت أفتش على السنة المحضة في مصنفات المتكلمين من أصحاب الامام أحمد رحمه الله على الخصوص لاشتهارهم بمنصوصات امامهم في أصول العقائد فلا أجد عندهم ما يكفي وكنت أراهم يتناقضون اذ يؤصلون أصولا يلزم فيها ضد ما يعتقدونه ويعتقدون خلاف مقتضى أدلتهم فاذا جمعت بين أقاويل المعتزلة والاشعرية وحنابلة بغداد وكرامية خراسان أرى ان اجماع هؤلاء المتكلمين في المسألة الواحدة على ما يخالف الدليل العقلي والنقلي فيسوءني ذلك وأظل أحزن حزنا لا يعلم كنهه الا الله حتى قاسيت من مكابدتي هذه الامور شيئا عظيما لا أستطيع شرح أيسره وكنت التجي الى الله سبحانه وتعالى واتضرع اليه وأهرب الى ظواهر النصوص وألقي المعقولات المتباينة والتأويلات المصنوعة لنبوة الفطرة عن قبولها ثم قد تشبثت فطرتي بالحق الصريح في أمهات المسائل غير متجاسرة على التصريح بالمجاهرة قولا وتصحيحا للعقد حيث لا أراه مأثورا عن الائمة وقدماء السلف الى ان قدر الله سبحانه وقوع تصنيف الشيخ الامام امام الدنيا في يدي قبيل واقعته الاخيرة بقليل فوجدت فيه ما بهرني في موافقة فطرتي لما فيه من عزو الحق الى أئمة السنة وسلف الامة مع مطابقة المعقول والمنقول فبهت لذلك سروراً بالحق وفرحا بوجود الضالة التي ليس لفقدها عوض فصارت محبة هذا الرجل رحمه الله محبة ضرورية تقصر عن شرح أقلها العبارة ولو أطنبت *

﴿ ولما عزمت على المهاجرة ﴾ الى لقيه وصلني خبر اعتقاله وأصابني لذلك المقيم المقعد ولما حججت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة صممت العزم على السفر الى دمشق لا توصل الى ملاقاته ببذل ما أمكن من النفس والمال للتفريج عنه فوافاني خبر وفاته رحمه الله تعالى مع الرجوع الي العراق قبيل وصولي الى الكوفة فوجدت عليه مالا يجده الاخ على شقيقه واستغفر الله

بل ولا الولد الا كل على والده وما دخل على قلبي من الحزن لموت أحد من الولد والاقارب والاخوان كما دخله عليه رحمه الله تعالى ولا تخيلته قط فى نفسى ولا مثله في قلبي الا ويتجدد لى حزن جديد كأنه حدث ووالله ما كتبتها الا والدمع تتساقط عند ذكره أسفا على فراقه وعدم ملاقاته فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

﴿ وما شرحت هذه النبذة ﴾ من محبة الشيخ رحمه الله تعالى الا ليتحقق بعدى عن تلك الوهوم لكن لما سبق الوعد الكريم منكم بانفاذ شئ من مصنفات الشيخ رضى الله تعالى عنه وتأخر ذلك عني اعتقدت ان الاضراب عن ذلك نوع تقية أو لعذر لا يسمى السؤال عنه فسكت عن الطلب خشية ان يلحق أحدا ضرر والعياذ بالله بسببي لما كان قد اشتهر من تلك الاحوال فان أنعمتم بشئ من مصنفات الشيخ رحمه الله تعالى كانت لكم الحسنة عند الله علينا بذلك . فما أشبه كلام هذا الرجل بالتبر الخالص المصفى وقد يقع فى كلام غيره من الغش والشبه المدلس بالتبر على مالا يخفى على طالب الحق بحرص وعدم هوى ولا أزال أتعجب من المنتسبين الى حب الانصاف فى البحث المبرزين على أهل التقليد ان المعقولات التى يزعمون ان مستندهم الاعظم الصريح منها كيف يتباينون ما اوضحه الحق وكشف عن قناعه *

وقد كان الواجب على الطلبة شد الرحال اليه من الافاق ليروا العجب وما اشبه حال المباينين له من المنتسبين للعلم الطالبين للحق الصريح الذى اعياهم وجد انه بحال قوم ذبحهم العطش والظمأ فى بعض المفازاة فحين أشرفوا على التاف لمع لهم شط كالفرات أو دجلة أو كالنيل . فعند معاينتهم لذلك اعتقدوه (شرابا لا سرابا) فتولوا عنه مدبرين فتقطعت أعناقهم عطشا وظمأ فالحكم لله العلى الكبير *

وما أرسلنا المقابلة من الطرفين ففيه تعسف وتمهدون العذر فى الاطناب . فهذا الذى ذكرته من حالى مع الشيخ كالقطرة من البحر . وان أنعمتم بالسلام على أصحاب الشيخ وأقاربه كبيرهم وصغيرهم كان ذلك مضافا الى سابق انعامكم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وأنتم فى أمان الله تعالى ورعايته . والحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . (عبد الله بن حامد)

﴿ وأما قول النبهانى ﴾ (وهذا دأبه في كتبه ولذلك قلل الله النفع بها كما جرت عادته) فيمن يتعرض (لاوليائه بالسوء) الخ (فجوابه) ان من الواجب على العالم ان يظهر علمه والا ألجمه الله بلجام

مرة (وقال تعالى) والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر . (قال الامام) الشافعي لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم وبيان ذلك ان المراتب أربعة وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله . (احداها) معرفة الحق (الثانية) عمله به . (الثالثة) تعليمه من لا يحسنه . (الرابعة) صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه فذكر تعالى المراتب الاربعة في هذه السورة . وأقسم سبحانه في هذه السورة بالعصر ان كل أحد في خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم الذين عرفوا الحق وصدقوا به فهذه مرتبة وعملوا الصالحات وهم الذين عملوا بما علموه من الحق فهذه مرتبة أخرى وتواصوا بالحق وصى به بعضهم بعضا تعليما وارشادا فهذه مرتبة ثالثة وتواصوا بالصبر صبروا على الحق ووصى بعضهم بعضا بالصبر عليه والثبات فهذه مرتبة رابعة وهذا نهاية الكمال فان الكمال ان يكون الشخص كاملا في نفسه مكملا لغيره وكماله باصلاح قوتيه العلمية والعملية فصلاح القوة العلمية بالايمان وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات وتكميله غيره بتعليمه اياه وصبره عليه وتوصيته بالصبر على العلم والعمل فهذه السورة على اختصارها هي من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره والحمد لله الذي جعل كتابه كافيا عن كل ما سواه شافيا من كل داء هاديا الى كل خير اهـ *

فعلم أنه يجب على العالم أن يصدع بالحق وان كثر المخالفون له وقد رأى من الحق التنبيه على الفرق بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن وقد أطنب الكلام في ذلك ومما قال وقد ظن طائفة غالطة ان خاتم الاولياء يكون أفضل الاولياء قياسا على خاتم الانبياء ولم يتكلم أحد من المشايخ المتقدمين بخاتم الاولياء الا محمد بن حكيم الترمذي صنف فيه مصنفا غلط فيه في مواضع ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل منهم نه خاتم الاولياء ومنهم من يدعي ان خاتم الاولياء أفضل من خاتم الانبياء من جهة العلم بالله وان الانبياء يستفيدون العلم بالله من جهته كما زعم ذلك ابن العربي صاحب كتاب الفتوحات في كتاب الفصوص في لغوا الشرع والعقل مع مخالفة جميع أنبياء الله وأولياء الله كما يقال لمن قال فخر عليهم السقف من تحتهم لا عقل ولا قرآن وذلك لان الانبياء أسبق في الزمان من أولياء هذه الامة والانبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل من الاولياء فكيف يكون الانبياء كلهم والاولياء يستفيدون معرفة الله ممن ياتي بعدهم ويدعي أنه خاتم الاولياء وليس آخر الاولياء أفضلهم كما ان آخر الانبياء أفضلهم فان فضل محمد صلى

أفضليته على سائر الانبياء ثبتت بالنصوص الدالة على ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وقوله آتي باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فيقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك وليلة المعراج رفع الله درجته فوق الانبياء كلهم فكان أحقهم بقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات الى غير ذلك من الدلائل والانبياء كلهم يأتيه الوحي من الله لاسيما محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن في نبوته محتاجا الى غيره فلم تحتج شريعته لا الى نبي سابق ولا الى لاحق بخلاف غيره فان المسيح أحالهم في اكثر الشريعة على التوراة والشريعة التوراة جاء المسيح بتكميلها ولهذا كان النصارى محتاجين الى النبوة المتقدمة على المسيح كالتوراة والزبور وتمام الاربع والعشرين نبوة وكان الامم قبلنا محتاجين الى المحدثين بخلاف أمة محمد صلى الله عليه وسلم فان الله أغناهم به فلم يحتاجوا معه لا الى نبي ولا الى محدث بل جمع له من الفضائل والمعارف والاعمال الصالحة مافرقه في غيره من الانبياء فكان مافضله الله به من الله بما أنزل الله وأرسله اليه لا بتوسط بشر وهذا بخلاف الاولياء فان كل من بلغه رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لايكون وليا الا باتباع محمد صلى الله عليه وسلم فكل ماحصل له من الهدى ودين الحق بتوسط محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك من بلغته رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم لايكون وليا لله الا اذا اتبع ذلك الرسول الذى أرسله اليه ومن ادعى ان من أولياء الذين بلغتهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم من له طريق الى الله لا يحتاج فيه الى محمد فهو كافر ملحد واذا قال أنا محتاج الى محمد صلى الله عليه وسلم في علم الظاهر دون الباطن أو في الشريعة دون علم الحقيقة فهو أشر من اليهود والنصارى الذين قالوا ان محمدا رسول الى الاميين دون أهل الكتاب . فان أولئك آمنوا ببعض ماجاء به وكفروا ببعض فكانوا كفار بذلك وكذلك هذا الذى يقول ان محمدا بعث بعلم الظاهر دون الباطن آمن ببعض ماجاء به وكفر ببعض وهذا كافر أكفر من أولئك لان علم الباطن الذى هو علم ايمان القلوب ومعارفها وأحوالها هو علم بحقائق الايمان الباطنة وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الاسلام الظاهرة فاذا ادعى المدعي ان محمدا انما علم هذه الامور الظاهرة دون حقائق الايمان وانه لايأخذ الحقائق من الكتاب والسنة فقد ادعى ان بعض الذى آمن به مما جاء به الرسول دون البعض الآخر وهذا شر ممن يقول أومن ببعض وأكفر ببعض ولا يدعي ان هذا

المعنى الذي كفر أولى القسمين . وهؤلاء الملاحدة يدعون أن الولاية أفضل من النبوة ويلبسون على الناس ويقولون ان ولاية محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من نبوته وينشدون :

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

ويقولون نحن شاركناه في ولايته التي هي أعظم من رسالته وهذا من أعظم ضلالهم فان ولاية محمد صلى الله عليه وسلم لم يماثله فيها أحد لا ابراهيم ولا موسى فضلا عن ان يماثله فيها هؤلاء الملاحدة وكل رسول نبي وكل نبي ولي فالرسول نبي وولي ورسالته متضمنة للنبوة ونبوته متضمنة لولايته فكيف تكون ولايته المتضمنة في نبوته افضل من نبوته الداخلة في ولايته واذا قدروا مجرد انباء الله اياه بدون ولايته لله فهذا تقدير ممتنع فانه حال أنباء الله اياه بدون ولايته لله فهذا تقدير ممتنع فانه حال انباء الله اياه يمتنع ان لايكون وليا لله فلا تكون نبوة مجردة عن ولاية ولو قدرت مجردة لم يكن احد مماثلا للرسول في ولايته لله وهؤلاء قديقولون كما يقول صاحب الفصوص ابن عربي انهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به الرسول وذلك انهم اعتقدوا عقيدة ملاحدة المتفلسفة ثم اخرجوها في قالب الكشف وذلك ان المتفلسفة الذين قالوا ان الافلاك قديمة ازلية لها علة شبيهة بهما كما يقول ارسطو واتباعه اولها موجب بذاته كما يقوله متأخروهم كابن سينا وامثاله ولا يقولون ان الرب خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ولا خلق الاشياء بمشيئته وقدرته ولا يعلم الجزئيات بل اما ان ينكر واعلمه مطلقا كقول ارسطو او يقولون انما يعلم من الامور المتغيرة كلياتها كما يقوله ابن سينا . وحقيقة هذا القول انكار علمه بها فان كل موجود فى الخارج فهو معنى جزئى والافلاك كل منها معنى جزئى وكذلك جميع الاعيان وصفاتها وافعالها فمن لم يعلم الا الكليات لم يعلم شيئا من الموجودات والكليات انما توجد كليات فى الاذهان لا فى الاعيان والكلام على هؤلاء قد بسط فى موضع آخر فى بحث تعارض العقل والنقل وغيره فان كفر هؤلاء اعظم من كفر اليهود والنصارى بل ومشركي العرب اذ جميع هؤلاء يقولون ان الله خلق السموات والارض وانه خالق المخلوقات بمشيئته وقدرته وارسطو ونحوه من متفلسفة اليونان كانوا يعبدون الكواكب والاصنام وهم لا يعرفون الملائكة ولا الانبياء وليس فى كتب ارسطو ذكر شئ من ذلك . وانما غالب علم القوم الامور الطبيعية وأما الامور الالهية فكلامهم فيها قليل كثير

الخطأ . واليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل اعظم الاختلاف منهم بكثير ولكن لما خرج
كابن سينا أرادوا ان يلفقوا بين كلام أولئك وبين ماجاءت به الرسل فأخذوا شيأ من
بعض أصول الجهمية والمعتزلة وركبوا منه ومن قول أولئك مذهبا قد يعتزي اليه متفلسفة أهل
الملل وفيه من الفساد والتناقض ماقد نبه على بعضه في غير هذا الموضع ، وهؤلاء لما رأوا ان
أمر الرسل كموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قد طبق العالم واعترفوا بان الناموس الذى
بعث به محمد صلى الله عليه وسلم أعظم ناموس طرق العالم ووجدوا الانبياء قد ذكروا الملائكة
والجن أرادوا ان يجمعوا بين ذلك وبين قول اسلافهم اليونان الذين هم من أبعد الخلق عن
معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله واولئك قد اثبتوا عقولا عشرة يسمونها المجردات والمفارقات
وأصل ذلك مأخوذ من مفارقة النفس للبدن فسموا تلك مفارقة لمفارقتها المادة ومجردا لتجردها
عنها . واثبتوا للافلاك لكل فلك نفسا وا كثرهم جعلها اعراضا وبعضهم جعلها جواهر وهذه
المجردات التى اثبتوها عند التحقيق الى أمور موجودة فى الاذهان لافي الاعيان كما اثبت
أصحاب ارسطو أعدادا مجردة وكما أثبت أفلاطون المثل الافلاطونية المجردة واثبتوا هيولى مجردة
عن الصورة ومدة . وخلاء مجردين . وقد اعترف حذاقهم بان ذلك انما يتحقق فى الاذهان
لافى الاعيان فلما أراد هؤلاء المتأخرون منهم كابن سينا ان يثبت أمر النبوة على اصولهم الفاسدة
زعموا ان النبوة لها خصائص ثلاثة من اتصف بها فهو نبي ان يكون له قوة علمية يسمونها
القوة القدسية ينال بها العلم بلا تعلم وان يكون له قوة تخييلية تخيل مايعقله فى نفسه بحيث يرى
فى نفسه صورا ويسمع فى نفسه صوتا كما يراه النائم ويسمعه ولا يكون لها وجود فى الخارج
وزعموا ان تلك الصور هى ملائكة الله وتلك الاصوات هى كلام الله . وان يكون له قوة
فعالة يؤثر بها فى هيولى العالم وجعلوا كرامات الاولياء ومعجزات الانبياء وخوارق السحرة
من قوى النفس فاقروا من ذلك بما يوافق أصولهم دون قلب العصا حية ودون انشقاق القمر
ونحو ذلك فانهم ينكرون وجود هذا وقد بسطنا الكلام على هؤلاء فى مواضع وبينا ان كلامهم
هذا من أفسد كلام وان هذا الذى جعلوه من خصائص النبي يحصل ماهو أعظم منه لآحاد
العامة ولأقل اتباع الانبياء وان الملائكة التى اخبرت بها الرسل أحياء ناطقون أعظم مخلوقات
الله وهم كثيرون ولا يعلم جنود ربك الا هو وليسوا عشرة وليسوا اعراضا لاسيما وهؤلاء

ويزعمون ان الصادر الأول هو العقل الأول عنه صدر كل ما سواه فهو عندهم رب كل ما سوى الله *

وكذلك كل عقل رب كل ما دونه والعقل الفعال العاشر رب كل ما تحت فلك القمر وهذا مما يعلم فساده بالاضطرار من دون الرب فليس أحد من الملائكة مبدعاً لكل ما سوى الله وهؤلاء يزعمون ان العقل الأول هو العقل المذكور في حديث يروي ان أول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فاقبل فقال له أدبر فادبر فقال وعزتي ما خلقت خلقا أكرم على منك فبك آخذ وبك أعطي وبك الثواب وعليك العقاب ويسمونه أيضا القلم لما رأوا انه قد روى ان أول ما خلق الله القلم والحديث الذي ذكروه في العقل كذب موضوع عند أولى المعرفة بالحديث كما ذكر ذلك أبو حاتم البستي وأبو الحسن الدارقطني وابن الجوزي وغيرهم وليس هو في شيء من دواوين الحديث التي يعتمد عليها ومع هذا فلفظه لو كان ثابتا لكان حجة عليهم فان لفظه أول ما خلق الله العقل قال له ٠ ويروي لما خلق الله العقل قال له ٠ وفي الحديث انه خاطبه في أول أوقات خلقه ليس معناه انه أول المخلوقات وأول منصوب على الظرف كما في اللفظ الآخر لما ٠ وتمام الحديث ما خلقت خلقا أكرم على منك فهذا يقتضي انه خلق قبله غيره ثم قال فبك آخذ وبك أعطي وبك الثواب وعليك العذاب فذكر أربعة أنواع من الاعراض وعندهم ان جميع جواهر العلوي والسفلي صدر عن ذلك العقل فاين هذا من هذا *

وسبب غلطهم ان لفظ العقل في لغة المسلمين ليس هو لفظ العقل في لغة هؤلاء اليونانيين فان العقل في لغة المسلمين مصدر عقل يعقل عقلا كما في القرآن وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وقوله تعالى ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويراد بالعقل الغريزة التي جعلها الله للانسان يعقل بها واما اولئك فالعقل عندهم جوهر قائم بنفسه كالعاقل وليس هذا مطابقا للغة الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن وعالم الخلق عندهم كما يذكره ابو حامد عالم الاجسام واما العقول والنفوس فيسميها عالم الامر وقد يسمى العقل عالم الجبروت والنفوس عالم الملكوت والاجسام عالم الملك ويظن من لا يعرف لغة الرسول ومعاني الكتاب والسنة ان في القرآن والسنة من ذلك الملك والملكوت والجبروت ما يوافق هذا وليس الامر كذلك (وهؤلاء) يلبسون على المسلمين تلبيسا كثيرا كاطلاقهم ان

الفلك محدث أي معلول مع انه قديم عندهم والمحدث لايكون الا مسبوقا بالعدم ليس في لغة العرب ولا في لغة أحد انه يسمى القديم الازلي محدثا والله سبحانه قد أخبر انه خالق كل شئ وكل مخلوق فهو محدث وكل محدث كائن بعد ان لم يكن فناظرتم أهل الكلام من الجهمية والمعتزله مناظرة قاصرة لم يعرفوا بها ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ولا حكموا فيها قضايا المعقول . فلا للاسلام نصروا . ولا لاعدائه كسروا . وشاركوا اولئك في بعض قضاياهم الفاسدة ونازعوهم في بعض المعقولات الصحيحة فصار قصور هؤلاء في العلوم السمعية والعقلية من أسباب قوة ضلال أولئك كما بسط في غير هذا الموضع *

وهؤلاء المتفلسفة قد يجعلون جبرائيل هو الخيال الذي يتشكل في نفس النبي والخيال تابع للعقل . فجاء الملاحدة الصوفية الذين شاركوا هؤلاء الفلاسفة وزعموا انهم أولياء الله وان الولي أفضل من النبي وانهم يأخذون عن الله بلا واسطة كابن عربي صاحب الفتوحات والفصوص فقال انه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به الى الرسول والمعدن عنده هو العقل والملك هو الخيال والخيال تابع للعقل وهو بزعمه يأخذ عن العقل الذي هو أصل الخيال والرسول يأخذ عن الخيال فلهذا صار عند نفسه فوق النبي ولو كان خاصة النبي ما ذكروه لم يكن هو من جنسه فضلا عن ان يكون فوقه فكيف وما ذكروه يحصل لآحاد المؤمنين والنبوة أمر وراء ذلك فان ابن عربي وأمثاله وان ادعوا انهم من الصوفية فهم من صوفية الملاحدة الفلاسفة ليسوا من صوفية أهل الكلام فضلا عن ان يكونوا من مشايخ أهل الكتاب والسنة كالفضيل ابن عياض وابراهيم بن الادهم وابي سليمان الداراني ومعروف الكرخي والجنيد بن محمد وسهل ابن عبد الله التستري وأمثاله *

والله سبحانه قد وصف الملائكة في كتابه بصفات تباين قول هؤلاء كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم الى قوله وهم من خشيته مشفقون . ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين . وقال تعالى وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى . وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض الى قوله ومالهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له [illegible]

من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون . وقد أخبر ان الملائكة جاءت ابراهيم في صورة البشر وان الملك تمثل لمريم بشراً سويا . وكان جبرائيل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وفي صورة الاعرابي فرآه الناس كذلك . وقد وصف جبرائيل بانه ذو قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم أمين . وان محمداً صلى الله عليه وسلم رآه بالافق المبين . ووصف بانه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فاوحى الى عبده ماأوحى . الى قوله واقد رأى من آيات ربه الكبرى *

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لم ير جبرائيل في الصورة التي خلق عليها الا مرتين مرة في الافق الاعلى والنزلة الاخرى عند سدرة المنتهى ووصف جبرائيل في مواضع أخر بانه الروح الامين ووصفه بانه روح القدس الى غير ذلك من الصفات التي تبين انها انه من أعظم مخلوقات الله الاحياء العقلاء وانه جوهر قائم بنفسه ليس خيالا في نفس النبي كما يزعمه هؤلاء الملاحدة المتفلسفة المدعون لولاية الله وانهم أعلم من الانبياء وغاية تحقيق هؤلاء انكار أصول الايمان فان أصول الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وحقيقة أمرهم جحد الخالق فانهم جعلوا وجود المخلوق هو وجود الخالق وقالوا الوجود واحد ولم يميزوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع فان الموجودات اشتركت في مسمى الوجود كما تشترك الاناسي في مسمى الانسان والحيوانات في مسمى الحيوان ولكن هذا المشترك الكلي لا يكون مشتركا كليا الا في الذهن والا فالحيوانية القائمة بهذا الانسان ليست هي الحيوانية القائمة بالفرس ووجود السموات ليس بعينه وجود الانسان فوجود الخالق جل جلاله ليس كوجود مخلوقاته وحقيقة قولهم قول فرعون الذي عطل الصانع فانه لم ينكر هذا الوجود المشهود لكن زعم انه موجود بنفسه لا صانع له وهؤلاء وافقوه في ذلك ولكن زعموا انه هو الله فكانوا أضل منه وان كان هو أظهر فسادا منهم ولهذا جعلوا عباد الاصنام ما عبدوا الا الله وقالوا لما كان فرعون في منصب التحكم صاحب السيف قال أنا ربكم الاعلى وان كان الكل أربابا بنسبة ما فانا الاعلى بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم قالوا ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله أقروا له بذلك وقالوا اقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا قالوا فصح قول

[illegible]
يسمون ... أهل الجنة فصاروا كافرين بالله وباليوم الآخر وبالملائكة وكتبه ورسله مع دعواهم
انهم خلاصة الخاصة من أهل الله وأنهم أفضل من الأنبياء وان الأنبياء انما يعرفون الله من مشكاتهم
وليس هذا موضع بسط بيان الحاد هؤلاء . ولكن لما كان الكلام في أولياء الله والفرق بين
أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وكان هؤلاء من أعظم الناس دعوى لولاية الله وهم من أعظم
الناس ولاية للشيطان نبهنا على ذلك . ولهذا عامة كلامهم انما هو في الخيالات الشيطانية ويقولون
ما يقول صاحب الفتوحات باب أرض الحقيقة ويقول هي أرض الخيال فيعترف بان الحقيقة التي
يتكلم فيها هي خيال والخيال محل تصرف الشيطان فان الشيطان يخيل للانسان الامور بخلاف
ما هي قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم
الى قوله فبئس القرين *

وقال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل
ضلالا بعيدا . الى قوله يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا *

وقال تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق الى قوله اني كفرت بما
اشركتمون من قبل . وقال تعالى واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من
الناس واني جار لكم الى قوله اني أخاف الله والله شديد العقاب *

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح انه رأى جبرائيل يزع الملائكة
والشياطين اذا رأت ملائكته التي يؤيد بها عباده هربت منهم والله يؤيد عباده المؤمنين بملائكته
قال تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا . وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود الى قوله وجنودا لم تروها وقال تعالى فانزل الله سكينته
على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها . وقال تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله
معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها . وقال تعالى اذ يقول للمؤمنين الن يكفيكم ان
يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا
يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن به
قلوبكم وما النصر الا من عند الله *

(وهؤلاء تأتيهم) أرواح تخاطبهم وتتمثل لهم وهي جن وشياطين فيظنونها ملائكة كالأرواح التي تخاطب من يعبد الكواكب والاصنام . وكان من أول من ظهر من هؤلاء في الاسلام المختار بن عبيد الثقفي الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون في ثقيف كذاب ومبير فكان الكذاب المختار ابن عبيد الثقفي وكان المبير الحجاج بن يوسف . فقيل لابن عمر ان المختار يزعم انه ينزل عليه . فقال صدق قال تعالى هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم . وقال الآخر وقيل له ان المختار يزعم انه يوحى اليه فقال قال الله تعالى وإن الشياطين ليوحون الى أوليائهم *

(ومن هذه الارواح) الشيطانية الروح الذي يزعم صاحب الفتوحات انه القى اليه ذلك الكتاب ولهذا يذكر أنواعا من الخلوات الطعام معين وحال معين وهذه مما تفتح سحابها الاتصال بالجن والشياطين فيظنون ذلك من كرامات الاولياء . وانما هو من الاحوال الشيطانية وأعرف من هؤلاء عددا . منهم من كان يحمل الى مكان بعيد ويعود . ومنهم من كان يؤتى بمال مسروق تسترقه الشياطين وتأتيه به . ومنهم من كانت تدله على السراق بحون بجعل[1] له من الناس أو تعطيهم له اذا دلهم على سرقاتهم ونحو ذلك *

(ولما كانت أحوال) هؤلاء شيطانية كانوا مناقضين للرسل صلوات الله عليهم كما يوجد من صاحب الفتوحات المكية والفصوص وأشباه ذلك انه يمدح الكفار مثل قوم نوح وهود وفرعون وغيرهم وينتقص بالانبياء بنوح وابراهيم وموسى وهارون وغيرهم ويذم شيوخ المسلمين كالجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التسترى وأمثالهما ويمدح المذمومين عند المسلمين كالحلاج ونحوه كما ذكرته في التجليات الخيالية الشيطانية فان الجنيد قدس سره كان من أئمة الهدى . فسئل عن التوحيد فقال التوحيد افراد الحدوث عن القدم فبين ان التوحيد ان يميز بين القديم والمحدث أى الخالق والمخلوق وصاحب الفصوص أنكر هذا وقال في مخاطبة الخيالية الشيطانية له جنيد هل يميز بين المحدث والقديم الا من يكون غيرهما فخطأ الجنيد في قوله افراد المحدث عن القديم لان قوله ان وجود المحدث هو عين وجود القديم (كما قال في

---

(١) قوله بحون بجعل . هكذا بالاصل فليحرر

بنفسه (ومن أسمائه الحسنى العلي على من وما ثم الا هو وعلى ماذا وما هو الا هو فهو العلي لنفسه وهو عين الموجودات فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها وليست الا هو (الى) ان قال فهو عين ما بطن وهو عين ما ظهر وما ثم من يراه غيره وما ثم من ينطق عنه سواه وهو المسمى أبو سعيد الخراز وغير ذلك من أسماء المحدثات

﴿ فيقال لهذا الملحد ﴾ ليس من شرط المميز بين الشيئين بالعلم والقول ان يكون ثالثا غيرهما فان كل واحد من الناس يميز بين نفسه وبين غيره وليس هو ثالثا فالعبد يعرف انه عبد ويميز بين نفسه وبين خالقه والخالق جل جلاله يميز بين نفسه وبين مخلوقاته ويعلم انه ربهم وانهم عباده كما نطق بذلك القرآن في غير موضع واستشهدنا بالقرآن عند المؤمنين الذين يقرون به باطنا وظاهرا وأما هؤلاء الملاحدة فيزعمون ما كان يزعمه التلمساني منهم وهو أحذقهم في الحادهم لما قرأ عليه الفصوص فقيل له القرآن يخالف قولكم فقال القرآن كله شرك وانما التوحيد في كلامنا فقيل له اذا كان الوجود واحدا فلم كانت الزوجة حلالا والاخت حراما قال الكل عندنا حلال ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم وهذا مع كفره العظيم تناقض ظاهر فان الوجود اذا كان واحدا فمن المحجوب ومن الحاجب ولهذا قال بعض شيوخهم لمريده من قال لك ان في الكون سوى الله فقد كذب فقال له مريده فمن هو الذي يكذب وقالوا لآخر هذه مظاهر فقال لهم المظاهر غير الظاهر أم هي هو فان كانت غيرها فقد قلتم بالتثنية وان كانت هي اياها فلا فرق (وقد) بسطنا الكلام على كشف اسرار هؤلاء في موضع آخر وبينا حقيقة كل واحد منهم وان صاحب الفصوص يقول المعدوم شيء ووجود الحق فاض عليه فيفرق بين الوجود والثبوت . والمعتزلة الذين قالوا المعدوم شيء ثابت في الخارج مع ضلالهم خير منه . فان أولئك قالوا ان الرب خلق لهذه الاشياء الثابتة في العدم وجودا ليس هو وجود الرب . وهذا زعم ان عين وجود الرب فاض عليها فليس عنده وجود مخلوق مباين لوجود الخالق . وصاحبه القونوي يفرق بين المطلق والمعين لانه كان أقرب الى الفلسفة فلم يقر بان المعدوم شيء . لكن جعل الحق هو الوجود المطلق وصنف مفتاح غيب الجمع والوجود وهذا القول أدخل في تعطيل الخارج واعدم . فان المطلق بشرط الاطلاق وهو الكلي العقلي لا يكون الا في الاذهان لا في الاعيان . والمطلق لا بشرط شيء وهو الكلي الطبيعي

وان قيل انه موجود فى الخارج الا وجدها فى الخارج الا معينا ، وهو جزء من المعين متصل فيكون ثبوته فى الخارج فيلزمه ان يكون وجود الرب اما متعينا فى الخارج واما ان يكون عين وجود المخلوقات ، وهل يحلق للجزء الكل أم يخلق الشيء نفسه أم العدم يخلق الوجود أو يكون بعض الشيء خالقا لجميعه وهؤلاء يتبرؤن من الحلول لانه يقتضي شيئين اتحد أحدهما بالآخر ، وعندهم الوجود واحد . (ويقولون) ان النصارى انما كفروا لما خصصوا المسيح بانه هو الله ولو عمموا لما كفروا ، وكذلك يقولون فى عباد الاصنام انما أخطؤا لما اعتقدوا بعض المظاهر دون بعض فلو عبدوا الجميع لما أخطؤا عندهم ، وهذا مع ما فيه من الكفر العظيم ففيه ما يلزمهم دائما من التناقض لانه يقال لهم فمن المخطىء . لكنهم يقولون ان الرب هو الموصوف بجميع النقائص التي يوصف بها المخلوق ويقولون ان المخلوقات توصف بجميع الكمالات التي يوصف بها الخالق ويقولون ما قاله صاحب الفصوص فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستوعب جميع النعوت الوجودية والنسب العدمية سواء كانت محمودة عرفا أو عقلا أو شرعا . أو مذمومة عرفا أو عقلا أو شرعا فليس ذلك الا لمسمى الله خاصة وهم مع هذا الكفر لا يندفع عنهم التناقض فانه معلوم بالحس والعقل ان هذا ليس هو ذلك وهؤلاء يقولون ما كان يقوله التلمساني . مثبت عندنا بالكشف ما يناقض صريح العقل ، ويقولون من أراد التحقيق يعني تحقيقهم فليترك العقل والشرع . وقد قلت لمن خاطبت منهم معلوم ان كشف الانبياء أعظم وأتم من كشف غيرهم وخبرهم أصدق من خبر غيرهم . والانبياء صلوات الله عليهم يخبرون بما تعجز عقول الناس عن معرفته لا بما يعرف الناس بعقولهم انه ممتنع فيخبرون بمجازات العقول لا بمحالات العقول . ويمتنع ان يكون فى اخبار الرسول ما يناقض العقل الصريح ويمتنع ان يتعارض دليلان قطعيان سواء كانا عقليين أو سمعيين أو كان أحدهما سمعيا والآخر عقليا فكيف بمن ادعى كشفا يناقض الشرع والعقل . وهؤلاء قد لا يريدون الكذب لكن يخيل لهم أشياء تكون فى نفوسهم ويظنونها فى الخارج . وأشياء يرونها تكون موجودة فى الخارج لكن يظنونها من كرامات الصالحين . وتكون من تلبيسات الشياطين وهؤلاء الذين يقولون بالوحدة يقدمون الاولياء على الانبياء ويذكرون ان النبوة لم تنقطع كما يذكر عن ابن سبعين ونحوه . ويجعلون المراتب ثلاثة يقولون العبد يشهد أولا طاعة

ومعصية، ثم طاعة لا معصية، ثم لا طاعة ولا معصية، والشهود الأول وهو الشهود الصحيح هو الفرق بين الطاعات والمعاصي، وأما الثاني فيريدون به شهود القدر، كما أن بعض هؤلاء يقول أنا كافر برب يعصى، وهذا يزعم أن المعصية مخالفة الإرادة التي هي المشيئة والخلق كلهم داخلون تحت حكم المشيئة، ويقول شاعرهم:

أصبحت منفعلا لما تختاره * مني ففعلي كله طاعات

ومعلوم أن هذا خلاف ما أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه فان المعصية التي يستحق صاحبها الذم والعقاب مخالفة أمر الله ورسوله كما قال تعالى تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك هو الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها. وسنذكر الارادة الكونية والدينية والامر الكوني والديني، وكانت هذه المسألة قد اشتبهت على طائفة من الصوفية فبينها الجنيد رحمه الله فمن اتبع الجنيد فيها كان على السداد ومن خالفه ضل فانهم تكلموا ان الامور كلها بمشيئة الله وقدرته وفي شهوده هذا التوحيد وهذا يسمونه الجمع الاول فبين لهم الجنيد انه لا بد من شهود الفرق الثاني وهو انه مع شهود كون الاشياء كلها مشتركة في مشيئته وقدرته وخلقه فيجب الفرق بين ما يأمر به ويحبه ويرضاه

وبين ما ينهى عنه ويكرهه ويسخطه ويفرق بين أوليائه وأعدائه كما قال تعالى (افنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون) وقال تعالى (ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقال تعالى (وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون) ولهذا كان مذهب سلف الامة وأئمتها ان الله تعالى خالق كل شيء وربه ومليكه ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن لا رب غيره وهو مع ذلك أمر بالطاعة ونهى عن المعصية وهو لا يحب الفساد ولا يرضي لعباده الكفر ولا يأمر بالفحشاء وان كانت واقعة بمشيئته فهو لا يحبها ولا يرضاها بل يبغضها ويذم أهلها ويعاقبهم والمرتبة الثالثة ان لا يشهد طاعة ولا معصية فانه يرى أن الوجود واحد وعندهم ان هذا هو غاية التحقيق والولاية لله وهو فى الحقيقة غاية الحاد فى اسماء الله تعالى وصفاته وغاية المعاداة لله فان صاحب هذا المشهد يتخذ اليهود والنصارى وسائر الكفار أولياء وقد قال الله تعالى (ومن يتوله منكم فانه منهم)

ولا تبرأ من الشرك والاوثان فيخرج عن ملة ابراهيم الخليل وقال تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم) الى قوله (حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال الخليل لقومه المشركين (أفرأيتم ماتعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون) فانهم عدو لي الا رب العالمين) وقال تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او أبناءهم او اخوانهم او عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه وهؤلاء قد صنف بعضهم كتابا وقصائد على مذهبه مثل قصيدة ابن الفارض المسماة بنظم السلوك ويقول فيها *

لها صلاتى بالمقام أقيمها ... وأشهد فيها أنها لي صلت
كلانا مصل واحد ساجد الى ... حقيقته بالجمع في كل سجدة
وماكان لي أصل سواي ولم تكن ... صلاتي لغيري فى كل ركعة

الى أن قال

وما زلت اياى ولم تزل ولا ... فرق بل ذاتي لذاتى أحبت
الى رسولا كنت مني مرسلا ... وذاتى بآياتي على استدلت
فان دعيت كنت المجيب ولم اكن ... مناد أجبنا من دعانى ولبت

الى أمثال هذا الكلام ولهذا كان القائل عند الموت ينشد *

ان كان منزلتى فى الحب عندكم ... ما قد لقيت فقد ضيعت أيامى
أمنية ظفرت نفسى بها زمنا ... واليوم أحسبها أضغاث أحلامي

فانه كان يظن أنه هو الله فلما حضرت ملائكة الله لقبض روحه تبين له بطلان ما كان يظنه وهؤلاء ممن قال الله سبحانه فيهم (أفمن زين له سوء عمله فرأه حسناً) وقد قال تعالى (يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) فجميع ما فى السموات وما فى الارض يسبح الله ثم قال تعالى (له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول فى دعائه اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء خالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الاول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء

وأنت الباطن فليس دونك شيء أقض عنى الدين وأغننى من الفقر ثم قال تعالى (هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم) فلفظ مع لا تقتضى فى لغة العرب أن يكون أحد الشيئين مختلطا بالآخر كقوله تعالى (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وقوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) وقوله تعالى (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) ولفظة مع جاءت فى القرآن عامة وخاصة فالعامة فى هذه الآية وفى آية المجادلة ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الى قوله ان الله بكل شىء عليم فافتتح الكلام بالعلم وختمه بالعلم ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثورى والامام أحمد بن حنبل وغيرهم هو معهم بعلمه واما المعية الخاصة في قوله تعالى (ان الله مع الذين اتقو والذين هم محسنون) وقوله تعالى لموسى وهارون (اننى معكما أسمع وأرى) وقال تعالى عن النبي صلى الله عليه وسلم اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا يعنى النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر الصديق فهو مع موسى وهارون دون فرعون ومع محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه دون ابى جهل وغيره من أعدائه وهو مع الذين اتقوا وكانوا محسنين دون الظالمين المعتدين فلو كان معنى المعية انه بذاته فى كل مكان تناقض الخبر الخاص والخبر العام بل المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون اولئك . وقوله تعالى (هو الذى فى السماء اله وفى الارض اله أى هو اله من فى السماء واله من فى الارض كما قال تعالى وله المثل الاعلى فى السموات والارض وكذلك قوله وهو الله فى السموات وفى الارض كما قرره أئمة العلم أنه المعبود فى السموات والارض وأجمع سلف الامة وأئمتها ان الرب تعالى بائن من مخلوقاته يوصف بما وصف نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل فيوصف بصفات الكمال دون صفات النقص ويعلم أنه ليس كمثله شىء لا في ذاته ولا فى شيء من صفات الكمال . قال الله تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) قال ابن عباس الصمد العليم الذي كمل فى علمه العظيم الذي كمل في عظمته . القدير الكامل فى قدرته . الحكيم الكامل فى حكمته السيد الكامل فى سودده وقال ابن مسعود وغيره الصمد الذي لا جوف له والاحد الذى لا نظير له

فالاسم الصمد يقتضي اتصافه بصفات الكمال ونفي النقائص عنه واسمه الاحد يقتضي أنه لا مثل له . وقد بسطنا الكلام على ذلك في تفسير هذه السورة وذكرنا أنها تعدل ثلث القرآن انتهى المقصود من نقله من كلام شيخ الاسلام قدس الله روحه *

﴿ وهذه نبذة مما يتعلق بأهل الحلول والاتحاد ﴾ والشيخ على القاري والسعد التفتازاني والشيخ محمد البخاري والشيخ عبد البارى والعلامة عضد الملة والدين كتب مفردة في الكلام عليهم وردهم . ولعلنا ان شاء الله تعالى نفرد في ذلك كتابا نذكر فيه جميع ما قاله العلماء الربانيون فيهم ونذكر بدع أهل الطرائق المبتدعة . وما عندهم من المخالفات الشرعية *

﴿ والمقصود مما نقلناه كله ﴾ ان قول النبهاني عن أهل الحلول والاتحاد انهم أولياء الله كلام دل على جهله واتباعه لهواه وغيه . وقد ذكر الشيخ على القارى في الرد على النصوص من المنكرات والاوهام والغلطات ما تقشعر منها الجلود . وقال في آخر كتابه وماسبق من المنكرات في كلام ابن عربي لا سبيل الى صحة تأويلها فلا يستقيم اعتقاد انه من اولياء الله مع اعتقاد صدور هذه الكلمات منه الا باعتقاد أنها لم تصدر عنه او أنه رجع الى ما يعتقده أهل الاسلام في ذلك ولم يجيء بذلك عنه خبر ولا روي عنه أثر فذمه جماعة من أعيان العلماء واكابر الاولياء لاجل كلامه المنكر *

﴿ واما قول النبهاني ﴾ عن كتب ابن تيمية أنه بسبب كلامه على القائلين بالحلول والاتحاد وغير ذلك مما يدل على البطلان والفساد قلل الله النفع بها الخ ﴿ فجوابه ﴾ ان الله تعالى لم يقلل الانتفاع بها بل لم يزل الناس يلتقطون منها درر الفوائد ويصححون بها أعمالهم والعقائد وهي كما قال الحافظ ابن القيم تشترى بالغالي من الاثمان في كل عصر وزمان فاي عالم من العلماء انتفع الناس بكتبه كما انتفعوا بكتب شيخ الاسلام وذلك من المعلوم بين الخاص والعام ولكن الامر كما قيل *

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

وكتب المتأخرين من الحنابلة وغيرهم مشحونة بالنقل عن كتبه والمنقولات عنها زينة للكتب وغرة محاسنها . وقد أودع الله تعالى فيها خاصية التأثير في القلوب فلا تجد أحدا يطالع فيها الا وفتح الله عليه أبواب العلوم . وأفاض عليه من زلال عذب منطوقها والمفهوم . الا من قسى

مثله وكشف حجابه كما قال تعالى يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون *

﴿ قال النبهاني ﴾ ومن كتبه منهاج السنة في الرد على الروافض وكتاب العقل والنقل في الرد على المتكلمين من أهل السنة كالاشعري والماتريدي وأصحابهما وهم معظم الامة المحمدية قال ومنهاج السنة وان كان مؤلفا في الرد على الروافض الا أنه حشاه بالرد على أهل السنة والرد على ساداتنا الصوفية ومن يعتقد فيهم كقوله في جواب قول الرافضي يجب في كل زمان امام معصوم بعد ان بين فساده وهل هذا الا أفسد مما يدعيه كثير من العامة في القطب والغوث ونحو ذلك من أسماء يعظمون مسماها بما هو أعظم من مرتبة النبوة من غير تعيين لشخص معين يمكن ان ينتفع به الانتفاع المذكور في مسمى هذه الاسماء (وكما يدعي) كثير منهم حياة الخضر مع انهم لم يستفيدوا بهذه الدعوى منفعة لا في دينهم ولا في دنياهم وانما غاية من يدعي ذلك انه يدعي جريان بعض ما يقدر الله على يدي مثل هؤلاء وهذا مع انهم لا حاجة لهم الى معرفته لم ينتفعوا بذلك لو كان حقا فكيف اذا كان ما يدعونه باطلا . ومن هؤلاء من يتمثل له الجني في صورة ويقول أنا الخضر ويكون كاذبا وكذلك الذين يذكرون رجال الغيب ورؤيتهم انما رأوا الجن وهم رجال غائبون وقد يظنون انهم انس . وهذا قد بيناه في مواضع تطول حكايتها مما تواتر عندنا *

﴿ قال النبهاني في الاعتراض على الشيخ ﴾ وهكذا دأبه في انكار ما لم يحط بعلمه وجعله في درجة المستحيلات مع انه ثبت عند غيره من جماهير المسلمين من الاولياء العارفين والعلماء العاملين والعباد والصالحين وغيرهم ثبوتا لا يحتمل وقوع الشك في صحته . ثم انه استشهد على صحة دعواه بكلام اليافعي وابن حجر المكي ونجم الدين الاصفهاني واضرابهم من الغلاة *

﴿ أقول جوابه ﴾ من وجوه (الاول) انا تكلمنا سابقا عن جميع كتب الشيخ وذكرنا في مدحها وتقريظها ما ذكرنا وقلنا ان منهاج السنة من أجل كتب الشيخ وفيه من الفوائد الدينية ما يعز وجود نظيره في غيره وما أحسن ما قرظ به الاديب الفهامة الشيخ طه بن محمود رئيس التصحيح في المطبعة الكبرى وهو *

[illegible] منهاج فى العموم [illegible] | فقالوا [illegible] وأحمد
إمام حباه الله علما وحكمة | وقلبا تقيا نوره يتوقد
فقام بأمر الحق في الناس سائدا | بأوضح برهان له العقل يشهد
وبدد أهواء تجمع شملها | بها شمل قوم والضلال مبدد
أتاهم وهم شتى المذاهب ما لهم | من العقل هادٍ أو من الدين مرشد
أتاهم وليل الرفض والنصب حالك | وقاعدة الطغيان فيهم توطد
أتى معشرا للغي أهدى من القطا | ولم يبصروا طرق الرشاد فيهتدوا
أتى أمة بغض الصحابة دينهم | وسب أبي بكر به قد تعبدوا
فأنكر ماقد خالف الدين والتقى | ومن ديننا انكار ماليس يحمد
وأفشى كتاب الله فيهم وأنهم | أباة عن الاذعان للحق شرد
وناضل عن صحب النبي وحزبه | ومن لهم رأي وقول مسدد
فهل مثل هذا الحبر أولى بشكره | على ماأتاه أم تراه يفند
ولكن أعداء الفضائل جمة | وهل ساد الا ذو الايادى المحسد
سأشكره دهرى عن الناس اذ غدا | عليهم جميعا لابن تيمية اليد
فلو كان تأليف الفتى مخلدا له | لكان من المنهاج والله مخلد
ولو كان فى الدنيا جزاء لمحسن | لكان له فيها النعيم المؤبد
فأسألك اللهم هتان رحمة | على قبره مالاح فى الافق فرقد

فانتقاد النبهانى على هذا الكتاب . أشبه شيء بنبح الكلاب للسحاب . أبان للناس جهله وغباوته وضلاله . وعداوته للدين . وانحرافه عن سبيل المسلمين والمؤمنين *

﴿ الوجه الثانى ﴾ ان النبهانى انتقد كتاب المنهاج واعترض على مصنفه في انكاره الخضر والاقطاب والاوتاد ورجال الغيب وغيرهم مما ابتدعه المتصوفة والغلاة ترويجا لمقاصدهم وانتقاده هذا مما لاوجه له لان الرافضة لما أوجبوا اللطف على الله ومراعاد لاصلح وان الائمة منحصرون بزعمهم فى اثنى عشر اماما وهم لايستوعبون الزمان الى قيام الساعة لزمهم القول بالمنتظر مع ان حجج الله لاتقوم بخفى مستور لايقع العالم له على خبر ولا ينتفعون به فى

[illegible] أيضا فلا [illegible] وأهل العلم منه ولا ضال يهتدي به ولا كافر يأمن به ولا دليل [illegible] وفى حجة لله قامت بمن لا يرى له شخص ولا يسمع منه كلمة ولا يعلم له مكان ولا سيما على أصول القائلين به فان الذى دعاهم الى ذلك انهم قالوا لا بد منه فى اللطف بالمكلفين وانقطاع حجتهم عن الله فيالله العجب أى لطف حصل بهذا المعدوم لا المعصوم وأي حجة أقيمت على الخلق على زعم أصحابكم الباطل فان هذا المعدوم اذا لم يكن لهم سبيل قط الى لقائه والاهتداء به فهل فى تكليف ما لا يطاق أبلغ من هذا وهل فى العذر والحجة أبلغ من هذا فالذى فررتم منه وقعتم فى شر منه . وكنتم فى ذلك كما قيل *

المستجير بعمرو عند كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

ولكن أبى الله الا أن يفضح من تنقص بالصحابة الاخيار . وبسادة هذه الامة الابرار . وان يرى الناس عورته ويغريه بكشفها ونعوذ بالله من الخذلان . ولقد أحسن القائل *

ما آن للسرداب ان يلد الذى * ثلثتموه بزعمكم ما آنا

فعلى عقولكم العفاء فانكم * ثلثتم العنقاء والغيلانا

ولقد بطلت حجج استودعها مثل هذا الغائب وضاعت أعظم ضياع . فهم أبطلوا حجج الله من حيث زعموا حفظها *

﴿ فلما رد الشيخ ﴾ على ابن المطهر الحلي القول بالمنتظر على أحسن وجه وأراد سد أبواب طرق مناظرتهم وحجاجهم ومعارضتهم على الخضر والاقطاب والاوتاد ونحوهم وأبطل القول بوجودهم وانه ليس من الدين في شيء . ولولا ذلك لامكن ان يقولوا ان القول بالمنتظر كالقول بالخضر والقطب والبدل والوتد وغيرهم لاسيما وحياة الخضر أطول بكثير والقائلون به أكثر فما هو جوابكم فهو جوابنا . فكان من الواجب على الشيخ بيان الحقيقة فى ذلك . واقامة الدليل على نفى وجودهم وكيف يمكن مخاصمة الروافض في المهدي المنتظر وانكاره مع القول بحياة الخضر واثبات الاقطاب ونحوهم فلا شك ان انتقاد النبهانى هنا فى غاية السقوط *

﴿ الوجه الثالث ﴾ اعتراض النبهانى على الشيخ فى تعرضه لبعض من يزعم انه من اهل السنة من الاشعرية والماتريدية وساداته الصوفية فنقول ان الشيخ تكلم على كل من ابتدع وأحدث فى الدين ماليس منه ولم يتخوف من الاسماء فمن خالف الكتاب والسنة واجماع الامة فهو ممن

نعم نعم ضلال الوثنيين. فكيف لا يرد على الخالفين. وكل أحد يؤخذ منه ويرد عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال ذلك امام دار الهجرة. وسنتكلم ان شاء الله تعالى على السنة وماهي ومن اهلها ليعلم ما في كلام النبهاني من الخطل والغلط *

﴿ الوجه الرابع ﴾ ان القول بوجود الخضر وحياته والاعتقاد برجال الغيب وأمثالهم ان كان من واجبات الشريعة وأركان الديانة كالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ووجود الجن ونحو ذلك مما وردت نصوص الكتاب والسنة به. فلم لم ينص عليها في القرآن ولم يرد فيها حديث صحيح فاذا سأل رب العالمين عبدا من عباده وقال له لم لم تؤمن بحياة الخضر الابدية وكذبت بالاقطاب والاوتاد والابدال ونحوهم مما قال به الصوفية. ثم أجابه بقوله يارب العالمين وياخالق السموات والارضين انك كلفت الناس ان يؤمنوا بك وانلم ترك العيون ولم تحط بك الظنون ولكن نصبت لهم دلائل في الآفاق والانفس على وجودك ماعدا ماورد من النصوص على لسان أنبيائك ورسلك واودعت في كل شيء آية تدل على انك الواحد بل كل ذرة من ذرات العوالم هي أعدل شاهد. ثم انك ملأت كتابك الكريم من ذكر الملائكة والرسل والجن وغير ذلك ومما لم نره. ثم ان نبيك صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء كلهم أخبروا بذلك فلذلك اعترفنا وصدقنا بما ذكر * واما الخضر ومن ذكر معه فلم نر في كتابك الكريم آية تدل على خلوده ولا وجوده ووجودهم * وأما ما رواه الكذابون عن نبيك صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال المحققون من أهل العلم انها كذب لا اصل لها بل الوارد خلاف ذلك فكيف يا الهي أومن بامور موهومة واشخاص غير معلومة. وقد انعمت على بعقل أزن فيه الامور واجعله حكما عدلا ودليلا هاديا اذا اعضلت على المقاصد فاذا لم انتفع يا الهي بما انعمت على من نعمة العقل أكون اذا كالنبهاني الغبي اخبط خبط عشواء ولا أفرق بين السماء والماء *

﴿ ثم أقول الهي ﴾ مافائدة القول بوجود الخضر والاقطاب والابدال ونحوهم لا جاهل يستفيد منهم العلم بدينه ولا مظلوم يستصرخهم على دفع ظلمه. والشمس أنت تطلعها وتغيبها والفلك أنت تديره. والقمر أنت تنيره. والكواكب أنت جعلتها زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد. والسحاب أنت تنشئه. والغيث أنت تغيث به عبادك. والمريض أنت تشفيه. والجائع أنت تطعمه. والعطشان أنت تسقيه. وقد أودعت كتابك كل علم وبيان كل حكم وأنزلت

اليوم أكملت لكم دينكم الخ [illegible] فصبر جميل

والله المستعان على ما تصفون *

﴿ الوجه الخامس ﴾ ان النبهاني واضرابه استدلوا على وجوده بذكر قول ابن حجر المكي ونحوه ومن المعلوم ان كلام أمثال هؤلاء لا يفيد في هذا الباب شيئا وقد تقدم ان العمدة عند أهل العلم في مسائل أصول الدين وفروعه على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجماع أهل العلم من هذه الامة ولا تذكر أقوال أهل العلم الا تبعا وبيانا لا أنها المقصودة بالذات والاصالة. ثم المسائل التي لا يلزم بها المجتهد غيره هي ما كان الاجتهاد فيه مساغ ولم تخالف كتابا ولا سنة صريحة ولا اجماعا وما خالف ذلك فهو مردود على قائله ويلزمه أهل العلم بصريح الكتاب والسنة واجماع الامة * قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى ما منا الا راد ومردود عليه الا صاحب هذا القبر يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحسن منه قول الله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا

﴿ وقد قال النبي ﴾ صلى الله عليه وسلم لا الفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الامر من أمري فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ألا واني أوتيت الكتاب ومثله معه فاذا كان رد السنة محرما لا يجوز ولو ردها ظانا ان القرآن لا يدل عليها فكيف رد الكتاب والسنة وعدم الالزام بهما لخلاف أحد من الناس كائنا من كان . والمقصود ان النبهاني واضرابه لم يوردوا على اثبات مقصدهم بدليل يليق ان يتلقى بالقبول. وابن حجر المكي ونحوه من الغلاة هم خصوم الحق وأعداؤه فكيف يسوغ ان نستدل بكلامهم على مالا يقول به أهل الحق *

﴿ الوجه السادس ﴾ ان ماذكره الشيخ لم يذكره الخصم بتمامه بل حرف فيه وغير وحذف منه ما يجب ذكره . ونحن ننقل هنا ما وجدناه من كلامه في مواضع متفرقة واذا جمعت في موضع واحد وتبين دليلها سلم المنصف كلامه وسقط عنده قول من أنكر عليه من الغلاة السالكين غير سبيل المؤمنين . ومن الله التوفيق *

(قال شيخ الاسلام) رحمه الله في اثناء جواب سؤال سأله بعضهم عن الاستغاثة باهل القبور والنذر لهم ونحو ذلك ﴿ وأما سؤال المسائل ﴾ عن القطب الغوث الفرد الجامع *

﴿ فهذا ﴾ قد يقوله طوائف من الناس ويفسرونه بامور باطلة في دين الاسلام مثل تفسير بعضهم

ان الغوث الذي يكون مدد الخلائق بواسطته في نصرهم ورزقهم حتى انه يقولون ان مدد الملائكة وحيتان البحر بواسطته . فهذا من جنس قول النصارى في المسيح والغالية في علي عليه السلام . وهذا كفر صريح يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فانه ليس من المخلوقات لا ملك ولا بشر يكون امداد الخلائق بواسطته ولهذا كان ما تقوله الفلاسفة في العقول العشرة التي قد يزعمون انها الملائكة . وما يقول النصارى في المسيح . ونحو ذلك كفر صريح باتفاق المسلمين وكذلك ان عني بالغوث ما يقول بعضهم ان في الارض ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا . وقد يسميهم النجباء . فينتقى منهم سبعون هم النقباء . ومنهم أربعون هم الابدال . ومنهم سبعة هم الاقطاب . ومنهم أربعة هم الاوتاد . ومنهم واحد هو الغوث وانه مقيم بمكة . وان أهل الارض اذا نابهم نائبة في رزقهم ونصرهم فزعوا الى الثلاثمائة والبضع عشر رجلا وأولئك يفزعون الى السبعين . والسبعون الى الاربعين . والاربعون الى السبعة والسبعة الى الاربعة والاربعة الى الواحد *

(وبعضهم) قد يزيد في هذا وينقص في الاعداد والاسماء والمراتب . فان لهم فيها مقالات متعددة حتى يقول بعضهم انه ينزل من السماء على الكعبة ورقة خضراء باسم غوث الوقت واسم مصره على قول من يقول ان الخضر هو مرتبة وان لكل زمان خضرا فان لهم في ذلك قولين *

﴿ وهذا كله ﴾ باطل لا أصل له لا في كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قال أحد من سلف الامة ولا ائمتها ولا من الشيوخ الكبار المتقدمين الذين يصلحون للاقتداء بهم ومعلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان وعليا كانوا خير الخلق في زمنهم وكانوا بالمدينة ولم يكونوا بمكة . وقد روى بعضهم حديثا في هلال غلام المغيرة ابن شعبة وانه أحد السبعين . والحديث كذب باتفاق أهل المعرفة . وان كان قد روى بعض هذه الاحاديث أبو نعيم في حلية الاولياء . (والشيخ) أبو عبد الرحمن السلمي في بعض مصنفاته فلا تغتر بذلك فانه يروي الصحيح والحسن والضعيف والموضوع والكذب ولا خلاف بين العلماء في انه كذب موضوع . وتارة يروونه على عادة أهل الحديث الذين يروون ما سمعوه ولا يميزون بين صحيحه من باطله . وكان أهل الحديث لا يروون مثل هذه الاحاديث لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من حدث عني بحديث هو يرى انه كذب فهو أحد الكذابين *

﴿ وبالجملة ﴾ فقد علم المسلمون كلهم ان ما ينزل بالمسلمين من النوازل الرغبة والرهبة مثل

ودعائهم عند الكسوف والاعتداء لدفع البلاء ، وأمثال ذلك مما يدعون في مثل ذلك الله وحده لا يشركون به شيئا لم يكن للمسلمين ان يرجعوا بحوائجهم الى غير الله بل كان المشركون في جاهليتهم يدعونه بلا واسطة فيجيبهم الله ، أفتراه بعد التوحيد والاسلام لا يجيب دعائهم الا بهذه الواسطة التي ما أنزل الله بها من سلطان قال تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه الآية ، وقال واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه الآية ، وقال تعالى قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله الآية ، وقال تعالى ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك الى قوله ما كانوا يعملون والنبي صلى الله عليه وسلم استسقى لاصحابه بصلاة الاستسقاء وبغير صلاة ، وصلى بهم للاستسقاء صلاة الكسوف وكان يقنت في صلاته فيستنصر على المشركين كذلك خلفاؤه الراشدون بعده وكذلك أئمة الدين ، ومشائخ المسلمين ما زالوا على هذه الطريقة ولهذا ثلاثة أشياء مالها من أصل ، باب النصارى ومنتظر الرافضة وغوث الجهال ، فان النصارى تدعي في الباب الذي لهم ما هو من هذا الجنس وانه الذي يقيم العالم ، فذاك شخصه موجود لكن دعوى النصارى فيه باطلة ، وأما محمد بن الحسن المنتظر والغوث المقيم بمكة ونحو هذا فانه باطل ليس له أصل في الوجود ولا وجود ، وكذلك ما يزعمه بعضهم من القطب الغوث الجامع يمد أولياء الله ويعرفهم كلهم ونحو هذا ، فهذا باطل فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما لم يكونا يعرفان جميع أولياء الله وعددهم ، فكيف هؤلاء الضالين المفترين الكذابين ورسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم ، انما عرف الذين لم يكن يراهم بسيما الوضوء وهو الغرة والتحجيل ، ومن هؤلاء من أولياء الله مالا يحصيه الا الله ، وأنبياء الله الذين اماءهم وخطيبهم لم يكن يعرف أكثرهم بل قال الله تعالى له ، ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ، وموسى لم يكن يعرف الخضر ، والخضر لم يكن يعرف موسى ، بل لما سلم عليه موسى قال له الخضر واني بارضك السلام فقال له ، انا موسى قال موسى بني اسرائيل . قال نعم ، فكان قد بلغه اسمه وخبره ولم يكن يعرف عينه . ومن قال انه نقيب الاولياء وانه يعلمهم كلهم فقد قال الباطل *

(والصواب الذي عليه المحققون) انه ميت وانه لم يدرك الاسلام ولو كان موجودا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لوجب عليه ان يؤمن به ويجاهد معه كما أوجب الله ذلك عليه وعلى غيره

ولكان يكون بمكة والمدينة ، ولكان يكون حضوره مع الصحابة رضي الله عنهم للجهاد معهم وإعانتهم على الدين أولى له من حضوره عند قوم كفار ليرقع لهم سفينتهم ولم يكن عن خير أمة أخرجت للناس مختفيا ، وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم .

ثم ليس للمسلمين به وبأمثاله حاجة لا في دينهم ولا دنياهم فان دينهم أخذوه عن الرسول صلى الله عليه وسلم النبي الامي الذي علمهم الكتاب والحكمة وقال لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم وعيسى بن مريم اذا نزل من السماء انما يحكم فيهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم فأى حاجة لهم مع هذا الى الخضر او غيره والنبي صلى الله عليه وسلم قد أخبرهم بنزول عيسى من السماء وحضوره مع المسلمين وقال كيف تهلك أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها فاذا كان هذان النبيان الكريمان اللذان هما مع ابراهيم وموسى ونوح أفضل الرسل ومحمد صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم ولم يحتجبوا عن هذه الامة لا عوامهم ولا خواصهم فكيف يحتجب عنهم من ليس مثلهم واذا كان الخضر حيا دائما فكيف لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قط ولا أخبر به أمته ولا خلفاءه الراشدين وقول القائل أنه نقيب الاولياء . فيقال من ولاه النقابة وأفضل الاولياء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وليس فيهم الخضر . وعامة ما يحكى في هذا الباب من حكايات بعضها كذب وبعضها مبني على ظن رجال مثل شخص رأى رجلا ظن أنه الخضر أو قال انه خضر كما أن الرافضة ترى شخصا تظن أنه الامام المنتظر المعصوم او تدعى ذلك . وروى عن الامام أحمد أنه قال وقد ذكر له الخضر . من أحالك على غائب فما انصفك وما القى هذا على السن الناس الا شيطان . وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع *

﴿ اما اذا قصد ﴾ القائل بقوله القطب الغوث الفرد الجامع أنه رجل يكون أفضل أهل زمانه فهذا ممكن لكن من الممكن ان يكون في الزمان اثنان متساويان في الفضل وثلاثة واربعة ولا يجزم بان لا يكون في كل زمان أفضل الناس الا واحدا . وقد يكون جماعة بعضهم افضل من بعض من وجوه وتلك الوجوه اما متقاربة اومتساوية . ثم اذا كان في الزمان رجل هو أفضل أهل الزمان فتسميته الغوث الفرد الجامع بدعة ما انزل الله بها من سلطان ولا تكلم بها احد من سلف الامة وأئمتها وما زال السلف يظنون في بعض أنه أفضل او من افضل أهل زمانه

ولا ينطقون عليه بهذه الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان لا سيما من المتحلين لهذا الاسم من يدعي أن أول هؤلاء الاقطاب هو الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ثم يتسلسل الامر الى ما دونه الى بعض المشايخ المتأخرين وهذا لا على مذهب السنة ولا على مذهب الرافضة فان ابو بكر وعمر وعثمان وعلي والسابقون من المهاجرين الانصار والحسن عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قد كان قارب سن الاحتلام وقد حكي عن بعض الاكابر من الشيوخ المتحلين لهذا الاسم ان القطب الفرد الغوث الجامع ينطبق علمه على علم الله وقدرته على قدرة الله فيعلم ما يعلمه ويقدر على ما يقدر عليه الله وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك وان هذا انتقل منه الى الحسن فتسلسل الى شيخه فبينت له ان هذا كفر صريح . وجهل قبيح . وان دعوى هذا في رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر دع من سواه وقد قال تعالى (قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا اقول اني ملك) وقال تعالى (قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعاً الا ما شاء الله) الآية وقال تعالى (يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) وقال تعالى (قل ان الامر كله لله) وقال تعالى (ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين) والآية بعدها وقال تعالى (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) والله تعالى قد أمرنا ان نطيع رسوله وقد قال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وأمرنا أن نتبعه قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وأمرنا ان نعزره ونوقره وننصره وجعل له من الحقوق ما بينه في كتابه وسنة رسوله حتى أوجب علينا أن يكون أحب الينا من أنفسنا واهلنا فقال تعالى (النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم) وقال تعالي (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم الى قوله الفاسقين وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى أكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وقال له عمر رضي الله عنه يا رسول الله والله لأنت احب الي من كل شيء الا من نفسي فقال يا عمر حتى أكون احب اليك من نفسك فقال فانت احب الى من نفسي قال الآن يا عمر وقال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا لله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار وقد بين في كتابه الحقوق التي لا تصلح

الاله ويصدقون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون المؤمنين بعضهم على بعض كما قد بسطنا ذلك في غير هذا الموضع *

وذلك مثل قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون فالطاعة لله والرسول والخشية لله والتقوى لله وحده . وقوله تعالى (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) فالايتاء لله وللرسول كقوله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الا ان الحلال ما حلله الله ورسوله والحرام ما حرمه الله ورسوله . واما التحسب فهو لله وحده كما قالوا حسبنا الله ولم يقولوا حسبنا الله ورسوله . قال تعالى يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين . أى يكفيك ويكفى من اتبعك من المؤمنين . وهذا هو المقطوع به فى معنى هذه الآية . ولهذا كانت كلمة ابرهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام حسبنا الله ونعم الوكيل *

﴿ الوجه السابع ﴾ فى بيان حجج المنكرين لحياته ﴿ أعنى الخضر ﴾ اليوم . ودلائل خصومهم وبيان الحق الحقيق بالقبول من القولين * اعلم ان العلماء اختلفوا فى حياته اليوم كما اختلفوا فى نبوته فذهب جمع الى انه ليس بحي اليوم وسئل البخاري عنه وعن الياس عليهما السلام هل هما حيان فقال كيف يكون هذا . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم . أى قبل وفاته بقليل لا يبقى على رأس المائة ممن هو اليوم على ظهر الارض أحد . والذى في صحيح مسلم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته ما من نفس منفوسة يأتى عليها مائة سنة وهى يومئذ حية وهذا أبعد عن التأويل . وسئل عن ذلك غيره من الائمة فقرأ وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد . وسئل عنه شيخ الاسلام ابن تيمية فقال لو كان الخضر حيا لوجب عليه ان يأتى الى النبي صلى الله عليه وسلم ويجاهد بين يديه ويتعلم منه . وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا معروفين باسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم فاين كان الخضر حينئذ *

وسئل ابراهيم الحربى عن بقائه . فقال من أحال على غائب لم ينتصف منه . وما القى هذا بين الناس الا الشيطان . ونقل فى البحر عن شرف الدين أبي عبد الله محمد بن أبى الفضل المرسى القول بموته أيضا . ونقله ابن الجوزى عن على بن موسى الرضا رضى الله تعالى عنهما أيضا . وكذا

من إبراهيم بن إسحق الحربي . وقال أيضا سئل أبو الحسين بن المنادي فقبح قول من يقول انه حي . ويحكي القاضي أبو يعلى موته عن بعض أصحاب أحمد . وكيف يعقل وجود الخضر ولا يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة والجماعة ولا يشهد معه الجهاد مع قوله عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لو كان موسى حيا ما وسعه الا ان يتبعني . وقوله عز وجل واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين وثبوت ان عيسى عليه السلام اذا نزل الى الارض يصلي خلف امام هذه الامة ولا يتقدم عليه في مبدأ الامر . ومما أبعد فهم من يثبت وجود الخضر وينسى ما في طي اثباته من الاعراض عن هذه الشريعة . ثم قال وعندنا من المعقول وجوه على عدم حياته *

﴿ أحدها ﴾ ان الذي قال بحياته قال انه ابن آدم عليه السلام لصلبه . وهذا فاسد لوجهين (الاول) انه يلزم ان يكون عمره اليوم ستة آلاف سنة أو أكثر . ومثل هذا بعيد في العادات في حق البشر . (والثاني) انه لو كان ولده لصلبه أو الرابع من أولاده كما زعموا انه وزير ذي القرنين لكان مهول الخلقة مفرط الطول والعرض ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خلق آدم طوله ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص بعده . وما ذكر أحد ممن يزعم رؤية الخضر انه رآه على خلقة عظيمة وهو من أقدم الناس *

﴿ والوجه الثاني ﴾ انه لو كان الخضر قبل نوح عليه السلام لركب معه في السفينة ولم ينقل هذا أحد *

﴿ الثالث ﴾ ان العلماء اتفقوا على ان نوحا عليه السلام لما خرج من السفينة مات من معه ولم يبق غير نسله ودليل ذلك قوله سبحانه وجعلنا ذريته هم الباقين *

﴿ الرابع ﴾ انه لو صح بقاء بشر من لدن آدم الى قرب خراب الدنيا لكان ذلك من أعظم الآيات والعجائب وكان خبره في القرآن مذكورا في مواضع لانه من آيات الربوبية . وقد ذكر سبحانه عز وجل من استحياه الف سنة الا خمسين عاما وجعله آية . فكيف لا يذكر جل وعلا من استحياه أضعاف ذلك *

﴿ الخامس ﴾ ان القول بحيوة الخضر قول على الله تعالى بغير علم وهو حرام بنص القرآن . أما

الخامس الثالث فظاهر من ... الاول فلان حياته لو كانت لدل عليها القرآن او السنة او اجماع الامة . وهذا كتاب الله تعالى فاين فيه حياة الخضر . وهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين مايدل على ذلك بوجه . وهؤلاء علماء الامة فمتى اجمعوا على حياته *

﴿ السادس ﴾ ان غاية مايتمسك به فى حياته حكايات منقولة يخبر الرجل بها انه رأى الخضر فيالله تعالى العجب . هل للخضر علامة يعرفه بها من رآه . وكثير من زاعمى رؤيته يغتر بقوله أنا الخضر ومعلوم انه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله تعالى فمن أين للرائي ان المخبر له صادق لا يكذب *

﴿ السابع ﴾ ان الخضر فارق موسى بن عمران كليم الرحمن ولم يصاحبه . وقال هذا فراق بيني وبينك فكيف يرضى لنفسه بمفارقة مثل موسى عليه السلام ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة الذين لا يحضرون جمعة ولا جماعة ولا مجلس علم . وكل منهم يقول قال لى الخضر جاءنى الخضر أوصاني الخضر . فياعجبا له يفارق الكليم . ويدور على صحبة جاهل لايصحبه الا شيطان رجيم سبحانك هذا بهتان عظيم *

﴿ الثامن ﴾ ان الامة مجمعة على ان الذى يقول أنا الخضر لو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا لم يلتفت الى قوله ولم يحتج به فى الدين ولا مخلص للقائل بحياته عن ذلك الا ان يقول انه لم يأت الى الرسول عليه الصلاة والسلام ولا بايعه . أو يقول انه لم يرسل اليه وفى هذا من الكفر مافيه *

﴿ التاسع ﴾ انه لو كان حيا لكان جهاده الكفار ورباطه فى سبيل الله تعالى ومقامه في الصف ساعة وحضوره الجمعة والجماعة وارشاد جهلة الامة أفضل بكثير من سياحته بين الوحوش فى القفار والفلوات الى غير ذلك . وسيأتى ان شاء الله تعالى ماله وما عليه *

﴿ وشاع الاستدلال ﴾ بخبر لو كان الخضر حيا لزارنى وهو كما قال الحفاظ خبر موضوع لا اصل له ولو صح لاغنى عن القيل والقال . ولا نقطع به الخصام والجدال *

﴿ الذاهبون الى حياته ﴾

ومن الناس من قال بحياته وهو موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية على ماقاله النووي . ونقل عن الثعلبي المفسر ان الخضر نبى معمر على جميع الاقوال محجوب عن أبصار

اكثر الرجال ، وقال ابن الصلاح هو حي اليوم ، وانما ذهب الى انكار حياته بعض المحدثين واستدلوا على ذلك باخبار كثيرة منها ماروى عن ابن عباس انه قال الخضر ابن آدم لصلبه ونسئ له فى أجله حتى يكذب الدجال . ومثله لايقال من قبل الرأى

ومنها ما أخرجه ابن عساكر عن ابن اسحق قال حدثنا أصحابنا ان آدم عليه السلام لما حضره الموت جمع بنيه فقال يابنى ان الله تعالى منزل على أهل الارض عذابا فليكن جسدى معكم فى المغارة حتى اذا هبطتم فابعثوا بى وادفنونى بارض الشام فكان جسده معهم فلما بعث الله تعالى نوحا ضم ذلك الجسد وأرسل الله تعالى الطوفان على الارض فغرقت زمانا فجاء نوح حتى نزل بابل وأوصى بنيه الثلاثة ان يذهبوا بجسده الى المغار الذى أمرهم ان يدفنوه به فقالوا الارض وحشة لاأنيس بها ولا نهتدى الطريق ولكن كف حتى يامن الناس ويكثروا فقال لهم نوح ان آدم قد دعا الله تعالى ان يطيل عمر الذى يدفنه الى يوم القيامة فلم يزل جسد آدم حتى كان الخضر هو الذى تولى دفنه فانجز الله تعالى له ماوعده فهو يحيا الى ماشاء الله تعالى له ان يحيا وفى هذا سبب طول بقائه وكانه سبب بعيد والا فالمشهور فيه انه شرب من عين الحياة حين دخل الظلمة مع ذى القرنين وكان على مقدمته * ومنها ماأخرجه الخطيب وابن عساكر عن على رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفى وأخذنا فى جهازه خرج الناس وخلا الموضع فلما وضعته على المغتسل اذا بهاتف يهتف من زاوية البيت باعلى صوته لاتغسلوا محمداً فانه طاهر مطهر فوقع فى قلبي شيء من ذلك وقلت وتلك من أنت فان النبي صلى الله عليه وسلم بهذا أمرنا وهذه سنته واذا بهاتف آخر يهتف بى من زاوية البيت باعلى صوته غسلوا محمداً فان الهاتف الاول كان ابليس الملعون حسد محمدا صلى الله عليه وسلم ان يدخل قبره مغسولا فقلت جزاك الله تعالى خيرا قد أخبرتني بأن ذلك ابليس فمن أنت قال أنا الخضر حضرت جنازة محمد صلى الله عليه وسلم وعن على كرم الله وجهه قال بينا انا اطوف بالبيت اذا رجل متعلق باستار الكعبة يقول يامن لايشغله سمع عن سمع ويامن لاتغلطه المسائل ويامن لايتبرم بالحاح الملحين اذقنى برد عفوك وحلاوة رحمتك قلت ياعبد الله اعد الكلام قال اسمعته قلت نعم قال والذى نفس الخضر بيده وكان هو الخضر لايقولهن عبد دبر الصلاة المكتوبة الا غفرت ذنوبه وان كانت مثل رمل عالج وعدد المطر وورق الشجر *

ومنها ما اخرجه ايضا الحاكم في المستدرك عن جابر قال لما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واجتمع الصحابة دخل رجل اشهب اللحية جسيم صبيح فتخطى رقابهم فبكى ثم التفت الى الصحابة فقال ان في الله تعالى عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفا من كل هالك فالى الله تعالى فانيبوا واليه تعالى فارغبوا ونظره سبحانه اليكم في البلاء فانظروا فانما المصاب من لم يجبر . فقال ابو بكر وعلي رضي الله تعالى عنهما هذا الخضر عليه السلام الى غير ذلك مما لم يدل على حياته اليوم بل يدل على انه كان حيا في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يلزم من حياته اذ ذاك حياته اليوم والنافون اجابوا عن هذه الاحاديث وقالوا ان الاخبار التي ذكر فيها الخضر عليه السلام وحياته كلها كذب ولا يصح في حياته حديث واحد ومن ادعى الصحة فعليه البيان *

ثم ان المشايخ لم يتفقوا على القول بحياته فقد نقل الشيخ صدر الدين اسحق القونوي في كتابه تبصرة المبتدي وتذكرة المنتهي ان وجود الخضر عليه السلام في عالم المثال . وذهب عبد الرزاق الكاشي الى ان الخضر عبارة عن البسط والياس عن القبض . وذهب بعضهم الى ان الخضرية رتبة يتولاها بعض الصالحين على قدم الخضر الذي كان في زمن موسى عليهما السلام الى غير ذلك من الاقوال المذكورة في روح المعاني . وفيه ايضا ثم اعلم بعد كل حساب ان الاخبار الصحيحة النبوية والمقدمات الراجحة العقلية تساعد القائلين بوفاته اي مساعدة . وتعاضدهم على دعواهم اي معاضدة . ولا مقتضى للعدول عن تلك الاخبار الا مراعاة ظواهر الحكايات المروية والله اعلم بصحتها عن بعض الصالحين الاخيار . هذا ملخص ما في تفسير روح المعاني مما يرغم انف النبهاني . فتمسك بما قاله ائمة المحدثين . فهم اعلم الناس بشريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين *

﴿ الوجه الثامن ﴾ من الوجوه الدالة على فساد قول النبهاني ان ما نقله عن ابن حجر المكي وما وقع له مع شيخه وابي يحيى زكريا الانصاري قال الشيخ ابن حجر وكان منكرا للاقطاب والابدال هكذا ياشيخ محمد وكرر ذلك عليه حتى قال له الشيخ محمد يامولانا شيخ الاسلام آمنت بذلك وصدقت به وقد تبت فقال هذا هو الظن بك الخ لا يقوم حجة على المنكرين اذ مدار الاستدلال على الكتاب والسنه لا بمثل قول ابي يحيي للشيخ محمد عند انكاره هكذا ياشيخ محمد مكررا ذلك

ومثل هذه الخرافات ما يحكى عن بعضها أرباب العقول السليمة في روح المعاني عند الكلام على قوله تعالى ولقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا بعد نقل عبارة الفتوحات في النقباء من أنواع الاولياء قال وقد عد الشيخ أنواعا كثيرة والسلفيون ينكرون اكثر تلك الاسماء في بعض فتاوى ابن تيمية * وأما الاسماء الدائرة على السنة كثير من النساك والعامة مثل الغوث الذي بمكة والاوتاد الاربعة والاقطاب السبعة والابدال الاربعين والنجباء الثلاثمائة فهي ليست موجودة في كتاب الله تعالى ولا هي مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا باسناد صحيح ولا ضعيف محتمل الا لفظ الابدال فقد روى فيهم حديث شامي منقطع الاسناد عن على كرم الله وجهه مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان فيهم يعني أهل الابدال أربعين رجلا كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلا ولا توجد أيضا في كلام السلف انتهى غير انى رأيت في موضع آخر من روح المعاني عند الكلام على قوله تعالى (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) مانصه . ولهم في تعريفه عبارات شتى تقدم بعضها . وفي الفتوحات هو الذي تولاه الله تعالى في مقام مجاهدته الاعداء الاربعة الهوى والنفس والشيطان والدنيا وفيها تقسيم الاولياء الى عدة أقسام منها الاقطاب والاوتاد والابدال والنقباء والنجباء وقد ورد ذلك مرفوعا وموقوفا من حديث عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وأنس وحذيفة بن اليمان وعبادة بن الصامت وابن عباس وعبد الله بن عمر وابن مسعود وعوف بن مالك ومعاذ بن جبل وواثلة بن الاسقع وأبي سعيد الخدرى وأبي هريرة وأبي الدرداء وام سلمة . ومن مرسل الحسن وعطاء وبكر بن خنيس ومن الآثار عن التابعين ومن بعدهم مالا يحصى وقد ذكر ذلك الجلال السيوطي في رسالة مستقلة له وشيد أركانه وأنكره كما قدمنا بعضهم والحق مع المثبتين وأنا والحمد لله تعالى منهم وان كنت لم أشيد قبل أركان ذلك والائمة والحواريون والرجبيون والختم والملامية والفقراء وسقيط الرفرف بن ساقط العرش والامناء والمحدثون الى غير ذلك . وفي موضع آخر من تفسير روح المعاني عند تفسير قوله تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قال بعد كلام طويل ان الآية متضمنة الوعد منه عز وجل لاهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم بأنهم ان ينتهوا عما ينهون عنه ويأتمروا بما يأمرهم به

[illegible] الاصالة [illegible] أهل محبة [illegible] وفيه [illegible]
أحوالهم وترتب الآثار الجليلة عليها تعظما ويكون هذا خصوصية لهم ومزية على من عداهم من حيث ان أولئك الاغيار اذا اتبعوا واتحروا لا يقطع لهم بحصول ذلك ولذا تجد عباد أهل البيت أتم حالا من سائر العباد المشاركين لهم في العبادة الظاهرة وأحسن أخلاقا وأزكى نفسا واليهم تنتهي سلاسل الطرائق التي مبناها كما لا يخفى على سالكيها التخلية والتحلية اللتان هما جناحان للطيران الى حظائر القدس والوقوف على اركان الانس حتى ذهب قوم الى أن القطب في كل عصر لا يكون الا منهم خلافا للاستاذ أبي العباس المرسي حيث ذهب كما نقل عنه تلميذه التاج بن عطاء الله الى أنه قد يكون من غيرهم . قال ورأيت في مكتوبات الامام الفاروقي الرباني مجدد الالف الثاني ما حاصله ان القطبية لم تكن على سبيل الاصالة الا لائمة أهل البيت المشهورين ثم أنها صارت بعدهم لغيرهم على سبيل النيابة عنهم حتى انتهت النوبة الى السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني فنال مرتبة القطبية على سبيل الاصالة فلما عرج بروحه القدسية الى أعلى عليين نال من نال بعده تلك الرتبة على سبيل النيابة عنه فاذا جاء المهدي ينالها اصالة كما نالها غيره من الائمة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين انتهى . ثم قال بعد ذلك واقول ان السيد الشيخ عبد القادر قد نال ما نال من القطبية بواسطة جده عليه الصلاة والسلام على اتم وجه واكمل حال فقد كان رضى الله تعالى عنه من أجلة أهل البيت حسنيا من جهة الاب حسينيا من جهة الام لم يصبه نقص لوان وعسى وليت ولا ينكر ذلك الا زنديق او رافض ينكر صحبة الصديق انتهت روح المعانى وأنت تعلم مما اسلفناه اليك ان هذا الكلام ساقط عن الاعتبار عند المحققين من الحفاظ وأئمة المحدثين اذ ليس لهم على ذلك دليل يعتمد عليه لا من الكتاب ولا من السنة النبوية الصحيحة ولا تنظر الى من قال وانظر الى ما قال وقد تحصل من جميع ما ذكرناه ان ماذهب اليه شيخ الاسلام هو الحق الذى اقتضاه الكتاب والسنة وما يخالفه ساقط لا يلتفت اليه والله ولى التوفيق *

﴿ قال النبهانى ﴾ وها انا ارجع الى الكلام على منهاج السنة للامام ابن تيمية فاقول لما كان كثير من طلبة العلم في هذا لزمان فضلا عن العوام غير ماهرين في علم الكلام ومعرفة ما يخالف او يوافق العقيدة الصحيحة من ابحاثهم الدقيقة التى لا يهتدى لمعرفتها والتفريق بين

الحق والباطل منها الا اكابر علماء الاسلام الذين نضجوا وناظروا طويلا من أعمارهم في مباحث علم الكلام وكان من الواجب على علماء أهل السنة والجماعة من الاشعرية والماتريدية وهم أهل المذاهب الثلاثة وبعض الحنابلة أيضا أن يحذروا العوام وضعاف الطلبة من مطالعة هذين الكتابين لكثرة ما فيهما من خلط الحق بالباطل والرد على أهل السنة والجماعة بحجج مزخرفات ربما لا يهتدى لدفعها القاصرون من طلبة العلم فضلا عن العوام قال وقد تقدم في كلام الامام السبكي أنه رد على كتابه العقل والنقل فرده هو لا شك من الجهات التي خالف بها أهل السنة ورد عليهم مثل الامام الاشعري وغيره *

﴿ ثم انه نقل عن الزبيدي ﴾ ما يؤيد قوله من ان أهل السنة هم الاشاعرة ونحوهم وعن التاج السبكي ووالده مثل ذلك وانه لا فرق بين الاشاعرة وبين الماتريدية الا في مسائل • ثم أنه نقل أيضا عن الزبيدي أيضا ان السبكي شرحا على قصيدة ابن زفيل الحنبلي التي رد فيها على الاشاعرة واضرابهم • وهي التي يقول فيها *

ان كنت كاذبة الذى حدثتني * فعليك اثم الكاذب الفتان
جهم بن صفوان وشيعته الألى * جحدوا صفات الخالق الديان
بل عطلوا منه السموات العلى * والعرش أخلوه من الرحمن
والعبد عندهم فليس بفاعل * بل فعله كتحرك الرجفان

اعلم ان هذه الابيات من نونية ابن القيم رحمه الله تعالى وهي المسماة بالكافية الشافية ولم نسمع ان أحد اسماه ابن زفيل وكلامه يوهم أنه شخص آخر وهكذا شأن الغلاة ديدنهم ودينهم تحريف الكلم عن مواضعه والسبكي ليس من رجال هذه المنظومة حتى يكتب عليها شيأ ومن ادعى غير ما ذكرناه فعليه البيان حتى نتكلم عليه بما يجب • ثم نقل من شرح السبكي على هذه الابيات ذم علم الكلام وذم الشيخ ابن تيمية وأصحابه بسبب قولهم في المسائل المختارة للشيخ وما افتراه عليهم خصومهم وبعد ان فرغ من عبارة السبكي التي نقلها الزبيدي • قال النبهاني اذا علمت ذلك أيها المسلم الشافعي او الحنفي او المالكي او الحنبلي الصالح الموفق تعلم أنه يجب عليك الحذر التام من كتب الامام ابن تيمية وجماعته المتعلقة بالعقائد لئلا تهوى في مهواة الضلال ولا ينفعك الندم بعد ذلك بحال من الاحوال واياك ان تغتر بكلام السيد نعمان

أفندي الآلوسي البغدادي في كتابه جلاء العينين وظن انه حنفي من أهل السنة والجماعة فهو بهذا الكتاب قد خرج عن حنفيته وسنيته وصار من جماعة ابن تيمية ناصرا لمذهبه مذهب الوهابية عفا الله عنه وعنهم أجمعين فانهم لا شك من جملة المسلمين وان كانوا قد خالفوا أهل السنة مبتدعين . وهم انما يغررون أهل الاسلام من ضعاف الطلبة والعوام بقولهم أنهم على مذهب السلف ثم نقل بعض العبارات عن كتاب المنهاج زعم ان فيها اثبات الجهة الى آخر هذيانه . (وحاصل كلامه) الطويل . السخيف العليل . أنه حذر طلبة العلم من مطالعة كتب ابن تيمية ولا سيما كتاب العقل والنقل والمنهاج ومن كتاب جلاء العينين فان تلك الكتب مخالفة لعقائد أهل السنة وان مؤلف جلاء العينين بسبب الذب عن ابن تيمية وابطال بهتان ابن حجر خرج عن حنفيته وسنيته وله الفضل حيث لم يخرجه أيضا عن حنيفيته . وان ابن تيمية قائل بالجهة . هذا حاصل جميع هذيانه في هذا المقام . والله المستعان . وقد جعل الموافقين لابن تيمية مبتدعة . وقد ذكر ذلك الكلام مرارا . واعاده مرة بعد أخرى *

﴿ أقول في الجواب عن غلطه ﴾ انا قد قدمنا الكلام على كتب الشيخ ابن تيمية مفصلا وذكرنا ماذكرنا من تقاريظ أهل العلم عليها . وما قالوه من الثناء الذي لم يكن لغيرها وهي الكتب التي فتح الله بها عيونا عميا وآذانا صما . وقلوبا غلفا . وكانت من بعض آيات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ان كان فرد من افراد أمته بلغ ما بلغ من العلم بحمد الله وتوفيقه ويقال للنبهاني كما أنشدناه سابقا *

﴿ قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم ﴾

ويقال له أيضا من أين لك علم بعلم الكلام بل بعلم من العلوم فان كتابك هذا الذي نراه من أوضح الدلائل على وجلك وغباوتك *

﴿ فان كنت لاتدري فتلك مصيبة * وان كنت تدري فالمصيبة أعظم ﴾

ويقال له أيضا ان كان لك علم وفهم فلم لم تنصح نفسك وتردعها عن سلوك هذا المسلك الذي أنت متلوث به والنفس مقدمة على الغير . وما أحسن ماقيل *

﴿ ياأيها الشيخ المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم ﴾

ويقال له أيضا لم لم تنصح ان كان لك فهم وذوق عن مطالعة الكتب التي تصادم الشريعة الغراء

وتناقضه ككتب الشيخ محي الدين ابن العربي واضرابه من المتصوفة التي تقشعر من سماعها جلود المؤمنين . قال الشيخ محي الدين عند الكلام على تفسير قوله تعالى برواية أبي زرعة ان الذين كفروا الآية (ان الذين كفروا) ستروا محبتهم (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) استوى عندهم انذارك وعدم انذارك لما جعلنا عندهم (لا يؤمنون) بك ولا يأخذون عنك انما يأخذون عنا . (ختم الله على قلوبهم) فلا يعقلون لا عنه . (وعلى سمعهم) فلا يسمعون الا منه . (وعلى أبصارهم غشاوة) فلا يبصرون الا اليه . ولا يلتفتون اليك و لى ما [illegible] بما جعلناه عندهم والقيناه اليهم (ولهم عذاب) من العذوبة (عظيم) انتهى . ولكن السهوني واضرابه من الغلاة يذبون عن مثل هذه الكتب ويحنون على ظاهرها . و [illegible] كتب [illegible] الداعية الى توحيد الله وهكذا شأن علماء أهل الكتاب وأحبارهم . (وقد قال الجاحظ) من الائمة في كتابه هداية الحيارى عند رده على من طعن في علم الصحابة رضي الله تعالى عنهم . [illegible] من كلام طويل . وما يدريكم معاشر المثلثة وعباد الصليب وأمة اللعنة والغضب [illegible] ومسمى هذا الاسم حيث تسلبونه أصحاب محمد الدين هم ولا [illegible] [illegible] يميز بين العلماء والجهال ويعرف مقادير العلماء الا من هو من جملتهم . ومعدود في زمرتهم فاما طائفة سبه الله علماؤها بالحمير التي تحمل الاسفار . [illegible] [illegible] أمة من الامم فيمن تعظمه وتجله وتأخذ دينها عن كل كاذب ومفتر على الله [illegible] كمثل عريان يحارب شاكي السلاح . [illegible] ولا يستكثر على من قال في الله ورسوله ما قال ان يقول في أعلم الخلق [illegible]

(فليهن أمة) الغضب علم التاموز وما فيه من الكذب على الله [illegible] لهم أحبارهم وعلماء السوء منهم كل وقت [illegible] علوم [illegible] على ان الله [illegible] حتى [illegible] عليه وبكى على الطوفان حتى رمد [illegible] الملائكة [illegible] (و [illegible]) الضلال علومهم التي فارقوا بها شرائع الانبياء [illegible] في كل أمره وعلومهم التي [illegible] بها في رب العالمين [illegible] تكاد السموات [illegible] والارض تنفطر . [illegible] التثليث وعبادة خشبة الصليب [illegible]

طينة آدم هي التي عامت على الصلبوت . وان الشعر الذي ذرعت به السموات هو الذي سمر على الخشبه . وقول عالمكم الآخر من لم يقل ان مريم والدة الله فهو خارج عن ولاية الله انتهى ما قصدنا نقله وبقي منه كلام طويل من أراده فليرجع اليه *

﴿ سمعت أيها النبهاني ﴾ ما قال اخوانك وما قيل لهم . فوازن بين كلامهم وطعنهم على أهل الحق وعلومهم . وبين كلامك وقدحك في كتب السنة والدين الخالص . ووازن بين ما أجيبوا به وما أجيب به . ولقد تشابهت قلوبكم . وتوافقت مثالبكم وعيوبكم . كل ذلك أيها النبهاني من جهلك الذي أنت فيه . وهو الذي أوقعك في مهواة البلاء وعجبك بنفسك . وتكبرك الذي دعاك الى ان تضرب بسهم مع الافاضل وأرباب التقوى مع انك كما قال القائل *

﴿ نزلوا بمكة في قبائل هاشم　　ونزلت في البيداء ابعد منزل ﴾

﴿ ثم نقول ﴾ ان ما ادعاه النبهاني تبعا لاسلافه ان الاشاعره والماتريديه هم أهل السنة وان من كان على طريقه السلف كشيخ الاسلام ابن تيمية هم من المبتدعه كلام لا أظنه يصدر عن ذي فهم ولا معرفة . ولا بد من الكلام على تحقيق هذه المسأله وبيان المراد بالسنة والبدعة لتمييز الحق من الباطل ويعلم به ان الاحق باسم المبتدع هو هذا الخصم الالد ومن على منهجه من اسلافه العلماء رحمهم الله تعالى وخذلهم ﴿ اعلم ﴾ ان أهل السنة والجماعه هم أهل الاسلام والتوحيد المتمسكون بالسنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقائد والنحل والعبادات الباطنة والظاهرة الذين لم يسلكوا ما ابتدع أهل الاهواء وأهل الكلام في أبواب العلم والاعتقادات ولم يخرجوا عنها في باب العمل والارادات كما عليه جهال أهل الطرايق والعبادات فان السنة في الاصل تقع على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما سنه أو امر به من أصول الدين وفروعه حتى الهدى السمت ثم خصت في بعض الاطلاقات بما كان عليه أهل السنة من اثبات الاسماء والصفات خلافا للجهمية المعطلة النفاة وخصت باثبات القدر . ونفي الجبر خلافا للقدرية النفاة وللجبرية العصاة . وتطلق أيضا على ما كان عليه السلف الصالح في مسائل الامامة والتفضيل والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من اطلاق الاسم على بعض مسمياته لانهم يريدون بمثل هذا الاطلاق التنبيه على ان المسمى ركن أعظم [illegible] أو ان المخالف فيه خارج عن السنة فلا بد من ملاحظة الفارق بينهم وبين غيرهم .

ولذلك سمى العلماء كتبهم في هذه الاصول كتب السنة للالكائي . والسنة لابي بكر الاثرم والسنة للخلال . والسنة لابن خزيمة . والسنة لعبد الله بن أحمد . ومنهاج السنة لشيخ الاسلام ابن تيمية وغيرهم فما قاله النبهاني ان في كتب ابن تيمية التي ذكرها حكم على أهل السنة والجماعة بالتكفير والاشراك كذب ظاهر وبهت جلي ما قيل ولا صدر فضلا عن كونه عرف واشتهر وآحاد العامة فضلا عن الخاصة لا يخفى عليهم ان الشيخ وأصحابه كانوا من أكابر أهل السنة والجماعة . وانهم تصدوا للرد على المبطلين . والمشركين من اليهود والنصارى والصابئة والفلاسفة وعباد القبور والمشائخ . ولم يكفروا غير هذه الطوائف ومن ضاهاهم كغلاة الجهمية . والقدرية والرافضة . هذا يعرفه كثير من العوام ﴿ فما قاله النبهاني ﴾ من ان الشيخ ابن تيمية رد في كتابه منهاج السنة وكتاب العقل والنقل على أهل السنة لا أصل له . بل انه رد على الغلاة من عبدة القبور . وتسمية هؤلاء أهل سنة وجماعة جهل عظيم بحدود ما أنزل الله على رسوله وقلب للمسميات الشرعية وما يراد من الاسلام والايمان والشرك والكفر . قال تعالى الاعراب أشد كفراً ونفاقا واجدر ان لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله . (والنبهاني) وأمثاله أجدر من أولئك بالجهل وعدم العلم بالحدود لغربة الاسلام وبعد العهد بآثار النبوة كما أفاده العلامة الشيخ عبد اللطيف في منهاجه . (وظن النبهاني) ان دعاء غير الله والعمل بغير الشريعة الاحمدية والقول بالحلول والاتحاد لا يخرجه عن جادة الحق مع الاتيان بالشهادتين مع انه لا يشترط في ذلك ان يكفر المكلف بجميع ما جاء به الرسول . بل يكفي في الكفر والردة والعياذ بالله تعالى ان يأتي بما يوجب ذلك ولو في بعض الاصول . وهذا ذكره الفقهاء من كل مذهب وهو من عجيب جهل النبهاني وأمثاله من الغلاة . لانه يعرفه المتدوِّن في الفقه والعلم ومن أراد الوقوف على جزئيات . وفروع في الكفر والردة فعليه بما صنف في ذلك كالاعلام لابن حجر . وما عقده الفقهاء من أهل كل مذهب في باب حكم المرتد *

﴿ قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الرسالة السنية ﴾ لما ذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين وأمره النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم قال فاذا كان على عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وخلفائه ممن انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة حتى امر صلى الله عليه وسلم بقتاله . فليعلم ان المنتسب الى الاسلام والسنة في هذه الازمان قد يمرق أيضا من الاسلام

وذلك بأسباب منها الغلو الذي ذمه الله في كتابه حيث قال يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الآية وعلى رضي الله عنه حرق الغالية من الرافضة فأمر بأخاديد خدت لهم عند باب كندة فقذفوا فيها واتفق الصحابة على قتلهم لكن ابن عباس كان مذهبه أن يقتل بالسيف بلا تحريق وهو قول أكثر الصحابة وقصتهم معروفة عند العلماء وكذلك الغلو في بعض المشائخ بل الغلو في على ابن أبي طالب بل الغلو في المسيح ونحوه فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يقول ياسيدى فلان أنصرني أوأغثني أوارزقني أوأجرني أو أنا في حسبك ونحو هذه الاقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فان الله تعالى انما أرسل الرسل وانزل الكتب ليعبد وحده لا يجعل معه الها آخر والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والاصنام لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلائق وتنزل المطر وتنبت النبات انما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أوصورهم ويقولون مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عندالله فبعث الله رسوله ينهى ان يدعى أحد من دونه لادعاء عبادة ولا دعاء استغاثة . وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب * ﴿ قال طائفة ﴾ من السلف كان أقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة فانزل الله هذه الآية ثم ذكر آيات في المعنى انتهى *

﴿ وقال شيخ الاسلام أيضا ﴾ في الفرقان بين الحق والباطل وأهل الضلال الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وهم كما قال مجاهد أهل البدع والشبهات يتمسكون بما هو بدعة في الشرع ومشتبه في العقل كما قال فيهم الامام أحمد قال هم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب متفقون على مخالفة الكتاب يحتجون بالمتشابه من الكلام ويضلون الناس بما يشبهون عليهم والموافقة من أهل الضلال يجعل لها دينا وأصول دين قد ابتدعوه برأيهم ثم يعرضون على ذلك القرآن والحديث فان وافقه احتجوا به اعتقادا لا اعتمادا وان خالفه فتارة يحرفون الكلم عن مواضعه ويتأولونه على غير تأويله وهذا فعل أئمتهم وتارة يعرضون عنه ويقولون نفوض معناه الى الله وهذا فعل عامتهم وعمدة الطائفتين في الباطن غير ماجاء به الرسول يجعلون أقوالهم البدعية محكمة يجب اتباعها واعتقاد موجبها والمخالف اما كافر واما جاهل لا يعرف هذا الباب وليس له

عن بالمعقول ولا بالأصول ويعرضون كلام الله ورسوله على ذلك فيجعلونه من المتشابه الذي لا يعرف معناه الا الله او لا يعرف معناه الا الراسخون في العلم والراسخون عندهم من كان موافقا لهم على ذلك القول وهؤلاء أضل ممن تمسك بما تشابه عليه من آيات الكتاب وترك المحكم كالنصارى والخوارج وغيرهم اذ كان هؤلاء أخذوا بالمتشابه من كلام الله وجعلوه محكما وجعلوا المحكم متشابها وأما أولئك كنفاة الصفات من الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم وكالفلاسفة فيجعلون ما ابتدعوه هم برأيهم هو المحكم الذى يجب اتباعه وان لم يكن معهم من الانبياء والكتاب والسنة ما يوافقه ويجعلون ما جاءت به الانبياء وان كان صريحا قد يعلم معناه بالضرورة يجعلونه من المتشابه ولهذا كان هؤلاء أعظم مخالفة للانبياء من جميع أهل البدع حتى قال يوسف بن اسباط وعبد الله بن المبارك وغيرهما كطائفة من أصحاب احمد ان الجهمية نفاة الصفات خارجون عن الثنتين وسبعين فرقة *

قالوا وأصولها أربعة الشيعة والخوارج والمرجئة والقدرية . وقد ذكرنا فى غير هذا الموضع ان قوله تعالى منه آيات محكمات هن ام الكتاب وأخر متشابهات . في المتشابهات قولان أحدهما انها آيات بعينها تتشابه على كل الناس . والثانى وهو الصحيح أن التشابه امر نسبي فقد تشابه عند هذا ما لا يتشابه عند غيره ولكن ثم آيات محكمات لا يتشابه فيها على أحد . وتلك المتشابهات اذا عرف معناها صارت غير متشابهة بل القول كله محكم كما قال أحكمت آياته ثم فصلت . وهذا كقوله الحلال بين والحرام بين وبين ذلك امور لا يعلمهن كثير من الناس وكذلك قولهم ان البقر تشابه علينا *

﴿ وقد صنف ﴾ أحمد كتابا فى الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله وفسر تلك الآيات كلها وذمهم على أنهم تأولوا ذلك المتشابه على غير تأويله وعامتها آيات معروفة قد تكلم العلماء فى تفسيرها مثل الآيات التي سأل عنها نافع ابن الازرق لابن عباس قال الحسن البصرى ما أنزل الله آية الا وهو يحب ان يعلم فيم أنزلت وماذا عنى بها ومن قال من السلف ان المتشابه لا يعلم تأويله الا الله فقد اصاب أيضا ومراده بالتأويل ما استأثر الله بعلمه مثل وقت الساعة ومجئ اشراطها ومثل كيفية نفسه وما اعده في الجنة لاوليائه وكان من اسباب نزول الآية احتجاج النصارى بما تشابه عليهم كقوله

الأوثان . وهذا يعرف العالم أن المراد به الواحد العظيم الذي له أعوان لم يرد به أن الآلهة ثلاثة فتأويل هذا الذي هو تفسيره يعلمه الراسخون ويفرقون بين ما قيل فيه إياي . وما قيل فيه إنا بدخول الملائكة فيما يرسلهم فيه اذ كانوا رسله وأما كونه هو المعبود الإله فهو له وحده ولهذا لا يقول قط إيانا فاعبدوا ولا إيانا فارهبوا بل حيث جاء الأمر بالعبادة والتقوى والخشية والتوكل ذكر نفسه وحده باسمه الخاص واذا ذكر الافعال التي يرسل فيها الملائكة قال (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق ونحو ذلك مع ان تأويل هذا وهو حقيقة مادل عليه من الملائكة وصفاتهم وكيفية ارسال الرب لهم لا يعلمه الا الله . كما قد بسط في غير هذا الموضع *

﴿ والمقصود ﴾ هنا أن الواجب أن يجعل ما قاله الله ورسوله هو الاصل ويتدبر معناه ويعقل ويعرف برهانه ودليله . اما العقلي . واما الخبري السمعي ويعرف دلالة القرآن على هذا وهذا ويجعل أقوال الناس التي قد توافقه وتخالفه متشابهة مجملة *

﴿ فيقال ﴾ لاصحاب هذه الالفاظ يحتمل كذا وكذا ويحتمل كذا وكذا فان ارادوا بها مايوافق خبر الرسول قبل وان أرادوا بها مايخالفه رد . وهذا مثل لفظ المركب والجسم والمتحيز والجوهر والجهة والعرض ونحو ذلك ولفظ الحيز ونحو ذلك فان هذه الالفاظ مالا يوجد في الكتاب والسنة بالمعني الذي يريده أهل هذا الاصطلاح بل ولا في اللغة أيضا بل هم يختصون بالتعبير بها على معان لم يعبر غيرهم عن تلك المعاني بهذه الالفاظ فيفسر تلك المعاني بعبارات أخرى ويبطل ما دل عليه القرآن من الادلة العقلية والسمعية . واذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من الباطل وعرف وجه الكلام على أدلتهم فانها ملفقة من مقدمات مشتركة ياخذون اللفظ المشترك في احدى المقدمتين بمعنى وفي المقدمة الاخرى بمعنى آخر فهو في صورة اللفظ دليل وفي المعني ليس بدليل كمن يقول سهيل بعيد من الثريا لا يجوز ان يقترن بها ولا يتزوجها والذي قال *

ايها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان

اراد امرأة اسمها الثريا ورجلا اسمه سهيل * ثم قال عمرك الله الخ

هي شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يماني

[illegible] لفظ مشترك يحتمل [illegible] من [illegible] الظاهر [illegible] وقد بسط

الكلام على ادلتهم المفصلة فى غير موضع *

﴿ والاصل ﴾ الذى بنى عليه نفاة الصفات وعطلوا ما عطلوا حتى صار منتهاهم الى قول فرعون

الذى جحد الخالق وكذب رسوله موسى فى ان الله كلمه هو استدلالهم على حدوث العالم بان

الاجسام محدثة * واستدلالهم على ذلك بانها لا تخلو من الحوادث ولم تسبقها وما لم يخل من

الحوادث ولم يسبقها فهو محدث * وهذا أصل قول الجهمية الذين اطبق السلف والائمة على ذمهم *

واصل قول المتكلمين الذين اطبقوا على ذمهم * وقد صنف الناس مصنفات متعددة فيها أقوال

السلف والائمة فى ذم الجهمية وفى ذم هؤلاء المتكلمين والسلف لم يذموا جنس الكلام فان

كل آدمى يتكلم ولا ذموا الاستدلال والنظر والجدل الذى أمر الله به رسوله والاستدلال

بما بينه الله ورسوله بل ولا ذموا كلاما هو حق بل ذموا الكلام الباطل وهو المخالف للكتاب

والسنة وهو المخالف للعقل أيضا وهو الباطل *

﴿ فالكلام ﴾ الذى ذمه السلف هو الكلام الباطل وهو المخالف للشرع والعقل ولكن

كثيرا من الناس خفى عليه بطلان هذا الكلام فمنهم من اعتقده موافقا للشرع والعقل حتى

اعتقد ان ابراهيم الخليل استدل به ومن هؤلاء من يجعله أصل الدين ولا يحصل الايمان اولا

يتم الا به ولكن من عرف ما جاء به الرسول وما كان عليه الصحابة علم بالاضطرار ان الرسول

والصحابة لم يكونوا يسلكون هذا المسلك فصار من عرف ذلك يعرف ان هذا بدعة وكثير

منهم لا يعرف أنه فاسد بل يظن مع ذلك أنه صحيح من جهة العقل لكنه طويل او تبعد المعرفة

اوهو طريق مخيفة مخطر يخاف على سالكه فصاروا يعيبونه كما يعاب الطريق الطويل والطريق

المخيف مع اعتقادهم انه يوصل الى المعرفة وانه صحيح فى نفسه واما الحذاق العارفون بحقيقته

فعلموا انه باطل عقلا وشرعا وانه ليس بطريق موصل الى المعرفة بل انما يوصل لمن اعتقد

صحته الى الجهل والضلال ومن تبين له تناقضه اوصله الى الحيرة والشك ولهذا صار حذاق

سالكيه ينتهون الى الحيرة والشك اذ كان حقيقته ان كل موجود فهو حادث مسبوق بالعدم

وليس فى الوجود قديم وهذا مكابرة فان الوجود مشهود وهو اما حادث واما قديم والحادث

لا بد له من قديم فثبت وجود القديم على التقديرين *

وأولئك ما يثبتونه في هذه الطريق انما يستفاد من الاستدلال بالممكن على الواجب ثم يبطل من ذلك كما قد بسط ذلك في غير هذا الموضع . وحقيقته ان كل موجود فهو ممكن ليس في الوجود موجود بنفسه مع انهم جعلوا هذا طريقا لاثبات الواجب بنفسه كما جعل أولئك هذا طريقا لاثبات القديم . وكلاهما يناقض ثبوت القديم والواجب فليس في واحد منهما اثبات قديم ولا واجب بنفسه مع ان ثبوت موجود قديم وواجب بنفسه معلوم بالضرورة ولهذا صار حذاق هؤلاء الى ان الوجود الواجب والقديم هو العالم بنفسه وقالوا هو الله . وأنكروا ان لايكون للعالم رب مباين للعالم اذ كان ثبوت القديم الواجب بنفسه لابد منه على كل قول وفرعون ونحوه ممن انكر الصانع ما كان ينكر هذا الوجود المشهود . فلما كان حقيقة قول اولئك يستلزم انه ليس موجود قديم ولا واجب لكنهم لايعرفون ان هذا يلزمهم بل يظنون انهم أقاموا الدليل على اثبات القديم الواجب بنفسه ولكن وصفوه بصفات الممتنع فقالوا لاداخل العالم ولا خارجه ولا هو صفة ولا موصوف ولا يشار اليه ونحو ذلك من الصفات السلبية التي تستلزم عدمه . وكان هذا مما تنفر عنه العقول والفطر . ويعرف ان هذا صفة المعدوم الممتنع لاصفة الموجود *

فدليلهم في نفس الامر يستلزم انه ماثم قديم ولا واجب ولكن ظنوا انهم أثبتوا القديم والواجب . وهذا الذي أثبتوه هو ممتنع فما اثبتوا قديما ولا واجبا . فجاء آخرون من جهتهم فرأوا هذا مكابرة . ولا بد من اثبات القديم والواجب فقالوا هو هذا العالم فكان قدماء الجهمية يقولون انه بذاته في كل مكان . وهؤلاء قالوا هو غير الموجودات والموجود القديم الواجب هو نفس الوجود المحدث الممكن . والحلول هو الذي أظهرته الجهمية للناس حتى عرفه السلف والائمة وردوه . وأما حقيقة قولهم فهو النفي ان لاداخل العالم ولا خارجه ولكن هذا لم يسمعه الائمة ولم يعرفوا انه قولهم الا من باطنهم ولهذا كان الائمة يحكون عن الجهمية انه في كل مكان ويحكون عنهم وصفه بالصفات السلبية وشاع عند الناس ان الجهمية يصفونه بالسلوب حتى قال أبو تمام *

جهمية الاوصاف الا انها * قد حليت بمحاسن الاشياء

وهم لم يقصدوا نفي القديم والواجب فان هذا لايقصده أحد من العقلاء لا مسلم ولا كافر

اذ كان خلاف ما يعلمه كل واحد ببديهة عقله فانه اذا قدر ان جميع الموجودات حادثة عن عدم لزم ان كل الموجودات حدثت بانفسها ومن المعلوم ببداهة العقول ان الحادث لا يحدث بنفسه ولهذا قال تعالى أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون . وقد قيل خلقوا من غير شئ أي من غير رب خلقهم . وقيل من غير مادة . وقيل من غير عاقبة وجزاء . والاول مراد قطعا فان كل ما خلق من مادة أو لغاية فلا بد له من خالق *

﴿ ثم ذكر الشيخ ﴾ رحمه الله معرفة الفطر . ثم ذكر قول الاشعرية والمشائية والكرامية وغيرهم ثم أبطله باوضح بيان . وأجلى برهان .

﴿ والمقصود ﴾ ان شيخ الاسلام لم يرد الا على من خالف الشريعة وصادمها بقواعده ولم يرد على أهل السنة وهم الذين كانوا على الصراط المستقيم ولم يخالفوا ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم بل ذب عنهم وانتصر لاقوالهم غير ان النبهاني ظن ان ما هو عليه من الزيغ والالحاد هو مذهب أهل السنة وقد سبق فيما نقلناه من مجالس الشيخ الثلاثة ما ينفع فى المقام بل كتبه طافحة بتفصيل ما قررناه فراجع أيّ كتاب شئت منها *

ومما قررناه علم أيضا ان ما نقله الزبيدى من كلام السبكي عند كلامه على أبيات ابن زفيل ساقط عن درجة الاعتبار لانه من خصوم شيخ الاسلام وحسدته ما عدا ما كان عليه من الغلو والجهل والافتراء على أهل الحق . والظاهر انه ليس له من الكلام على قصيدة العلامة ابن زفيل سوى ما نقله الزبيدى ان صح نقله . والا لذكره ولده التاج فيما عد من مؤلفاته فى الطبقات ولم يذكره مع انه أتى بجميع عجره وبجره *

(وأما ما نسب النبهانى الى الشيخ) من القول بالجهة فهو من افتراآت السبكي وابن حجر المكى وغيرهما من أعدائه وخصومه . والنبهانى قلدهم فى هذا القول تقليد اعمى كما هو ديدنه وعادته وكتب الشيخ طافحة من تنزيه الله تعالى عن الجهة والجسمية . ومدار كلامه على ما ثبت بالكتاب والسنه وأقوال السلف وأنشد فى كتاب الفرقان *

أيها المقتدى لتطلب علما * كل علم عبد لعلم الرسول
تطلب الفرع كى تصحح حكما * ثم أغفلت أصل أصل الاصول

ثم قال والله يهدينا وسائر اخواننا المؤمنين الى صراطه المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم

من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا هال وعقيدة الأصول مبنى عليها ما في القلوب ويتفرع عليها . ولقد ضرب الله مثل الكلمة الطيبة التي في قلوب المؤمنين . ومثل الكلمة الخبيثة التي في قلوب الكافرين . ثم إنه أطنب الكلام في شرح الكلمتين . وأتى بما قرر به من الثمن الثمين . كما هي عادته رحمة الله عليه وسنتكلم ان شاء الله على العلو والاستواء عند ابطال أقوال النبهاني التي هذى بها في هذا الباب . ونستبين بحوله تعالى القشر من اللباب *

﴿ واما ما تكلم به النبهاني من الهذيان ﴾ في شأن جلاء العينين ومصنفه وتحذير المسلمين من مطالعته . واخراج مصنفه عن حنفيته بل سنيته بسبب الذب عن ابن تيمية وانتصاره له فهو كلام من لا ينبغي ان يخاطب ولا يوجه اليه مقال فان الله تعالى قال الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . وقال عز من قائل ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات . ومصنف جلاء العينين لم يذكر فيه الا أقوال الفريقين وبسط فيه دلائل الطرفين . ودعا الى الله وتوحيده . وبرهن على وجوب افراده سبحانه بالعبادة . وذب عن خلص عباد الله . وحكى ما كان وأظهر ما زوره الخصم من البهتان ومثل جلاء العينين ينبغي لكل مسلم ان يطالعه ويستفيد منه حقيقة دينه ثم يدعو لمؤلفه بالمغفرة والرحمة والرضوان وان يجزيه عن خلص عباده خير الجزاء *

ثم انا قد ذكرنا حقيقة السنة والبدعة . وما ذكر فيهما أهل العلم من البيان الشافي والكلام الوافي . فأي مسئلة ذكرت في جلاء العينين تخالف ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وتستوجب التبديع . نعم ذكر فيه ضلالات أهل الالحاد . القائلين بالحلول والاتحاد وهي ليست بخفية على أحد من الناس . وكتب العلم طافحة بذكر ذلك الهذيان ورد هذا الوسواس . فقد ألف السعد التفتازاني كتابا رد فيه على الفصوص — وكذا العلامة الملا علي القاري الحنفي . والفهامة الشيخ محمد البخاري الحنفي وغيرهم *

وذكر أيضا بدع القبوريين وأعمالهم الشركيه . وأظهر افتراء ابن حجر وخيانته في النقل واتباعه لهواه . وخصومته للحق . وما كان من السبكي من العدوان والقول على الله بغير علم . وأي مذهب من مذاهب المسلمين يسوغ ما كان من ابن حجر والسبكي ونحوهما من التجاوز والقدح

في عناية السنة النبوية وحفاظ الحديث هم أهل حق *

أيرضى الامام الشافعي وأكابر أصحابه والمنصفون من أتباعه بما كان من هؤلاء الائمة أم هل يسوغ للامام أبو حنيفة ان يتلاعب أحد بالدين ويعرض عما ورد في الكتاب والسنة ويسلم لابن حجر وأضرابه كل ما هذى به أم هل يبيح امام دار الهجرة ان يباح اعراض ورثة الرسول صلى الله عليه وسلم وحفاظ حديثه ان يمزقها ابن حجر بأظفاره وأنيابه . وهكذا جميع أئمة الدين وأكابر المجتهدين . وقد أوصى كل منهم باتباع الحق والاعراض عن الهوى ومجانبة التعصب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين *

ثم يقال للنبهاني الخروج عن المذهب متى يكون . والتقليد بماذا كان هل في الفروع والاصول معا أم في الفروع لا في الاصول . أم بالعكس . ولا شك ان النبهاني جاهل بكل ذلك لا يفرق بين الاصول والفروع . بل لا يميز بين الكوع والكرسوع *

وأهل العلم ذكروا ان التقليد هو أخذ قول الغير من غير معرفة دليله من حيث مأخذه الحكم ان لم يتمكن من استفراغ الوسع لتحصيل ظن الحكم . والا فيحرم عليه كما يحرم التقليد في العقائد . وقد رأيت كلاما مفيدا لبعض أكابر الشافعية في بحث التقليد نذكره تتميما للفائدة قال ثم اني لم أزل متشبثا بأذيال هذا الامام . متمسكا بعرى أقوال ذياك الهمام مستغرقا النهار والليل في استكشاف دقيق كلامه . مستنهضا الرجل والخيل لارتشاف رحيق مدامه . لم أعرج على غير حماه . ولم أعرج لسوى سماه *

أبعد سليمى مطلب ومرام * وغير هواها لوعة وغرام

وكذا شأني مع أصحابه الكرام . وحالي مع اتباعه الفخام . لا الوي عناني الاعلى اطلالهم ولا استرشد بغير أقوالهم *

وما أنا الامن غزية ان غوت * غويت وان ترشدغزية أرشد

لا أميل الى تقليد أحد من الائمة . مع علمي بان اختلافهم في الفروع رحمه . بل ديدني رفاقهم انجدوا أم اتهموا . وديني وفاقهم أيمنوا أم أشأموا . الى ان خاصمني مخاصم الانصاف فخصمني وعارضني معارض الاعتساف فالجمني . وتبين لي بمخالطة الانام . ان كثيرا من العقود لا تصح على مذهب الامام . وان تصحيحها كالمحال . وان ليس للشافعي في ذلك مجال فلم أر بدا في

[illegible] ولا لأحد أبي حنيفة النعمان مقلده في جميع معاملاتي ولا انا في [illegible] الشافعي لأمته في سائر معاملاتي *

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاول منزل

﴿ثم قال﴾ فها أنا ذلك شافعي في عباداتي . حنفي في سائر معاملاتي . وهكذا سائر علماء الزمان في المعاملات على مذهب النعمان . قد طووا سنن الشافعي . ورفعوا اذكار النووي والرافعي

فلا نرى جاهلا يستفتي * ولا عالما في هاتيك المسائل يفتي
ما في الصحاب أخو وجد نطارحه * حديث نجد ولا خلا نجاريه

﴿ويقال للنبهاني﴾ اذا كان الرجل من اتباع الامام الشافعي قد قلد غيره في كثير من المسائل لا يخرجه ذلك عن تقليد امامه فكيف حكم على من لم يتحقق لديه مخالفة أمامه ولا في مسألة واحدة بالخروج عن تقليده بل رأينا من أصحاب الأئمة من خالفه في مسائل كثيرة ولم يقل أحد بخروجهم في ذلك عن التقليد . (افيقال) ان الامام أبا يوسف بسبب مخالفته لامامه في مسائل كثيرة خرج عن كونه حنفيا . وكذلك محمد وكذلك زفر . وهكذا أصحاب كل امام فكيف يحكم النبهاني بهذا الحكم الفاسد . ويقول هذا القول الكاسد *

﴿وللشيخ احمد الطيبي﴾ منظومة فيما يحتاج الشافعي فيه الى تقليد الامام أبي حنيفة وهي هذه بعد البسملة *

الحمد لله الذي ماجعلا * من حرج في الدين لكن سهلا
لهذه الامة فضلا وكرم * سبيل رشدها وأسبغ النعم
ثم صلاة وسلام سرمدي * منه على خير الانام أحمد
نبينا الذي به نلنا الهدى * وآله وكل من به اهتدى
وبعد فاعلم ان من قد قلدا * من الائمة عالما أو مجتهدا
فجائز له بان يقلدا * آخر الا أن يكون اعتقدا
بان من قلده في الاول * أعلم من ثانيه فالمنع جلي
فاذ عرفت الشرط واحتجت الى * تقليد غير الشافعي فافعلا

كان تقليد الامام الاعظما * أبا حنيفة لذي القدما
في البيع والشرا بلا ايجاب * ولا قبول مثله في الخطاب
بل بالمعاطاة اذا ما كثرا * أو قل ما به البيع والشرا
وفي النجاسات التي البليه * عمت بها مالم تكن كليه
من ذلك الغراء في الاثواب * وفي القباقيب وفي النشاب
وهو الغرا المعمول من غير السمك * أما الذي منه فليس فيه شك
كذا الغرا من نحو قط وغر * وكل ما كول ولم يكن بحر
كذا الرماد من نجاسة حصل * في مائع او ماقليل او محل
او شربة مع طينها قد عجنا * او طين أرض او جدار أو بنا
والعفو عن نجاسة قد كثفت * ووزنها الدرهم حين وزنت
كذاك عن رقيقة وبلغت * مقدار بسط الكف لما بسطت
كذاك في نقل زكاة الواجد * للمستحق ولشخص واحد
يدفعها ولو صبيا ان قبض * ان بلغ التمييز ذاك المفترض
ودفعنا من ذهب عن فضة * وعكسه عند أبي حنيفه
يكفي كذاك كلما ينتفع * به الفقير كثياب تدفع
وقل زكوة الفطر مثل المال * فقس به في سائر الاحوال
فتدفع القيمة عنها ان تشا * أين أردت أو سواها كنشا
كذاك في الانثى اذا ما زوجت * لنفسها أو غيرها اذ وكلت
كذاك في التأجيل للصداق * الى المماة أو الى الطلاق
وان مايؤخذ من أموال * بقصد تعزير من الحلال
والقول في تعلق الحرام * بذمة الجاني من الانام
لا يتعدى لسواها أصلا * قد رد حيث لم يلاق جهلا
نعم اذا غير من قد غصبا * مغصوبه يملكه وان ابى
لكنه يحرم الانتفاع به * حتى يؤدي للضمان فانتبه

وإن أفاق [illegible] * وإن يكن من النفل [illegible]

[illegible] التكبير للإحرام * في صحة لدى الإمام

فمن يقلده به لا يبطل * إلا بتطهير اليه فقبل

وسعيا بين الصفا والمروة * في حجنا وهكذا في العمرة

ما عده فرضا ولكن واجبا * فمن به أخل أن يطالبا

إلا بفدية ونسكه يصح * وتلك شاة فادر فهو متضح

ولم يقل بشرط الطواف الطهر * فإن يطف نفساء الأمر

أو حائض وهجمت وطافت * فهو صحيح وفدت وبانت

فإن يكن حجا فدت ببدنه * أو اعتمادا فبشاة بينه

وإن تطلق ذات حيض وانقطع * الدم عنها لا لعلة تقع

فلتتربصن بسن اليأس * ما لم تحض ثم بلا التباس

بأشهر ثلاثة تعتد * هلال قال لا الشافعي الفرد

كذا أبو حنيفة وقالا * في ذاك مالك وأحمد لا

وإنما سبيلها إذا مضت * تسع شهور بعد ما فقد طلبت

تعتد بالثلاث الأشهر من * بعد وسن اليأس عندنا ابن

بأنه اثنان وستون سنة * على الصحيح وحكى من بينه

عند الإمام الأعظم النعمان * خمس وخمسون احتفظ بياني

وقس بما حوته ذي الصحيفة * مقلداً غير أبي حنيفة

فإن تكن قلدت في الكلبية * مالكا أفعل ما مضى في النية

ففي الوضوء امسح جميع الرأس * لكي تتمة بلا التباس

والحمد لله الذي ما عسرا * على عباده ولكن يسرا

والكلام في هذا الباب طويل وكم أفرده بالتأليف فاضل جليل . وليس هذا مقام التفصيل

﴿ ثم نعود الى النبهاني ﴾ ونقول له ان كثيراً من المعتزلة قلدوا الامام أبا حنيفة وهم مع اعتقادهم الفاسد لم يقل أحد بخروجهم عن مذهب أبي حنيفة وهكذا في اتباع الشافعي وغيره من كان

على عقيدة الاشعرى [illegible] بعد الشكر فى [illegible] وانهم الآن [illegible] وكثير

من الاشعرية والماتريدية كانوا اتباع الامام ابى حنيفة وكثير من الحنفية كانوا اتباع الشافعى والحسن

ذكر شيئا من ذلك فى المجالس التى انعقدت لمناظرة شيخ الاسلام كل هؤلاء على سوء اعتقادهم

لم يخرجوا عن مذهب من قلدوه ، فكيف ساغ النبهانى ان يخرج من الحنفية والحنابلة مصنف

جلاء العينين وذكر العلة فى ذلك وقال بسبب انتصاره لابن تيمية والذب عنه وتبرئته عما

نسب اليه *

﴿ فلينظر المنصفون ﴾ الى حال هذا الرجل وغلوه وجهله وضلاله واتباعه لهواه وعجبه لنفسه فكيف يسوغ ان يولى الحكم على بشر ويكون بيده زمام بعض الامور *

ما أنت بالحكم الترضى حكومته * ولا الاصيل ولا ذو الرأى والجدل

اللهم انا نشكوا اليك ما أصبح اليوم عليه العالم الاسلامي من البلاء المبين وتوسيد الامور الى غير أهلها واستفتاء من غوى وضل عن سبيلك وحيث أن هذا المبطل قد افرد فصلا من كتابه فى الكلام على جلاء العينين ومصنفه أخرنا تمام البحث الى أن نتكلم على ذلك الفصل ان شاء الله تعالى *

﴿ قال النبهانى ﴾ بعد كلام له على الجهة وتكفير القائل بها ولما كانت كتبه يعنى ابن تيمية قد طبعت ونشرت وكان فيها مسائل فى العقائد مخالفة لعقائد أهل السنة والجماعة من الاشعرية والماتريدية كان من اللازم على اكابر العلماء فى هذا العصر أن يتصدوا لبيان تلك المسائل التي وقع فيها مخالفة أهل السنة والتنبيه عليها ليحذرها الناس خوفا عليهم من تشويش عقائدهم * ولما كان من أهم تلك المسائل القول باعتقاد الجهة وهو كما ترى وان تستر بعض الحنابلة بنفيه عنه وعدم اعتقاده اياه فهو مصرح باعتقاده . ثم قال فقد رأيت ان أجمع رسالة انقل فيها اقوال اكابر علماء المذاهب فى استحالة الجهة على الله قال فجمعتها على هذا الوجه وسميتها رفع الاشتباه فى استحالة الجهة على الله . ثم ذكر الرسالة بحذافيرها وركة عبارتها وزعم ان ما فيها اعتقاد جمهور علماء الامة وأوليائها واتباع المذاهب الاربع وجميع الصوفية وهم صفوة الصفوة من هذه الامة وخلاصة الخلاصة . من أهل الملة وخاصة الخاصة من المتبعين للكتاب والسنة . قال فقد اتفق جمهورهم على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم فى جميع الاعصار والاقطار . وفي كل القرى والبوادي

[illegible] من كلامه من العراق والشيه [illegible]

[illegible] وشمس الدين محمد [illegible] الشافعي واليافعي وابن حجر المكي

وأمثال هؤلاء [illegible] رسالة [illegible] في الرد على [illegible] السبكي

هذا حاصل ما تكلم به في هذا الباب ونرد بما نقدر عليه *

﴿ أقول في الجواب عن كلام النبهاني هذا وبه سبحانه التوفيق ﴾ ان مسألة العلو والاستواء والنزول من غوامض المسائل والنزاع فيها قديما وحديثا من المشهور بين العلماء وقد الف فيها كتب مفصلة وفرغ أهل العلم منها نفيا واثباتا ومن المعلوم لدى كل منصف ان النبهاني ليس من رجال هذا الميدان ولا ممن يعد في زمرة ذوي العرفان ولا ممن له نصيب في فن من الفنون ولا ممن يلتفت اليه في باب الجرح والتعديل ولا تنظر اليه العيون بل هو الحري بقول القائل *

أقول لمحرز لما التقينا * تنكب لا يقطرك الزحام

وقد رأيت في طبقات ابن السبكي رسالة أخرى أشبه شيء بهذيان النبهاني نسبها ابن السبكي للشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن اسمعيل الكلابي الحلبي وحيث كانت في الرد على ابن تيمية أدرجها ابن السبكي في ترجمة مؤلفها بتمامها ظنا منه أنها تروي غليله وتشفي عليله وما درى انها سراب يحسبه الظمآن أعذب شراب وهي نحو اثنين وثلاثين صحيفة قد اشتملت على كل سخيفة وبناء على تعرض هؤلاء الغلاة لهذه المسألة وجب التصدي لرد افكهم ورفع شركهم ببيان ما يعارضهم من النصوص وما يناقضهم من البناء المرصوص فنقول ان النصوص القرآنيه والاحاديث النبوية الواردة في هذا الباب ممالا يحصيها أولو الالباب منها قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير) وفي تفسير روح المعاني بعد ان ذكر كلام المؤلفين ان الداعي الى التزام ذلك كله ان ظاهر الآية يقتضي القول بالجهة والله تعالى منزه عنها لانها محدثة باحداث العالم واخراجه من العدم الى الوجود ويلزم أيضا من كونه سبحانه وتعالى في جهة مفاسد لا تخفى وأنت تعلم أن مذهب السلف اثبات الفوقية لله تعالى كما نص عليه الامام الطحاوي . وغيره واستدلوا لذلك بحوالف دليل وقد روى الامام أحمد في حديث الاوعال عن العباس رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والعرش فوق ذلك والله

تعالى فوق ذلك كله • وروى أبو داود عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذى استشفع بالله تعالى عليه ويحك أتدرى ما الله ان الله فوق عرشه وعرشه فوق سماواته • وقال باصابعه مثل القبة وانه ليئط به أطيط الرحل الجديد بالراكب * ﴿ ومن حديث صحيح ﴾ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسعد يوم حكم فى بنى قريظة لقد حكمت فيه بحكم الملك من فوق سبع سموات • وفى حديث آخر قال بينا أهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا اليه رؤسهم فاذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم وقال يا أهل الجنة سلام عليكم ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (سلام قولا من رب رحيم) فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم ما داموا ينظرون اليه • وانشد عبد الله بن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبياته التى عرض بها عن القراءة لامرأته حين اتهمته بجاريته *

شهدت بان وعد الله حق * وان النار مثوى الكافرينا
وان العرش فوق الماء طاف * وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد * ملائكة الاله مسومينا

فاقره عليه الصلاة والسلام على ما قال وضحك منه وكذا أنشد حسان بن ثابت رضى الله عنه قوله

شهدت باذن الله ان محمدا * رسول الذى فوق السموات من عل
وان أبا يحيي ويحيى كلاهما * له عمل من ربه متقبل
وان الذى عاد اليهود ابن مريم * رسول أتى من عند ذى العرش مرسل
وان اخا الاحقاف اذ قام فيهم * يقوم بذات الله فيهم ويعدل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وانا أشهد * وعن ابن عباس فى قوله تعالى حكاية عن ابليس ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم انه قال لم يستطع أن يقول ومن فوقهم لانه قد علم ان الله تعالى من فوقهم والآيات والاخبار التي فيها التصريح بما يدل على الفوقية كقوله تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم واليه يصعد الكلم الطيب وقوله بل رفعه الله اليه وتعرج الملائكة والروح اليه وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم وأنت الظاهر فليس فوقك شئ كثيرة جدا وكذا كلام السلف فى ذلك (فمنه ماروى) عن شيخ الاسلام

أبو اسماعيل الانصاري في كتابه الفاروق بسنده الى أبي مطيع البلخي انه سأل أبا حنيفة رضي الله عنه عمن قال لا أعرف ربي سبحانه في السماء أم في الارض فقال قد كفر لان الله تعالى يقول الرحمن على العرش استوى وعرشه فوق سبع سموات فقال قلت فان قال انه على العرش ولكن لا ادري العرش في السماء ام في الارض . فقال رضي الله عنه هو كافر لانه أنكر آية في السماء ومن أنكر آية في السماء فقد كفر . وزد غيره لان الله تعالى في أعلى عليين فهو يدعى من أعلى لا من أسفل انتهى *

﴿ وايد القول بالفوقية أيضا ﴾ بان الله لما خلق الخلق لم يخلقهم في ذاته المقدسة تعالى عن ذلك فانه الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد . فتعين انه خلقهم خارجا عن ذاته ولو لم يتصف سبحانه بفوقية الذات مع انه قائم بنفسه غير مخالط للعالم لكان متصفا بضد ذلك لان القابل للشئ لايخلو منه أو من ضده وضد الفوقية السفول وهو مذموم على الاطلاق . والقول بانا لا نسلم انه قابل للفوقية حتى يلزم من نفيها ثبوت ضدها مدفوع بانه سبحانه لو لم يكن قابلا للعلو والفوقية لم يكن له حقيقة قائمة بنفسها . فمتى سلم بانه جل جلاله ذات قائم بنفسه غير مخالط للعالم وانه موجود في الخارج ليس وجوده ذهنيا فقط بل وجوده خارج الاذهان قطعا . وقد علم كل العقلاء بالضرورة ان ما كان وجوده كذلك فهو اما داخل العالم واما خارج عنه وانكار ذلك انكار ماهو أجلى البديهيات فلا يستدل بدليل على ذلك الا كان العلم بالمباينة أظهر منه وأوضح واذا كان صفة الفوقية صفة كمال لا نقص فيها ولا يوجب القول بها مخالفة كتاب ولا سنة ولا اجماع كان نفيها عين الباطل لا سيما والطباع مفطورة على قصد جهة العلو عند التضرع الى الله تعالى *

﴿ وذكر ﴾ محمد بن طاهر المقدسي ان الشيخ ابا جعفر الهمداني حضر مجلس أمام الحرمين وهو يتكلم في نفي صفة العلو ويقول كان الله تعالى ولا عرش وهو الآن على ما كان . فقال الشيخ أبو جعفر اخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا فانه ماقال عارف قط يا الله الا وجد في قلبه ضرورة تطلب العلو لا تلتفت يمنة ولا يسرة فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا قال فلطم الامام على رأسه ونزل وأظنه قال وبكى . وقال حيرني الهمداني *

﴿ وبعضهم ﴾ تكلف الجواب عن هذا بان هذا التوجه الى فوق انما هو لكون السماء قبلة

السماء كما أن الكعبة قبلة الصلاة ، ثم هو أيضا منقوض بوضع الجبهة على الأرض مع أنه سبحانه ليس في جهة الأرض ، ولا يخفى أن هذا باطل أما أولا فلأن السماء قبلة للدعاء لم يقله أحد من سلف الأمة ولا أنزل الله به من سلطان والذي صح أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة فقد صرحوا بأنه يستحب للداعي أن يستقبل القبلة وقد استقبل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة في دعائه في مواطن كثيرة فمن قال ان للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة فقد ابتدع في الدين وخالف جماعة المسلمين . وأما ثانيا فلأن القبلة ما يستقبله الداعي بوجهه كما تستقبل الكعبة في الصلاة وما حاذاه الانسان برأسه أو يديه مثلا لا يسمى قبلة أصلا فلو كانت السماء قبلة الدعاء لكان المشروع ان يوجه الداعي وجهه اليها ولم يشرع ذلك في شرع أصلا *

وأما النقض بوضع الجبهة فما أفسده من نقض فان واضع الجبهة انما قصده الخضوع لمن فوقه بالذل لا ان يميل اليه اذ هو تحته بل هذا لا يخطر في قلب ساجد نعم سمع عن بشر المريسي انه يقول سبحان ربي الاسفل تعالى الله عما يقول الجاحدون والظالمون علوا كبيرا *

وتأول بعضهم كل نص فيه نسبة الفوقية اليه تعالى بان فوق فيه بمعنى خير وأفضل كما يقال الأمير فوق الوزير والدينار فوق الدرهم وأنت تعلم ان هذا مما تنفر منه العقول السليمة وتشمئز منه القلوب الصحيحة فان قول القائل ابتداء الله تعالى خير من عباده أو خير من عرشه من جنس قول الثلج بارد والنار حارة والشمس أضوء من السراج والسماء أعلى من سقف الدار ونحو ذلك وليس في ذلك أيضا تمجيد ولا تعظيم لله تعالى بل هو من أرذل الكلام فكيف يليق حمل الكلام المجيد عليه وهو الذي لو اجتمع الانس والجن على ان يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا على ان في ذلك تنقيصا لله تعالى شأنه ففي المثل السائر *

ألم تر ان السيف ينقص قدره * اذا قيل ان السيف خير من العصا

نعم اذا كان المقام يقتضى ذلك بان كان احتجاجا على مبطل كما في قول يوسف الصديق عليه السلام . أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . وقوله تعالى آلله خير أم ما يشركون والله خير وأبقى . فهو أمر لا اعتراض عليه . ولا توجه سهام الطعن اليه . والفوقية بمعنى الفوقية في الفضل مما يثبتها السلف لله تعالى أيضا وهي متحققة في ضمن الفوقية المطلقة وكذا يثبتون فوقية القهر والغلبة كما يثبتون فوقية الذات . ويؤمنون بجميع ذلك على الوجه اللائق

[illegible] سبحانه العلو [illegible] فيه عن
[illegible] ولا يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض . ولا يعدلون عن الالفاظ الشرعية نفيا ولا اثباتا
فلا ينفون معنى ثابتا [illegible] معنى صحيحا . فهم يقولون [illegible] أثبتها الله تعالى لنفسه

﴿ وأما لفظ الجهة ﴾ فقد يراد به ما هو موجود . وقد يراد به ما هو معدوم . ومن المعلوم انه لا موجود الا الخالق والمخلوق فاذا أريد بالجهة أمر موجود غير الله تعالى كان مخلوقا والله تعالى لا يحصره شيء . ولا يحيط به شيء من المخلوقات تعالى عن ذلك . وان أريد بالجهة أمر عدمي وهو ما فوق العالم فليس هناك الا الله تعالى وحده . فاذا قيل انه تعالى في جهة بهذا الاعتبار فهو صحيح عندهم ومعنى ذلك انه فوق العالم حيث انتهت المخلوقات . ونفاة لفظ الجهة الذين يريدون بذلك نفي العلو يذكرون من أدلتهم ان الجهات كلها مخلوقة وانه سبحانه كان قبل الجهات وانه من قال انه تعالى في جهة يلزمه القول بقدم شيء من العالم وانه جل شأنه كان مستغنيا عن الجهة ثم صار فيها . وهذه الالفاظ ونحوها تنزل على انه عز اسمه ليس في شيء من المخلوقات سواء سمي جهة أم لم يسم وهو كلام حق . ولكن الجهة ليست أمرا وجوديا بل هي أمر اعتباري ولا محذور في ذلك *

﴿ وبالجملة ﴾ يجب تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين وتفويض علم ما جاء به من المتشابهات اليه عز شأنه . والايمان بها على الوجه الذي جاءت عليه . والتأويل القريب الى الذهن الشائع نظيره في كلام العرب مما لا بأس به عندي على ان بعض الآيات مما أجمع على تأويلها السلف والخلف والله أعلم بمراده . انتهى ما ذكر في روح المعاني . وهو مما يزهق روح النبهاني . ويرد التأويل الذي تعلق به الشيخ أحمد الحلبي الكلابي *

﴿ وتفصيل الكلام في هذا المقام ﴾ يطلب من كتب شيخ الاسلام وتلامذته فانهم أحسن من صنف في هذه المسائل وفيها يجد المنشد ضالته . وقد ألف الشيخ الحافظ أبو بكر الشهير بابن القيم كتابه غزو الجيوش الاسلاميه . في الرد على الجهمية . وكتابه الصواعق المرسلة على الدهرية والمعطلة . في هذه المطالب العالية . وبسط كلامه فيها كل البسط كما هو شأن كرمهم وجودهم في سخاء نفوسهم ببذل كنوز العلم طيب الله تعالى ثراهم *

وقد تكلم ابن القيم في غزو الجيوش الاسلامية على مسألة العلو . فذكر أولا ما ورد من

النصوص في الكتاب والسنة وورد معانيها عن أئمة أهل الآثار قديما منقولا عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم . ولا يمكن هنا استيفاء ما ذكروه كله بل نقتصر على ذكر أقوال الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى *

﴿ قول الامام أبي حنيفة قدس الله روحه ﴾ قال البيهقي حدثنا أبو بكر ابن الحارث الفقيه قال حدثنا أبو حيان ان أحمد بن جعفر بن نصر قال حدثنا يحيى بن على سمعت نعيم بن حماد يقول يقول سمعت نوح ابن أبي مريم أبا عصمة يقول كنا عند أبي حنيفة أول ما ظهر اذ جاءته امرأة من ترمذ كانت تجالس جهما فدخلت الكوفة فقيل لها ان ههنا رجلا قد نظر في المعقول فقال له أبو حنيفة فأتيه فأتته فقالت أنت الذي تعلم الناس المسائل وقد تركت دينك أين الهك الذي تعبده . فسكت عنها . ثم سكت عنها سبعة أيام لا يجيبها . ثم خرج الينا وقد وضع كتابا . ان الله سبحانه وتعالى في السماء دون الارض فقال له رجل أرأيت قول الله تعالى وهو معكم . قال هو كما تكتب للرجل اني معك وأنت غائب قال البيهقي لقد أصاب أبو حنيفة رحمه الله تعالى فيما نفى عن الله تعالى وتقدس من الكون في الارض وفيما ذكر من تأويل الآية . وتبع مطلق السمع في قوله الله عز وجل في السماء *

قال شيخ الاسلام وفي كتاب الفقه المشهور عند أصحاب أبي حنيفة الذى رواه باسناد عن أبي مطيع البلخي . الحكم بن عبد الله قال سألت أبا حنيفة عن الفقه الاكبر لا تكفر أحدا بذنب ولا تنفي أحدا من الايمان وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولا تبرأ من أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا توال أحداً دون أحد . وان ترد أمر عثمان وعلى رضى الله تعالى عنهما الى الله تعالى . قال أبو حنيفة الفقه الاكبر في الدين خير من الفقه في العلم ولان يتفقه الرجل كيف يعبد ربه عز وجل خير من ان يجمع العلم الكثير . قال أبو مطيع قلت فاخبرني عن أفضل الفقه قال يتعلم الرجل الايمان والشرائع والسنن والحدود واختلاف الائمة . وذكر مسائل في الايمان . ثم ذكر مسائل في القدر . ثم قال فقلت فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيتبعه على ذلك ناس . أفيخرج عن الجماعة هل ترى ذلك قال لا قلت ولم وقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو فريضة واجبة فقال كذلك لكن

[illegible] الكلام في [illegible]

[illegible] إلى أن قال قال أبو حنيفة ومن قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر لان الله تعالى يقول الرحمن على العرش استوى . وعرشه فوق سبع سموات . قلت فان قال انه على العرش ولكنه يقول لا أدري العرش في السماء أم في الارض قال هو كافر لانه أنكر ان يكون في السماء لانه تعالى في أعلى عليين . وانه يدعى من أعلى لا من أسفل وفي لفظ سألت أبا حنيفة عمن يقول لا أعرف ربي في السماء أو في الارض قال كفر لان الله تعالى يقول الرحمن على العرش استوى وعرشه فوق سبع سموات قال فانه يقول على العرش استوى . ولكنه لا يدري العرش في الارض أو في السماء قال اذا أنكر انه في السماء فقد كفر . روى هذا عن شيخ الاسلام أبي اسمعيل الانصاري في كتابه الفاروق باسناده . قال شيخ الاسلام أبو العباس رحمه الله تعالى . ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة رحمه الله عند أصحابه انه كفر الواقف الذي يقول لا أعرف ربي في السماء أو في الارض فكيف يكون الجاحد النافي الذي يقول ليس في السماء ولا في الارض واحتج على كفره بقوله تعالى الرحمن على العرش استوى . قال وعرشه فوق سبع سموات . وبين بهذا ان قوله الرحمن على العرش استوى يبين في ان الله عز وجل فوق السموات فوق العرش . وان الاستواء على العرش . دل على ان الله فوق العرش . ثم أردف ذلك بكفر من توقف في كون العرش في السماء أو في الارض قال لانه أنكر ان يكون في السماء وان الله في أعلى عليين . وان الله يدعى من أعلى لا من أسفل واحتج بان الله في أعلى عليين . وانه يدعى من اعلى لا من اسفل وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية فان القلوب مفطورة على الاقرار بان الله عز وجل في العلو وعلى انه يدعى من أعلى لا من أسفل . وكذلك أصحابه من بعده كابي يوسف وهشام بن عبد الله الرازي كما روى ابن أبي حاتم وشيخ الاسلام بأسانيدهما ان هشام بن عبيد الله الرازي صاحب محمد بن الحسن قاضي الري حبس رجلا في التجهم فتاب فجيء به الى هشام ليمتحنه فقال الحمد لله على التوبة فامتحنه هشام فقال أشهد ان الله على عرشه بائن من خلقه فقال أشهد ان الله على عرشه ولا أدري ما بائن من خلقه قال ردوه الى الحبس فانه لم يتب وسيأتي قول الطحاوي عند أقوال أهل الحديث *

﴿ قول امام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى ﴾ ذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد بسنده قال قال مالك بن أنس الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه مكان . قال وقيل لمالك الرحمن على العرش استوى كيف استوى فقال رحمه الله تعالى استواؤه معقول وكيفه مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل سوء *

﴿ وكذلك أئمة أصحاب مالك من بعده ﴾ قال يحيى بن ابراهيم الطليطلي في كتاب سير الفقهاء وهو كتاب جليل غزير العلم بسنده كانوا يكرهون قول الرجل ياخيبة الدهر وكانوا يقولون الله هو الدهر وكانوا يكرهون قول الرجل رغم أنفي لله وانما يرغم أنف الكافر وكانوا يكرهون قول الرجل والله حيث كان أو ان الله بكل مكان قال أصبغ وهو مستو على عرشه وبكل مكان علمه واحاطته وأصبغ من أجل أصحاب مالك وافقههم *

﴿ ذكر قول أبي عمر الطلمنكي ﴾ قال في كتابه في الاصول أجمع المسلمون من أهل السنة على ان الله استوى على عرشه بذاته وقال في هذا الكتاب أيضا أجمع أهل السنة على ان الله استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز ثم ساق بسنده عن مالك قوله الله في السماء وعلمه في كل مكان ثم قال في هذا الكتاب وأجمع المسلمون من أهل السنة على ان معنى قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم ونحو ذلك من القرآن بأن ذلك علمه وان الله فوق السموات بذاته مستقر على عرشه كيف شاء وهذه القصة في كتابه *

﴿ قول الامام الحافظ ابي عمر بن عبد البر ﴾ امام السنة في زمانه رحمه الله تعالى قال في كتاب التمهيد في شرح الحديث الثامن لابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له . من يسألني فاعطيه . من يسغفرني فاغفر له . هذا حديث ثابت من جهة النقل صحيح الاسناد . لا يختلف أهل الحديث في صحته . وفيه دليل على ان الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة . وهو حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم ان الله في كل مكان . وليس على العرش . والدليل على صحة ما قال أهل الحق في ذلك قوله الرحمن على العرش استوى . وقوله تعالى ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون . وقوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان . وقوله تعالى

[illegible] الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه . وقوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وقوله تعالى أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض . وقال تعالى سبح اسم ربك الاعلى وهذا من العلو . وكذلك قوله تعالى العلي العظيم والكبير المتعال . ورفيع الدرجات ذو العرش . ويخافون ربهم من فوقهم والجهمي يقول انه أسفل . وقال تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه . وقوله تعالى تعرج الملائكة والروح اليه . والعروج هو الصعود . وقوله تعالى ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى . وقوله تعالى بل رفعه الله اليه . وقول تعالى . والذين عند ربك يسبحون له . وقال تعالى ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه هو الصعود . وأما قوله أأمنتم من في السماء فمعناه من على السماء يعنى على العرش . وقد تكون في بمعنى على الا ترى الى قوله فسيحوا في الارض أي على الارض وكذلك قوله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل . وهذا كله يعضده قوله تعالى تعرج الملائكة والروح اليه . وما كان مثله مما تلونا من الآيات في هذا . وهذه الآيات كلها واضحات في ابطال قول المعتزلة . وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء . وقولهم في تأويل استوى استولى فلا معنى له لانه غير ظاهر في اللغة . ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة والله تعالى لايغالبه أحد وهو الواحد الصمد . ومن حق الكلام ان يحمل على حقيقته حتى تتفق الامة انه أريد به المجاز . اذ لاسبيل الى اتباع ما أنزل الينا من ربنا تعالى الا على ذلك . وانما يوجه كلام الله على الاشهر والاظهر من وجوهه مالم يمنع من ذلك مايجب التسليم له ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مبتدع ماثبت شيء من العبادات وجل الله ان يخاطب الا بما تفهمه العرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين . والاستواء معلوم وفي اللغة مفهوم . وهو العلو والارتفاع على الشيء . والاستقرار والتمكن فيه . قال أبو عبيدة في قول تعالى الرحمن على العرش استوى قال علا . قال وتقول العرب استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت . وقال غيره استوى أي استقر . واحتج بقوله تعالى ولما بلغ أشده واستوى انتهى شبابه واستقر فلم يكن مزيد قال ابن عبد البر رحمه الله تعالي الاستواء الاستقرار في العلو . وبهذا خاطبنا الله تعالى في كتابه فقال لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه . وقال تعالى واستوت على الجودي . وقال تعالى فاذا استويت انت ومن معك على الفلك .

قال الشاعر *

فاوردتهم ماء بفيفاء قفرة * وقد حلق النجم اليماني فاستوى

وهذا لايجوز ان يتأول فيه أحد استولى لان النجم لايستولى . وقد ذكر النضر ابن شميل وكان ثقة مأمونا جليلا فى علم الديانة واللغة . قال حدثني الخليل وحسبك بالخليل قال اتيت أبا ربيعة الاعرابي وكان من أعلم مارأيت . فاذا هو على سطح فسلمنا فرد علينا السلام وقال استووا فبقينا متحيرين ولم ندر ماقال . فقال اعرابى الى جانبه انه أمركم ان ترتفعوا فقال الخليل هو من قول الله عز وجل ثم استوى الى السماء وهى دخان فصعدنا اليه قال وأما من نازع منهم بحديث يرويه عبد الله بن داود الواسطي عن ابرهيم بن عبد الصمد عن عبد الله ابن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهم فى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى قال استولى على جميع بريته فلا يخلو منه مكان *

فالجواب ان هذا حديث منكر على ابن عباس رضى الله عنهما ونقاته مجهوله وضعفاء فاما عبد الله بن داود الواسطى وعبد الوهاب بن مجاهد فضعيفان . وابرهيم بن عبدالصمد مجهول لايعرف وهم لايقبلون أخبار الآحاد العدول فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا الحديث لو عقلوا أو أنصفوا أما سمعوا الله سبحانه يقول وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الي اله موسى وانى لاظنه كاذبا وقال الشاعر *

فسبحان من لايقدر الخلق قدره * ومن هو فوق العرش فرد موحد

مليك على عرش السماء مهيمن * لعزته تعنوا الوجوه وتسجد

وهذا الشعر لامية بن الصلت وفيه يقول في وصف الملائكة *

وساجدهم لايرفع الدهر رأسه * يعظم ربا فوقه ويمجد

قال فان احتجوا بقوله تعالى وهو الذى فى السماء اله وفي الارض اله وبقوله تعالى وهو الله فى السموات وفى الارض وبقوله تعالى مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم وزعموا ان الله سبحانه وتعالى فى كل مكان بنفسه وذاته تبارك وتعالى جده قيل لاخلاف بيننا وبين سائر الامة انه ليس فى الارض دون السماء بذاته فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجمع عليه وذلك انه فى السماء اله معبود لاهل السماء وفى الارض

آله معبود لاهل الارض وكذا قال أهل العلم بالتفسير وظاهر هذا التنزيل يشهد انه على العرش فالاختلاف في ذلك ساقط — وأسعد الناس به من ساعده الظاهر وأما قوله في الآية الاخرى وفي الارض اله فالاجماع والاتفاق قد بين ان المراد بانه معبود أهل الارض وأهل السماء فتدبر هذا فانه قاطع *

ومن الحجة أيضا في أنه عز وجل على العرش فوق السموات السبع ان الموحدين أجمعين من العرب والعجم اذا كربهم أمر ونزلت بهم شدة رفعوا وجوههم الى السماء ونصبوا ايديهم رافعين مشيرين بها الى السماء يستغيثون الله ربهم تبارك وتعالى وهذا اشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاجوا فيه الى اكثر من حكايته لانه اضطراري لم يوافقهم عليه أحد ولا انكره عليهم مسلم. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للامة التي أراد مولاها عتقها ان كانت مؤمنة فاختبرها النبي صلى الله عليه وسلم بان قال لها أين الله فاشارت الى السماء . ثم قال لها من أنا قالت أنت رسول الله قال اعتقها فانها مؤمنة فاكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم منها برفع رأسها الى السماء واستغنى بذلك عما سواه. قال واما احتجاجهم بقوله تعالى (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية لان علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله. وذكر سنيد عن مقاتل بن حيان عن الضحاك بن مزاحم في قوله تعالى (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) قال هو على عرشه وعلمه معهم أينما كانوا قال وبلغني عن سفيان الثوري مثله قال سنيد بسنده الى ابن مسعود قال الله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم . ثم ساق من طريق يزيد بن هرون عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ما بين السماء الى الارض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء الى الاخرى خمسمائة عام وما بين السماء السابعة الى الكرسي مسيرة خمسمائة عام. وما بين الكرسي الى الماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش ويعلم أعمالكم . وذكر هذا الكلام او قريبا منه في كتاب الاستذكار *

﴿ ذكر قول الامام مالك الصغير ﴾ أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني قال في خطبته رسالته المشهورة باب ما تنطق به الالسنة وتعتقده الافئدة من واجب امور الديانات من ذلك

[illegible] وقال ان الله اله واحد لا اله غيره ولا شبيه له ولا نظير له ولا [illegible] ولا والد له ولا صاحبة له ولا شريك له ليس لاوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء ولا يبلغ كنه صفته الواصفون ولا يحيط بامره المتفكرون يعتبر المتفكرون بآياته ولا يتفكرون في ماهية ذاته (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم) وهو العليم الخبير المدبر القدير السميع البصير العلي الكبير وانه فوق عرشه المجيد بذاته وهو بكل مكان بعلمه — وكذلك ذكر مثل هذا في نوادره وغيرها من كتبه — وذكر في كتابه المفرد في السنة تقرير العلو واستواء الرب تعالى على عرشه بذاته اتم تقرير فقال مما اجتمعت عليه الامة من أمور الديانة من السنن التى خلافها بدعة وضلالة ان الله سبحانه وتعالى له الاسماء الحسنى والصفات العلى لم يزل بجميع صفاته وهو سبحانه موصوف بان له علما وقدرة وارادة ومشيئة احاط علما بجميع ما بدا قبل كونه وفطر الاشياء بارادته وقوله انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون وان كلامه صفة من صفاته ليس بمخلوق فيبيد ولا صفة لمخلوق فينفد وان الله عز وجل كلم موسى عليه الصلوة والسلام بذاته واسمعه كلامه لا كلاما قام في غيره وأنه يسمع ويرى ويقبض ويبسط وان يديه مبسوطتان والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وان يديه غير نعمته في ذلك في قوله سبحانه مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدي وانه يجئ يوم القيامة بعد ان لم يكن جائيا والملك صفا صفا لعرض الامم وحسابها وعقابها وثوابها فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء *

وانه يرضى ويحب التوابين ويسخط على من كفر به ويغضب ولا يقوم شئ بغضبه وانه فوق سماواته على عرشه دون أرضه وانه فى كل مكان بعلمه . وان لله سبحانه كرسيا كما قال عز وجل وسع كرسيه السموات والارض كما جاءت به الاحاديث ان الله سبحانه يضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء وقال مجاهد كانوا يقولون ما السموات والارض فى الكرسى الا كحلقة ملقاة فى فلاة من الارض وان الله سبحانه يراه أولياؤه فى المعاد بابصارهم لا يضامون فى رؤيته كما قال عز وجل فى كتابه وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول الله عز وجل للذين أحسنوا الحسنى وزيادة هو النظر الى وجه الكريم وانه يكلم عباده يوم القيامة ليس بينه وبينهم واسطة ولا ترجمان

[illegible]

شيئا ولا عن الفعل [illegible] وكل قد قدر [illegible] سبحانه وتعالى وأحصاه عدة وان
مقادير الامور بيده ومصدرها عن قضائه تفضل على من أطاع بوفقه وحبب الايمان اليه وزينه
في قلبه فيسره وشرح له صدره ونور قلبه فهداه ومن يهدى الله فما له من مضل وخذل من
عصاه وكفر به فاسلمه ويسره لحينه وأضله ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا وكل
ينتهى الى سابق علمه لاتخصيص لاحد عنه. وان الايمان قول باللسان واخلاص بالقلب وعمل
بالجوارح يزيد ذلك بالطاعة وينقص بالمعصية نقصا عن حقائق الكمال لامحبط للايمان ولا
قول الا بعمل ولا عمل ولا قول الا بنية ولا قول ولا عمل ولا نية الا بموافقة السنة وانه لايكفر
أحد من أهل القبلة بذنب وان كان كبيرا ولا يحبط الايمان غير الشرك بالله تعالى كما قال
سبحانه لئن أشركت ليحبطن عملك . وقال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك
لمن يشاء. وان على العباد حفظة يكتبون أعمالهم كما قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين . وقال
تعالى مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وان ملك الموت يقبض الارواح كلها باذن الله تعالى
متى شاء كما قال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم. وان الخلق ميتون بآجالهم . فارواح
أهل السعادة باقية منعمة الى يوم القيامة . وأرواح أهل الشقاء فى سجين معذبة الى يوم القيامة
وان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وان عذاب القبر حق . وان المؤمنين يفتنون فى قبورهم
ويضغطون ويسألون . ويثبت الله منطق من أحب تثبيته وانه ينفخ في الصور فيصعق من فى
السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون كما بدأهم
يعودون حفاة عراة غرلا وان الاجساد التى أطاعت أو عصت هى التى تبعث يوم القيامة
لتجازى والجلود التي كانت فى الدنيا والالسنة والايدى والارجل التى تشهد عليهم يوم القيامة
على من تشهد عليه منهم وينصب الموازين لوزن أعمال العباد فافلح من ثقلت موازينه وخاب
وخسر من خفت موازينه ويؤتون صحائفهم فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا
ومن أوتى كتابه بشماله فسوف يدعوا ثبورا ويصلى سعيرا وان الصراط جسر مورود يجوزه العباد
بقدر أعمالهم فناجون متفاوتون فى سرعة النجاة عليه من نار جهنم وقوم أبقتهم أعمالهم فيها يتساقطون
وانه يخرج من النار من فى قلبه شئ من الايمان وان الشفاعة لاهل الكبائر من المؤمنين

ويخرج بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من النار من أمته بعد ان صاروا فحما يطرحون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل والايمان بحوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ترده أمته لا يظمأ من شرب منه ويذاد عنه من غير وبدل والايمان بما جاء من خبر الاسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السموات ما صحت به الروايات وانه صلى الله عليه وسلم رأي من آيات ربه الكبرى . وبما ثبت من خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام حكما عدلا وقتله الدجال وبالآيات التي بين يدي الساعة من طلوع الشمس من المغرب وخروج الدابة وغير ذلك مما صحت به الروايات ونصدق بما جاءنا عن الله في كتابه وثبت عن رسوله صلى الله عليه وسلم وأخباره فوجب العمل بمحكمه ونؤمن بمشكله ومتشابهه ونكل ما غاب عنا من حقيقة تفسيره الى الله تعالى . والله يعلم تأويل المتشابه من كتابه والراسخون في العلم يقولون آمنا به وكل ما غاب عنا من حقيقة تفسيره كل من عند ربنا . وقال بعض الناس الراسخون في العلم يعلمون مشكله ولكن الاول قول أهل المدينة وعليه يدل الكتاب وان أفضل القرون قرن الصحابة رضي الله عنهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وان أفضل الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم علي . وقيل ثم عثمان وعلي ويكف عن التفضيل بينهما . روى ذلك عن مالك وقال ما أدركت أحدا اقتدى به يفضل أحدهما على صاحبه ورأى الكف عنهما وروى عنه القول الاول وهو قول اهل الحديث . ثم بقية العشرة ثم اهل بدر ومن المهاجرين ومن الانصار ومن جميع الصحابة على قدر الهجرة والسابقة والفضيلة وكل من صحبه ولو ساعة او رآه ولو مرة فهو بذلك افضل من التابعين والكف عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بخير ما يذكرون به وهم احق ان ننشر ذكر محاسنهم ونلتمس لهم افضل مخارجهم ونظن بهم احسن المذاهب . قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تؤذوني في صحابي فوالذي نفسي بيده لو انفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أصحابي فامسكوا قال أهل العلم لا يذكرون الا باحسن ذكر والسمع والطاعة لأئمة المسلمين وكل من ولي أمر المسلمين عن رضى أو عن غلبة أو شدة وطاعته من بر او فاجر ولا يخرج له عليه جار او عدل ونغزو معه العدو ونحج معه البيت ودفع الصدقات اليهم مجزية اذا طلبوها ونصلي خلفهم الجمعة والعيدين . قاله غير واحد من العلماء وقال مالك لا يصلى خلف المبتدع منهم

الا أن تخافه فتصلي خلفه . واختلف في الاعادة . ولا بأس بقتال من دافعك من الخوارج والنصوص من أهل المسلمين وأهل الذمة عن نفسك ومالك والتسليم للمسلمين لا تعارض برأي ولا تدافع بقياس وما تأوله منها السلف الصالح تأولناه . وما عملوا به عملناه . وما تركوه تركناه . ويسعنا ان نمسك عما أمسكوا عنه ونتبعهم فيما بينوا ونقتدي بهم فيما استنبطوه ورأوه في الحوادث . ولا نخرج من جماعاتهم فيما اختلفوا فيه وفي تأويله . وكل ما قدمنا ذكره فهو قول أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والحديث على ما بيناه . وكله قول مالك فمنه منصوص من قوله ومنه من مذهبه قال مالك قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامور سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله تعالى واستكمال لطاعته وقوة على دين الله تعالى ليس لاحد تبديلها ولا تغييرها . ولا النظر فيما خالفها من اهتدى بها هدى ومن استنصر بها نصر ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا قال مالك أعجبني عزم عمر رضي الله عنه في ذلك وقال في مختصر المدونة وانه تعالى فوق عرشه بذاته فوق سمواته دون أرضه رضي الله عنه *

* قول الامام أبي بكر محمد بن وهب المالكي شارح رسالة ابن أبي زيد ومن المشهورين بالفقه والسنة رحمه الله تعالى * قال في شرحه للرسالة ومعنى فوق وعلى واحد بين جميع العرب في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تصديق ذلك قوله تعالى ثم استوى على العرش الرحمن وقال تعالى الرحمن على العرش استوى وقال تعالى في وصف الملائكة يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومثل ذلك كثير وقال الرسول صلى الله عليه وسلم للاعجمية اين الله فأشارت الى السماء ووصف النبي صلى الله عليه وسلم انه عرج به من الارض الى السماء ثم من سماء الى سماء الى سدرة المنتهى ثم الى ما فوقها حتى قال سمعت صريف الاقلام ولما فرضت الصلاة جعل كلما [illegible] موسى عليه السلام في بعض السماوات . وامره بسؤال التخفيف عن امته [illegible] الى الله سبحانه وتعالى يسأله حتى انتهت الى خمس صلوات وسنذكره [illegible] الله تعالى [illegible]

* قول الامام [illegible] عبد الله بن خلف المقرى الاندلسي رحمه الله تعالى * قال في الجزء

[illegible]
[illegible] رحمه الله تعالى عن مالك بن شهاب عن ابي عبد الله الاغر وعن ابي سلمة ابن عبد الرحمن عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له ومن يسألني فاعطيه ومن يستغفرني فاغفر له *

في هذا الحديث دليل على انه تعالى في السماء على العرش فوق سبع سموات من غير مماسة ولا تكييف كما قال اهل العلم . ودليل قولهم ايضا من القرآن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقوله تعالى ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع وقوله تعالى اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا . وقوله يدبر الامر من السماء الى الارض وقوله تعالى تعرج الملائكة والروح اليه . وقوله تعالى لعيسى عليه السلام اني متوفيك ورافعك الي . وقوله ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه . والعروج هو الصعود . قال مالك ابن انس رحمه الله تعالى الله عز وجل في السماء وعلمه في كل مكان لايخلو من علمه مكان ، يريد والله اعلم بقوله في السماء وعلى السماء كما قال تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل وكما قال تعالى (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض) اى من علا السماء يعني على العرش وكما قال تعالى فسيحوا في الارض اي على الارض وقيل لمالك الرحمن على العرش استوى كيف استوى قال مالك رحمه الله لقائله استواؤه معقول وكيفيته مجهولة وسؤالك عن هذا بدعة وأراك رجل سوء (قال ابو حنيفة) في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى اي علا . قال ويقول العرب استويت فوق الدابة او فوق البيت وكلما قدمت دليل واضح في ابطال قول من قال بالمجاز في الاستواء وان استوى بمعنى استولى لان الاستيلاء في اللغة المبالغة وانه لا يبالغه أحد وان من حق الكلام ان يحمل على حقيقته حتى تتفق الامة انه أريد به المجاز اذ لا سبيل الى اتباع ما أنزل الينا من ربنا سبحانه وتعالى الا على ذلك . وانما يوجه كلام الله تعالى الى الاشهر والاظهر من وجوهه ما لم يمتنع ذلك ما يوجب له التسليم . ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شئ من العبادات وجل الله تعالى أن يخاطب الا بما تفهمه العرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين . والاستواء معلوم في اللغة وهو العلو والارتفاع والتمكن .

[illegible] كان على العرش فوق السموات [illegible]

[illegible] صلى الله عليه وسلم

الامة التي أراد مولاها [illegible] أين الله فأشارت الى السماء . ثم قال لها من انا قالت أنت

رسول الله . قال اعتقها فانها مؤمنة فاكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم منها برفع رأسها الى السماء

ودل على ما قدمناه انه على العرش والعرش فوق السموات السبع . ودليل قولنا أيضا قول أمية

ابن أبي الصلت في وصف الملائكة عليهم السلام .

وساجدهم لا يرفع الدهر رأسه * يعظم ربا فوقه ويمجد

فسبحان من لا يقدر الخلق قدره * ومن هو فوق العرش فرد موحد

مليك على عرش السماء مهيمن * لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وقوله تعالى (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى . فدل على أن موسى عليه السلام كان يقول الهي في السماء وفرعون يظنه كاذبا (فان احتج) أحد علينا فيما قدمناه وقال لو كان كذلك لا شبه المخلوقات لان ما احاطت به الامكنة واحتوته فهو مخلوق . فشيء لا يلزم ولا معنى له لانه تعالى ليس كمثله شيء من خلقه ولا يقاس بشيء من بريته ولا يدرك بقياس . ولا يقاس بالناس . كان قبل الامكنة ثم يكون بعدها لا اله الا هو خالق كل شيء لا شريك له وقد اتفق المسلمون وكل ذي لب انه لا يعقل كائن الا في مكان ما وما ليس في مكان فهو عدم . وقد صح في العقول وثبت بالدلائل انه كان في الازل لا في مكان وليس بمعدوم فكيف يقاس على شيء من خلقه او يجري بينهم وبينه تمثيل او تشبيه . تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

﴿ فان قال قائل ﴾ اذا وصفنا ربنا تعالى انه كان في الازل لا في مكان ثم خلق الاماكن فصار في مكان ففي ذلك اقرار منافيه بالتغيير والانتقال اذا زالت عن صفته في الازل وصار في مكان دون مكان *

﴿ قيل له ﴾ وكذلك زعمت أنت انه كان لا في مكان ثم صار في كل مكان فنقل صفته من الكون لا في مكان الى صفة هي الكون في كل مكان فقد تغير عندك معبودك وانتقل من لا مكان الى كل مكان . فان قال انه كان في الازل في كل مكان وكما هو الآن فقد وجب الامكان

[illegible]

﴿ فان قال ﴾ فهل يجوز ان الله تعالى انتقل من مكان في الازل الى مكان (قيل له) ان الانتقال وتغير الحال فلا سبيل الى اطلاق ذلك عليه لان كونه في الازل لا يوجب مكانا وكذلك نقله لا يوجب مكانا وليس في ذلك كالخلق لان كونه يوجب مكانا من الخلق ونقله يوجب مكانا ويصير متنقلا من مكان الى مكان والله تعالى ليس كذلك ولكنا نقول استوى من لا مكان الى مكان ولا نقول انتقل وان كان المعنى في ذلك واحدا كما نقول له عرش ولا نقول له سرير ونقول هو الحكيم ولا نقول هو العاقل ونقول خليل ابراهيم ولا نقول صديق ابراهيم عليه السلام وان كان المعنى في ذلك واحدا لانا لا نسميه ولا نصفه ولا نطلق عليه الا ما سمى به نفسه على ما تقدم ولا ندفع ما وصف به نفسه لانه دفع للقرآن وقد قال الله تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا) وليس مجيئه حركة ولا زوالا ولا انتقالا لان ذلك انما يكون اذا كان الجائي جسما او جوهرا فلما ثبت انه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض لم يجب أن يكون مجيئه حركة ولا انتقالا ولو اعتبرت ذلك بقولهم جاءت فلانا قيامته وجاءه الموت وجاءه المرض وشبه ذلك مما هو وجود نازل به لا مجيء لبان ذلك وبالله العصمة والتوفيق *

﴿ فان قال انه لا يكون ﴾ مستويا على مكان الا مقرونا بالتكييف (قيل له) قد يكون الاستواء واجبا والتكييف مرتفع وليس رفع التكييف يوجب رفع الاستواء ولو لزم هذا لزم التكييف في الازل ولا يكون كائنا في الامكان ولا مقرونا بالتكييف *

﴿ فان قال ﴾ انه كان ولا مكان وهو غير مقرون بالتكييف وقد عقلنا وادركنا بحواسنا ان لنا أرواحا في ابداننا ولا نعلم كيفية ذلك وليس جهلنا بكيفية الارواح يوجب ان ليس لنا أرواح وكذلك ليس جهلنا بكيفيته على عرشه يوجب ان ليس على عرشه وقد روى عن ابي زيد العقيلي قال قلت يا رسول الله اين كان ربنا تبارك وتعالى قبل ان يخلق السماء والارض قال كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء . قال ابو القاسم العماء ممدود وهو السحاب والعمى مقصور وهو الظلمة وقد روى الحديث بالمد والقصر فمن رواه بالمد فهو عنده كان في عماء سحاب ما تحته هواء وما فوقه هواء والهاء راجعة الى العماء . ومن رواه بالقصر فمعناه عنده كان في عمى عن خلقه لانه من عمى عن الشيء فقد أظلم عنه وعن مجاهد قال ان بين العرش وبين الملائكة لسبعين حجابا

[illegible] رضى الله عنه [illegible] السماء الى الارض مسيرة
خمسمائة عام وما بين السابعة الى الكرسى مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله تعالى على العرش ويعلم أعمالكم وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أيضا أنه فوق العرش لا يخفى عليه شئ من أعمالكم قال ابو القاسم يريد فوق العرش لان العرش آخر المخلوقات ليس فوقه مخلوق والله تعالى اعلى المخلوقات دون تكييف ولا مماسة ولا اعلم فى هذا الباب حديثا مرفوعا الا حديث عبد الله بن عميرة عن الاحنف عن العباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه ان رسول الله صلى عليه وسلم نظر الى سحابة فقال ما تسمون هذه قالوا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال والعنان قالوا والعنان قال كم ترون بينكم وبين السماء قالوا لا ندرى قال بينكم وبينها اما واحد او اثنان او ثلاث وسبعون سنة والسماء فوقها كذلك بينهما مثل ذلك حتى عد سبع سموات ثم فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين سماء الى سماء ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين اظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء الى سماء ثم الله فوق ذلك هذا حديث صحيح أخرجه أبو داود *

﴿ قول الامام ابى عبد الله محمد ابن أبى نميس المالكى المشهور رحمه الله تعالى ﴾ قال فى كتابه الذى صنفه فى أصول السنة (باب الايمان بالعرش) ومن قول أهل السنة ان الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ثم استوى عليه كيف شاء كما أخبر عن نفسه فى قوله عز وجل الرحمن على العرش استوى وفى قوله تعالى ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها . وذكر حديث أبى رزين العقيلى قلت يارسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق السموات والارض قال كان فى عماء مافوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق عرشه على الماء ثم ذكر الاثار فى ذلك الى أن قال باب الايمان بالحجب . قال ومن قول أهل السنة ان الله تعالى بائن من خلقه محتجب عنهم بالحجب تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا الى ان قال باب الايمان بالنزول . قال ومن قول أهل السنة ان الله ينزل الى سماء الدنيا . وذكر حديث النزول ثم قال وهذا الحديث يبين ان الله تعالى على عرشه فى السماء دون الارض وهو أيضا بين فى كتاب الله تعالى ويقدس فى غير ما حديث عن رسول الله صلى عليه وسلم

ان الله [illegible] الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه ومثل الآيات في العلو [illegible]
[illegible] ذلك [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم اين الله ثم قال وذكر الحديث في مثل هذا كثيرة
﴿ قول القاضي عبد الوهاب امام المالكية بالعراق ومن كبار أهل السنة رحمه الله تعالى ﴾ صرح
بان الله استوى على عرشه بذاته نقله شيخ الاسلام رحمه الله تعالى وقدس روحه في غير موضع
من كتبه ونقله عنه القرطبي في شرح الاسماء الحسنى *

﴿ ذكر قول الامام محمد بن ادريس رضي الله عنه وقدس روحه ﴾

قال الامام ابن الامام عبد الرحمن ابن ابي حاتم الرازي حدثنا ابو شعيب وابو ثور عن ابي عبد الله محمد ابن ادريس الشافعي رحمه الله تعالى قال القول في السنة التي انا عليها ورأيت اصحابنا عليها اهل الحديث الذي رأيتهم وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما الاقرار بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء وان الله تعالى ينزل الى سماء الدنيا كيف شاء قال عبد الرحمن وحدثنا يونس بن عبد الاعلى قال سمعت اباعبد الله محمد ابن ادريس الشافعي يقول وقد سئل عن صفات الله وما يؤمن به فقال لله اسماء وصفات جاء بها كتابه واخبر بها نبيه أمته لا يسع احدا من خلق الله قامت عليه الحجة ردها لان القرآن نزل بها وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم القول بها فيما روى عنه العدل فان خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر أما قبل ثبوت الحجة فمعذور بالجهل لان علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بروية الفكر ولا يكفر بالجهل بها أحد الا بعد انتهاء الخبر اليه بها وتثبت هذه الصفات وتنفى عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه فقال ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . وصح عن الشافعي انه قال خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه حق قضاها الله في سمائه وجمع عليها قلوب عباده ومعلوم ان المقضي في الارض والقضاء فعله سبحانه وتعالى المتضمن لمشيئته وقدرته *

﴿ وقال في خطبة ﴾ رسالته . الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه . وفوق ما يصفه به خلقه فجعل صفاته سبحانه انما تتلقى بالسمع . وقال يونس بن عبد الاعلى قال لي محمد ابن ادريس الشافعي رضي الله عنه الاصل قرآن وسنة فان لم يكن فقياس عليهما واذا اتصل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح الاسناد منه فهو سنة والاجماع أكبر من

[illegible] وغير ذلك من الائمة ﴿

﴿ثم ذكر قول الحافظ﴾ امام الشافعية في وقته أبي ابراهيم اسمعيل بن يحيى المزني في رسالته في السنة التي رواها أبو طاهر السلفي عنه باسناده وساقها كلها (وقول امام) الشافعية في وقته أبي العباس بن سريج رحمه الله تعالى وساق كلامه أيضا . (وقول الامام) حجة الاسلام أحمد بن الحسين الشافعي المعروف بابن الحداد ثم ساق كلامه . (وقول الامام) اسمعيل بن محمد بن الفضل التيمي صاحب كتاب الترهيب والترغيب وكتاب الحجة في بيان المحجة ومذهب أهل السنة وكان امام الشافعية في وقته رحمه الله تعالى . ونقل فصلا من كتاب الحجة في بيان استواء الله تعالى على عرشه وساقه كله . (ثم ذكر قول الامام) أبي عمرو عثمان ابن أبي الحسن بن الحسين السهروردي الفقيه المحدث من أئمة أصحاب الشافعي من اقران البيهقي وأبي عثمان الصابوني وطبقتهما له كتاب في أصول الدين . وساق كلامه وفيه . ومن صفاته تبارك وتعالى فوقيته واستواؤه على عرشه بذاته كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بلا كيف الخ . (ثم ذكر قول امام) الشافعية في وقته الامام أبي بكر محمد ابن محمود بن سورة التيمي فقيه نيسابور رحمه الله تعالى . ثم ساق كلامه ومنه ان أردت ان تكون لك درجة الائمة في الدنيا والآخرة فمليك بمذهب السلف الصالح وإياك ان تداهن في ثلاث مسائل مسألة القرآن . ومسألة النبوة . ومسألة استواء الرحمن على العرش باستدلال النص من القرآن والسنة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم . حكاه الحافظ أبو منصور في كتاب العلو له الخ *

﴿ثم ذكر قول أبي الحسن﴾ العمراني صاحب البيان فقيه الشافعية ببلاد اليمن رحمه الله تعالى وساق كلامه في كتابه الذي ألفه في السنة على مذهب أهل الحديث *

﴿ثم ذكر أقوال جماعة من اتباع الائمة الاربعة ممن يقتدى باقوالهم سوى ما تقدم﴾ منهم أبو بكر محمد بن وهب المالكي شارح رسالة ابن أبي زيد عليهما الرحمة وساق كلامه الذي في شرحه بنصه

﴿ومنهم﴾ امام الشافعية في وقته بل هو الشافعي الثاني أبو حامد الاسفرائيني رحمه الله وكان من كبار أئمة السنة المثبتين للصفات فقد قال مذهبي ومذهب الشافعي وجميع علماء الامصار القرآن كلام الله ليس بمخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر الى آخر كلامه . وفيه اثبات صفة العلو لله

﴿ ومنهم ﴾ امام الشافعية فى وقته سعد بن على الزنجانى صرح بالفوقية بالذات فقال هو فوق عرشه بوجود ذاته هذا لفظه وهو امام فى السنة له قصيدة فيها معروفة . أولها .
تمسك بحبل الله واتبع الاثرا . وقد شرحها *
﴿ ومنهم ﴾ الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى الامام فى الفقه والتفسير والحديث والتاريخ واللغة والنحو والقرآن . ثم ساق عبارته فى كتابه صريح السنة وفيه اثبات العلو لله تعالى . وعبارته من تفسيره عند الكلام على قوله تعالى الرحمن على العرش استوى علا وارتفع . وساق جميع عباراته التى ذكرها فى هذا الباب *
﴿ ومنهم ﴾ الامام أبو القاسم الطبرى اللالكائى أحد أئمة أصحاب الشافعى رحمه الله تعالى وساق كلامه فى كتاب السنة وهو مشتمل على مثل ما سبق *
﴿ ومنهم ﴾ الامام محيى السنة الحسين بن مسعود البغوى وساق كلامه الذى هو شجى فى حلوق الجهمية والمعطلة فى سورة الاعراف فى قوله تعالى ثم استوى على العرش *
﴿ ثم ذكر أقوال الامام أحمد بن حنبل ﴾ وجماعة من أصحابه وكلها مصرحة باثبات صفة العلو والفوقية لله تعالى ومثلهم أئمة الحديث المشهورون ثم ذكر أقوال أئمة المفسرين ثم ذكر أقوال أئمة اللغة والعربية الذين يحتج بقولهم فيها كأبى عبيدة معمر بن المثنى ويحيى بن زياد الفراء امام أهل الكوفة وأبى العباس ثعلب وغيرهم مما يطول ذكرهم .
﴿ ثم ذكر أقوال الزهاد ﴾ أهل الاتباع وسلفهم مثل ثابت البنانى وسليمان التيمى وشقيق بن عبيد وعبيد بن عمير والفضيل بن عياض وعطاء السلمى وأبو عبيد الجوزى وبشر الحافى وذى النون المصرى والحارث بن أسد المحاسبي والامام العارف أبى عبد الله محمد بن عثمان المكى شيخ الصوفية فى وقته . وأبى جعفر الهمذانى الصوفى . والامام العارف معمر بن أحمد الاصبهانى شيخ الصوفية في أواخر المائة الرابعة والشيخ عبد القادر الجيلى وأبى عبد الله بن خفيف الشيرازى امام الصوفية في وقته وشيخ الاسلام أبى اسمعيل الانصارى صاحب منازل السائرين والفاروق وذم الكلام وغيره وشيخ الصوفية والمحدثين أبى نعيم صاحب كتاب حلية الاولياء والامام يحيي بن عمار السجزى شيخ أبى اسمعيل الانصارى امام الصوفية
﴿ وكل من ﴾ هؤلاء الابرار . والزهاد الاخيار . صرح باثبات العلو والفوقية لله تعالى

وذكر الشيخ ابن القيم نص عباراتهم في كتابه غزو الجيوش الاسلامية . ولولا خوف طول الكلام وملل السامعين لنقلناها . والكتاب متداول بين الناس *

﴿ثم ذكر أقوال الشارحين لأسماء الله الحسنى﴾ كالقرطبي في شرحه قال وقد كان الصدر الاول لا ينفون الجهة بل نطقوا هم والكافة باثباتها لله تعالى كما نطق كتابه واخبر رسوله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر أحد من السلف الصالح انه استوى على العرش حقيقة وخص بذلك دون غيره لانه أعظم مخلوقات الله وانما جهلوا كيفية الاستواء فانه لا تعلم حقيقته كما قال مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عن الكيف بدعة الى آخر ما قال *

﴿ثم ذكر أقوال أهل الكلام من أهل الاثبات﴾ المخالفين للجهمية والمعتزلة والمعطلة . فذكر قول الامام أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب امام الطائفة الكلابية . وقال كان من أعظم أهل الاثبات للصفات الفوقية وعلو الله تعالى على عرشه وذكر له كلاما طويلا في هذا الباب من أحب أن يقف عليه فليرجع الى كتابه غزو الجيوش *

﴿ثم ذكر﴾ قول أبي الحسن علي بن اسمعيل الاشعري امام الطائفة الاشعرية قال ان كلامه مما وقفنا عليه من كتبه كالموجز والابانة والمقالات وما نقله أعظم الناس انتصاراً له . وهو الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في الكتاب الذي سماه تبيين كذب المفتري . فيما نسب الى أبي الحسن الاشعري . هو مثل كلام السلف ثم نقل ما قاله ابن عساكر وما قاله الاشعري في الابانة

﴿ثم ذكر﴾ قول الحسن بن محمد الاشعري المتكلم من متكلمي أهل الحديث صاحب الجامع الكبير و[illegible] في [illegible] الدين ونقل كلامه في جامعه الكبير المصرح بصفة الفوقية لله والعلو على عرشه [illegible]

﴿ثم ذكر﴾ [illegible] وهو كتاب أقسام للذات وبين أنها [illegible] كالعلم والقدرة [illegible] كالحمد كالعزة [illegible] كالرياسة والامر [illegible] والنهي [illegible] وتكلم على كل واحد من هذه [illegible] [illegible] والمعلق [illegible] هذا السبب نقول [illegible] ما [illegible] لم [illegible] هذا الدين [illegible]

([illegible])

نهاية أقدام العقول عقال * وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا * وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا * سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا

وكم قد رأينا من رجال ودولة * فبادوا جميعا مسرعين وزالوا

وكم من جبال قد علت شرفاتها * رجال فزالوا والجبال جبال

واعلم ان بعد التوغل في هذه المضائق ، والتعمق في الاستكشاف عن أسرار هذه الحقائق ، رأيت الأصوب الأصلح في هذا الباب طريقة القرآن العظيم ، والفرقان الكريم ، وهو ترك التعمق والاستدلال بأقسام أجسام السموات والأراضين ، على وجود رب العالمين ، ثم المبالغة في التعظيم من غير خوض في التفاصيل ، فاقرأ في التنزيه قوله تعالى والله الغني وأنتم الفقراء وقوله تعالى ليس كمثله شيء ، وقوله تعالى (قل هو الله أحد) واقرأ في الاثبات الرحمن على العرش استوى ، وقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ، وقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب . وقوله تعالى قل كل من عند الله . وفي تنزيهه عما يدنبغي قوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك . وعلى هذا القانون فقس وختم الكتاب *

*﴿ثم ذكر﴾ قول متكلم السنة امام الصوفية في وقته أبي العباس أحمد بن محمد المظفري المختان الرازي صاحب كتاب قرع الصفات في تقريع نفاة الصفات وهو على صغر حجمه كتاب جليل غزير العلم قال فيه بعد حكاية مذاهب الناس . وقالت الحنابلة وأصحاب الظواهر والسلف من أهل الحديث ان الله على العرش ، ثم قال أما حجة المثبتين فمن حيث الكتاب والسنة واجماع الصحابة والمعقول ، ثم ذكر حجج القرآن والسنة ، ثم حكى كلام الصحابة . الى ان قال ثم ان الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في النبي صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه ليلة المعراج أم لا واختلافهم في الرؤية تلك الليلة اختلاف منهم على ان الله على العرش لان المخالفين لا يفرقون بين الارض والسماء بالنسبة الى ذاته وهم فرقوا حيث اختلفوا في أحدهما دون الآخر . قلت مراده انما اختلفوا في رؤيته لربه ليلة الاسراء به الى عنده فجاوز السبع الطباق ولولا انه على العرش لكان لا فرق في الرؤية نفيا واثباتا من تلك الليلة وغيرها ، ثم قال واما المعقول فمنه وجوه ، احدها اطباق الناس كافة واجماع الخلق عامة من الماضين والغابرين والمؤمنين والكافرين على رفع الايدى عند

[illegible]

[illegible] الاسدى [illegible] نحو المنقول [illegible] معقول [illegible] قال ومن نظر في قصص

الانبياء واخبار الاوائل القدماء وانباء الامم الماضية والقرون الخالية اصبحت له هذه المعانى

واستحكمت له هذه المبانى ثم ازال العلو وساق شبه الغلاة وقصها قص من لم يطلع عروشها

كل الطلع رحمه الله تعالى *

﴿ ثم ذكر قول شعراء الاسلام ﴾ منهم حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد أنشد النبي صلى الله عليه وسلم قوله

شهدت باذن الله ان محمداً * رسول الذى فوق السموات من عل
وان أبا يحيي ويحيي كلاهما * له عمل من ربه متقبل
وان أخا الاحقاف اذ قام فيهم * يقول بذات الله فيهم ويعدل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أشهد * وقال حسان أيضا فى قصيدته الدالية *

ألم تر ان الله ارسل عبده * ببرهانه والله أعلى وأمجد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه * اذا قال فى الخمس المؤذن اشهد
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد
اغر عليه للنبوة خاتم * من الله ميمون يلوح ويشهد

﴿ ومنهم ﴾ عبد الله بن رواحة فانه أنشد شعرا فى قصة له مع امرأته . وهو قوله

شهدت بان وعد الله حق * وان النار مثوى الكافرينا
وان العرش فوق الماء طاف * وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد * ملائكة الاله مسومينا

﴿ ومنهم ﴾ العباس بن مرداس السلمى قال عوانة بن الحكم لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد اليه الشعراء فقاموا ببابه أياما لا يؤذن لهم فبينما هم كذلك مر بهم على بن ارطاة فدخل على عمر فقال الشعراء ببابك ياأمير المؤمنين فقال ويحك مالى وللشعراء قال فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح فاعطي . مدحه العباس بن مرداس السلمي فاعطاه حلة قال اوتروي من شعره شيئا قال نعم فانشده على بن ارطاة قوله للنبي صلى الله عليه وسلم

﴿ [illegible] ﴾

﴿ [illegible] ﴾

﴿ تعالى علوا فوق سبع [illegible] * وكان مكان الله اعلى واعظما ﴾

﴿ ومنهم ﴾ لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك العامرى أحد شعراء الجاهلية والاسلام، أسلم وصحب النبي صلى الله عليه وسلم ومن شعره *

﴿ لله نافلة الاجل الافضل * وله العلى واثيل كل مؤثل ﴾

﴿ لا يستطيع الناس محو كتابه * أنى وليس قضاؤه بمبدل ﴾

﴿ سوى فاعلى دون عالي عرشه * سبعا طباقا دون فرع المنقل ﴾

﴿ والارض تحتهم مهادا راسيا * ثبتت جوانبها بصم الجندل ﴾

﴿ ذكر ما انشد النبي صلى الله عليه وسلم من شعر امية بن ابي الصلت ﴾

﴿ مجدوا الله فهو للمجد اهل * ربنا في السماء امسى كبيرا ﴾

﴿ بالبناء الاعلى الذى سبق الخلق * وسوى فوق السماء سريرا ﴾

﴿ شرجعا ما يناله بصر العين * ترى دونه الملائك صورا ﴾

ومن شعره قوله فى داليته المشهورة

﴿ لك الحمد والنعماء والملك ربنا * فلا شئ اعلى منه جد وامجد ﴾

﴿ مليك على عرش السماء مهيمن * لعزته تعنوا الوجوه وتسجد ﴾

﴿ عليه حجاب النور والنور حوله * وانهار نور حوله تتوقد ﴾

﴿ فلا بشر يسمو اليه بطرفه * ودون حجاب النور خلق مؤيد ﴾

وفيها وصف الملائكة فقال

﴿ وساجدهم لا يرفع الدهر راسه * يعظم ربا فوقه ويمجد ﴾

﴿ ذكر القصيدة ﴾ التى انشدها اسماعيل ابن الترمذى للامام احمد فى حبسه قال ابراهيم بن اسحق العبلى اخدت هذه القصة من ابى بكر المروزى وذكر ان اسماعيل بن خلان قالها وانشدها احمد بن حنبل فى السجن *

تبارك من لا يعلم الغيب غيره * ومن لم يزل يثنى عليه ويذكر

[illegible]

سميع بصير لا شك ... [illegible] * ومن دونه ... [illegible]

بدا ربنا ... [illegible] كلاهما * [illegible] والايدي من الخلق [illegible]

وساق القصيدة وهي أحسن القصائد ولم ينكرها احد من أهل الحديث بل أثنوا عليها

وقال يحيى بن يوسف بن يحيى بن يوسف الصرصري الانصاري الحنبلي الفقيه

تواضع لرب العرش علك ترفع * فقد فاز عبد للمهيمن يخشع

فداوي بذكر الله قلبك انه * لاعلى دواء للقلوب وانفع

وخذ من تقي الرحمن امنا وعدة * ليوم به غير التقي مروع

الى ان قال

سميع بصير ماله في صفاته * شبيه يرى من فوق سبع ويسمع

قضى خلقه ثم استوي فوق عرشه * ومن علمه لم يخل في الارض موضع

﴿ وقال في لاميته ﴾

ويوم ينادى العالمين فيسمع الا * قصى كدان في المقال المطول

انا الملك الديان والنقل ثابت * فهل ههنا ينساغ تأويل جهل

وينظره أهل البصائر في غد * بابصارهم لا ريب فيه لمجتل

كما ينظرون الشمس ماحال دونها * سحاب الا بعدا لاهل التمزل

توحد نحو العرش والخلق دونه * واحكم ما سواه إحكام مكمل

﴿ وقال أيضا ﴾

أسير وقلبي في هواك أسير * فهل لى من جور الفراق مجير

واستجلب السلوى وفي القلب حسرة * فيرتد عنك الطرف وهو حسير

وما ذاك الا ان فيك لناظري * مدى غصن غض النبات نضير

اذا ما تجلى سافرا فجبا له * الى القلب من جيش الغرام سفير

اذا ما اجتمعنا واتقى الشمل فالتقي * رقيب علينا والعقاب غفور

يؤكد عقد الود بيني وبينه اعـ * ـتقاد عليه للهداية نور

كذلك نص الإمام ابن حنبل * لا شبيها في ذاته ونظير

وأن الله جل ثناؤه * سميع لأقوال العباد بصير

ويطوي السموات العلى بيمينه * وذلك في وصف القوي يسير

وخاطب موسى بالكلام مكلما * فخر صريعا اذ تقطع طور

وخط له التوراة فيها مواعظ * فلاحت على الألواح منه زبور

وان قلوب الخلق بين أصابع الـ * اله فمنها ثابت ونفور

وثبت في الاخرى لرؤية ربنا * حديثا رواه في الصحيح جرير

وأي نعيم في الجنان لاهلها * وأني لهم لو لم يروه سرور

ونؤمن ان العرش من فوق سبعة * تطوف به أملاكه وتدور

قضى خلقه ثم استوى فوق عرشه * تقدس كرسيٌّ له وسرير

هو الله ربي في السماء محجب * وليس كمخلوق حوته قصور

اليه تعالى طيب القول صاعد * وينزل منه بالقضاء أمور

لقد صح اسلام الجويرية التي * باصبعها نحو السماء تشير

وقال رحمه الله تعالي في قصيدته المنامية التي يقول فيها

رأيت رسول الله في النوم مرة * فقبلت فاه مثل تقبيل مشتاق

ولو أنني أوتيت رشدي قائما * لقبلت ممشاه الكريم بآماقي

فبشرني منه بازكى شهادة * بهاجبر كسري يوم فقري واملاقي

لموت سعيد في كتاب وسنة * فلانت لبشراه شراسة اخلاقي

فها أنا ذا والحمد لله وحده * مقر لبشراه باثبت مصداقي

باني على حسن اعتقاد بن حنبل * مقيم وان قام العدالي على ساق

أقر بان الله من فوق عرشه * يقدر آجالا ويقضي بارزاق

سميع بصير ليس شئ كمثله * قديم الصفات الواحد الاحد الباقي

امر أحاديث الصفات كما أتت * أتابع فيها كل ازهر سباق

ولست الى التشبيه يوما بجانح * ولا قائل تأويل اشدق مهاق

وقال رحمه الله تعالى في قصيدته اللامية التي نظم فيها اعتقاد الشافعي رضي الله عنه أولها

أيشعر حزب الجهم ذات الضلال * بأني حرب للمعطل أفكل

أشن عليهم غيرتي وحميتي * لدين الهدى غارات أشرس مقبل

لوقع ربيض في صميم قلوبهم * أشد عليهم من سنان ومنصل

أفوق منه حين أنظر نحوهم * مقاتل تصمى منهم كل مقتل

هم انحرفوا عن منهج الحق سالكي * مهالك من تحريفهم والتأول

لقد برئ الحبر ابن ادريس منهم * براءة موسى من يهود محول

﴿ وقال فيها ﴾

ويعقد عند الشافعي يمين من * غدا حالفا بالمصحف المتقبل

فهذا دليل منه اذ كان لا يرى اذ * عقادا بمخلوق لخلق مؤثل

ومذهبه في الاستواء كمالك * وكالسلف الابرار أهل التفضل

وقل مستو بالذات من فوق عرشه * ولا تقل استولى فمن قال أبطل

فذلك زنديق لقائل قسوة * لذي خطل راو لغث واعطل

وقد بان منه خلقه وهو بائن * من الخلق محض للخفي وللجلي

واقرب من حبل الوريد مفسر * وما كان معناه بعلم فاعقل

علا في سماء الله فوق عباده * دليلك في القرآن غير مقلل

واثبات ايمان الجويرية اتخذ * دليلا عليه مسندا غير مرسل

وقال رحمه الله تعالى يهجو ابن خنفر الجهمي الخبيث أولها *

اطع الهدى لا ما يقول العذل * فالحب ذو امر يجور ويعدل

واتبع لسلمى ما استطعت مسلما * فالحسن ينصرها وصبرك يخذل

بيضاء دون مرامها لمحبها * بيض الصوارم والرماح الذبل

تخفي فيعرفها الوشاة بعرفها * وتضيء والاظلام ستر مرسل

تضحى الدماء لهجرها هدرا وهل * يخفى قصاص القتل طرف اكحل

كيف البقاء لعاشق اودى به * سهم اللحاظ وقد أصيب المقتل

﴿ومنها﴾

نبذ الكتاب وراء ظهر واقتدى * بشيخ الضلالة للصفات يعطل

وعقيدة الملعون ان المصحف ال * مكتوب مسود تطاه الارجل

ما قالت الكفار مثل مقاله * وكذا اليهود ولا النصارى الضلل

آل الجحود به الى وادي لظى * لغاية السافل وبئس الموئل

وزعمت ان للحق مجسم * حاشا لمثل الحق يمثل

بل يورد الاخبار اذ كانت تصـ * ـحها الرواة عن الثقاة وتنقل

ان المهيمن ليس تمضي ليلة * الا وفي الاسحار فيها ينزل

قد قالها خير الورى في سادة * لم ينكروا هذا ولم يتأولوا

وتقبلوها مع غزارة علمهم * أفأنت ام تلك العصابة أعقل

﴿وقال رحمه الله تعالى﴾

واها لفرط حرارة لا تبرد * ولواعج بين الحشى تتردد

في كل يوم سنة مدروسة * بين الانام وبدعة تتجدد

صدق النبي ولم يزل متسربلا * بالصدق اذ يعد الجميل ويوعد

اذ قال يفترق الضلال ثلاثة * زيدت على السبعين قولا يسند

وقضى باسباب النجاة لفرقة * تسعي بسنته اليه وتحفد

فان ابتغيت الى النجاة وسيلة * فاقبل مقالة ناصح يتقلد

اياك والبدع المضلة انها * تهدي الى نار الجحيم وتورد

وعليك بالسنن المنيرة فاقفها * فهي المحجة والطريق الاقصد

فالا كثرون بمبدعات عقولهم * نبذوا الهدى فتنصروا وتهودوا

منهم أناس في الضلال تجمعوا * وبسب أصحاب النبي تفردوا

قد فارقوا جمع الهدى وجماعة الا * سلام ثم تزندقوا وتمردوا

بالله يا أنصار دين محمد * نوحوا على الدين الحنيف وعددوا

لعبت بدينكم الروافض جهرة * وتألفوا في دحضه وتحشدوا

[illegible]

[illegible] الكتاب التي * [illegible]

تعنو مراتب من أشرف منصب * في الفخر من فاق [illegible]

لو أن الصديق جعلتم * [illegible] وهي من التأول أبعد

أو ما هو السباق في غر والعدا * ولقد زكى من ذل منه الجحد

ولقد أشاد بذكره رب العلى * فثناؤه في الذكريات مسدد

نطق الكتاب بمجده الاعلى في * أي الحديد مناقب لاتنفد

لا يستوى منكم وفيها مقنع * والليل يثبت فضله ويؤكد

وبراءة تثني لصحبته وهل * يهوى رفيع علاه الاملحد

أوما هو الاتق الذي استولى على الـ * اخلاص طارف ماله والمتلد

لما مضى لسبيله خير الورى * وحوى شمائله صفيح ملحد

منع الاعاريب الزكاة لفقده * وارتد منهم حائر متردد

وتوقدت نار الضلال وخالطت * ابليس اطماع كوامن رصد

هذا أبو بكر بصدق عزيمة * وثبات ايمان ورأى يحمد

فتمزقت عصب الضلال وأشرقت * شمس الهدي وتقوم المتأود

أم رتبة الفاروق في اظهاره * للدين تلك فضيلة لاتجحد

وهو الموفق للصواب كأنما * ملك يصوب قوله ويسدد

بوفاقه آي الكتاب تنزلت * وبفضله نطق المشفع أحمد

لو كان من بعدي نبيا كنته * خبرا صحيحاً في الرواية مسند

وبعدله الامثال تضرب في الورى * وفتوحه في كل قطر يوجد

وتمام فضلهما جوار المصطفى * في تربة فيها الملائك تحشد

وتعمقوا في سب عثمان الذى * ألفاه كفوا لابنتيه محمد

ولبيعة الرضوان مد شماله * عوض اليمين وهي منه أوكد

وحباه في بدر بسهم مجاهد * اذ فاته بالعذر ذلك المشهد

يبرأ منه [illegible] * [illegible] فيه [illegible]
ثم ادعوا حب الامام المرتضى * هيهات [illegible] عليه [illegible]
[illegible] جحدوا الذي بفضلهم * أثنى أبو الحسن الامام السيد
ماو علاه مقالة لخالف * فسائل الاجماع فيه [illegible]
ونحن أولى بالامام وحبه * عقد ندين به الاله مؤكد
وولاؤه لا يستقيم ببغضهم * واضرب لهم مثلا يغيض ويكمد
مثل الذي جحد ابن مريم وادعى * حب الكليم وتلك دعوى تفسد
وبقذف عائشة الطهور تجشموا * أمرا تظل له الفرائص ترعد
تنزيهها في سبع عشرة آية * والرافضي بضد ذلك يشهد
لو ان أمر المسلمين اليهم * لم يبق في هذي البسيطة مسجد
ولو استطاعوا ماسعت بحرامهم * قدم ولا امتدت بكفهم يد
لم يبق للاسلام مابين الورى * علم يشير ولا لواء يعقد
علقوا بحبل الكفر واعتصموا به * والعالقون بحبله لم يسعدوا
وأشدهم كفرا جهول يدعى * علم الاصول وفاسق متزهد
فهما وان وهنا أشد مضرة * في الدين من قار السفين وأفسد
واذا سألت فقيهم عن مذهب * فإلى اعتزال في الشريعة يلحد
كالخائض الرمضاء أقلقه لظى * منها ففر الى جحيم يوقد
ان المقال بالاعتزال لخطة * عمياء حل بها الغواة المرد
هجموا على سبل الهدى بعقولهم * ليلا فعاثوا في الديار وأفسدوا
صم اذا ذكر الحديث لديهم * نفروا كأن لم يسمعوه وغردوا
واضرب لهم مثل الحمير اذا رأت * أسد العرين فهن منه شرد
والجاحد الجهمي أسوأ منهما * حالا وأخبث في القياس وأفسد
أمسى لرب العرش قال منزها * من ان يكون عليه رب يعبد
ونفى القران برأيه والمصحف الـ * اعلى المطهر عنده يتوسد

[illegible] على العرش استوى * فالى من استولى عليه [illegible]

فالى من الايدي عنه تصرفا * والى من [illegible] يجحد

ومن الذي هو للقضاء منزل * واليه أعمال العباد تصعد

وبما تنزل جبرئيل مصعدا * ولأي معجزة المعصوم [illegible]

ومن الذي استولى عليه بقهره * ان كان فوق العرش ضد أبد

جلت صفات الحق عن تأويلهم * وتقدست عما يقول الملحد

لما بنوا تنزيههم بقياسهم * ضلوا وفاتهم الطريق الأرشد

ويقول لاسمع ولا بصر ولا * وجه لربك ذي الجلال ولا يد

من كان هذا وصفه لالهه * فأراه للاصنام سوا يسجد

الحق اثبتها بنص كتابه * ورسوله وغدا المنافق يجحد

فمن الذي أولى باخذ كلامه * جهم او الرحمن قولوا وارشدوا

والصحب لم يتأولوا لسماعها * فهم الى التأويل ام هو أرشد

هو مشرك ويظن جهلا انه * في نفي أوصاف الاله موحد

يدعو من اتبع الحديث مشبها * هيهات ليس مشبها من يسند

لكنه يروي الحديث كما أتى * من غير تأويل ولا يتأود

واذا العقائد بالضلال تخالفت * فعقيدة المهدي أحمد أحمد

هي حجة الله المنيرة فاعتصم * بحبالها لايلهينك مفسد

ان ابن حنبل اهتدى لما اقتدى * وخالفوه لزيغهم لم يهتدوا

مازال أحمد يقتفي أثر الهدى * ويروم أسباب النجاة ويجهد

حتى ارتقى في الدين اشرف ذروة * مافوقها لاخي التقي من يصمد

نصر الهدى اذ لم يقل مالم يقل * في فتنة نيرانها تتوقد

ماصده ضرب السياط ولا ثنى * عزماته ماضي الغرار مهند

لهواه حبا ليس فيه تعصب * لكن محبة مخلص يتودد

ووادنا للشافعي ومالك * وابي حنيفة ليس فيه تردد

[illegible] على [illegible] في باب الاستدلال من [illegible]
[illegible] ان يكون مستندا في العقائد الدينية فكيف [illegible] الاجماع [illegible] في هذا
الباب فطوائف [illegible] ان كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وسائر أسلافه وأصحابهم
والتابعين لهم باحسان هو الحجة والبرهان فذكر أقوال أهل العلم وشعر بعض الشعراء
لا للاحتجاج بها بل لبيان ان جميع العقلاء على ماذكرنا وليعلم الخصم ان أهل الاثبات اولى بالله
ورسوله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وأهل الاسلام وطبقات أهل العلم والدين من
الجهمية والمعطلة وليعرف جنود الاسلام والسنة وامراؤها وحزب البدع والتجهم ليتحيز المقاتل
الى الطائفتين على بصيرة من أمره ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ولهذا
قال الحافظ بن القيم بعد ماورد ماذكرناه * وهذا باب واسع جدا لا يتسع لذكره مجلد كبير
ويكفي ان شعراء الجاهلية مقرة به على فطرتهم الاولى كما قال عنترة في قصيدته

﴿ ياعبل اين من المنية مهرب * ان كان ربي في السماء قضاها ﴾

﴿ثم ذكر قول﴾ الفلاسفة المتقدمين والحكماء الاولين فانهم كانوا مثبتين لمسألة العلو والفوقية مخالفين لارسطوا وشيعته واتى بنصهم لاجل ماذكرنا لا للاستدلال ثم ان من المعلوم انه لا يلزم من مدح شخص وحمده من جهة ان يكون ممدوحا محمودا من كل جهة بل لا يلزم من الحكم عليه بالاسلام أو الايمان ان لا يحكم عليه بما يوجب نقص ايمانه وخلل اسلامه ويقتضي تأثيمه ببعض السيئات وعقابه عليها *

﴿ والمقصود ﴾ ان ماذكره النبهاني واضرابه من الجهلة وما هذى به الشيخ شهاب الدين الحلبي مخالف للكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والمجتهدين وأئمة المسلمين ومشاهير اتباعهم والعقلاء واتباع من سبق من الانبياء والشعراء وائمة اللغة والفلاسفة الاولى وجاهلية العرب . ويكفي ذلك بطلانا لقولهم وافكهم وخزيا لهم بين أهل العقول . (ولو أخذنا) نتكلم على ما اشتمل عليه كلامهم من المفاسد لطال الكلام جدا . وما ذكرناه كاف لمن أخذت العناية بيديه . ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور . (نسأله) تعالى ان يبصرنا في أمورنا انه ذو الفضل العميم . والمن الجسيم . وهو المعطي قبل السؤال . والعالم بالاحوال

﴿ قال النبهاني ﴾ ولنرجع الى الكلام على كتب ابن تيمية قال فمنها الكتب الاربعة المذكورة

[illegible]
كتاب العقل والنقل وقد رد به على أهل السنة والجماعة من المتكلمين الاشاعرة والماتريدية وغيرهم من الفرق الاخرى ومنها كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وقد رد به على جماعة المسلمين من الاولياء والعارفين *

اذا علمت ذلك تعلم أنه مثل ابن حزم لم يسلم من قلمه أحد ، وقد رد عليه الامام السبكي فيما رد به على كتبه أبيات مدح فيها كتابه منهاج السنة واعترض عليه ببعض بدعه فتصدى التشنيع على السبكي بذلك والرد عليه بعض الحشوية ممن هو على عقيدة ابن تيمية أحدهما حنبلي والآخر فيما زعم شافعي الى أن قال نظم كل منهما في ذلك قصيدة طويلة في أكثر من مائة بيت فيها الهجر والهجر والتحامل على الامام السبكي بما لا ينبغي أن يصدر من مسلم فضلا عن عالم . وقد رأيت أن أنتصف منهما وأقابلهما بمثلهما جاعلا محط نظري اثبات الحق ودحض الباطل وبيان المذهب الصحيح من المذهب الباطل فنظمت هذه القصيدة من البحر والقافية وقد أثبت فيها استحالة الجهة على الله تعالى بدلائل ظاهرة باهرة وتعرضت لجواز الاستغاثة والشد الرحل لزيارته صلى الله عليه وسلم بما لا يأباه عقل ولا يمنعه نقل رادا على من يخالف ذلك ثم ذكر القصيدة وهي نحو مائة وثلاثة وخمسين بيتا قال في أولها *

الحمد لله حمدا استمد به * لنصرة الحق كي احظى بمطلبه
بك استعنت الهي عاجزا فاعن * ابنى رضاك فاسعفنى باطيبه
وانني عالم ضعفي ولا عمل * عندي يفيد ولا علم أصول به

وكلها على هذا المنوال من الشعر الركيك ولولا الحرص على نفيس العمر أن يذهب سدى لنقلناها في هذا المقام . ولكنا نزهنا القلم من نقلها وصنا وجه القرطاس عن تلك الاوهام وقد ذكر هو ما اشتملت عليه قصيدته *

﴿ يقال للنبهانى أولا ﴾ قد تكلمنا سابقا على ما يتعلق بكتب الشيخ كلاما يكتفى به اللبيب والذكي الاديب وقوله عن كتاب العقل والنقل أنه رد به على أهل السنة الخ * كلام لا معنى له فانه لم يرد على أهل السنة بل رد عنهم كما هو شأنه في كل كتاب من كتبه انما رد على من استدل على حدوث العالم بحدوث الاجسام واثبت حدوث الاجسام بدليل الاعراض والحركة

والسكون والأجسام مستلزمة لذلك لا تنفك عنه وما لا يسبق الحوادث فهو حادث ونحو ذلك على حدوث [illegible] لا أصل له ولم يقل به أحد في الصحابة والتابعين [illegible] بل أول ما ظهر هذا الكلام في الاسلام بعد المائة الأولى من جهة الجعد بن درهم والجهم بن صفوان ثم صار الى عمرو بن عبيد كأبي الهذيل العلاف وأمثاله وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء انما كانا يظهران الكلام في انفاذ الوعيد وان النار لا يخرج منها من دخلها وفي التكذيب بالقدر هؤلاء ومن وافقهم على اعتقادهم رد عليهم شيخ الاسلام . واما الاشعرى فلا ريب عنه انه كان تلميذا لأبي على الجبائي لكنه فارقه ورجع عن جمل مذهبه وان كان قد بقي عليه شيء من أصول مذهبه لكنه خالفه في نفي الصفات وسلك فيها طريقة ابن كلاب وخالفهم في القدر ومسائل الايمان والاسماء والاحكام وناقضهم في ذلك أكثر من مناقضة حسين النجار وضرار بن عمرو ونحوهما ممن هو متوسط في هذا الباب كجمهور الفقهاء وجمهور أهل الحديث حتى مال في ذلك الى قول جهم وخالفهم في الوعيد وقال بمذهب الجماعة وانتسب الى مذهب أهل الحديث والسنة كأحمد بن حنبل وأمثاله وبهذا اشتهر عند الناس فالقدر الذى يحمد من مذهبه هو ماوافق فيه أهل السنة والحديث كالجمل الجامعة . واما القدر الذى يذم من مذهبه فهو ما وافق فيه بعض المخالفين للسنة والحديث من المعتزله والمرجئة والجهمية والقدرية ونحو ذلك وأخذ مذهب أهل الحديث عن زكريا بن يحيي الساجى بالبصرة وعن طائفة ببغداد من أصحاب أحمد وغيرهم وذكر في المقالات ما اعتقد أنه مذهب أهل السنة والحديث وقال بكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب . وهذا المذهب هو من أبعد المذاهب عن مذهب الجبرية والقدرية . وآخر ما صنف من الكتب كتاب الابانة وقد ذكر فيه أنه على مذهب أهل الحديث واعتقادهم . وقد خالفه كثير من الاشعرية في كثير من المسائل *

(والمقصود) ان الشيخ انما رد في كتاب العقل والنقل بل وفي سائر كتبه على من خالف أهل السنة الذين تمسكوا بالكتاب وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم . وموضوع كتاب العقل والنقل ان الشريعة الغراء كاملة مكملة لا حاجة لها الى ما استحدثوه من القواعد المناقضة للشريعة وان نصوص الشريعة تفيد اليقين وأنها مقدمة على تلك القواعد وان النصوص لا تؤول لتلك القواعد اذا خالفتها واستدل على ذلك بنحو تسعة عشر دليلا . والنبهاني ليس ممن يحسن قراءة

[illegible] *

* وما قاله [illegible] في الفرقان وذكر من كتاب الفرقان [illegible] على [illegible] من

الأولياء والصالحين وهو كلام من لم يعرف الولاية ولا دخل في الإيمان والإسلام والشيخ

[illegible] رحمه الله قد فرق في هذا الكتاب بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فرقا واضحا

يعرفه من له أدنى إلمام بالعلم ومداره على الاتباع والانتفاع فمن اتبع في أقواله وأفعاله ما جاءت

به الشريعة فذلك من أولياء الرحمن، ومن خالف في ذلك فهو من أولياء الشيطان، وان طار في الهواء

أو مشى على وجه الماء . وأما ابن عربي صاحب فصوص الحكم والفتوحات المكية فقد سلك

مسلك القرامطة والباطنية الذين زاغوا عن الشريعة ولهذا ادعى أنه يأخذ من المعدن الذي

يأخذ منه الملك الذي يوحى به الى الانبياء والنبي عنده يأخذ من الملك الذي يوحى به الى

الرسل لان النبي عنده يأخذ من الخيالات التي تمثلت في نفسه لما صورت له المعاني العقلية

في الصورة الخيالية وتلك الصورة عنده هي الملائكة وهي بزعمه تأخذ عن عقله المجرد قبل

ان تصير خيالا ولهذا يفضل الولاية على النبوة ويقول *

مقام النبوة في برزخ * فويق الرسول ودون الولي

والولي على أصله الفاسد يأخذ عن الله بلا واسطة لانه يأخذ عن عقله وهذا عندهم هو الآخذ عن الله بلا واسطة اذ ليس عندهم ملائكة منفصلة تنزل الوحي والرب عندهم ليس هو موجودا مباينا للمخلوقات بل هو وجود مطلق أو مشروط بنفي الامور الثبوتية عن الله . أو نفي الامور الثبوتية والسلبية، وقد يقولون هو وجود المخلوقات أو حال فيها أولا هذا ولا هذا . فهذا عندهم غاية كل رسول ونبي النبوة عندهم الاخذ عن القوة المتخيلة التي صورت المعاني العقلية في المثل الخيالية ويسمونها القوة القدسية . فلهذا جعلوا الولاية فوق النبوة . وهؤلاء من جنس القرامطة الباطنية الملاحدة، لكن هؤلاء ظهروا في قالب التصوف والتنسك ودعوى التحقيق وأمثال ذلك وأولئك ظهروا في قالب التشيع والموالاة . فأولئك يعظمون شيوخهم حتى يجعلوهم أفضل من الانبياء، وقد يعظمون الولاية حتى يجعلوها أفضل من النبوة وهؤلاء يعظمون أمر الامامة حتى قد يجعلون الائمة أعظم من الانبياء والامام أعظم من النبي كما يقوله الاسمعيلية وكلاهما يباطنان الفلاسفة الذين يجعلون النبي فيلسوفا، ويقولون انه يختص بقوة قدسية، ثم منهم من يفضل النبي على الفيلسوف

[illegible]
من ثلاث صفات من حصلت له فهو نبي . أن يكون له قوة قدسية ينال بها العلم بلا
تعلم وان تكون نفسه قوية لها تأثير فى هيولى العالم وان تكون له قوة تخيلية يتخيل بها ما يعقله ويرى
فى نفسه ويسمع ما فى نفسه هذا كلام ابن سينا وأمثاله فى النبوة وعنه أخذ ذلك الغزالى فى
كتبه المضنون بها على غير أهلها وهذا القدر الذى ذكروه يحصل لخلق كثير من آحاد الناس
ومن المؤمنين ولبس هو من أفضل عموم المؤمنين فضلا عن كونه نبيا . وهؤلاء قالوا هذا لما
احتاجوا فى الكلام فى النبوة على أصول سلفهم الدهرية القائلين بان الافلاك قديمة أزلية لا مفعولة
لفاعل بقدرته واختياره وأنكروا علمه بالجزئيات ونحو ذلك من أصولهم الفاسدة فتكلم هؤلاء
فى النبوة على أصول اوائك . وأما القدماء ارسطو وأمثاله فليس لهم فى النبوة كلام محصل . قالوا احد
من هؤلاء يطلب ان يصير نبيا كما كان السهروردي المقتول يطلب ان يصير نبيا وكان قد جمع
بين النظر والتأله وسلك نحوا من مسلك الباطنية وجمع بين فلسفة الفرس واليونان وعظم
أمر الانوار * وقرب دين المجوس الاول وهى نسخة الباطنية الاسمعيلية وكان له يد فى السحر
والسيمياء فقتله المسلمون على الزندقة بحلب فى زمان صلاح الدين — وكذلك ابن سبعين الذى
جاء من المغرب الى مكة وكان يطلب ان يصير نبيا . وجدد غار حراء الذى نزل فيها الوحى
على النبي صلى الله عليه وسلم ابتداء . وحكى عنه انه كان يقول لقد رددت ابن آمنة حيث قال
لا نبي بعدى وكان بارعا فى الفلسفة وفى تصوف المتفلسفة وما يتعلق بذلك . وهو وابن عربى
وأمثالهما كالصدر القونوى وابن الفارض والتلمسانى منتهى أمرهم القول بوحدة الوجود الواجب
القديم الخالق هو الوجود الممكن المحدث المخلوق ماثم لاغير ولا سوي *
لكن لما رأوا تعدد المخلوقات صاروا تارة يقولون مظاهر ومجالى فاذا قيل لهم فان كانت المظاهر
أمرا وجوديا تعدد الوجود والا لم يكن لها حينئذ حقيقة وما هو نحو هذا الكلام الذى يبين
ان الوجود نوعان خالق ومخلوق *
قالوا نحن ثبت عندنا فى الكشف مايناقض صريح العقل . ومن أراد ان يكون محققا مثلنا فلا
بد ان يلتزم الجمع بين النقيضين وان الجسم الواحد يكون فى وقت واحد فى موضعين وهؤلاء
الاصناف قد بسط الكلام عليهم شيخ الاسلام فى غير موضع . فان هؤلاء يكثرون فى الدول

[illegible]

الكشف حقائق هؤلاء وبيان أمورهم على الوجه الذي يعرف به ما خفي من الباطن . فمن هؤلاء
يشعرون في أنفسهم أنهم أفضل أهل الأرض وان النبي لا يعرفون حقيقته لرأيتهم . قال شيخ
الاسلام رحمه الله فلما يسر الله أن بينت لهم حقائقهم وكتبت في ذلك من المصنفات ما علموا
به ان هذا هو تحقيق قولهم وتبين لهم بطلانه بالعقل الصريح والنقل الصحيح والكشف المطابق
رجع عن ذلك من علمائهم وفضلائهم من رجع وأخذ هؤلاء يبينون للناس تناقضهم ورجوعهم
من الحق . وكان من أصول ضلالهم ظن ان الوجود المطلق يوجد في الخارج فان الذي يوجد
في الخارج متقيدا معينا هو مطلق في الذهن مقيد في الخارج . وأما من زعم ان في الذهن
شيئا مطلقا وهو مطلق حال تحققه في الخارج فهو غالط غلطا ضل فيه كثير من أهل المنطق
والفلسفة . وأما المطلق بشرط الاطلاق فهو الوجود المقيد بسلب جميع الامور الثبوتية
والسلبية كما يوجد الانسان مجرداً عن كل قيد . فاذا قلت موجود أو معدوم أو واحد
أو كثير أو في الذهن أو في الخارج كان ذلك قيدا زائدا على الحقيقة المطلقة بشرط الاطلاق .
وهكذا الوجود تأخذه مجردا عن كل قيد ثبوتي وسلبي فلا تصفه لا بالصفات الثبوتية
ولا السلبية . وهكذا واجب الوجود عند أئمة الباطنية كأبي يعقوب السجستاني صاحب
الاقاليد الملكوتية وغيره . لكن من هؤلاء من لا يعرف برفع النقيضين فيقول لا موجود
ولا معدوم ومنهم من يقول بل امسك عن اثبات أحد النقيضين فلا أقول موجود ولا معدوم
كأبي يعقوب وهو منتهى تجريد هؤلاء القائلين بوحدة الوجود . وابن سينا وأتباعه يقولون
الوجود الواجب هو الوجود المقيد بسلب الامور الثبوتية دون السلبية . وهذا أبعد عن الوجود
في الخارج من المقيد بسلب الوجود والعدم وان كان ذلك ممتنعا في الموجود والمعدوم * قال فقلت
لاولئك المدعين للتحقيق أنتم بنيتم أمركم على القوانين المنطقية وهذا الوجود المطلق بشرط
الاطلاق المقيد بسلب النقيضين عنه لا يوجد في الخارج باتفاق العقلاء . وانما يقدر في الذهن تقديرا .
والا فاذا قدرنا انسانا مطلقا واشترطنا فيه ان لا يكون موجودا ولا معدوما ولا واحدا ولا كثيرا
لم يوجد في الخارج بل نفرض في الذهن كما نفرض الجمع بين النقيضين ففرض رفع النقيضين
كفرض الجمع بين النقيضين ولهذا كان هؤلاء تارة يصفونه بالجمع بين النقيضين أو الامساك

[illegible]

النهاية [illegible] هذا [illegible] مع ذلك ان [illegible] ولا بالامتناع

يكون ممتنعا [illegible] كونه [illegible] لا يخرج عن هذا وهذا . وكذلك اذا قالوا لا موصوف بالوجوب [illegible]

[illegible] التجريد عن النقيضين كان باطلا . [illegible] لم موجود لا موجود . [illegible]

وهذا منتهى أمرهم وهو الجمع بين النقيضين أو رفع النقيضين ولهذا يصيرون الى الحيرة [illegible]

وهي عندهم منتهى معرفة الانبياء والاولياء والائمة والفلاسفة *

﴿ ومن أصول ضلالهم ﴾ ظنهم ان هذا تنزيه عن التشبيه وانهم متى وصفوا بصفة اثبات أو نفي كان فيه تشبيه بذلك ولم يعلموا ان التشبيه المنفي عن الله هو ما كان وصفه بشيء من خصائص المخلوقين أو ان يجعل شيء من صفاته مثل صفات المخلوقين بحيث يجوز عليه مايجوز عليهم أو يجب له مايجب لهم أو يمتنع عليه مايمتنع عليهم مطلقا فان هذا هو التمثيل الممتنع المنفي بالعقل مع الشرع فيمتنع وصفه بشيء من النقائص ويمتنع مماثلة غيره له في شيء من صفات الكمال . فهذان جماع لما ينزه الرب تعالى عنه وعلى هذا وهذا دل قوله تعالى قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد *

﴿ فأما الموافقة ﴾ في الاسم كحي وحي وموجود وموجود وعليم وعليم فهذا لا بد منه . ويلزم من هذا التعطيل المحض فان كل موجودين قائمين بانفسهما فحينئذ لا بد ان يجمعهما اسم عام لكن المعنى القائم لا يوجد عاما الا في الذهن لا في الخارج فاذا قيل هذا الموجود وهذا الموجود مشتركان في مسمى الوجود كان ما اشتركا فيه لا يوجد مشتركا الا في الذهن لا في الخارج وكل موجود فهو يختص بنفسه وصفات نفسه لا يشركه غيره في شيء من ذلك في الخارج وانما الاشتراك هو نوع من التشابه والاتفاق . والمشترك فيه الكلي لا يوجد كذلك الا في الذهن فاذا وجد في الخارج لم يوجد الا متميزا عن نظيره لا يكون هو اياه ولا هما في الخارج مشتركان في شيء في الخارج فاسم الخالق اذا وافق اسم المخلوق كالموجود والحي وقيل ان هذا الاسم عام كلي وهو من الاسماء المتواطئة او المشككة لم يلزم من ذلك ان يكون مايتصف به الرب من مسمى هذا الاسم قد شاركه فيه المخلوق . بل ولا يكون مايتصف به أحد المخلوقين من مسمى هذا الاسم قد شاركه فيه مخلوق آخر بل وجود هذا يخصه ووجود هذا يخصه لكن مايتصف به المخلوق قد يماثل مايتصف

وأما [illegible] في الخارج [illegible] المطلق [illegible] الذي [illegible]

ويمكن كل واحد منهما في [illegible] اعظم من التباين الذي بين [illegible]

الذي الكلي [illegible] المشترك [illegible] كما ذكر [illegible] الا في الذهن *

واذا كان الشيئان به [illegible] نوع مواطاة ومشاركة ومشابهة من هذا الوجه فذلك لا محذور فيه فان ما لزم ذلك القدر المشترك من وجوب وجواز وامتناع فان الله متصف به فالوجود من حيث هو موجود او العلم او الحي مهما قيل انه يلزمه من وجوب وامتناع وجواز فالله موصوف به بخلاف وجود المخلوق وحياته وعلمه فان الله لا يوصف بما يختص به المخلوق من وجوب وجواز واستحالة كما ان المخلوق لا يوصف بما يختص به الرب من وجوب وجواز واستحالة فمن فهم هذا انحلت عنه اشكالات كثيرة يعثر فيها كثير من الاذكياء الناظرين في العلوم الكلية . والمعارف الالهية . (ثم ذكر) القول الثاني من اقوالهم في الوجود الواجب وهو قول ابن سينا وأتباعه وهو انه الوجود المقيد بان لا يعرض له شئ من الماهيات وأطال الكلام في بيانه وما يرد عليه وليس لنا غرض بذكره . والمقصود هو القول الاول الذي ذكرناه وهو المطلق بشرط الاطلاق عن النفي والاثبات وهو أكملها في التعطيل والالحاد وهو الذي قال به محي الدين واضرابه وذكره في فصوصه مع أقوال اخر غاية في البشاعة . وهل يجوز لمتشرع ان يجعل من قال بقول القرامطة من الاولياء ويعترض على من اعترض عليه ويبدعه *

وقد نظم العلامة قاضي اليمن شرف الدين الشيخ اسمعيل بن أبي بكر المعروف بابن المقري الشافعي قصيدة غراء في أحوال من قال بوحدة الوجود وكتبهم فقال *

الا يارسول الله غارة ثائر * غيور على حرماته والشعائر
يحاط بها الاسلام ممن يكيده * ويرميه من تلبيسه بالبواتر
فقد حدثت في المسلمين حوادث * كبار المعاصي عندها كالصغائر
حوتهن كتب حارب الله ربها * وغربها من غربين الحواضر
تجاسر فيها ابن العرابي واجترا * على الله فيما قال كل التجاسر

[illegible]

وقال بان [illegible] * [illegible]

﴿ الى ان قال ﴾

كما قال فى التهليل [illegible] * وآياته [illegible] المشاعر

وقال الذى يعنيه عين الذي أتى * به مثبتا لاغير عند التحاور

وافسد معنى ماله الناس أسلموا * والقاه الفاه بينات الظواهر

فسبحان رب العرش عما يقوله * أعاذه من أمثال هذى الكبائر

فقال عذاب الله عذب وربنا * ينعم فى نيرانه كل فاجر

وقال بان الله لم يعص فى الورى * فما ثم محتاج لعاف وغافر

وقال مراد الله وفق لامره * فما كافر الا مطيع الاوامر

وكل امرىء عند المهيمن مرتضي * سعيد فما عاص لديه بخاسر

وقال يموت الكافرون جميعهم * وقد آمنوا غير المفاجي المبادر

وما خص بالايمان فرعون وحده * لدى موته بل عم كل الكوافر

فكذبه ياهذا تكن خير مؤمن * والا فصدقه تكن شر كافر

واثنى على من لم يجب نوحا اذ دعا * الى ترك ود أو سواع وناسر

وسمى جهولا من يطاوع أمره * على تركها قول الكفور المجاهر

ولم ير بالطوفان أغراق قومه * ورد على من قال رد المناكر

وقال بلى قد أغرقوا فى معارف * من العلم والبارى لهم خير ناصر

كما قال فازت عاد بالقرب واللقا * من الله فى الدنيا وفى اليوم الآخر

وقد اخبر البارى بلعنته لهم * وابعادهم فاعجب له من مكابر

وصدق فرعون وصحح قوله * انا الرب الاعلى وارتضى كل ساحر

واثنى على فرعون بالعلم والزكا * وقال بموسى عجلة المتبادر

وقال خليل الله فى الذبح واهم * ورؤيا ابنه يحتاج تعبير عابر

يعظم أهل الكفر والانبياء لا * يعاملهم الا بحط المقادر

ويثنى على الاصنام خيرا ولا يرى * لها عابدا ممن عصى امر آمر

[illegible]

[illegible] * [illegible]

وقال سيأتينا من الصنف خاتم * من الاولياء اهديك الاكابر

له رتبة فوق النبي ورتبة * له دونه فاعجب لهذا التناكر

فرتبته العليا يقول لاخذه * عن الله وحيا لا بتوسيط آخر

ورتبته الدنيا يقول لانه * من التابعين للامور الظواهر

وقال اتباع المصطفى ليس واضعا * اقداره الاعلى وليس بحاقر

فان يدن منه لاتباع فانه * يرى منه أعلى من وجوه افاخر

يرى حال نقصان له في اتباعه * لاحمد حتى جا بهذى المعاذر

فلا قدس الله شخصا يحبه * على ما يرى من فتح هذي المخابر

وقال بان الانبياء جميعهم * بمشكوة هذا تستضى في الدياجر

وقال فقال الله لى بعد مدة * بانك أنت الختم رب المفاخر

اتاني ابتداء بيض اسطر ربنا * بانفاذه في العالمين أوامرى

وقال ولا تشغلك عنى ولاية * وكن كل شهر طول عمرك زائرى

فرفدك اجزلنا وقصدك لم يخب * لدينا فهل أبصرت يا ابن الاحافر

باكذب من هذا واوا كفر في الورى * واجرا على غشيان هذى الفواطر

فلا يدعي من صدقوه ولاية * وقد ختمت فليأخذوا بالاقادر

فيا لعباد الله مائم ذوحجى * له بعض تمييز بقلب وناظر

اذا كان ذو كفر مطيعا كمؤمن * فلا فرق فينا بين بر وفاجر

كما قال هـذا ان كل أوامر * من الله جاءت فهى وفق المقادر

فلم تنبعث رسل وسنت شرائع * وانزل قرآن بهذى الزواجر

أيخلع منكم ربقة الدين عاقل * بقول غريق فى الضلالة جائر

ويترك ماجاءت به رسل الهدى * لاقوال هذا الفيلسوف المعاذر

فيا محسنى ظنا بما فى فصوصه * وما فى فتوحات الشرور الدوائر

[illegible]

فليس عذاب الله عنا بكل ما * [illegible]

ولكن اليوم مثل ما قال ربنا * [illegible]

ستعلمون الصادق القول منهما * إذا لم تزوروا اليوم علم مثابر

ويعلو لكم خير الذي يعدونكم * بأن عذاب الله ليس بصائر

ويحكم رب العرش بين محمد * ومن سن علم الباطل المتهاتر

ومن جاء بدين مفترى غير دينه * فاهلك أنصارا به كالأباقر

فلا يخدعن المسلمين عن الهدى * وما النبي المصطفى من مآثر

ولا يؤثروا غير النبي على النبي * فليس كنور الصبح ظلما الدياجر

دعوا كل ذي قول لقول محمد * فما آمن في دينه كمخاطر

واما رجالات الفصوص فانهم * يقومون فى بحر من الكفر ظاهر

اذا راح بالربح المتابع أحمدا * على هذه راحوا بصفقة خاسر

سيحكي لهم فرعون في دار خلده * باسلامه المقبول عند التشاور

ويا أيها الصوفى خف من فصوصه * خواتم سوء غيرها في الخناصر

وخذ نهج سهل والجنيد وصالح * وقوم مضوا مثل النجوم الزواهر

على الشرع كانوا ليس فيهم لوحدة * ولا لحلول الحق ذكر لذاكر

رجال رأوا ما الدار دار اقامة * لقوم ولكن بلغة للمسافر

فاحيوا لياليهم صلاة وبينوا * بهاخوف رب العرش صوم البواكر

مخافة يوم مستطير بشره * عبوس المحيا قمطرير الظواهر

فقد نحلت أجسادهم واذابها * قيام لياليهم وصوم الهواجر

أولئك أهل الله فالزم طريقهم * وعد عن دواعى الابتداع الكوافر

وكثير من أهل العلم ردوا على الشيخ محيي الدين وبينو خطأه فيما قال فى الفصوص والفتوحات وسائر كتبه من المسائل المناقضة للشريعة وسيأتى بعض ذلك ان شاء الله عند ما يكرر النبهانى كلامه كما هى عادته . والله ينتقم منه فهو الذى تسبب الى الخوض في هذه المباحث المفروغ عنها

[illegible] الشيخ الاسلام [illegible]

[illegible] ابن حزم وهو الشيخ [illegible] وجعل عمره في العلم والزهد صاحب التصانيف الفائقة المفيدة وما كان فيه سوى بيان مفاسد الاشعرية واضرابهم وكلامه على من خالف السنة . وربما صدر منه بعض الخطأ اجتهادا *

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

ولا يبعد من مثل النبهاني من الجهلة أن يتجاسر على من يبارى امامه في العلم والزهد ولكنه قد اتخذ الوقاحة دينا قاتله الله ما أجهله وما أحمقه *

﴿ وقال النبهاني ثالثا ﴾ لا تصدى لمعارضة القصيدتين الفريدتين (احداهما) للشيخ الامام العالم العلامة الحافظ ذي الفنون البديعة والمصنفات النافعة ابو المظفر يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد بن على ابن ابراهيم العبادي ثم العقيلي السرمرى نزيل دمشق الحنبلي وقد عارض بها الابيات التي كتبها السبكي التي أنشدها لما وقع نظره على كتاب منهاج السنة واستعرت في قلبه نيران الحسد ﴿ والاخرى ﴾ للشيخ الامام العلامة أبي عبد الله محمد بن جمال الدين يوسف الشافعي اليمني رد فيها على السبكي فيما قاله في ابياته تلك من الرد على شيخ الاسلام ابن تيمية وكلا القصيدتين قد اشتملا من الفصاحة والبلاغة على منتهاها مع ما فيهما من الرد الوافي على السبكي فلو رآهما لبقي مدة عمره يبكى . والقصيدتان طبعتا مع كتاب منهاج السنة فلا حاجة لنا في ذكرهما مع كون كثير من طلبة العلم يحفظونهما *

ما دخولك أيها النبهاني بين الفرسان . وأنت لا تقاوم لمزيد جهلك الصبيان . قد عارضت بزعمك القصيدتين . وأتيت بما لم يتكلم به ابن يومين . اين السمك من السماك . واين الحصى من درر الاسلاك . واين نار الحباحب من بدور الافلاك . قد مثلت ولكن كما مثل النجوم الماء . وكما انعكس في الغدير لون السماء . لقد حكيت ولكن فاتك الشنب . وفي الخمر معنى ليس يدركه من العنب *

﴿ واعلم أيها الناظر ﴾ ان الشعراء على اربع طبقات جمعها بعض أهل الادب من العلماء في قوله

الشعراء فاعلمن اربعه * فشاعر لا ترتجى لمنفعه
وشاعر ينشد وسط المجمعه * وشاعر يقال خمر في دعه

وشعر آخر لا [illegible]

وقد قيل لا يزال المرء مستورا وفي مندوحة ما لم يصنع شعرا أو يؤلف كتابا لان شعره ترجمان علمه وتأليفه عنوان عقله • وقال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه •

وان أشعر بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

وانما الشعر لب المرء يعرضه * على المجالس ان كيسا وان حمقا

وقال محمد بن مناذر وكان اماما في الفضل والادب •

لا تقل شعرا ولا تهمم به * فاذا ما قلت شعرا فأجد

وقال دعبل الخزاعي

سأقضي ببيت يحمد الناس أمره * ويكثر من أهل الرواية حامله

يموت ردىء الشعر من قبل أهله * وجيده يبقى وان مات قائله

وقالوا أيضا الشعراء اربعة فشاعر خنذيذ وهو الذى يجمع الى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره • وشاعر مفلق وهو الذى لا رواية له الا انه مجود كالخنذيذ في شعره • وشاعر فقط وهو فوق الردئ بدرجة وشعرور وهو لا شئ وقيل بل هم شاعر مفلق وشاعر مطلق وشويعر وشعرور والمفلق هو الذى يأتى في شعره بالفلق وهو العجب وقيل الفلق الداهية قال الاصمعى فالشويعر مثل محمد بن حمران بن أبى حمران سماه بذلك امرؤ القيس • وقال بعضهم شاعر وشويعر وشعرور • وقال العبدي في شاعر يدعى الشويعر من بني ضبة ثم من بني حميس

الا تنهى سراة بنى حميس * شويعرها فويلية الافاعى

فسماه شويعرا وفاليـة الافاعى دويبة فوق الخنفساء فصغرها أيضا تحقيرا له وزعم الحاتمى ان النابغة سئل من اشعر الناس فقال من استجيد جيده واضحك رديه وهذا كلام يستحيل مثله عن النابغة لانه اذا أضحك رديه كان من سفلة الشعراء •

الا ان يكون في الهجاء خاصة * وقال الحطيئة يصف صعوبة الشعر

الشعر صعب وطويل سلمه * اذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه

زلت به الى الحضيض قدمه * يريد ان يعربه فيعجمه

وانما سمى الشاعر شاعرا لانه يشعر بما لا يشعر له غيره واذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى

ولا اعرابه ولا تستطيل القصر انعامه ولا زيادة في الحشف به عن معنى الثاني و تقص مما اطلقه ... من الالفاظ او صرف معنى الى وجه عن وجه آخر كان اسم الشاعر عليه مجازا لا حقيقة ولم يكن له الا فضل الوزن وليس هو بفضل مع التقصير . ولقي رجل آخر فقال له ان الشعراء ثلاثة شاعر وشويعر وماص بظر امه فايهم أنت قال أما انا فشويعر والخصم أنت وامرؤ القيس في البلق . وقال بعضهم الشعر شعران جيد محكك ورديء مضحك ولا شيء اثقل من الشعر الوسط والغناء الوسط . ويقال ان الشعر كالبحر اهون مايكون على الجاهل اهول مايكون على العالم واتعب أصحابه قلبا من عرفه حق معرفته وأهل صناعة الشعر ابصر بها من العلماء بآلته من نحو وغريب ومثل وخبر وما اشبه ذلك ولو كانوا دونهم بدرجات فكيف ان قاربوهم او كانوا منهم بسبب وقيل للمفضل الضبي لم لاتقول الشعر وأنت أعلم الناس به قال علمي هو الذى يمنعني من قوله وانشد *

وقد يعرض الشعر البكى لسانه * وتعي القوافي المرء وهو لبيب

والشعر منزلة المقول وذلك ان احدا ماصنعه فكتمه ولو كان رديا وانما ذلك لسروره به واكباره اياه وهذه زيادة فى فضل الشعر وتنبيه على قدره وحسن موقعه . من كل نفس . ومن نظر لشعر النبهاني ممن له ذوق وسليقة علم ان الرجل ليس بشاعر ولا شويعر ولا ولا لانه مفلس من كل فضيلة وتبين له من نظمه انه لا يعلمه . وانه قد زات به الى الحضيض قدمه . من ذلك قوله فى أول قصيدته وهو أحد المواضع التى يجب التأنق فيها والاعتناء بشأنها

فان تعن ثعلبا يسطو على أسد * أو تخذل الليث لا يقوى لثعلبه

فانظر الى قوله فان تعن ثعلبا . ما أقبح وقعه فى هذا المقام . وقد خاطب الملك العلام وقد رضي ان ينزل هو بمنزلة الثعلب وهو كلب من الكلاب . ويكفيه ذلك سخافة لعقله وفضيحة بين أولى الالباب ولو أخذنا نناقشه بمثل هذه الكلمات لطال الكلام فى هذا المقام وضاع المقصود وفات . وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم والصناعات منها ماتثقفه العين ومنها ماتثقفه الاذن ومنها ماتثقفه اليد ومنها مايثقفه اللسان من ذلك اللؤلؤ والياقوت لايعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره . ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم لاتعرف جودتهما بلون ولا مس . لاطراءة ولا دنس . ويعرفه الناقد عند المعاينة فيعرف بهرجها وزائفها وستوقها ومفرغها

[illegible]

[illegible]

[illegible]

فتكون قيمتها بالصفة مائة دينار ومائتي دينار وتكون أخرى بألف دينار وألفي دينار ولكن لا يجد واصفها مزيدا على هذه الصفة . وتوصف الدابة فيقال خفيف العنان لين الظهر شديد الحافر فتي السن نقي من العيوب فيكون بخمسين دينارا أو نحوها . وتكون أخرى بمائتي دينار وأكثر وتكون هذه صفتها أيضا . ويقال للرجل والمرأة في القراءة والغناء انه لندي الحلق طويل الصوت طويل النفس مصيب اللحن . ويوصف الآخر أو الأخرى بهذه الصفة وبينهما بون بعيد . يعرف ذلك أهل العلم به عند المعاينة والاستماع بلا صفة ينتهي اليها . ولا علم يوقف عليه . وان كثرة المداسة لتعين على العلم به . وكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به . وقال بعض الحذاق ليس للجودة في الشعر صفة انما هي شيء يقع في النفس عند المميز كالفرند في السيف والملاحة في الوجه . والمقصود ان قصيدة النبهاني التي زعم أنه عارض بها القصيدتين ليست من الشعر في شيء انما هي ألفاظ خالية من المعاني . وقد ذكرنا لك بيت قصيده وهو قوله *

فان تعن ثعلبا البيت . وهو كلام ليس عليه طلاوة . ولا يدرك له حلاوة . ومعناه معنى مغسول بل كله حشو وفضول . فقبحه الله وقبح شعره *

وماتضمنته قصيدته من انكار صفة العلو لله تعالى وادعاء جواز الاستغاثة بغير الله تعالى . سبق البحث عنه والكلام فيه بما لا مزيد عليه . وسيأتي أيضا تتمة للكلام عن الاستغاثة ان شاء الله تعالى *

﴿ قال النبهاني ﴾ ومن كتب الامام ابن تيمية كتاب العرش * قال في كشف الظنون ذكر فيه ان الله سبحانه وتعالى يجلس على العرش وقد اخلى مكانا يقعد معه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر ذلك ابو حيان في النهر عند الكلام على قوله تعالى وسع كرسيه السموات والارض وقال قرأت في كتاب العرش لاحمد ابن تيمية ماصورته بخطه انتهت عبارة كشف الظنون . ثم نقل عن الزبيدي انه قال في شرح الاحياء عند قول الامام الغزالي في عقيدته قواعد العقائد . الاصل الثامن العلم بان الله تعالى مستو على العرش قال قال تقي الدين السبكي وكتاب

[illegible]

[illegible] الجهمية وذلك من التلاميذ [illegible] على الله [illegible]

عن حقيقة جهله وأنه لم يعرف من العلم شيئاً [illegible] في هذا الباب [illegible]

حيران .

«والجواب أن يقال للنبهاني» هذا المطلب من المطالب التالفة وقد أشبعنا الكلام عليه سابقا عند الكلام على رسالته التي زعم أنه رد بها على من يقول بصفة العلو وأن النبهاني ليس من رجال هذا الميدان وأنه ضالع ولا يدرك الضالع شأو الضليع وفي جلاء العينين كلام أيضا مفصل في هذا الباب يكتفي بمثله الفطن اللبيب وفيه نبذة من كلام شيخ الاسلام في كتاب العرش وهو الكتاب الذي لم يؤلف مثله في هذا الموضوع . وفي ذلك ما يكذب ما نقله النبهاني عن الزبيدي وغيره والسبكي حاله في النقل معلوم . وهذه كتب شيخ الاسلام في كل من بين الايدي والحمد لله . ففي أي كتاب قال ان الله يجلس على العرش وانه قد أخلى مكانا يقعد معه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أي كتاب رآه أبو حيان من كتب الشيخ . والحاصل ان مثل هذا النقل يجب على الناقل تصحيحه كما هو مقتضى قوانين المناظرة وبعد التصحيح نتكلم عليه وكيف يمكن تصحيحه وكتب الشيخ مصرحة بخلافه كما لا يخفى على من تتبع كتبه وأقواله . قال شيخ الاسلام روح الله روحه ما أخبر به الرسول عن ربه فانه يجب الايمان به سواء عرفنا معناه او لم نعرف لانه الصادق المصدوق فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الايمان به وان لم يفهم معناه — وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الامه وأئمتها مع أن هذا الباب يوجد عامته منصوصا في الكتاب والسنة متفقا عليه بين سلف الامة وما تنازع فيه المتاخرون نفيا واثباتا فليس على أحد بل ولا له أن يوافق أحدا على اثبات لفظ اونفيه حتى يعرف مراده فان أراد حقا قبل وان أراد باطلا رد وان اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقا ولم يرد جميع معناه بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى قال كما تنازع الناس في الجهة فلفظ الجهة قد يراد به شئ موجود غير الله فيكون مخلوقا كما اذا أريد بالجهة نفس العرش او نفس السموات . وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى كما اذا أريد بالجهة ما فوق العالم ومعلوم أنه ليس في النص اثبات لفظ الجهة ولا نفيه كما فيه اثبات العلو والاستواء والفوقية والعروج اليه ونحو ذلك . وقد علم أنه

ماثم موجود الا الخالق والمخلوق والخالق مباين للمخلوق سبحانه وتعالى ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته فيقال لمن نفى أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق فالله ليس داخلا في المخلوقات أم تريد بالجهة ما وراء العالم فلاريب ان الله فوق العالم بائن من المخلوقات وكذلك يقال لمن قال الله في جهة أتريد بذلك ان الله فوق العالم او تريد ان الله داخل في شيء من المخلوقات . فان أردت الاول فهو حق . وان أردت الثاني فهو باطل وكذلك لفظ التحيز ان أراد به ان الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم وأكبر قد وسع كرسيه السموات والارض . وقد قال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) وقد ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقبض الله الارض ويطوي السموات بيمينه . ثم يقول انا الملك أين ملوك الارض وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما السموات السبع والارضون السبع وما فيهن في يد الرحمن الا كخردلة في يد أحدكم . وفي حديث [illegible] ليدحوها كما يدحوا الصبيان بالكرة قال وان أراد به أنه منحاز عن المخلوقات [illegible] ومنفصل عنها ليس حالا فيها فهو سبحانه كما قال أئمة السنة فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه كما ذكره في التدمريه *

وقال شيخ الاسلام في التدمريه أيضا ما علوه تعالى وما [illegible] المخلوقات [illegible] الاستواء على العرش فطريق العلم به هو السمع وليس في الكتاب والسنة [illegible] العالم ولا خارجه ولا مباينه ولا مداخله فظن المتوهم انه اذا [illegible] استواؤه كاستواء الانسان على ظهور الفلك والانعام كقوله [illegible] ما تركبون) لتستووا على ظهوره فيخيل أنه اذ كان مستويا على [illegible] المستوى على الفلك والانعام فتعالى الله وتقدس [illegible] حيث ظن أنه مثل استواء الانسان [illegible] الاستواء الى نفسه الكريمة كما أضاف اليه سائر [illegible] ذكر أنه قدر وهدى [illegible] يذكر استواء مطلقا يصلح له [illegible] مثل ذلك في سائر صفاته . وقد علم أنه تعالى [illegible] الخالق [illegible] [illegible] وهو الذي [illegible]

على العرش كان محتاجا اليه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا هل هذا الا جهل محض وضلال ممن فهم ذلك وتوهمه او ظنه ظاهر اللفظ او جوزه على رب العالمين الغني عن الخلق المجيد المتعال انتهى *

﴿ وقد ذكر ﴾ في تفسير آية الكرسي وهو مجلد كبير مثل ذلك وهكذا في كثير من كتبه ولم نر في شيء من كتبه ما نقله النبهاني الافاك انه قال ان الله يجلس على العرش وانه قد أخلى مكانا يقعد معه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ولا ذكره أحد ممن ينتمي اليه من تلامذته وأصحابه كالحافظ ابن القيم وكتبه ها هي بين الايدي . وكالحافظ الذهبي . وكتبه في البلاد والاقطار منتشرة وكالحافظ الامام ابن قدامه . وكالحافظ ابن كثير وغيرهم ممن لا يحصون كثرة . والعجب ممن لا يلتفت الى صريح كلامه ونص عبارته . ويعتبر ما يسمعه من أفواه خصومه واعدائه كابن حجر المكي والسبكي والزبيدي ونحوهم من الغلاة وترى هؤلاء يدافعون عن بعض المتصوفة وقد تكلموا بكلمات الكفر فيجهدون كل الجهد في تأويلها ويتعسفون في تصحيحها ويحتجون على ذلك بانهم تكلموا أحيانا بما يوافق الحق . حتى اني تكلمت يوما مع بعض الغلاة فيما قاله صاحب الفصوص والفتوحات من الكلمات المصرحة بالحلول والاتحاد وذكرت له ما قاله فيها العلامة السعد التفتازاني والشيخ علي القاري . والشيخ محمد البخاري وغيرهم . فقال ان هؤلاء لم ينصفوا فان صاحب الفصوص قد صرح بعقيدة الاسلام في كثير من كتبه فمن الواجب ان نصرف ما نسمع من كلامه المخالف للحق الى ما يوافقه . ونحمله على محمل حسن كما ولوا قوله سبحان من أظهر الاشياء وهو عينها أي عين وجودها المالك لها ونحو ذلك صيانة لهؤلاء الكمل من الوقيعة فيهم . فقلت فما قولك في مسلم يصلي ويصوم ويزكي ويحج البيت وقد تكلم بالكفر هل نؤول كلامه ونصرف عنه موجب الكفر أم نقول بما قاله الفقهاء في كتاب الردة . ثم انكم لم تدعوا عن ابن تيمية وتعتذروا عنه بمثل ما اعتذرتم عن شيخكم وقد ملا الكتب من الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وتتشبثون بالقدح فيه بما زوره عليه أعداؤكم مما لا وجود له في كتبه ولا كتب أصحابه فكان من الواجب عليكم انه اذا نسب عنه شيء مذكور في كتبه ان تجتهدوا في حمله على محمل حسن ولم تشتموه بما تشتمه أعداؤكم الا لشكم في مذهب الشيخ وامرضت عن مكالمته *

[illegible]

وممن قال [illegible] في كتبه [illegible] السلف [illegible] الامام [illegible]

القاضي عماد الدين أحمد الواسطي العراقي المعروف [illegible] شيخ الاسلام ابن تيمية [illegible]

الدمشقي وهو الذي قال فيه شيخ الاسلام انه جنيد زمانه في رسالته نصيحة الاخوان ما نصه

ان الله عز وجل كان ولا مكان ولا عرش ولا ماء . ولا فضاء ولا هواء . ولا خلاء ولا

ملاء . وانه كان منفردا في قدمه وأزليته متوحدا في فردانيته لا يوصف بأنه فوق كذا اذ لا شئ

غيره . وهو تعالى سابق التحت والفوق اللذين هما جهتا العالم وهو لازمان له تعالى . وهو تعالى

في تلك الفردانية منزه عن لوازم الحدث وصفاته . فلما اقتضت الارادة المقدسة خلق الاكوان

المحدثة المخلوقة المحدودة ذات الجهات اقتضت الارادة ان يكون الكون له جهات من العلو

والسفل وهو سبحانه منزه عن صفات الحدث فكون الاكوان وجعل جهتي العلو والسفل

واقتضت الحكمة الالهية ان يكون الكون في جهة التحت لكونه مربوبا مخلوقا . واقتضت

العظمة الربانية ان يكون هو تعالى فوق الكون باعتبار الكون لا باعتبار فردانيته اذ لا فوق

فيها ولا تحت .

والرب سبحانه وتعالى كما كان في قدمه وازليته وفردانيته لم يحدث له في ذاته ولا في صفاته

مالم يكن له في قدمه وأزليته وفردانيته لم يحدث له في ذاته ولا في صفاته مالم يكن له في قدمه

وأزليته فهو الآن كما كان لما أحدث المربوب المخلوق ذا الجهات والحدود والخلا والملا . ذا

الفوقية والتحتية . كان مقتضى حكم العظمة والربوبية ان يكون فوق ملكه وان تكون

المملكة تحته باعتبار الحدوث من الكون لا باعتبار القدم من المكون فاذا أشير اليه بشئ

يستحيل ان يشار اليه من جهة التحتية أو من جهة اليمنة أو من جهة اليسرة بل لا يليق ان

يشار اليه الا من جهة العلو والفوقية . ثم الاشارة هي بحسب الكون وحدوثه وأسفله .

فالاشارة تقع على أعلى جزء من الكون حقيقة وتقع على عظمة الله تعالى كما يليق به . لا كما

يقع على الحقيقة المحسوسة عندنا في أعلى جزء من الكون فانها اشارة الى جسم . وتلك اشارة

الى اثبات اذا علم ذلك فالاستواء صفة كانت له سبحانه وتعالى في قدمه لكن لم يظهر حكمها

الا بعد خلق العرش . كما ان الحساب صفة قديمة لا يظهر حكمها الا في الآخرة . وكذلك التجلي

[illegible]

[illegible] عن ذلك فالامر الذي [illegible] والاستواء

الاستيلاء فيخص أحد الناس [illegible] من ذلك [illegible] الصحيح ولا

عند [illegible] ولا يجد شبهة معطلة [illegible] من علوه والاشارة الى انه انما هو بحسب

الكون وأسفله، اذ لا يمكن الاشارة اليه الا هكذا. وهو في نفسه سبحانه منزه عن صفات الحدث وليس في القدم فوقية ولا تحتية وانما من هو محصور في التحت لا يمكنه معرفة باريه الا من فوقه فتقع الاشارة الى العرش حقيقة اشارة معقولة وتنتهي الجهات عند العرش ويبقى ما وراءه لا يدركه العقل ولا يكيفه الوهم فتقع الاشارة عليه كما يليق به مجملا مثبتا لا مكيفا ممثلا . قال فاذا علمنا ذلك واعتقدناه تخلصنا من شبهة التأويل وعماية التعطيل . وحماقة التشبيه والتمثيل . وأثبتنا علو ربنا وفوقيته واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته والحق واضح في ذلك والصدر ينشرح له . فان التحريف تأباه العقول الصحيحة . مثل تحريف الاستواء بالاستيلاء وغيره والوقوف في ذلك جهل وغي . مع كون الرب وصف نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها فوقوفنا عن اثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا اياها فما وصف لنا نفسه بها لنثبت ما وصف به نفسه لنا ولا نقف في ذلك . قال وكذلك التشبيه والتمثيل حماقة وجهالة فمن وفقه الله للاثبات فلا تحريف ولا تكييف ولا وقوف فقد وقع على الامر المطلوب منه ان شاء الله تعالى والله أعلم انتهى *

﴿ وذكر شيخ الاسلام ﴾ في كتابه في العرش كلاما مفيدا أحببنا نقله في هذا المقام اكمالا للفائدة ما حاصله اختلف في العرش هل هو كري كالافلاك فيكون محيطا بها . واما ان يكون فوقها وليس هو كريا . فان كان الاول فمن المعلوم باتفاق من يعلم ان الافلاك مستديرة كرية الشكل ان الجهة العليا هي جهة المحيط وهو المحدد . وان الجهة السفلى هي المركز . وليس للافلاك الا جهتان العلو والسفل فقط . وأما الجهات الست فهي للحيوان وليس لها في نفسها صفة لازمة بل هي بحسب الاضافة فيكون يمين هذا ما يكون يسار هذا . ويكون امام هذا ما يكون خلف هذا . ويكون فوق هذا ما يكون تحت هذا لكن جهة العلو والسفل للافلاك لا يتغير . فالمحيط هو العلو والمركز هو السفل مع ان وجه الارض التي وضعها الله للانام وارساها

لا تحت ما هو على ظهر الارض من الحيوان والنبات والجبال والانهار المخلوقة فانه لا يوجد
الا مرئي من الارض فالسماء محيطة بها وليس هناك شيء من الادميين والبهائم والنبات
هناك اسفل مما هو على ظهر الارض ولم يكن من في هذه الجهة تحت من في هذه الجهة ولا
من في هذه تحت من في هذه كما ان الافلاك محيطة بالمركز وليس أحد جانبي الفلك تحت
الآخر ولا القطب الشمالي تحت القطب الجنوبي ولا بالعكس *

وان كان الشمالي هو الظاهر لنا فوق الارض وارتفاعه بحسب بعد الناس عن خط الاستواء
فما كان بعده عن خط الاستواء ثلاثين درجة مثلا كان ارتفاع القطب عنده ثلاثين درجة
وهو الذي يسمى عرض البلد *

فاذا قدر ان العرش مستدير محيط بالمخلوقات كان هو أعلاها وسقفها وهو فوقها مطلقا
فلا يتوجه اليه والى ما فوقه الانسان الا من العلو من جهاته الباقية ومن توجه الى الفلك التاسع
او الثامن او غيره من غير جهة العلو كان جاهلا باتفاق العقلاء فكيف بالتوجه الى العرش او
الى ما فوقه وغاية ما يقدر ان يكون كري الشكل والله تعالى محيط بالمخلوقات كلها احاطة تليق
بجلاله فان السموات السبع والارض في يده اصغر من الحمصة في يد أحدنا *

قال ابن عباس رضي الله عنهما ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن الا كخردلة
في يد أحدكم . وهذا الاثر وامثاله معروف في كتب الحديث *

﴿ قال شيخ الاسلام ﴾ ومن المعلوم ان الواحد منا ولله المثل الاعلى اذا كان عنده خردلة ان
شاء قبضها فاحاطت بها قبضته وان شاء لم يقبضها بل جعلها تحته فهو في الحالين مباين لها والعرش
سواء كان هذا الفلك التاسع الذى هو الفلك الاطلس عند الفلاسفة ويسمونه الفلك الاعظم
وفلك الافلاك او كان جسما محيطا بالفلك التاسع او كان فوقه من جهة وجه الارض غير محيط به
فيجب على كل حال ان يعلم ان العالم العلو والسفلى بالنسبة الى الخالق في غاية الصغر كما
قال تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه
وفي ذلك من الاحاديث ماسيأتي ذكر بعضها . وسواء قدر ان العرش محيط بالمخلوقات
كاحاطة الكرة بما فيها او قيل انه فوقها وليس محيطا بها كوجه الارض الذى نحن عليه بالنسبة
الى جوفها وكالقبة بالنسبة الى ماتحتها اوغير ذلك فعلى التقديرين يكون العرش فوق المخلوقات

والقائل سبحانه وتعالى لوقفه والقيام في توجه الى الله بحسب الفطرة دون التحجب *

﴿ ثم قال شيخ الاسلام ﴾ في آخر كتاب العرشية فقد تبين انه سبحانه وتعالى أعظم وأكبر من ان تكون المخلوقات عنده بمنزلة داخل الفلك في الفلك وانها أصغر عنده من الحمصة او الفلفلة ونحو ذلك في يد أحدنا ، فاذا كانت الحمصة او الفلفلة بل الدرهم والدينار والكرة التي يلعب بها الصبيان ونحو ذلك في يد انسان او تحته او نحو ذلك هل يتصور عاقل اذا استشعر علو الانسان على ذلك واحاطته به ان يكون الانسان كالفلك فالله تعالى وله المثل الاعلى اعظم من ان يظن ذلك به وانما يظنه الذين لم يقدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون انتهى *

﴿ وقد تبين ﴾ من هذه النقول ان البحث دقيق فلهذا لم يفهمه كثير من أهل العلم فضلا عن النبهاني فكلامه الذي اقتضى اعادة القول فاللوم عليه لا علينا والله الموفق *

هذا آخر الجزء الاول ـ من كتاب غاية الاماني ـ في الرد على
النبهاني ـ ونسأله تعالى التوفيق لا كماله ـ وصلى
الله على سيدنا محمد وآله *

﴿ وكان الفراغ منه على يد مؤلفه من رمضان سنة ١٣٢٥ ﴾

(تم المجلد الاول ويليه المجلد الثانى وأوله الرد على ما انتقده الخصم على كتاب اغاثة اللهفان الخ)

فهرست الجزء الاول من غاية الاماني

صحيفة

﴿ تم فهرس الجزء الاول من غاية الاماني ويليه الثاني ﴾

